

الكتاب: جواهر التاريخ
المؤلف: الشيخ علي الكوراني العاملي
الجزء: ٣
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢٦
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

جواهر التاريخ
بقلم
علي الكوراني العاملي
المجلد الثالث
سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) وتسلط بني أمية ومواجهة أهل البيت (عليهم السلام)
لخطتهم
الطبعة الأولى ١٤٢٦

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا
محمد وآله الطيبين الطاهرين

هذا هو المجلد الثالث من (جواهر التاريخ) ويتضمن تاريخ مرحلة انهيار الأمة في أيدي بني أمية، مرحلة خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) واضطراره للتنازل عن الحكم إلى معاوية، وإعلان معاوية انتهاء الحكم الإسلامي وقيام الأمبراطورية الأموية، كما يتضمن نشاط الإمام الحسن وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في مواجهة خطط معاوية وبني أمية المعادية للإسلام!

وقد أفضنا في دراسة شروط الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، وفي نشاط الإمام (عليه السلام) في العشر سنوات التي عاشها بعد الصلح، ومقاومته خطط معاوية الثقافية والسياسية، وفصلنا أحداث شهادته (عليه السلام)، وبحثنا بمناسبة منعهم دفن الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده (صلى الله عليه وآله) الملكية الشرعية للحجرة النبوية الشريفة، وأثبتنا أنه (صلى الله عليه وآله) دفن في بيته ولم يدفن في بيت عائشة كما أشاعوا.

ثم بحثنا فعاليات معاوية الحثيثة بعد قتله الإمام الحسن (عليه السلام) لأخذ البيعة لابنه يزيد، واختراعه له غزوة القسطنطينية، كما اخترع لنفسه غزوة قبرص!

وبما أن منهجنا أن لا نتوسع فيما كثرت فيه الكتابة، فقد اكتفينا بعرض الهوية الشخصية والسياسية ليزيد، ونقاط عن جرائمه الكبرى في فاجعة كربلاء، ووقعة الحرة في المدينة، وضرب الكعبة بالمنجنيق بالأحجار وقنابل النفط! واكتفينا من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) بمواقفه في مواجهة معاوية، وتأثير شهادته (عليه السلام) في ضمير الأمة ومسارها، وتأثيره في سقوط الحكم الأموي نفسه، وأرخنا لظاهرة معاوية بن يزيد الذي أعلن تشييعه، وعمل نقل الخلافة إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) فقتله بنو أمية. وبعد الحديث عن سقوط الدولة الأموية الأولى وانتهاء آل أبي سفيان، استعرضنا قيام الدولة الأموية الثانية بقيادة مروان وأولاده، وكيف واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) خططهم التحريفية، ومنها بناؤهم مسجد الصخرة في القدس بناء أفخم من بناء المسجد الحرام، ونقلهم حج المسلمين إليه بدل الكعبة!

**

في الختام، نذكر القارئ المحترم بأن مصادر هذا البحث هي كتب برنامج مكتبة أهل البيت (عليه السلام) الذي توفقنا لإعداده، وهو في متناول الجميع ويشمل ألوف المصادر، وبرامج إسلامية ومصادر أخرى ذكرناها في محالها، وذكرنا أحيانا المجلد والصفحة لأكثر من طبعة. والله ولي التوفيق والمثوبة.
كتبه: علي الكوراني العاملي
قم المشرفة، منتصف ربيع الثاني ١٤٢٦

الفصل الأول
خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) وانهايار الأمة!

بيعة المهاجرين والأنصار للإمام الحسن (عليه السلام) بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) أفاقت الأمة على خسارتها التي لا تعوض، ووجدت نفسها تحتضن بحبات قلوبها بقية عترة نبيها (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام)، فبادرت إلى بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) كبير السبطين، والإمام بنص جده وأبيه (عليهم السلام). قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٢١: (ذكر بيعة الحسن بن علي. وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويح للحسن بن علي بالخلافة، وقيل إن أول من بايعه قيس بن سعد قال له: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقاتل المحلين فقال له الحسن: علي كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس). انتهى.

وقال اليعقوبي: ٢ / ٢١٤: (واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي، وخرج الحسن بن علي إلى المسجد الجامع فخطب فخطبة له طويلة، ودعا بعبد الرحمن بن ملجم فقال عبد الرحمن: ما الذي أمرك به أبوك؟ قال: أمرني ألا أقتل غير قاتله وأن أشبع بطنك وأنعم وطاءك، فإن عاش اقتص أو عفى، وإن مات ألحقنك به. فقال ابن ملجم: إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضى، فضربه الحسن بالسيف فالتقاه بيده فندرت، وقتله).

وفي مقاتل الطالبين / ٣٢: (خطب الحسن بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: (قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون بعمل. لقد كان يجاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيسبقه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه. ولقد

توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها يوشع بن نون، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يتتاع بها خادما لأهله. ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه. ثم قال:

أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.

فلما انتهى إلى هذا الموضوع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة! فبايعوه، ثم نزل من المنبر).

(وشرح النهج: ١٦ / ٣٠، ونهج السعادة: ٨ / ٥٠٧)

أقول: عقيدتنا نحن الشيعة أن إمامة أئمة العترة النبوية (عليهم السلام) إنما هي بالنص لا بالبيعة، فالبيعة اعتراف بحق فرضه الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وليست إنشاء لهذا الحق، وتجب البيعة إذا طلبها النبي (صلى الله عليه وآله) أو الإمام المعصوم (عليه السلام).

وهذه المقطوعة المتقدمة فقرة من أول خطبة خطبها الإمام الحسن بعد شهادة أمير المؤمنين (عليهما السلام)، وقد نص المحدثون والمؤرخون كما رأيت في اليعقوبي علي أنها كانت طويلة، لكن الرواة لم ينقلوا منها إلا قليلا، كعادتهم في أكثر الخطب والأحاديث الصريحة التي تبين مقام أهل البيت (عليهم السلام) وظلامتهم! حيث كانوا وما زالوا يخافون غضب بني أمية وأتباعهم إن رووها!

(قال عمر بن ثابت: كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي أسأله عن الخطبة التي خطب بها الحسن بن علي عقيب وفاة أبيه ولا يحدثني بها، فدخلت إليه في

يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسة فكأنه غول، فقال لي من أنت؟ فأخبرته فبكى وقال: كيف أبوك وكيف أهلك؟ قلت: صالحون، قال: في أي شيء تتردد منذ سنة؟ قلت: في خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه فقال: حدثني هبيرة بن مريم قال: خطب الحسن... (شرح النهج: ١٦ / ٣٠)، ولم يزد على ما تقدم منها فقط!!

وتدل الفقرات التي وصلت إلينا على أن الإمام الحسن (عليه السلام) بين في خطبته مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام)، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم، وحذر من الفتنة الأموية على الإسلام، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم، مؤكداً خطأ أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وجهوده لإعادة العهد النبوي.

ويظهر أن شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) وخطبة الإمام الحسن (عليه السلام) كان لهما تأثير عميق في الناس، وأن كانت بيعتهم له بالإجماع: راجع من مصادرنا: شرح إحقاق الحق: ٤ / ٤١٦، و: ١٩ / ٣٤٨، و ٢٤ / ١١٨، و: ٣٣ / ١٨، والدر النظيم / ٥٠٧، والبحار: ٤٤ / ٢١، وبشارة المصطفى / ٣٦٩. ورواها من مصادر السنة بنحو ما تقدم: الطبراني في الأوسط: ٣ / ٨٧، والحاكم: ٣ / ١٧٢، وينايع المودة: ١ / ٧٤، و: ٣: ٣٦٣ وشرح النهج: ١٦ / ٣٠، كما روت عامة مصادرهم الفقرة الأولى منها، كالطبراني في الكبير: ٣ / ٨٠ وابن سعد في الطبقات: ٣ / ٣٨، وابن حنبل في مسنده: ١ / ١٩٩، و ٥٤٨ وفضائل الصحابة: ١ / ٥٤٨، والنسائي في السنن الكبرى: ٥ / ١١٢، وأبو يعلى في مسنده: ٦ / ١٦٩، وابن حبان في صحيحه: ٩ / ٤٥).

أهداف الإمام الحسن (عليه السلام) من خلافته

الإمام الحسن (عليه السلام) على بصيرة من ربه، كان يرى أن الأمة آخذة في الانهيار بين يدي أبيه (عليهما السلام) وقد ظهرت بوادر استسلامها لموجة بني أمية! لكنه أراد أن يستغل مدة خلافته القصيرة، وبالأحرى ما تبقي لخلافته أبيه (عليهما السلام)، لتحقيق هدفين:

الأول، تركيز مشروع أبيه لإعادة العهد النبوي بكل ما يمكنه من قول وفعل.

والثاني، تقليل خسائر الانهيار وخسائر الصلح المفروض عليه إلى أقل حد

ممكّن، وضمّان ما يمكّن ضمّانه من مصلحة الإسلام والأمة، مع علمه أن معاوية لا يفى لأحد بعهد ولا ذمة! فقد أنزل الله فيه وفي أسلافه: لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون. (التوبة: ١٠).

الإمام الحسن (عليه السلام) يؤكّد الحجّة على معاوية والأمة بدأ الإمام الحسن (عليه السلام) بدعوة الأمة إلى القيام بواجبها في جهاد عدوها، وأخذ بترتيب عماله في المناطق التي تخضع لسلطته، وأرسل رسالة إلى معاوية يثبت فيها حقه، ويؤكّد عليه الحجّة ويدعوه إلى البيعة والطاعة.

(كتب الحسن إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي: من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين ومنة للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان \$، وبعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك، وخص به قريشا خاصة فقال له: وإنه لذكر لك ولقومك، فلما توفي

تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش وأن الحجّة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم وسلمت إليهم. ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله) وأولياؤه إلى محاججتهم، وطلب النصف منهم

باعدوننا واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير. ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزا يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده! فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قریش لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكتابه! والله حسيبك، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وباللله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد.

إن عليا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم من الله عليه بالإسلام ويوم بيعت حيا، ولاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعدار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التماذي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أبواب حفيظ ومن له قلب منيب. واتفق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفىء الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين). (مقاتل الطالبين / ٣٦).

معاوية يتحرك بجيشه نحو العراق
تعددت الرسائل بين الإمام (عليه السلام) و معاوية، وكان آخر جواب من معاوية أنه
رفض الاستجابة لطلب الإمام الحسن (عليه السلام) وقال للرسولين: جندب بن عبد الله
الأزدي، والحرث بن سويد التميمي: (إرجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف)! (شرح
النهج: ٤ / ١٣) وأخذ بجمع ما يستطيع من جيش، للتحرك نحو العراق لتنفيذ مشروعه
الذي كان يعد له من زمن علي (عليه السلام) وهو أن يفرض الصلح على الإمام الحسن
(عليه السلام) أو يقتله أو يأخذه أسيرا! فقد جاءته بشائر الأشعث عن بعض رؤساء
القبائل وقادة الجيش الذين اشتراهم له الأشعث! (قال جندب: فلما أتيت الحسن بكتاب
معاوية قلت له: إن الرجل سائر إليك، فابدأه بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلاده
وعمله، فأما أن تقدر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين! ولما
وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه، ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخة واحدة:
من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين. سلام
عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فالحمد لله الذي كفاكم
مؤنة عدوكم وقتل خليفتم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلا
من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرفهم
وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائهم، فأقبلوا إلي حين يأتيكم كتابي هذا
بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر وبلغتم الأمل، وأهلك
الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته! فاجتمعت العساكر إلى
معاوية، وروي أنهم بلغوا ستين ألفا، فسار بها قاصدا إلى العراق). (مقاتل الطالبين /
٣٨).

الإمام الحسن (عليه السلام) يحرك في الأمة ثمالة شعلتها
(وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر منبج، فتحرك عند ذلك، وبعث
حجر بن عدي فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادي: الصلاة جامعة!
فأقبل الناس يثوبون ويجمعون، وقال الحسن: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجاءه
سعيد بن قيس الهمداني فقال له: أخرج، فخرج الحسن (عليه السلام)، وصعد المنبر،
فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من
المؤمنين: إصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر
على ما تكرهون. بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك،
أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى نظر وتنظروا ونرى وتروا. قال: وإنه
في كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابه
بحرف. فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم! سبحان الله ما أقبح هذا
المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟! أين خطباء مضر أين المسلمون؟ أين
الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون
كالثعالب، أما تخافون مقت الله وعبئها وعارها؟! ثم استقبل الحسن بوجهه فقال:
أصاب الله بك المرشد وجنبك المكاره، ووقفك لما يحمد ورده وصدرة. قد سمعنا
مقاتلك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى
معسكري فمن أحب أن يوافيني فليواف! ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته
بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه.

وكان عدي بن حاتم أول الناس عسكرياً!
وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزيايد بن صعصعة التيمي، فأنبوا الناس ولاموهم وحرصوهم، وكلموا الحسن (عليه السلام) بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن (عليه السلام): صدقتم رحمكم الله! ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً. ثم نزل. وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن إلى العسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر. وسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له: يا ابن عم، إني باعث إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة، فسر بهم وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وافرش لهم جناحك وأدnhem من مجلسك، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين (عليه السلام)، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثم تصير إلى مسكن، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني على أترك وشيكا وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس. وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله، وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس. فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور حتى خرج إلى شاهي، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن). (مقاتل الطالبين / ٤٠. ومسكن من الدجيل قرب سامراء - معجم البلدان: ٥ / ١٢٧).

الإمام الحسن (عليه السلام) بين المعادلة الإسلامية والجاهلية
بعد أن تراجع المسلمون عن الجهاد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) تخاذلاً وحباً
للحياة! ونجح معاوية في سياسة تخذيلهم وشراء شخصيات مؤثرة منهم، وغاراته على
مناطق العراق والحجاز واليمن.. وصل تفكير معاوية إلى غزو العراق وإجبار أمير
المؤمنين (عليه السلام) على الصلح، أو قتله بواسطة عملائه المباشرين كجماعة
الأشعث، أو غير المباشرين كالخوارج!

في هذا الجو كانت شهادة أمير المؤمنين وبيعة الإمام الحسن (عليهما السلام)، وكانت
المعادلة عنده واضحة فإما أن يستعمل أساليب معاوية غير المشروعة لإقامة دولة دنيوية
تعادي القيم الإسلامية والإنسانية، وإما أن يواصل مشروع أبيه في إعادة العهد النبوي،
ويحافظ على ما حققه من نصر، ويكون الثمن خضوعه لموجة بني أمية المتفاقمة،
وانسحابه مع أهل بيته من المسرح السياسي لمصلحة معاوية!
وطبيعي أن يختار الإمام الحسن (عليه السلام) هذا الخيار، مهما كان صعباً ومؤلماً!
فهو من جهة، الإمام المعصوم من ربه، كأبيه وأخيه وأمه فاطمة الزهراء (عليهم
السلام).

وهو من جهة، شريك أبيه في قناعاته وسياسته وحربه وسلمه، وهو أحد أركان العترة
النبوية الطاهرة (عليهم السلام) التي تحملت مؤامرة قريش وهجومها على بيتهم ليحرقوه
عليهم، فصبروا من أجل الإسلام، وتنفيذ وصية جدهم الحبيب (صلى الله عليه وآله).
وهو مع كل هذا، يعلم ما أخبر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) بأنه سيجري
على هذه الأمة بعد رسولها (صلى الله عليه وآله) والتمن الباهظ الذي يجب على أهل
البيت (عليهم السلام) أن يدفعوه، فقد أخبرهم بذلك جدهم الحبيب (صلى الله عليه
وآله)، وأعدهم لما يجب أن يفعلوه!

إن بين جنبي الإمام الحسن روح جده (صلى الله عليه وآله)، الروح الشامخة التي تأتي
الضيم.. لكن عبوديته لله تعالى أشد عمقا ورسوخا وشموخا! والدين في فهمه النبوي
ليس أعمال الرأي مهما بدا صائبا ومفيدا، بل طاعة أمر الرب ونهيه، مهما كان

صعباً! فقد قال جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) لأبيه المرتضى (عليه السلام):
(وتجاهد أمتي كل من خالف القرآن، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين،
إنما هو أمر من الرب ونهي). (الإحتجاج: ١ / ٢٩٠). وها هو الإمام الحسن بعد
شهادة أبيه (عليهما السلام) يواجه مرحلة امتحانه في طاعة ربه عز وجل فينجح،
ويتحمل لأجل الإسلام آلام الخضوع لطاغية زمانه، فيكون الإمام الممتحن بانهيار أمة
جده في عهده، وخضوعها لابن أبي سفيان! فهذه هي الرؤيا التي أراها الله لجده
المصطفى (صلى الله عليه وآله) وهو على منبره، أراه قادة أمته قرودا ينزون على منبره!
وأنزل عليه قوله تعالى: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا).
(الإسراء: ٦٠)

الإمام الحسن (عليه السلام) يمتحن جمهوره
ذكر المؤرخون والمحدثون هذه الخطبة للإمام الحسن (عليه السلام) ولم يحددوا
وقتها، ويبدو أنها كانت في الكوفة قبل حركته بجيشه إلى المدائن.
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٦٩: (وفي مجتني ابن دريد: قام الحسن بعد
موت أبيه فقال: والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة
والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع! وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم
أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم! ألا وإنا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم.
ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره،
فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر! ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا
نصفة، فإن أردتم الموت رددنا عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه).
ونحوه في نزهة الناظر للحلواني / ٧٧، وفيه: (فإن أردتم الموت رددناه إليه، وحاكمناه
إلى الله، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا بالرضا. فناده القوم: البقية البقية)!

ورواه في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٦٨، وفيه: (فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فناده القوم من كل جانب: البقية البقية). (ونحوه في أسد الغابة: ٢ / ١٣ والكامل: ٣ / ٢٧٢، وابن حمدون / ١٣٦٩، ونهاية الإرب / ٤٣٩٩. وفي ابن خلدون: ٢ ق ١٨٧ / ٢: كرواية الذهبي).

الإمام الحسن (عليه السلام) يمتحن جيشه!

كان الإمام الحسن (عليه السلام) كأبيه علي وأخيه الحسين (عليهم السلام) يعرفون حالة الأمة في الكوفة جيدا، لذلك لا بد من رد كل الروايات التي تدعي أن أحدا منهم (عليهم السلام) انخدع بكلام أهل الكوفة ووعودهم! فهم ذو علم رباني ومنهج مسدد من ربهم، وقد يستوجب منهجهم مماشاة الناس أحيانا، أو كشفهم بعض الأحيان. كيف؟ والإمام الحسن (عليه السلام) يرى الخيانات من حوله، وتزايد نفوذ عملاء معاوية في عاصمته ونشاط الأشعث في شراء ذمم رؤساء القبائل وقادة الجيش! ثم رأى حالة قادة جيشه، ومنهم ابن عمه المقرب إليه عبيد الله بن العباس! لقد صرح الإمام الحسن (عليه السلام) برأيه في أهل الكوفة مرارا قبل الصلح وبعده، ووبخهم كما وبخهم أبوه (عليهما السلام) فقال: (والله ما سلمت الأمر إليه إلا أنني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسدا، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا!). (الإحتجاج: ٢ / ١٢).

وقال (عليه السلام): (أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء الذين يزعمون أنهم لي شيعة! ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي! والله لئن أخذ من معاوية عهدا

أحقن به دمي وأومن به في أهلي خير من أن يقتلونني فتضيع أهل بيتي وأهلي! والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً! والله لئن أسأله وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمن علي فيكون سبة على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية، لا يزال يمن بها وعقبه على الحي منا والميت!). (الإحتجاج: ٢ / ١٠).

وفي الخرائج: ٢ / ٥٧٤: (لما مات علي جاء الناس إلى الحسن بن علي (عليهما السلام) فقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك. قال (عليه السلام): كذبتم! والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي؟! وكيف أطمئن إليكم وأثق بكم؟! إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوني هناك. فركب وركب معه من أراد الخروج، وتخلف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوه وبما وعدوه، وغروه كما غروا أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبله!

وأورد رواية أخرى جاء فيها قوله (عليه السلام): قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي، مع أي إمام تقاتلون بعدي؟! مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أمية إلا فرقا من السيف؟! ولو لم يبق لبني أمية إلا عجز درداء لبغت دين الله عوجاً! وهكذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفي طريقه إلى مكان التجمع الموعود في المدائن، قام الإمام (عليه السلام) بامتحان جيشه ليكشف المطيعين له من الكاذبين، ويثبت للناس والتاريخ حقيقة الذين استجابوا لدعوته في الظاهر، وتحركوا معه لقتال معاوية!

ففي مقاتل الطالبين / ٤٠: (وأخذ الحسن (عليه السلام) على حمام عمر (اسم قرية) حتى أتى دير كعب ثم بكر فنزل سابط دون القنطرة، فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله،

أرسله بالحق، واثمنه على الوحي، (صلى الله عليه وآله). أما بعد، فوالله إنني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنته وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة. ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإنني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأبي. غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ورضاه، إن شاء الله! ثم نزل.

قال فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه يريد أن يصالح معاوية ويكل الأمر إليه، كفر والله الرجل! ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه! فبقي جالسا متقلدا سيفا بغير رداء! فدعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده، ولاموه وضعفوه لما تكلم به فقال: ادعوا إلي ربيعة وهمدان فدعوا له، فأطافوا به ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهم فلما مر في مظلم سابط قام إليه رجل من بني أسد، ثم من بني نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ويده مغول (سيف دقيق يستعمل للإغتيال) فأخذ بلبام فرسه وقال: الله أكبر يا حسن! أشرك أبوك ثم أشركت أنت! وطعنه بالمغول فوقع في فخذه فشقته حتى بلغت أربيته! وسقط الحسن (عليه السلام) إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرا جميعا إلى الأرض، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائي ونزع المغول من يد جراح بن سنان فخضخضه به وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه، ثم أخذاه له الأجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتله. وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن وبها سعيد بن مسعود الثقفي واليا عليها من قبله وقد كان علي (عليه السلام) وولاه

المدائن فأقره الحسن (عليه السلام) عليها فأقام عنده يعالج نفسه). (ونحوه في المناقب: ٣ / ١٨٧).

أقول: هذه صورة عن انهيار الأمة مع إمامها الحسن (عليه السلام) فلا هم أهل حرب ولا أهل صلح، ولا أهل طاعة لإمامهم، ولا خارجون عليه صراحة! وقد يتصور البعض أن خطبته (عليه السلام) لم تكن في محلها، لكنها ضرورية نظرا لذلك الظرف ونوعيات الناس في جيشه (عليه السلام)، لأن ظهور هذه النتيجة السلبية هنا أفضل من أن تظهر عندما يشتبك الإمام مع طليعة جيش معاوية، التي وصلت إلى مواجهة مقدمة جيشه على بعد نحو خمسين كيلو مترا! فقد كانت مقدمته بقيادة قيس بن سعد في مسكن وهي من الدجيل، والمكان الذي خطب وامتحن جيشه فيه هو مظلم ساباط قرب المدائن! أما معاوية فكان في بقية جيشه في جسر منبج قرب حلب على مسافة خمسة أيام أو ستة من المدائن!

قال المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١١: (فلما أصبح (عليه السلام) أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له ليميز بذلك أوليائه من أعدائه، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادي في الناس بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال... وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) بها فأقره الحسن (عليه السلام) على ذلك، واشتغل بنفسه يعالج جرحه). ونسجل هنا ملاحظات:

الملاحظة الأولى: في حركة الجيش ومكان المعركة أن حركة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) تأخرت حتى تحرك معاوية من داخل الشام فبعد أن وصل معاوية إلى جسر منبج قرب حلب، وجه الإمام أربعة آلاف بقيادة الكندي وأمرهم أن يرابطوا في الأنبار أي الفلوجة داخل العراق في طريق جيش

معاوية القادم من الشام، فخان قائدهم الكندي وفر إلى معاوية، وتفرق أكثر جيشه! ثم أرسل أربعة آلاف بقيادة المرادي، فخان المرادي واشتراه معاوية أيضا وتفرق أكثر جيشه!

ثم تحرك الإمام (عليه السلام) وأرسل من الطريق عبيد الله بن العباس وقيس بن سعد في اثني عشر ألفا هم شرطة الخميس، فعسكروا في مسكن قرب الأنبار، فخان عبيد الله وفر إلى معاوية، وثبت قيس بن سعد وقاد الجيش! (وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم فلم يخرج حتى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه! فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو، فأجابوه بالطاعة وقالوا له: إنهض بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم). (الخرائج: ٢ / ٥٧٤).

وفي تهذيب الكمال: ٦ / ٢٤٥: (وجه إلى الشام عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد فسار فيهم قيس حتى نزل مسكن والأنبار وناحيتها، وسار الحسن حتى نزل المدائن، وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج). ومعناه أن الإمام الحسن (عليه السلام) اتخذ معسكرا بمن معه في المدائن، حيث واعد المتحمسين للحرب بألسنتهم، وبعث مقدمة جيشه إلى مسكن قرب سامراء. وأن معاوية اتخذ معسكرا عند جسر منبج قرب حلب، وبعث مقدمته بقيادة بسر بن أبي أرطاة وهو أخص قاداته فوصلوا إلى مسكن، وعسكروا مقابل جيش قيس واشتبكوا معه مناوشة. ففي تاريخ ابن عساكر: ٥٩ / ١٤٩: (وقدم بسر بن أبي أرطاة إليهم، فكانت بينهم مشاورة ولم يكن قتل ولا جراح ثم تحاجزوا). ومعنى هذا أن تخاذل أهل الكوفة نقل مكان المعركة إلى داخل العراق، بعد أن كانت حرب صفين في الرقة داخل سورية. وأن الجيشين اللذين أرسلهما

الإمام إلى الأنبار أي الفلوجة قد تفككا بهروب قائديهما، بل تذكر بعض الروايات أن الذين ثبتوا مع قيس من الاثني عشر ألفا هم أربعة آلاف فقط!

قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤٠: (وقام بأمر الناس بعد عبيد الله، قيس بن سعد وقال في عبيد الله قولا قبيحا وذكر أخاه وما كان بينه وبين علي، ونسب عبيد الله إلى الخيانة والغدر والضعف والجبن، فبايع قيسا أربعة آلاف على الموت. وظن معاوية أن مصير عبيد الله قد كسر الحسن فأمر بسر بن أبي أرطاة، وكان على مقدمته وناسا معه فصاحوا بالناس من جوانب العسكر فوافوهم وهم على تعبئة، فخرجوا إليهم فضاربوهم، واجتمع إلى بسر خلق فهزمهم قيس وأصحابه، وجاءهم بسر من ابلغد في الدهم فاقتتلوا فكشف بسرا وأصحابه، وقتل بين الفريقين قتلى).

الملاحظة الثانية: شخصية قيس بن سعد بن عباد

كان قيس بن سعد بن عباد كأبيه سعد زعيم الأنصار وعامة الأنصار، أوفياء لموقفهم ضد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وشاركوا مع علي (عليه السلام) بفعالية في حرب الجمل وصفين، ولم يشارك منهم مع معاوية إلا شخصان!

وكان موقفهم من الخلافة أنه يجب تنفيذ وصية النبي (صلى الله عليه وآله) بخلافة عترته (عليهم السلام) لكن لما اتفقت قبائل قريش على أخذ الخلافة وإبعاد العترة، قال سعد بن عباد نحن أولى بها من قريش التي كذبت النبي (صلى الله عليه وآله) وحاربتة! وأرادوا بيعه سعد فجاءهم أبو بكر وعمر إلى سقيفة بني ساعدة وفرضوا عليهم بيعه أبي بكر، فاعترض سعد بشدة وكان مريضا فاستطاعوا بمساعدة منافسيه من الأوس أن يعزلوه، ثم نفاه عمر إلى حوران، وقتل بها، فقالت الخلافة قتله الجن!

فسعد وابنه قيس مع العترة النبوية في مقابل قريش إلى حد، فهم شيعة بالمعنى

العام، وليسوا شيعة كعمار وسلمان والمقداد وحذيفة والأشتر ومحمد بن أبي بكر، وعشرات المعتقدين بأن إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) والعتره فريضة إلهية. ولذلك نجد أن قيسا خالف أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أنه كان واليا له على مصر، فقد أمره (عليه السلام) أن يناجز عملاء معاوية وكانوا معسكرا بقيادة والي مصر السابق معاوية بن حديج السكوني، فلم يطعه قيس بحجة أنهم ضمنوا له عدم الخروج عليه، واعتزلوا في قرية قرب الإسكندرية، وكتب له قيس إن لم تعجبه سياسته أن يبعث واليا غيره، فعزله (عليه السلام) وولى محمد بن أبي بكر (رحمه الله)! ولا بد أن قيسا عرف صحة رأي الإمام (عليه السلام) عندما تفاقم أمر ابن حديج ومهد لدخول جيش معاوية بقيادة ابن العاص، فأخذوا مصر وقتلوا محمد بن أبي بكر بوحشية!

وفي نفس الوقت كان موقف قيس مع الإمام الحسن (عليه السلام) مشرفا، فقد ثبت أمام إغراء معاوية إلى آخر مرحلة، وجرت بينهم مراسلات وانتهت بلهجة شديدة جدا، حتى (اضطر) معاوية أن يزور رسالة ويقرأها على جيشه، زعم فيها أن قيسا أرسلها إليه وأنه قبل الصلح وبايعه وأنه ترحم على عثمان! وقد تقدم في تزويرات معاوية! والصحيح أن قيسا لم يقبل الصلح حتى أرسل له معاوية رقا مختوما ليشترب فيه ما شاء، كالذي أرسله إلى الإمام الحسن (عليه السلام).

قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٢٥: (واشترط الحسن لنفسه ثم بايع معاوية، وأمرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي ولمن كان اتبعه، على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فخلص معاوية حين فرغ من عبد الله بن عباس والحسن إلى مكايذة رجل هو أهم الناس عنده مكايذة ومعه أربعون ألفا!) وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول: على طاعة من

تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟! فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، فقال: أكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك! قال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله! فقال معاوية: على رسلك فإننا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟! وإني والله لا أقاتله أبدا حتى لا أجد من قتاله بدا. فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته). انتهى.

أقول: الصحيح أن جيش قيس كان اثني عشر ألفا لا أربعين، بل ورد أن الذين ثبتوا معه وجددوا له البيعة منهم أربعة آلاف، ويظهر أنهم طليعة الأربعين ألفا الذين بايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل شهادته على حرب معاوية حتى الموت. أما بيعته لمعاوية فكانت في الكوفة بأمر الإمام الحسن (عليه السلام) وحضوره.

وأضاف الطبري: ٤ / ١٢٥: (وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط، فقالوا ذوو رأى العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي، وكان قيس وابن بديل مع علي (عليه السلام) وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية، إلا أن المغيرة كان معتزلا بالطائف حتى حكم الحكمان).

وفي مقاتل الطالبين / ٤٧: (ولما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد بن عبادة يدعو إلى البيعة، فأتى به وكان رجلا طويلا يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصي الأنصار فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إني قد حلفت أن لا ألقاه إلا بيني

وبينه الرمح أو السيف! فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه، لير يمينه)!
الملاحظة الثالثة: لاختيار شرعياً للإمام (عليه السلام) إلا التنازل عن الحكم
إن موقف الإمام الحسن (عليه السلام) هو غاية ما يمكن فعله مع أمة صارت بين يدي
إمامها كالتراب، واستسلمت لطامع فاغر فاه، تعلم أنه منافق، وأنه وأباه ألد أعداء نبيها
وعترته (صلى الله عليه وآله)! لقد تعب رؤساؤها فتخلوا عن العمل بالدوافع الدينية، بل
تخلوا عن أي حساب للمستقبل، وصاروا يتحركون بدوافع مادية آنية فقط!
قال زيد بن وهب الجهني: (لما طعن الحسن بن علي (عليه السلام) بالمدائن أتيته وهو
متوجع فقلت: ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحIRON؟ فقال: أرى والله أن معاوية
خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي،
والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وأومن به في أهلي، خير من أن يقتلوني
فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً!
والله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فيكون سنة علي
بني هاشم آخر الدهر، ومنة لمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه علي الحي منا والميت! قال
قلت: تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع؟! قال: وما أصنع يا أخا
جهينة إني والله أعلم بأمر قد أدى به إلي ثقاته: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لي
ذات يوم وقد رأني فرحاً: يا حسن أتفرح كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟! كيف بك إذا
ولي هذا الأمر بنو أمية، وأميرها الرحب البلعوم الواسع الإعجاج، يأكل ولا يشبع،
يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر، ثم يستولي على غربها وشرقها،
يدين له العباد ويطول ملكه، يستن بسنن أهل البدع الضلال، ويميت الحق وسنة رسول
الله (صلى الله عليه وآله) يقسم المال في أهل ولايته، ويمنعه من هو أحق به ويذل في
ملكه المؤمن،

ويقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دولا ويتخذ عباد الله خولا،
يدرس في سلطانه الحق ويظهر الباطل ويقتل من ناواه على الحق ويدين من والاه على
الباطل! فكذلك.. حتى يبعث الله رجلا في آخر الزمان وكلب من الدهر وجهل من
الناس، يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصره بآياته، ويظهره على أهل الأرض حتى
يدينوا طوعا وكرها، يملأ الأرض قسطا وعدلا ونورا وبرهانا، يدين له عرض البلاد
وطولها لا يبقى كافر إلا آمن به، ولا صالح إلا صلح، ويصطلح في ملكه السباع
وتخرج الأرض نبتها وينزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين
أربعين عاما، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه). (الإحتجاج: ٢ / ٢٩٠، ومعجم
أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) رقم ٦٩٢).

أقول: يدل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) على أن الظلم في الأمة سيستمر بعد بني
أمية حتى يظهر الإمام المهدي (عليه السلام). وقوله: يحكم أربعين سنة كناية عن طول
مدته فقد ثبت أنه (عليه السلام) يحكم بعدد سني أهل الكهف وأن دولتهم (عليهم
السلام) تمتد إلى يوم القيامة، وتكون نقلة نوعية في الحياة على الأرض، فلا يعود إليها
الظلم.

آخر مراحل انهيار الأمة في عهد الإمام الحسن (عليه السلام)
صار اليوم الذي أجبر فيه المنافقون أمير المؤمنين (عليه السلام) على قبول إيقاف
الحرب في صفين حين شارف على قطف النصر، محطة بارزة في تاريخ الأمة! فقد
تجمع الخوارج وأحاطوا به وهددوه بالقتل إن لم يقبل بتحكيم الحكيمين، أو بالأسر
وتسليمه إلى معاوية! فاضطر (عليه السلام) إلى إجابتهم!
ففي ذلك اليوم ظهر الخوارج الذين دفعهم الأشعث بن قيس ومعاوية فأجبروا أمير
المؤمنين (عليه السلام) على قبول التحكيم، ثم أفاقوا وندموا وزعموا أنهم كفروا
بذلك! وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) كفر مثلهم برضوخه لإصرارهم وتهديدهم!
فعليه

أن يعترف بأنه كفر ويتوب ويدخل في الإسلام ليقبلوه إماما، وإلا قاتلوه!! كما ظهر الاتجاه الذي يميل إلى معاوية بزعامة الأشعث بن قيس، رئيس قبائل كندة، والذي اعتمد عليه معاوية وأمهه بالمال في صفين فاشترى من استطاع من رؤساء القبائل وقادة جيش علي (عليه السلام)، وداهن الخوارج حتى عد منهم! وبذلك تم فرز جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى شيعته المخلصين لإمامته ومشروعه وهم أقلية، والحزب الأموي وهم الأكثرية، ثم حزب الخوارج وهم أقلية أيضا!

وقد أظهرت حادثة التحكيم نفاذ مخزون الأمة للعمل مع علي (عليه السلام) في مشروعه لإعادة العهد النبوي، وأنه لم يبق معه إلا خاصة شيعته! ومع أنه (عليه السلام) انتصر على الخوارج بعد بضعة شهور من صفين، في معركة سريعة حاسمة، لكن تيارهم في الناس كان قويا! ثم جاءت شهادته (عليه السلام) بيد ابن ملجم الخارجي ثارا لهزيمتهم في النهروان، ودفعة لوجودهم الاجتماعي، كما جاءت الفرصة للحزب الأموي ليكسب أنصارا جددًا، ويتحول إلى تيار ينشر الوعود في أهل العراق، ويمنيهم بحياة في حكم معاوية أفضل من حياتهم عهد علي (عليه السلام)!

في ذلك الظرف السياسي كانت بيعتهم للإمام الحسن (عليه السلام) بالخلافة لكونه سبط النبي (صلى الله عليه وآله) وابن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) اللذين شهدا ونصا على إمامته، لكن الإمام الحسن (عليه السلام) كان يعرف ضعف الإيمان في الأمة، وقوة التيارين اللذين يعملان ضده، خاصة التيار الأموي الذي يمتاز عن الخوارج بأن له بديلا محددًا هو خلافة معاوية، بينما الخوارج أكثر شجاعة وفتكا، وإن كان لا بديل عندهم!

ولعل الأشعث وحزبه أرسلوا في اليوم الذي بايعوا فيه الإمام الحسن (عليه السلام)، إلى معاوية يشجعونه على التوجه إلى العراق، ليساعدوه في السيطرة عليه!

قال المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١٤: (وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر، واستحثوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن (عليه السلام) إليه عند ذنوبهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك!). انتهى.

فأرسل إليهم معاوية يحثهم على أن يضربوا ضربتهم في أقرب فرصة!

قال الصدوق (رحمه الله) في علل الشرائع: ١ / ٢٢٠: (دس معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، والي حجر بن الحجر، وشبث بن ربعي، دسيسا أفرد كل واحد منهم بعين من عيونهم، أنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي! فبلغ الحسن (عليه السلام) ذلك فاستألم وليس درعا وكفرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من الأمانة، فلما صار في مظلم سابط ضربه أحدهم بخنجر مسموم، فعمل فيه الخنجر فأمر (عليه السلام) أن يعدل به إلى بطن جريحي (المدائن) وعليها عم المختار بن أبي عبيد مسعود بن قيلة، فقال المختار لعمه: تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه، فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا! فقال الحسن (عليه السلام): ويلكم والله إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي! وإنني أظن أنني إن وضعت يدي في يده فأسأله لم يتركني أدين بدين جدي (صلى الله عليه وآله) وأنا أقدر أن أعبد الله وحدي! ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون! فبعدا وسحقا لما كسبته أيديكم: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون! فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم فيه، فكتب الحسن (عليه السلام) من فوره ذلك إلى معاوية: أما بعد، فإن خطبي انتهى إلى اليأس من حق أحييه،

وباطل أميته وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنني أعتزل هذا الأمر وأخليه لك، وإن كان تخليتي إياه شرا لك في معادك، ولي شروط أشرطها لا تبهظنك إن وفيت لي بها بعهد، ولا تخف إن غدرت - وكتب الشرط في كتاب آخر فيه يمينه بالوفاء وترك الغدر - وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حين لا ينفع الندم، والسلام).

ثلاث محاولات لاغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) في يوم واحد!
ذكرت المصادر محاولتين لاغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) وهو في طريقه بجيشه إلى جهاد معاوية، والثالثة كانت على شكل هجوم لنهب مركز قيادته!
فقد خطب (عليه السلام) لامتحان جيشه قبل الصلاة، فصاح الخوارج بشعارهم: لا حكم إلا لله.. أشرك الحسن كما أشرك أبوه! وساعدهم حزب معاوية وحسبوا فرصة لقتل الإمام (عليه السلام)، فرموه في أثناء صلاته بسهم فلم يعمل!
قال المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١٤: (ولبس درعا وكفرها (غطاها) وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه، لما عليه من الأمانة) (لباس الحرب). ومعناه أن أحدهم رماه بسهم وهو يصلي إماما فأصاب الدرع التي تحت ثيابه ولم ينفذ إلى بدنه، ففشلت محاولتهم!
ثم أشاعوا خبرا كاذبا بأن قيس بن سعد قائد مقدمة جيش الإمام (عليه السلام) قد اشتبك مع جيش معاوية وقتل! ونادوا في الغوغاء أن يتفرقوا وحركوهم فيهم غريزة الغارة والنهب والفرار من المعسكر فنهبوا ما تصل إليه أيديهم، ووصلوا إلى سرادق الإمام الحسن (عليه السلام)، وكانوا غير مسلحين وأخذوا ينهبون الأمتعة، فأمر الإمام (عليه السلام) بعدم مقاومتهم! ولا بد أنهم دسوا بينهم من يتحين الفرصة لقتل

الإمام (عليه السلام) لكنهم رأوه متقلدا سيفه مراقبا ساكتا، وقد أحاط به بعض شيعته!
وتركهم الإمام (عليه السلام) حتى أكملوا نهيبهم فأمر الإمام (عليه السلام) بالمسير،
فدبروا له كميناً في النفق المسقوف (مظلم ساباط)! قال البلاذري في أنساب الأشراف
/ ٧٣٨: (ثم سار الحسن فأتى دير كعب فبات به، ثم سار حتى أتى ساباط المدائن
فنزل دون جسرهما مما يلي ناحية الكوفة، فخطب الناس فقال: إني أرجو أن أكون
أنصح خلف لخلق، وما أنا محتمل على أحد ضعيفة ولا حقدا ولا مرید به عائلة ولا
سوءاً. ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر
لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي، غفر الله لي ولكم.
فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله على صلح معاوية وضعف وخار، وشدوا
على فسطاطه فدخلوه وانتزعوا مصلاه من تحته وانهبوا ثيابه! ثم شد عليه عبد الرحمن
بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي، فنزع مطرفه عن عاتقه فبقى متقلدا سيفه (فدهش ثم
رجع ذهنه) فركب فرسه وأطاف به الناس فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحي
أولئك عنه ويمنعهم منه!

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نصر بن الهون بن الحارث بن ثعلبة بن
دودان بن أسد، ويقال له الجراح بن سنان وكان يرى رأي الخوارج، إلى مظلم ساباط
فقعد فيه ينتظره، فلما مر الحسن به دنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج مغولا كان
معه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل! وطعنه بالمغول في أصل فخذه
فشق في فخذه شقا كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه ثم اعتنقا وخرا إلى
الأرض ووثب عبد كلام بن الحمل الطائي وبعضهم يقول عبد الله بن الحصل فنزع
المغول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي بأنفه فقطعه، وضرب بيده إلى
قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه

حتى مات). انتهى. أقول: وقد وضعنا عبارة (فدهش ثم رجع ذهنه) بين قوسين، لأن من يعرف الإمام الحسن (عليه السلام) لا يمكن أن يوافق عليها، بل يعرف أنه (عليه السلام) تعمد السكوت ليسرقوا ما بدا لهم وحفظ نفسه منهم وقد يكون وضع حرسا قريبا منه! ويدل الكمين الذي احتاجوا اليه لاغتياله أنه كان محروسا متيقظا في موجة نهبهم لسرادقه، في تلك المنطقة التي أقام فيها ثلاثة أيام! ويظهر أن محاولة اغتياله جرت في نفس اليوم الذي رموه فيه بسهم، فكمن له الشقي الجراح بن سنان في الساباط، وهو نفق مسقف طويل.

قال الحموي في معجم البلدان: ٥ / ١٥٢: (مظلم: يقال له مظلم ساباط مضاف إلى ساباط التي قرب المدائن: موضع هناك، ولا أدري لم سمي بذلك). انتهى.

لكن الحموي لم يقرأ ما كتبه الطبري في تاريخه: ٣ / ٨٠: (حتى أتى سعدا عالج من أهل المدائن فقال أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمعتوا في السير؟ فخرج بهم على مخاضة بقطربل، فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة في رجله، فلما جاز اتبعته خيله، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيله، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا، فزعموا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد! ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم ساباط، فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو، فتردد الناس وجبنوا عنه، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة، فلما أجاز ألاح للناس بسيفه، فعرف الناس أن ليس به شيء تخافونه، فأجاز بهم خالد بن عرفطة، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس، فكانت وقعة جلولاء بها، فهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الفئ أفضل مما أصابوا بالقادسية). انتهى.

ف (مظلم ساباط) بناء فوق الأرض، وهو اسم فارسي معناه الساباط المظلم فهم

يقدمون الصفة على الموصوف، وظلمته لطوله وعدم وجود نوافذ فيه وكان موجودا في الفتح الإسلامي، ولم يكن موجودا في عصر الحموي في القرن السابع، فبقي اسمه على مكانه.

وقد كمن الشقي في آخر الساباط على ظهر فرسه، حتى إذا وصل الإمام (عليه السلام) حاذاه وشكه بالمغول، وهو سيف دقيق لا يصلح للضرب بل يغرز المغتال غرزا في بدن المغدور! ولا بد أنه استهدف صدر الإمام (عليه السلام) أو بطنه ولكنه قاومه فوقعت الشبكة في فخذه. بل تدل الرواية التالية على أن الإمام (عليه السلام) ضربه بالسيف (الخرائج: ٢ / ٥٧٤) ثم منعه من الفرار وأمسكه بلحيته ولوى عنقه وأسقطه على الأرض على رأسه، فتمسك به الشقي فسقطا عن فرسيهما معا! ففي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٥: (فركب الحسن فرسا له ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي، فجرحه بمعول في فخذه، وقبض على لحية الجراح، ثم لواها فدق عنقه. وحمل الحسن إلى المدائن وقد نرف نرفا شديدا). وفي كشف الغمة: ٢ / ١٦٢: (وخرا جميعا إلى الأرض، فأكب عليه رجل من شيعة الحسن (عليه السلام) فقتله بمغوله، وقتل معه شخص آخر كان معه). انتهى.

ونسجل هنا ملاحظات:

الملاحظة الأولى

قد يقال: لماذا أرسل الإمام الحسن (عليه السلام) عمدة شيعته المخلصين، وهم شرطة الخميس مقدمة لجيشه، وكان عددهم اثني عشر ألفا، وفيهم أبطال الإسلام وقادة الفتوح الكبرى، وسار هو مع أخلاط الناس الذين يكثر فيهم الخوارج وعملاء معاوية، ولم يشدد حراسته مع علمه بأن حياته مستهدفة؟ قال في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٤٥: (فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على

مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً، وكانوا يسمون شرطة الخميس).
والجواب: أنه كان المناسب للإمام الحسن (عليه السلام) أن يرسل فرقة قوية من جيشه لمواجهة تقدم معاوية، ويبقى هو مددا لهم يحث الناس على الالتحاق به للجهاد ولذا بقي عشرة أيام في معسكر النخيلة.

على أن الفرق ليس كبيراً بين من رافقهم الإمام (عليه السلام) وبين شرطة الخميس! فمعه قبائل ربيعة وهمدان وهم أكثر القبائل إخلاصاً له، وقد دعاهم عندما لزم الأمر فكانوا حوله. قال الإربلي في كشف الغمة: ٢ / ١٦٢: (وشدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته! ثم شد عليه رجل يقال له عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء! ثم دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده، ودعا ربيعة وهمدان فأطافوا به ومنعوه، فسار ومعه شوب من غيرهم. فلما مر في مظلم ساباط...). انتهى. هذا، مضافاً إلى أن غرض الإمام (عليه السلام) أن يكشف للأجيال حالة الأمة في عصره، وغلبة غوغائها على قراراتها!

الملاحظة الثانية

يحتمل أن يكون الخوارج وراء محاولة اغتيال الإمام (عليه السلام) الأخيرة، لكن المرجح أن يكون وراءها الحزب الأموي، خاصة بعد أن أرسل معاوية إلى عدد من رؤساء القبائل وقادة الجيش يحثهم على قتل الإمام (عليه السلام)، وعين لهم جائزة مغرية على ذلك! لذلك لا يطمأن إلى ما ذكره المؤرخون من أن الشقي الذي ضرب الإمام (عليه السلام) كان خارجياً، وقد تتبعت ترجمته فلم أجد ما يؤيد ذلك. وينبغي أن تعرف أن بني أمية ورواتهم دأبوا على تبرئة الخليفة الأموي وولاته ما استطاعوا، وإلقاء مسؤولية جرائمهم على عاتق الخوارج!

وكذلك الأمر في الذي رمى الإمام بسهم وتستر الرواة على اسمه! والذين نادوا في معسكر الإمام (قتل قيس بن سعد) ودعوا الناس إلى التفرق والنهب!
الملاحظة الثالثة

ذكرت المصادر موقفاً خيانياً للمختار الثقفي، حيث اقترح علي عمه سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل الإمام الحسن (عليه السلام) على المدائن، أن يسلم الإمام الحسن (عليه السلام) أسيراً إلى معاوية، ليجعله حاكم العراق كله، فرفض عمه ذلك وفضح سر ابن أخيه ووبخه! قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٣٨: (فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة، فأبى ذلك وقال للمختار: قبح الله رأيك أنا عامل أبيه وقد ائتمنتني وشرفني! وهبني نسيت بلاء أبيه أنسى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه؟! ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام عليه حتى برئ وحواله إلى أبيض المدائن).

وأبيض المدائن: قصر كسرى والمدائن عاصمته، وما زالت بقية طاق كسرى الضخمة موجودة إلى الآن. وهذا العمل من المختار يدل على أنه كان رجلاً دنيوياً ولم يكن متديناً ولا شيعياً! وقد يكون تشيع فيما بعد، والمتيقن أنه شيعي بالمعنى العام وأن الأئمة (عليهم السلام) لم يؤيدوا حركته بل أيدوا أخذه بثأر الإمام الحسين (عليه السلام) وحثوه على ذلك، وقد ورد الترحم عليه عن الإمام الصادق (عليه السلام) فعسى الله أن يرحمه. وينبغي الالتفات إلى كثرة المكذوبات الأموية والزييرية على المختار (رحمه الله) فقد تعمدوا تشويه صورته ونسبوا إليه أنه ادعى الإمامة والنبوة، ونشروا ذلك بين الناس وما زال يملأ مصادرهم ويتناقله رواتهم على أنه حقائق!

الملاحظة الرابعة

الظاهر أن الأحداث بدأت بخطبة الإمام الحسن (عليه السلام) ثم صلى بهم فرموه
بسهم

وهو يصلي، ثم نادوا في معسكره ودعوا الناس إلى التفرق والنهب، ثم هدأهم وسار بهم فحاولوا اغتياله في الساباط فحملوه على سرير إلى المدائن حيث عالج ضربته، وأدار المفاوضات مع معاوية حتى استكملها، ثم رجع إلى الكوفة، وبعد أيام وصل معاوية إلى الكوفة. وقد خلط بعض الرواة والمؤرخين في تسلسل هذه الأحداث وفي مكانها، فجعلها بعضهم كلها في المدائن. الخ.. (راجع: الطبري: ٤ / ١٢١، والعبر للذهبي: ١ / ٢٤، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ١٤٥، و ٢٦٣، وتاريخ ابن عساكر: ١٣ / ٢٦٢، وتهذيب الكمال: ٦ / ٢٤٤، والكامل لابن الأثير: ٣ م ٢٧١، ومقاتل الطالبين / ٤١، وتاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٥، وأنساب الأشراف / ٧٣٩، وكشف الغمة: ٢ / ١٦٢).

ما روي عن خيانة بعض قادة الجيش ورؤساء القبائل في الخرائج والجرائح: ٢ / ٥٧٤: (ثم وجه إليه قائدا في أربعة آلاف، وكان من كندة، وأمره أن يعسكر بالأنبار ولا يحدث شيئا حتى يأتيه أمره. فلما توجه (القائد الكندي) إلى الأنبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك بعث إليه رسلا، وكتب إليه معهم: إنك إن أقبلت إلي وليتك بعض كور الشام أو الجزيرة غير منفس عليك. وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم، فقبض الكندي المال، وقلب على الحسن (عليه السلام) وصار إلى معاوية، في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته!

وبلغ الحسن (عليه السلام) فقام خطيبا وقال: هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم وقد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا وأنا موجه رجلا آخر مكانه وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه...!

فبعث إليه رجلا من مراد في أربعة آلاف، وتقدم إليه بمشهد من الناس وتوكد عليه وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل! فقال الحسن (عليه السلام): إنه سيغدر! فلما توجه إلى الأنبار أرسل

معاوية إليه رسلا، وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه، وبعث إليه بخمسمائة ألف درهم ومناه أي ولاية أحب من كور الشام أو الجزيرة، فقلب على الحسن (عليه السلام) وأخذ طريقة إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود...! ثم كتب معاوية إلى الحسن (عليه السلام): يا ابن عم، لا تقطع الرحم الذي بيني وبينك فإن الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك. فقالوا: إن خانك الرجالن وغدرا فإننا مناصحون لك! ثم إن الحسن (عليه السلام) أخذ طريق النخيلة فعسكر عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف...). انتهى.

(فأما معاوية فإنه وافى (أي مقدمة جيشه بقيادة بسر بن أرطاة) حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية بمسكن، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجه معاوية بنخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه، فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إلي، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبته الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله إليه ليلا فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده!

وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم، فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه! فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة وقالوا له: إنهض بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم.

وخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق: ويحكم! هذا أميركم عندنا قد بايع وإمامكم الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم!

فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين، إما القتال مع غير إمام وإما أن تبايعوا بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم. فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعو ويمنيه فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبدا، إلا بيني وبينك الرمح! فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه: أما بعد فإنك يهودي ابن يهودي، تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وغدرك وإن ظهر أبغضهم إليك، نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه، فمات بحوران طريدا غريبا. والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرها وأقمت فيه فرقا وخرجت منه طوعا، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا، لم يقدم إسلامك ولم يحدث نفاقك، ولم تنزل حربا لله ولرسوله وحزبا من أحزاب المشركين، وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده.

وذكرت أبي، فلعمري ما أوتر إلا قوسه ولا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه! وزعمت أني يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه، وأنصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه. والسلام). (شرح النهج: ١٦ / ٣٣ ومقاتل الطالبين / ٤١، وأنساب الأشراف / (٧٣٨).

أقول: حاول بعض المؤلفين الدفاع عن عبيد الله بن العباس، والقول بأنه استقال من قيادة الجيش ولم يلتحق بمعاوية، ولكن الظاهر يأباه وإطباق النصوص! وكذلك الدفاع عن ذلك الجيل من أهل الكوفة بعمومه، أمر غير ممكن! *

وفي الوقت الذي كان الإمام الحسن (عليه السلام) في المدائن، وكان يرسل معاوية في

شروط الصلح.. نقلوا أن عددا من رؤساء القبائل ذهبوا إلى معاوية في جسر منبج قرب حلب فبايعوه! قال البلاذري: (وجعل وجوه أهل العراق يأتون معاوية فبايعونه، فكان أول من أتاه خالد بن معمر فقال أبايعك عن ربيعة كلها ففعل! وبايعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي، فلذلك يقول الشاعر:

فإنك لولا خالد لم تؤمر * معاوي أكرم خالد بن معمر
وبلغ ذلك الحسن فقال: يا أهل العراق، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي). (مقاتل الطالبين / ٤٧ وأنساب الأشراف / ٧٣٩)
وقال الثقفى في الغارات: ٢ / ٧٩١: (كانت راية ربيعة كوفيتها وبصريتها مع خالد بن معمر). وروى في الإصابة: ٢ / ٢٩٩، بيعته لمعاوية، وفي تاريخ دمشق: ١٦ / ٢٠٥، أنه هو الذي غدر بالحسن بن علي وبايع معاوية... وقال في: ١٠ / ٣١١: (كان خالد ممن سعى على الحسن بن علي (عليهما السلام) وقال لمعاوية أنا أكفيك ربيعة كلها، وقام بأمرها فلما استقام أمره جفاه). انتهى.

لكن النعمان المغربي عده ممن التحق بمعاوية في عهد علي (عليه السلام) قال: (والتحق أيضا بمعاوية خالد بن معمر في عامة بني سدوس لأمر نومه على علي صلوات الله عليه، ولقدره، وكثرة من جاء به إلى معاوية من قومه. وممن هرب عن علي صلوات الله عليه إلى معاوية من مثل هؤلاء كثير من وجوه العرب ورؤسائهم، ومن أهل البأس والنجدة والرياسة في عشائرهم، لما اتصل عن معاوية من بذله الأموال، وإفضاله على الرجال، وإقطاعه القطائع مثل إطعامه عمرو بن العاص خراج مصر، وإقطاعه ذا الكلاع، وحبيب بن سلمة، ويزيد بن حجة، وغيرهم ما أقطعهم وأنالهم إياه، وعلموا ما عند علي (عليه السلام) من شدته على الخائن، وقمعه

الظالم، وعدله بين الناس، واسترجاعه ما أقطعه عثمان، وفشى ذلك عنه، وتفاوض أهل الطمع وقلة الورع فيه حتى قال خالد بن المعمر للعباس (العباء) بن الهيثم: إتق الله في عشيرتك وانظر في نفسك! ما تؤمل من رجل سألته أن يزيد في عطاء ابنه الحسن والحسين دريهمات لما رأيته من حالتهما فأبى علي، وغضب من سؤالي إياه ذلك! فكان ذلك مما تهيأ به لمعاوية ما أراد، وهو في ذلك مذموم غير مشكور بل مأثوم مأزور، ومما امتحن الله به عليا (عليه السلام) وهو فيه محمود مشكور مثاب مأجور وفيما منع منه معذور! على أن أكثر من نزع عن علي (عليه السلام) ولحق بمعاوية لم يكونوا جهلوا فضل علي (عليه السلام)، ولا غبي عنهم نقص معاوية، ولكنهم إنما قصدوه للدنيا التي أرادوها وقصدوها). (شرح الأخبار: ٢ / ٩٦).

أقول: يظهر أن مشكلة ابن معمر ورؤساء القبائل كانت مساواة علي (عليه السلام) بين المسلمين، فالتحق خالد بن معمر بمعاوية لكن قبيلته ربيعة لم تستجب له بل بقيت وفيه لأهل البيت (عليهم السلام) فعندما تحركت الغوغاء للنهب في جسر ساباط قال الإمام الحسن (عليه السلام): (أدع لي ربيعة وهمدان)؟ (مقاتل الطالبين / ٤٠).

وذكر الثقفى في الغارات: ٢ / ٧٩١، أن رئيس ربيعة هو الحضين بن المنذر. ومعنى ذلك أن خالد بن معمر التحق بمعاوية في عهد علي (عليه السلام) فلم تطعه قبيلته والتفت حول رئيسها الشيعي ابن المنذر فرجع خالد إليها، ثم التحق بمعاوية وحده أيضا في عهد الإمام الحسن (عليه السلام). كما أن ابن معمر كان يمدح عليا (عليه السلام) حتى أمام معاوية ولذلك قرر معاوية قتله!

ففي البلدان لليعقوبي / ٤٦: (وولى معاوية خالد بن معمر السدوسي خراسان فسار يريدتها، فدس إليه زياد سما فمات ولم يصل إلى خراسان)! وفي إكمال الكمال: ٧ / ٢٧٠: (فولاه أرمينية فوصل إلى نصيبين فيقال إنه احتيل له

شربة سم فمات فقبره بها). انتهى. وزياد لا يجرؤ على ذلك بدون أمر معاوية!
أما قبلته ربيعة فبقيت وفيه لرئيسها الحضين الذي كان مميذا بعقله حتى أن معاوية
يحب أن يتشاور معه، قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤٤: (فكان حضين بن
المنذر الرقاشي أبو ساسان يقول: ما وفي معاوية للحسن بشئ مما جعل! قتل حجرا
وأصحابه وباع لابنه ولم يجعلها شوري، وسم الحسن). انتهى.
وأما عفاق بن شرحبيل الذي عده البلاذري من وجوه العراق فقال: (وجعل وجوه أهل
العراق يأتون معاوية فيبايعونه، فكان أول من أتاه خالد بن معمر فقال أبايعك عن ربيعة
كلها ففعل. وباعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي) (أنساب الأشراف / ٧٣٩)، فهو
من بني تيم وليس من بني تميم ولا رئيسهم، بل رئيسهم يزيد بن حجية الذي سرق
خراج الري في عهد علي (عليها السلام) وهرب إلى معاوية، فدعا عليه علي (عليه
السلام) وتعصب له عفاق فضربه الناس، وأنقذه منهم علي (عليه السلام) ووهبه لابن عم
له! (أنساب الأشراف / ٤٥٩).

قال ابن حبان في ثقافته: ٢ / ٢٩٨: (فلما دخلت السنة التاسعة والثلاثون استعمل علي
يزيد بن حجية التيمي على الري ثم كتب إليه بعد مدة أن أقدم فقدم علي ففقال له:
أين ما غللت من مال الله؟ قال: ما غللت! فخفقه بالدرة خفقات وحبسه في داره فلما
كان في بعض الليالي قرب يزيد البواب وماحله، ولحق بالرقعة وأقام بها حتى أتاه إذن
معاوية! فلما بلغ عليا لحوقه معاوية قال: اللهم إن يزيد أذهب بمال المسلمين ولحق
بالقوم الظالمين، اللهم فاكفنا مكره وكيده).

وفي تاريخ دمشق: ٦٥ / ١٤٧: فقال: اللهم إن ابن حجية هرب بمال المسلمين
وناصبنا مع القوم الظالمين، اللهم أكفنا كيده واجزه جزاء الغادرين، فأمن القوم. فقال
عفاق بن أبي رهم التيمي: ويلكم تؤمنون على ابن حجية، شلت

أيديكم! فوثب عليه عنق من الناس فضربوه، فاستنقذه زياد بن خصفة التيمي). وفي شرح النهج: ٤ / ٨٥: (فقال: تربت أيديكم، أعلى أشرافنا تدعون! فقاموا إليه فضربوه حتى كاد يهلك، وقام زياد بن خصفة وكان من شيعة علي فقال: دعوا لي ابن عمي فقال علي: دعوا للرجل ابن عمه، فتركه الناس فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد). فعفاق وابن حجية تيميان كانا مع معاوية من زمن علي (عليه السلام)! فيدل ما تقدم على أن روايات خيانة رؤساء القبائل بهروبهم إلى معاوية غير دقيقة، بل دخلت فيها إشاعات معاوية، والذي هرب بعض قادة الجيش فقط! والصحيح ما رواه المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١٤: (وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر واستحثوه على السير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن (عليه السلام) إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك....!). حكم أهل البيت (عليهم السلام) استثناء من السياق الطبيعي للتاريخ! يوجد قانون للتناسب بين حالة الأمة ونوع قيادتها، وأن قيادة المجتمع ناتج لمعادلة مركبة من مجموع الخير والشر والهدى والضلال الموجود في ذلك المجتمع. ولا ندري كيف تتم حسابات هذه المعادلة. أما قيادة الأنبياء والأوصياء (عليه السلام) فلها قانونها الخاص. ويمكن الاستدلال لقانون التناسب المذكور بالحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (كما تكونوا يولى عليكم، أو يؤمر عليكم)، وهذا الحديث وإن لم يصح سنده عند أحد (كشف الخفاء: ١ / ١٤٦ و: ٢ / ١٢٦) لكن مضمونه صحيح، وهو قريب مما ثبت عن علي (عليه السلام): (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم). (نهج البلاغة: ٣ / ٧٧).

وفي الكافي: ٥ / ٥٦: عن الإمام الرضا (عليه السلام): (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم). انتهى.
وعليه، فالأمة عندما نكثت بيعتها لعلي (عليه السلام) يوم الغدير، وخالفت وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) المتكررة بعترته أهل بيته (عليهم السلام)، لم تكن تستحق قيادة أفضل من زعامة قبائل قريش! وقد استمرت هذه الحالة حتى طفح كيل الأمويين في عهد عثمان، وكظ الأمة ظلمهم والجوع، فاتجهت جماهيرها إلى أهل البيت النبوي هاتفة: لا نبايع إلا عليا، مالها غيرك يا أبا الحسن! وهذا يعني أن مضمون الخير في الأمة ارتفع إلى مستوى استحقت به أن تطيع نبيها (صلى الله عليه وآله)، فيقودها علي (عليه السلام)!

ومن المحتمل أن تكون حالتها تلك استثناء طلبه النبي (صلى الله عليه وآله) من ربه، فقد أخبر عليا (عليه السلام) بأن الأمة ستغدر به بعده، ثم يأتي يوم تطلب منه أن يتولى أمرها!

ومهما يكن، فإننا نتعجب عندما نجد أن عامة الصحابة وأهل الحل والعقد في الأمة، نعموا على ظلم عثمان وتسليطه بني أمية على رقاب المسلمين، وطالبوه أن يعزل نفسه فلم يفعل، فقتلوه وجأؤوا بعلي (عليه السلام) منقذا لهم من تسلط بني أمية.. ثم لم يمض إلا وقت قصير من حكم علي حتى حنوا إلى ظلم بني أمية وناصروا معاوية على علي (عليه السلام) مع أنهم شهدوا جميعا بعدالة علي وظلم معاوية وبني أمية! وقد بلغ من هوس رؤساء قبائلهم وقادة جيوشهم بالعودة إلى ظلم بني أمية أنهم أخذوا يعملون جديا لقتل علي (عليه السلام) ثم لقتل الإمام الحسن (عليه السلام) نجل علي (عليه السلام) وسبط النبي (صلى الله عليه وآله) أو أسره وتسليمه وتسليم الأمة إلى معاوية!

فما معنى هذا التحول ضد بني أمية وقريش، ثم هذه الرجوع السريع إليهم؟!
يمكن أن نقول بميزان المعادلات والقوى السياسية:
إن قريشا وبني أمية كانوا متجذرين ماديا في أجهزة الدولة، وكان لهم في

البلاد المختلفة نفوذهم وصنائعهم وبعض الجمهور، فاستطاعوا أن يعملوا ضد علي (عليه السلام) ويشنوا عليه حملة مضادة، ويستعيدوا الخلافة التي (صادرها) الصحابة منهم وأعطوها إلى بني هاشم، ويعيدوا الاعتبار للخليفة الأموي (المظلوم) عثمان! نعم هذا صحيح، ولكن عمق القضية قانون التناسب بين الأمة وقيادتها، ومنطقه: أن الأمة أفاقت على غير عاداتها وصعدت نقيمتها على عثمان وبني أمية، كما أفاقت على وصية نبيها (صلى الله عليه وآله) بكتاب الله وعترته (عليهم السلام) فانتزعت الخلافة من عثمان وقدمتها على طبق الولاء لعلي (عليه السلام). لكنها لما رأت أن مشروع علي (عليه السلام) لإعادة العهد النبوي كلفها حرب الجمل، ثم حرب صفين المهولة، أعادت حسابها في صفين.. فرأت أن الأسهل عليها آنيا أن تصرف النظر عن الحكم النبوي الباهظ التكاليف، وترضى بحكم قبلي أموي علماني، وليكن ما يكون في المستقبل، مما يحذرنا منه علي (عليه السلام) وحذرنا منه النبي (صلى الله عليه وآله)! إن هذا القرار في لا وعي الأمة يعني انتهاء فترة الوعي واليقظة التي أطاحت بعثمان وجاءت بعلي (عليه السلام) ويعني أن الأمة عادت إلى التفكير الآني دون المستقبلية والى التفكير بالمعادلة المادية، والإعراض عن التفكير بمعادلة إسلامية! وهذا يدل على أن استحقاقها لعلي (عليه السلام) انتهت مدته! فيجب أن يرفع من بينها، ويبقى مشروعه محفوظا مخزوننا في ذاكرتها ليوم ما!

ومعناه أن دور الإمام الحسن بعد أبيه (عليهما السلام)، ليس في واقعه إلا دور تسلّم وتسليم لما قرّره الأمة في صفين! واقتضاه قانون التناسب الرباني بين المستوى الإيماني في الأمة ونوعية قيادتها. كما يمكن وصف دور الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه دور العمل لحفظ المخزون النبوي الذي حققه والده (عليهما السلام)، وفتح به باب العودة للأمة عندما تكظها من جديد أنياب بني أمية!

أما (يقظة) الخوارج وتحفزهم لقتال علي ومعاوية والناس أجمعين! فهي أشبه بإفافة
المصروع، لأن أذهانهم تشبه "موتور" سيارة يدور بالعكس! فهم مقاتلون محترفون
يريدون الحق والدين لكن بفهمهم العامي الخشن، ويرفضون دولة معاوية القبلية
العلمانية، لكن من أجل إثبات ذاتهم بدلها، وليس من أجل تحقيق العدالة الإسلامية
حسب النص القرآني والحديث النبوي!
وقد تقدم تحليل حالتهم في المجلد الأول.
**

مفاوضات الصلح بين المدائن وحلب!
استقر الإمام الحسن (عليه السلام) في المدائن (نحو ٥٠ كلم عن بغداد) يداوي جرحه
البليغ في فخذه، و ينتظر توافد الذين وعدوه بالحرب معه فواعدهم المدائن، وأخذت
الأخبار تأتيه بانهيار الأمة أمام الموجة الإعلامية والسياسية لبني أمية، وأنه لم يصمد من
جيشه إلا قيس بن سعد في بضعة آلاف مقاتل في منطقة الدجيل، مقابل جيش معاوية
بقيادة بسر بن أرطاة!

(وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي الله عنه... فازدادت بصيرة الحسن (عليه
السلام) بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة فيه (الخوارج) بما أظهره له
من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة
من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام،
فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها
الفتك به وتسليمه إليه! واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطا كثيرة، وعقد
له عقودا كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن (عليه السلام) وعلم
احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب
وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه، والفساد
عليه والخلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى
خصمه، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى
العاجلة وزهدهم في الآجلة). (الإرشاد: ٢ / ١٤)

وفي سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٧: (ومن الإستيعاب لأبي عمرو قال: سار الحسن إلى
معاوية وسار معاوية إليه، وعلم أنه لا تغلب طائفة الأخرى حتى تذهب أكثرها،

فبعث إلى معاوية أنه يصير الأمر إليك بشرط أن لا تطلب أحدا بشئ كان في أيام أبي، فأجابه وكاد يطير فرحا، إلا أنه قال: أما عشرة أنفس فلا، فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه: إني قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده. فقال: لا أبايعك. فبعث إليه معاوية برق أبيض مختوم بخاتمه في أسفله وقال: أكتب ما شئت فيه وأنا التزمه، فاصطلحا على ذلك.

واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كله معاوية. فقال له عمرو: إنه قد انفل حدهم وانكسرت شوكتهم! قال: أما علمت أنه قد بايع عليا أربعون ألفا على الموت، فوالله لا يقتلون حتى يقتل أعدادهم منا، وما والله في العيش خير بعد ذلك). (وهو في الإستيعاب بهامش الإصابة: ١ / ٣٧٠).

**

الفصل الثاني
شروط الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية

(٤٧)

الزعيمان الأمويان الضامنان لتنفيذ معاوية لشروط للصالح
في تاريخ الطبري: ٤ / ١٢٢: (فلما انتهى كتاب الحسن بن علي إلى معاوية، أرسل
معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، فقدا المدائن وأعطيا الحسن ما أراد،
وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف، في أشياء اشترطها).
انتهى.

أقول: أرسل معاوية هذين الزعيمين من بني أمية بطلب الإمام الحسن (عليه السلام) لأن
الأعراف القبلية العربية تقضي أن يضمن الطرف شخصيات من قبيلته للوفاء بشروطه.
وعبد الرحمن بن سمرة، من شخصيات بني أمية (الطبقات: ٧ / ٣٦٦) ومن موثقي
رواة الخلافة. (ابن معين: ١ / ٤٧). وابن كرز ابن خال عثمان وقد ولاه البصرة وهو
ابن خمس وعشرين سنة وعزل عنها أبا موسى الأشعري! (الطبري: ٣ / ٣١٩) ثم عزله
علي (عليه السلام) عنها ثم ولاه معاوية عليها، وكان معاوية يفتخر به فقال عند موته:
(يرحم الله أبا عبد الرحمن، بمن نفاخر وبمن نباهي؟!). (الطبقات: ٥ / ٤٨)
وهو جد أبان بن عثمان، وعبد الملك بن مروان لأميهما، وابنته هند هي زوجة يزيد
التي انتفضت عليه عندما أدخلوا عليه سبايا أهل البيت ورأس الحسين (عليه السلام)!
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٣٥٦: (ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه
الحديث! قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كرز وكانت
تحت يزيد بن معاوية، فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين رأس الحسين
بن فاطمة بنت رسول الله؟! قال: نعم، فأعولي عليه وحدي على ابن بنت رسول الله
وصريحة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله! ثم أذن

للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره! ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين ابن الحمام المري:

يفلقن هاما من رجال أحبة* إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله (ص) يقال له أبو برزة الأسلمي: أتنتكت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذا لربما رأيت رسول الله (ص) يرشفه! أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك! ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد شفيعه! ثم قام فولى! انتهى.

أقول: أنظر إلى هذا التناقض الأموي ليزيد كأبيه وجده! فهو من جهة يقول لزوجته أقيمي المأتم على الحسين (عليه السلام) (فأعولي عليه وحدي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله)! ومن جهة يعقد مجلسا للناس والرأس الشريف بين يديه، ويشمت به وينكت على فمه بقضيب! **

ومضافا إلى ضمان هذين الزعيمين الأمويين لمعاوية ليفي بالشروط، فقد جعل الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية عهد الله وموثيقه المغلظة! ومع كل ذلك بقي معاوية على وقاحته فقال بعد الصلح: كل ما شرطته للحسن فهو تحت قدمي!!
ففي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٩٥: (وأنفذ الإمام الحسن (عليه السلام)) إلى معاوية عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فتوثق منه لتأكيد الحججة أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، والأمر من بعده شورى، وأن يترك سب علي، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، ويوفر عليه حقه كل سنة خمسون ألف درهم، فعاهده على ذلك معاوية وحلف بالوفاء به. وشهد بذلك: عبد الرحمن بن الحارث، وعمرو بن أبي سلمة، و عبد الله بن عامر بن كريز، و عبد الرحمن بن أبي سمرة، وغيرهم). انتهى.

الزعماء الأربعة الذين أرسلهم الإمام الحسن (عليه السلام) من الملفت أن الإمام الحسن (عليه السلام) أرسل إلى معاوية عدة شخصيات للمفاوضة، ولم يكن فيهم أحد من آل أبي طالب! وقد يكون السبب أن الإمام (عليه السلام) لا يحتاج إلى ضمان لتعهده، لأن تنازله لمعاوية سوف يعلن وينتهي الأمر، أما معاوية فهو يحتاج إلى ضمانات لتنفيذ مواد الاتفاق. لكن هذا لا يكفي لاستبعاد آل أبي طالب عن المفاوضات ليقول بذلك: إن هذا الصلح اضطرار لي أنا، ولا دخل فيه لغيري حتى من أهل بيتي القرييين! والشخصيات الأربعة الذين أرسلهم هم:

الأول: عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه هند بنت أبي سفيان. فهو من فرع نوفل من بني هاشم وابن هند أخت معاوية. وكان في الأربعينات من عمره فقد ولد في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) وتوفي سنة ٧٩، ووثقه علماء الرواة من الفريقين وعدوه من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام). (معجم رجال الحديث: ١١ / ١٦٤) وذكروا أنه سكن البصرة، وأنه كان زعيما محترما فيها (الطبقات: ٥ / ٢٤) وأن أهلها اختاروه واليا في زمن ابن الزبير فأقره عليها، ثم خرج إلى عمان فمات بها. ووثقه العجلي: ٢ / ٢٥، والرازي: ٥ / ٣٠، وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار / ١١٥: (عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي أبو إسحاق قتله السموم (الريح) سنة تسع وسبعين). وقال ابن حجر في الإصابة: ٥ / ٨: (وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة ظاهر الصلاح وله رضا في العامة، ولما مات يزيد بن معاوية وهرب عبد الله بن زياد عامله على العراقين، رضي أهل البصرة بعبد الله بن الحارث هذا. وذكر البغوي في ترجمته

أنه ولي البصرة لابن الزبير وكانت وفاته بعمان سنة أربع وثمانين). واختيار الإمام الحسن (عليه السلام) يدل على ارتضائه له، وأنه مقبول عند خاله معاوية. والثاني: عمر بن أبي سلمة، قال في مستدركات علم رجال الحديث: ٦ / ٧٣: (عمر بن أبي سلمة المخزومي: ابن أم سلمة، ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وواه البحرين). وقال ابن حبان في المشاهير / ٥٠: (عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ربيب رسول الله (ص) كان مولده بأرض الحبشة في السنة الأولى من الهجرة وتوفي في إمارة عبد الملك بن مروان). (راجع أيضا: وتاريخ ابن خياط / ٢٥، والكبير للبخاري: ٦ / ١٣٩، والجرح والتعديل للرازي: ١ / ١٤٦، وسير اعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤٠٦). واختيار الإمام الحسن له يدل على أنه مقبول عند الجميع وأنه محسوب في العرف العشائري من بني هاشم، لأنه ربيهم.

والثالث: عمرو بن سلمة الهمداني اليماني. قال ابن سعد في الطبقات: ٦ / ١٧١: (عمرو بن سلمة بن عميرة.. من همدان، روى عن علي وعبد الله وكان شريفا، وهو الذي بعثه الحسن بن علي بن أبي طالب مع محمد بن الأشعث بن قيس في الصلح بينه وبين معاوية، فأعجب معاوية ما رأى من جهر عمرو وفصاحته وجسمه، فقال: أمضري أنت؟ قال لا: ثم قال:

إني لمن قوم بنى الله مجدهم * على كل باد في الأنام وحاضر
أبوتنا آباء صدق نمي بهم * إلى المجد آباء كرام العناصر
وأماننا أكرم بهن عجائزا * ورثن العلا عن كابر بعد كابر
جناهن كافور ومسك وعنبر * وليس ابن هند من جناة المغافر!
أنا امرؤ من همدان، ثم أحد أرحب. وكان ثقة قليل الحديث).
وقال الرازي في الجرح والتعديل: ٦ / ٢٣٥: (عمرو بن سلمة الهمداني وهو ابن

سلمة بن الحارث الكوفي، سمع سلمان بن ربيعة عن علي، وروى عن ابن مسعود عن النبي (ص) سمعت أبي يقول ذلك. قال أبو محمد: روى عن عمرو بن سلمة ابنه يحيى وهو يحيى بن عمرو بن سلمة. (سمعت أبي يقول: أخطأ البخاري في عمرو بن سلمة حيث جمع بينهما وهذا جرمي وذاك همداني). انتهى.
ويقصد الرازي خطأ البخاري في تاريخه الكبير: ٦ / ٣٣٧.
والرابع: محمد بن الأشعث بن قيس، وأبوه الأشعث رأس النفاق في العراق وأخبت عدو لأمير المؤمنين (عليه السلام) وقد شرك في دمه، وهلك بعد شهادة أمير المؤمنين بنحو أربعين يوماً! وابنه محمد على خطه، وقد شرك في دم الحسين (عليه السلام) فكان قائداً في كربلاء! ولعل السبب الذي جعل الإمام الحسن (عليه السلام) يختاره أنه يريد إشعار الحزب الأموي بأنه شريك في المفاوضة!
**

نصوص عهد الصلح من أهم المصادر

رواية البلاذري

قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤١: (ووجه معاوية إلى الحسن عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال ابن عامر: إتق الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لدنيا تصيبها وسلطان تناله، لعل أن يكون متاعك به قليلا، إن معاوية قد لح، فنشدتك الله أن تلج فيهلك الناس بينكما، وهو يوليك الأمر من بعده، ويعطيك كذا. وكلمه عبد الرحمن بن سمرة بمثل كلام عبد الله أو نحوه، فقبل ذلك منهما وبعث معهما عمرو بن سلمة الهمداني ثم الأرحبي، ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتبا على معاوية الشرط ويعطياه الرضا. فكتب معاوية كتابا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد، وأشد ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد، لا أبغيك غائلة ولا مكروها، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فسا ودرأبجرد، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك. شهد عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سلمة الهمداني، وعبد الرحمن بن سمرة، ومحمد بن الأشعث الكندي. وكتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين. فلما قرأ الحسن الكتاب قال: يطمعني معاوية في أمر لو أردت

لم أسلمه إليه. ثم بعث الحسن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب، وأمه هند بنت أبي سفيان فقال له: إئت خالك فقل له إن أمنت بالناس
بايعتك، فدفعت معاوية إليه صحيفة بيضاء قد ختمت في أسفلها، وقال: أكتب فيها ما
شئت، فكتب الحسن:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان،
صالحه علي أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، علي أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه
وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلي أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون
الأمر شورى، والناس آمنون حيث كانوا علي أنفسهم وأموالهم وذرياتهم، وعلي أن لا
يبغي الحسن بن علي غائلة سرا ولا علانية، ولا يخيف أحدا من أصحابه. شهد عبد الله
بن الحارث. وعمرو بن سلمة
وردهما إلى معاوية ليشهد ويشهدا عليه).

رواية ابن الأعمش

وقال ابن الأعمش في كتاب الفتوح: ٤ / ٢٩٠: (ثم دعا الحسن بن علي بعبد الله بن
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن أخت معاوية، فقال له: صر إلي
معاوية فقل له عني: إنك إن أمنت الناس علي أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم
بايعتك، وإن لم تؤمنهم لم أبايعك. قال: فقدم عبد الله بن نوفل بن الحارث علي معاوية
فخبره بمقالة الحسن، فقال له معاوية: سل ما أحببت! فقال له: أمرني أن أشرط عليك
شروطا، فقال معاوية: وما هذه الشروط؟ فقال: إنه مسلم إليك هذا الأمر علي أن له
ولاية الأمر من بعدك، وله في كل سنة خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال، وله
خراج دارا بجرد من أرض فارس، والناس

كلهم آمنون بعضهم من بعض. فقال معاوية: قد فعلت ذلك. قال: فدعا معاوية بصحيفة بيضاء، فوضع عليها طينة وختمها بخاتمه، ثم قال: خذ هذه الصحيفة فانطلق بها إلى الحسن، وقل له فليكتب فيها ما شاء وأحب ويشهد أصحابه على ذلك، وهذا خاتمي بإقراره. قال: فأخذ عبد الله بن نوفل الصحيفة، وأقبل إلى الحسن ومعه نفر من أصحابه من أشرف قريش، منهم عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة ومن أشبههما من أهل الشام. قال: فدخلوا فسلموا على الحسن ثم قالوا: أبا محمد! إن معاوية قد أجابك إلى جميع ما أحببت، فاكتب الذي تحب. فقال الحسن: أما ولاية الأمر من بعده فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه، وأما المال فليس لمعاوية أن يشترط لي في المسلمين، ولكن أكتب غير هذا. وهذا كتاب الصلح. قال: ثم دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب: هذا ما اصطاح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمير المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) وسيرة الخلفاء الصالحين. وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين. وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم و تهامهم وحجازهم. وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم. وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه. وعلى أنه لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) غائلة سرا وعلانية، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق. شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان. ثم رد

الحسن بن علي هذا الكتاب إلى معاوية مع رسل من قبله ليشهدوا عليه).

رواية ابن المطهر المقدسي

قال في البدء والتاريخ: ٥ / ٢٣٦: (فكتب إليه معاوية أما بعد فأنت أولى بهذا الأمر وأحق به لقرابتك وكذا وكذا، ولو علمت أنك أضبط له وأحوط على حريم هذه الأمة وأكد للعدو لبايعتك! فاسأل ما شئت. وبعث إليه بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها أن اكتب فيها ما شئت! فكتب الحسن أموالا وضياعا، وأمانا لشيعة علي، وأشهد على ذلك شهودا من الصحابة. وكتب في تسلم الأمر كتابا على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الماضين وأن لا يعهد بعده إلى أحد ويكون الأمر شورى وأصحاب علي آمنين حيثما كانوا).

رواية ابن حجر وابن طلحة الشافعي

وهي الرواية المشهورة بين الكتاب المعاصرين وهي في الصواعق لابن حجر الهيثمي: ٢ / ٣٩٩، وينايع المودة: ٢ / ٤٢٥، والغدير: ١١ / ٦، وغيرها، ونقل نصها من مطالب السؤل لابن طلحة / ٣٥٧:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين:

على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين. وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين. وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم. وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي

سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه. وعلى أنه لا يبغى للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله (ص) غائلة سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدا، وفلان وفلان. والسلام).

رواية ابن شهر آشوب

في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٩٥: (وأنفذ إلى معاوية عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فتوثق منه لتأكيد الحجّة أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه والأمر من بعده شوري، وأن يترك سب علي، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، ويوفر عليه حقه كل سنة خمسون ألف درهم. فعاهده على ذلك معاوية وحلف بالوفاء به، وشهد بذلك عبد الرحمن بن الحارث، وعمرو بن أبي سلمة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أبي سمرة، وغيرهم).

رواية هامش نهاية ابن كثير

قال محقق النهاية هامش: ٨ / ١٨: (صورة معاهدة الصلح التي وقعها الفريقان. وقد أخذناها من مصادرها حرفيا:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله [المدائني فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٤ / ٨، وبسيرة الخلفاء الصالحين: فتح الباري فيما رواه ابن عقيل في النصائح الكافية / ١٥٦ ط ١.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده. تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٩٤ والإصابة ٢ /

١٢ و ١٣ الإمامة والسياسة / ١٥٠ دائرة معارف وجدي: ٣ / ٤٤٣] وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد: المدائني فيما يرويه عنه ابن أبي الحديد: ٤ / ٨ والفصول المهمة وغيرهما.

المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر عليا إلا بخير. الأصفهاني مقاتل الطالبين / ٢٦، شرح النهج: ٤ / ١٥ وقال آخرون: إنه أجابه على أن لا يشتم عليا وهو يسمع، وقال ابن الأثير: ثم لم يف به أيضا.

المادة الرابعة: يسلم ما في بيت مال الكوفة خمسة آلاف للحسن وله خراج درأبجرد. الطبري: ٦ / ٩٢ الإمامة والسياسة / ٢٠٠ وفي الأخبار الطوال / ٢١٨: أن يحمل لأخيه الحسين في كل عام ألفي ألف ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس.

المادة الخامسة: أن لا يأخذ أحدا من أهل العراق بإحنة، وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم. الأخبار الطوال / ٢١٨. وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم. ابن الأعمش: ٤ / ١٦٠. *

تصنيف لشروط عهد الصلح
الشرط الأول: أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)
جاء في النص المروي (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي
معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيهم
بكتاب الله، وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الراشدين). (الغدِير: ١١ / ٦).
ولا يمكن قبول ما زعمه بعض الرواة من أن الإمام الحسن (عليه السلام) شرط عليه
العمل بسنة الشيخين أو سيرة الخلفاء الراشدين، ويقصدون بهم أبا بكر وعمر وعثمان
وعلي (عليه السلام)، فإن عليا (عليه السلام) رفض الخلافة كلها عندما اشترط عليه عبد
الرحمن بن عوف في الشورى التي رتبها عمر، أن يعمل بسيرة الشيخين!
ومعناه أن والده الذي هو قدوته وأسوته (عليهما السلام) ترك كل الخلافة حتى لا
يدخل في الإسلام ما ليس منه، ولا يجعل سيرة أبي بكر وعمر جزءا منه.. فكيف
يشترط هو على معاوية أن يعمل بسيرتهما ويجعلها جزءا من الدين؟!
ففي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٢: (فقال (عبد الرحمن بن عوف): لنا الله عليك إن
وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر؟ فقال (علي
(عليه السلام)): أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا
الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر؟
فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، ثم خلا بعلي
فقال له مثل مقالته الأولى فأجابه مثل الجواب الأول، ثم خلا بعثمان فقال له مثل

المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعلي فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري أحد! أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني. فخلا بعثمان فأعاد عليه القول فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده). انتهى. ومعنى قول علي (عليه السلام) لعبد الرحمن: (أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني) أنك تعرف أنني لا يمكن أن أكرز سيرة الشيخين جزء من الإسلام، فليس هدفك إلا أن تحصل على مبرر وتبعد الخلافة عني! ومعنى قوله: (إن كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) لا يحتاج معهما إلى إجيري أحد!) أن الكتاب والسنة ليسا ناقصين حتى تكملهما باشتراط سنة أحد وسيرته! والإجيري: (بكسر فتشديد: العادة، وقيل همزتها بدل من الهاء. وقال ابن السكيت: ما زال ذلك إجيراه، أي عادته). (تاج العروس في شرح القاموس: ٣ / ٨) وفي الإمامة والسياسة: ١ / ١٢٥، أنه (عليه السلام) قال لرجل: (وما يدخل سنة أبي بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه؟!).

وفي مسند أحمد: ١ / ٧٥: (عن عاصم عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا؟! قال: ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر، قال فقال: فيما استطعت. قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها). (ونحوه أسد الغابة: ٤ / ٣٢، وتاريخ دمشق: ٣٩ / ٢٠٢، والفصول للخصاص: ٤ / ٥٥، وغيرها. وفي فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة / ٦٤ نحو ما في اليعقوبي. وفي فتح الباري: ١٣ / ١٧٠: (فلما أصبح عرض علي علي فلم يوافق علي بعض الشروط، وعرض علي عثمان فقبل). انتهى. فكيف يعقل أن يتبنى الإمام الحسن (عليه السلام) سيرة أبي بكر وعمر، ويجعلها شرطا على معاوية! أما سيرة عثمان فلا يمكن ان يشترطها لأنها كانت في رأي جميع المسلمين خروجاً عن سيرة الشيخين وانحرافاً عن الإسلام، ولهذا قتلوه!

وقد عمل معاوية وبنو أمية لإعادة الاعتبار إلى عثمان وإلحاق سيرته بسيرة الشيخين، ثم أطلق العباسيون صفة الخلفاء الراشدين على أبي بكر وعمر، ثم وسعوها فيما بعد لغيرهما.

وأما سيرة علي (عليه السلام) فكانت عدلتها وما زالت، موضع إجماع المسلمين وإعجابهم، لكن أنى لمعاوية أن يقبل باشتراطها عليه، أو يسير بها! الشرط الثاني: أن لا يعهد معاوية بالخلافة بعده إلى أحد بل تكون بعده للحسن (عليه السلام)، فإن حدث به حدث فللحسين (عليهما السلام) قال ابن حجر في فتح الباري: ١٣ / ٥٥: (وذكر محمد بن قدامة في كتاب الخوارج بسند قوي إلى أبي بصرة، أنه سمع الحسن بن علي يقول في خطبته عند معاوية: إني اشترطت علي معاوية لنفسه بالخلافة بعده. وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح إلى الزهري قال: كاتب الحسن بن علي معاوية واشترط لنفسه، فوصلت الصحيفة لمعاوية، وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح، ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط ما شئت فهو لك، فاشترط الحسن أضعاف ما كان سأل أولاً، فلما التقيا وبايعه الحسن سأله أن يعطيه ما اشترط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله، فتمسك معاوية إلا ما كان الحسن سأله أولاً، واحتج بأنه أجاب سؤاله أول ما وقف عليه، فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن من الشرطين شيئاً! وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق عبد الله بن شوذب قال: لما قتل علي سار الحسن بن علي في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام فالتقوا، فكره الحسن القتال وبايع معاوية علي أن يجعل العهد للحسن من بعده). (ونحوه في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٦١، والاستيعاب: ١ / ٣٨٦، ونهاية ابن كثير: ٨ / ٤١، وتهذيب التهذيب: ٢ / ٢٥٩، وتهذيب الكمال:

٢ / ٢٤٤. وسير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٦٤، واعتقاد أهل السنة: ٨ / ١٤٥١، والعبر: ١ / ٤٩، وغيرها.

ونقل شرط ولاية العهد للإمام الحسن (عليه السلام) في هامش النهاية: ٨ / ١٦، عن تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٩٤، والإصابة: ٢ / ١٢ و ١٣، والإمامة والسياسة / ١٥٠، وفي طبعة: ١ / ١٨٣: وفيه: فاصطلح معه على أن لمعاوية الإمامة ما كان حيا، فإذا مات فالأمر للحسن).

وقد نقل ابن عبد البر إجماع العلماء على أن الصلح كان على شرط ولاية العهد للإمام الحسن (عليه السلام)، قال في الاستيعاب: ١ / ٣٨٧: (قال أبو عمر رضي الله عنه هذا أصح ما قيل في تاريخ عام الجماعة وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر، وكل من قال إن الجماعة كانت سنة أربعين فقد وهم ولم يقل بعلم والله أعلم، ولم يختلفوا أن المغيرة حج عام أربعين على ما ذكر أبو معشر ولو كان الاجتماع على معاوية قبل ذلك لم يكن كذلك والله أعلم. ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياته لا غير، ثم تكون له من بعده وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك. ورأى الحسن ذلك خيرا من إراقة الدماء في طلبها وإن كان عند نفسه أحق بها). (ونهاية الإرب / ٤٤٠١).

وفي ذخائر العقبى للطبري / ١٣٩: (إلا أنه قال عشرة أنفس فلا أو منهم! فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه يقول إني قد آليت أنني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده، فراجع الحسن إني لا أبايحك أبدا، وأنت تطلب قيسا أو غيره بتبعة، قلت أو كثرت، فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض قال: أكتب ما شئت فيه، فأنا التزمه! فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كله معاوية، واصطلحا على ذلك).

أما ابن عنبه في عمدة الطالب / ٦٧، فقال: (وشرط عليه شروطا إن هو أجابه إليها سلم إليه الأمر، منها أن له ولاية الأمر بعده، فإن حدث به حدث فللحسين). وهو شرط ينسجم مع قبول معاوية بما يكتبه الإمام الحسن (عليه السلام) في الصحيفة

المختومة، والإمام الحسن يعرف النص النبوي علي إمامته وإمامة أخيه (عليهما السلام)، وينسجم مع اشتراط الإمام الحسن (عليه السلام) أن لا يبغي معاوية (للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت). كما في رواية ابن طلحة وابن حجر. وفي الصواعق: ٢ / ٣٩٩: (وأن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرا ولا جهرا). انتهى.

أقول: بعد أن يرى الباحث إجماع المؤلف والمخالف علي شرط أن الخلافة تكون بعد معاوية للإمام الحسن (عليه السلام)، فلا بد له أن يحكم علي روايتهم بأن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يرد الخلافة وأنه كان زاهدا فيها، أو أنه شرط أن تكون بعد معاوية شوري ولم يشرط أن تكون له ثم لأخيه (عليهما السلام)، بأنها رواية من وضع أتباع الأمويين، لتبرير بيعة معاوية ليزيد!

نعم إن الإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) زاهدان في الحكم لأن الله أعطاهما منصب سيدي أهل الجنة الذي ولا قيمة لكل مناصب الأرض عنده! لكنهما مسؤولان بنص جدهما وأبيهما عن أمتهما أن لا تقع في فتنة بني أمية الفاغرة فاها كالتنين! الشرط الثالث: إعلان العفو العام، خاصة لشيعة علي (عليه السلام)

(علي أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحدا بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة. وعلى أمان أصحاب علي (عليه السلام) حيث كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعة علي (عليه السلام) بمكروه، وأن أصحاب علي (عليه السلام) وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كل ذي حق

حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي (عليه السلام) حيث كانوا). (المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٩٥، وإعلام الوري: ١ / ٤٠٣، وكشف الغمة: ٢ / ١٣٨، والصواعق المحرقة: ٢ / ٣٩٩، وغيرها).

الشرط الرابع: أن يترك سب أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذا الشرط يدل على أن معاوية كان ديدنه لعن علي (عليه السلام) ليستوفي به لعن النبي (صلى الله عليه وآله) الهاشمي لأبيه أبي سفيان وغيره من أئمة الكفر القرشي! وقد ذكرت هذا الشرط مصادر الجميع، ففي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٩٥: (وأن يترك سب علي (عليه السلام)، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، ويوفر عليه حقه كل سنة خمسون ألف درهم، فعاهده علي ذلك معاوية وحلف بالوفاء به. وشهد بذلك عبد الرحمن بن الحارث، وعمرو بن أبي سلمة، و عبد الله بن عامر بن كريز، و عبد الرحمن بن أبي سمره وغيرهم). وفي الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٤: (فتوثق (عليه السلام) لنفسه من معاوية لتأكيد الحجّة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين (عليه السلام) والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه. فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه، وحلف له بالوفاء به). (ونحوه إعلام الوري: ١ / ٤٠٣، وكشف الغمة: ٢ / ١٦٤، وإمتاع الأسماع: ١٢ / ٢٠٥، وأعيان الشيعة: ١ / ٥٦٩).

وقد أضاف رواة بني أمية إلى هذا البند قولهم: (وهو يسمع)! فجعلوا شرط الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية أن لا يسب عليا (عليه السلام) في حضوره فقط، أما في غيابه فلا بأس!! وهو أمر غريب يريدون به تبرير فعل معاوية وتحليل سبه لعلي (عليه السلام)، وتصوير الإمام الحسن (عليه السلام) ضعيفا لا غيره له على معصية الله تعالى بشتم أبيه!

قال ابن خلدون في تاريخه: ٢ ق ٢ / ١٨٦: (فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن

الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف، ويعطيه خراج دارا بجرد من فارس، وألا يشتم عليا وهو يسمع! انتهى.

ثم ذكر ابن خلدون الصحيفة المختومة التي أرسلها معاوية، إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وتعهد بتنفيذ أي شروط يكتبها فيها!

وفي إمتاع الأسماع للمقرئزي: ٥ / ٣٥٨: (وكتب إلى معاوية أنه يصير الأمر إليه على أن يشترط ألا يطلب أحدا من أهل الحجاز والمدينة والعراق، بشئ كان في أيام أبيه، وكاد معاوية يطير فرحا، وبعث إليه برق أبيض وقال: أكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه، فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر بعده وأن يعطيه ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف، وخراج دارابجرد من فارس، وألا يشتم علي (وهو يسمع) فالتزم شروطه كلها). انتهى.

وفي كامل ابن الأثير: ٣ / ٤٠٥: (وأن لا يشتم عليا، فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك، ثم لم يف له به أيضا). انتهى.

والمتمأمل يعرف أن تحريف هذا الشرط من عمل رواة بني أمية!

الشرط الخامس: أن لا يغتال الإمام الحسن أو الحسين (عليهما السلام) وآلهما (وعلى أن لا يبغى للإمام الحسن ولا لأخيه الحسين (عليهما السلام)، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق). انتهى.

وقد تقدم فيما أوردناه من الغدير: ١١ / ٦، وينايع المودة: ٢ / ٤٢٥، وكشف الغمة: ٢ / ١٩٣، والنصائح الكافية ١٤٩، وغيرها.

وهو يدل على أن تخوف العترة النبوية (عليهم السلام) من غدر معاوية، كان في محله!

الشرط السادس: أربعة بنود مالية

١ - التعويض على عوائل شهداء حرب الجمل وصفين بمبلغ مليون درهم، (وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الجمل، وأولاد من قتل معه (عليه السلام) في صفين ألف ألف درهم). (علل الشرائع: ١ / ٢١١).

٢ - أن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، ويستثني ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة ملايين ليكون تحت تصرف الإمام الحسن (عليه السلام).

٣ - وأن يعطي للإمام الحسن (عليه السلام) كل عام مليوني درهم، ويجعل له خراج دارابجرد، وهي ولاية بفارس قرب الأهواز.

٤ - أن لا يمنع عطاء أحد من شيعة علي (عليه السلام) وأن يكون عطاؤهم وافيًا. ويدل شرط تفضيل بني هاشم على بني أمية على أن الإمام الحسن (عليه السلام) أراد أن يثبت هذا الامتياز للعترة النبوية الطاهرة على بني عبد شمس وقبائل قريش، لعله يكون رادعا لمعاوية وبني أمية عما ينوونه لهم من تقتيل وتشريد ومطاردة، وإفقار وتجويع! وقد كان تفضيل بني هاشم أمرا متفقا عليه عند قريش بحيث لم يستطع عمر بن الخطاب إلا أن يثبته في ديوان الدولة والعطاء، مع أنه وأبا بكر صادرا أوقاف النبي (صلى الله عليه وآله) ومزرعة فدك التي وهبها لها النبي (صلى الله عليه وآله) في حياته! وحرما الزهراء (عليها السلام) من إرثها من أبيها (صلى الله عليه وآله) بحجة أن الأنبياء مستثنون من حكم التوريث!

الشرط السابع: أن لا يسميه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة

نقل الصدوق (رحمه الله) في علل الشرائع: ١ / ٢١٠، نصا مهما عن شيخ البخاري ابن خزيمة الذي يسميه السنة إمام الأئمة، يكشف مواد جديدة من كتاب الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، قال: (قال محمد بن علي مصنف هذا الكتاب: قد ذكر محمد بن بحر الشيباني رضي الله عنه في كتابه المعروف بكتاب (الفروق بين

الأباطيل والحقوق) في معنى موادة الحسن بن علي بن أبي طالب لمعاوية، فذكر سؤال سائل عن تفسير حديث يوسف بن مازن الراشي في هذا المعنى، والجواب عنه، وهو الذي رواه أبو بكر محمد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري قال: حدثنا أبو طالب زيد بن أحزم قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا القاسم بن الفضل قال: حدثنا يوسف ابن مازن الراشي قال: بايع الحسن بن علي معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً، وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دارأبجرد. قال: ما أطف حيلة الحسن هذه في إسقاطه إياه عن إمرة المؤمنين! قال يوسف: فسمعت القاسم بن محمية يقول: ما وفي معاوية للحسن بن علي بشئ عاهده عليه وإنني قرأت كتاب الحسن إلى معاوية يعد عليه ذنوبه إليه والى شيعة علي، فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي، ومن قتلهم معه). انتهى.

أقول: هذا النص مهم، لأنه عن ابن خزيمة شيخ البخاري، وهو يكشف عن أن الصلح مشروط بأن لا يعطي أي شرعية لمعاوية، وهو ينسجم مع تصريحات الإمام الحسن وأهل البيت (عليهم السلام) في معاوية وبني أمية، قبل الصلح وبعده! ولعل وجود هذا الشرط وأمثاله كان السبب في عدم نشر معاوية لنص ما كتبه الإمام الحسن (عليه السلام) في الرق المختوم، ولعل الإمام (عليه السلام) نشره ولم يصل إلينا، فما أكثر ما لم يصل!!

ملاحظات على نصوص عهد الصلح

١ - السبب في تفاوت الشروط وتعارضها

نقلت مصادر الحديث والتاريخ أخبار المفاوضات والرسول بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، وبين المدائن ومنبج، وفقرات متعددة من شروط الصلح الذي تم التوصل اليه، واتفقت على أن معاوية أرسل إلى الإمام الحسن (عليه السلام) سجلا أو رقاً أبيض مختوماً، ليكتب فيه ما يريد من شروط، كما أرسل له زعيمين من بني أمية ليضمننا للإمام (عليه السلام) وفاء معاوية بهذه الشروط!

لكن أين صارت نسخة هذا الرق؟! لقد فقدت نسخته لأن نشرها ليس من مصلحة معاوية كما سيأتي، ولأنه توجد ثلاث وثائق على الأقل في عهد الصلح غير الرق، فقد تقدم من البلاذري نص وثيقة كتبها معاوية ووقعها وأرسلها إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، وثانية كتبها الإمام الحسن (عليه السلام) ووقعها، وأرسلها إلى معاوية ووقع عليها: (هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان، إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد، وأشد ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد، لا أبغيك غائلة ولا مكروها... فكتب الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده... الخ.)

بل ذكرت النصوص وثيقة ثالثة كتبها الإمام الحسن (عليه السلام). أما المقدسي فقد نص على أن الصلح تضمن عهداً ثالثاً خاصاً بالخلافة، قال: (وكتب في تسلم الأمر كتاباً على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الماضين، وأن لا يعهد بعده إلى أحد ويكون الأمر شورى... الخ.) ويدل قوله: (وكتب في تسلم الأمر كتاباً) على

أن شروط تسليم الخلافة كانت مفصولة عن الشروط الأخرى كتأمين قيس بن سعد،
والمالية الفعلية والسنوية التي شرطها الإمام (عليه السلام)، أو كتبها له معاوية حسب
الرواية. ولا شك أن نسخة الرق هي المرجع، لأنها متأخرة عن النسخ الأخرى،
ويفترض أن تكون شاملة لكل ما تضمنته النسخ السابقة.

٢ - النسخ المروية لا يمكن أن تكون نسخة الرق
وذلك لقرائن عديدة، منها: أنها لا ديباجة فيها ولا أسماء شهود كثيرة، كما نرى في
وثيقة الصلح في صفين، التي وصل إلينا نصها ووصفها.

ومنها: أن الشروط المذكورة في أكثر النسخ تناقض الشروط التي روتها مصادر موثقة،
كشروط مستقبل الخلافة، حيث ذكرت أن تكون بعد معاوية شوري بين المسلمين،
بينما ذكرت الروايات الموثقة أن معاوية قبل شرط أن لا يعهد بالخلافة إلى أحد بعده،
وأن تكون للإمام الحسن (عليه السلام)، وزاد بعضها: فإن حدث به حادث فللإمام
الحسين (عليه السلام)، وهو شرط ينسجم مع قبول معاوية بما يكتبه الإمام الحسن
(عليه السلام) في الصحيفة التي ختمها وبعثه إليه، ومع إيمان الإمام الحسن (عليه
السلام) بالنص النبوي على إمامته وإمامة أخيه، وأنهما سيذا شباب أهل الجنة (عليهما
السلام)! ويؤيده وجود شرط ينص أن لا يبغى معاوية غائلة للحسن والحسين (عليهما
السلام)، مضافا إلى أن الإمام الحسين (عليه السلام) مشمول بشرط عدم الاعتداء على
حياة أهل البيت عامة (عليهم السلام)، فتخصيصه بالشرط يشير إلى ارتباط حياته
بمستقبل الخلافة.. إلى غير ذلك من الشروط المنصوصة التي لم ترد في هذه النسخ، أو
وردت في بعضها فقط، أو وردت بنص ضعيف في بعضها قوي في آخر.. الخ.

ومنها: أن نصوص هذه النسخ وشروطها متفاوتة فيما بينها كثيرا في الكم

والكيف، فلا بد أن تكون نسخا متصورة من بعض الرواة، أو نسخا في مراحل المداولات، وهي إن كان لها قيمة شرعية كاملة لأنها موقعة من معاوية، لكنها ليست النسخة الأصلية والرق المختوم منه.

٣ - لماذا لم ينشر معاوية نسخة عهد الصلح؟

عندما نقارن بين وثيقتي صفين والمدائن، نجد أن الوثيقتين تشتركان في الأهمية والزمان والأطراف تقريبا، فلماذا رروا نص الأولى بتفاصيل توجب الاطمئنان، بينما أكثر التشويش والتناقض في روايتهم لنص الثانية؟!

والجواب الصحيح البسيط: أن معاوية وبني أمية أطلقوا لهم رواية نص الأولى لأنها بتصورهم لمصلحتهم، بينما منعوا رواية الثانية لأنها ضدهم!

والرواة والمؤرخون الرسميون يحرصون على مصلحة معاوية وبني أمية حتى لو كانت ضد الواقع، بل وضد الإسلام، وسترى ما فعله البخاري نموذجا!

لذا لا يصح أن نتوقع من معاوية أن يعترف أنني شرطت على نفسي أن تكون الخلافة بعدي للحسن، وحلفت على ذلك أغلظ الأيمان، وبعثت له ضامين من بني أمية، ثم قتلته وجعلت الخلافة ملكا عضوضا وإرثا لولدي يزيد؟!

وهل تريد منه أن يعترف بأنه شرط للحسن أن لا يسب عليا (عليهما السلام) على المنابر وفي قنوت الصلاة وحلف عليه بأغلظ الأيمان وأشهد الشهود، ثم خالف ذلك ليستوفي لعن النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي سفيان في قنوت الصلاة؟! وأنه حلف أن لا يضطهد شيعة علي (عليه السلام) ولا يسفك دماءهم، ثم نكث؟! إن معاوية أحرص الناس على أن يخفي وثيقة الصلح لينسى الناس تعهده تجاه مستقبل الخلافة وتجاه أهل بيت النبي (عليهم السلام) وشيعتهم، ووعوده السخية لأهل العراق بالأمن والأمان والعفو والرفاهية!

يكفي دليلا على ذلك ما رواه الجميع من أن معاوية تعمد أن يتحدى أهل

الكوفة والإمام الحسن (عليه السلام) عندما دخل الكوفة بجيشه، فكشف نيته، وأعلن
غدره، وأنه لن يفي بشيء، وأن ما شرطه لهم فهو تحت قدمه كما سيأتي!
**

٤ - حاكم إيران من قبل الإمام الحسن (عليه السلام) يستفيد من شروط الصلح! كان زياد بن أبيه والياً للإمام الحسن (عليه السلام) على فارس، وبعد الصلح طالبه معاوية ببيت المال وهدده، فاحتج عليه بالعفو العام عن شيعة علي (عليه السلام) الذي نصت عليه شروط الصلح بين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام)! قال الطبري: ٤ / ١٢٨ (ونحوه اليعقوبي: ٢ / ١٩٤): (فبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة ٤١، وزياد متحصن بفارس (في جبال شمال إيران) فكتب معاوية إلى زياد: إن في يديك مالا من مال الله، وقد وليت ولاية فأد ما عندك من المال. فكتب إليه زياد: إنه لم يبق عندي شيء من المال، وقد صرفت ما كان عندي في وجهه، واستودعت بعضه قوماً لنازلة إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه. فكتب إليه معاوية: أن أقبل إلي ننظر فيما وليت وجرى على يديك، فإن استقام بنا أمر فهو ذاك وإلا رجعت إلى مأمرك، فلم يأته زياد! فأخذ بسر بن زياد الأكبر منهم فحبسهم: عبد الرحمن وعبيد الله وعبادا، وكتب إلى زياد: لتقدم علي أمير المؤمنين، أو لأقتلن بنيك!

فكتب إليه زياد: لست بارحاً من مكاني الذي أنا به، حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك، فإن قتلت من في يديك من ولدي فالمصير إلى الله سبحانه، ومن ورائنا وورائكم الحساب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. فهم بقتلهم فأتاه أبو بكر (أخ زياد لأمه) فقال: أخذت ولدي وولد أخي غلماناً بلا ذنب، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب علي حيث كانوا! فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل! قال: إن على أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع من أدائها! قال: ما عليه شيء فاكفف عن بني أخي حتى آتيك بكتاب من معاوية بتخليتهم، فأجله

أياما قال له إن أتيتني بكتاب معاوية بتخليتهم وإلا قتلتهم، أو يقبل زياد إلى أمير المؤمنين! قال فأتى أبو بكر معاوية فكلمه في زياد وبنيه وكتب معاوية إلى بسر بالكف عنه وتخلية سبيلهم فخلاهم! انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ٤ / ١٢٩: (كتب بسر إلى زياد لئن لم تقدم لأصلبن بنيك! فكتب إليه: إن تفعل فأهل ذاك أنت! إنما بعث بك ابن آكلة الأكباد! فركب أبو بكر إلى معاوية فقال: يا معاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال! قال: وما ذاك يا أبا بكر؟ قال: بسر يريد قتل أولاد زياد! فكتب معاوية إلى بسر: أن خل من بيدك من ولد زياد، وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل علي (عليه السلام) يتوعده... عن الشعبي قال كتب معاوية حين قتل علي إلى زياد يتهدده فقام خطيبا فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق ورئيس الأحزاب، كتب إلي يتهددني وبينني وبينه ابنا عم رسول الله (ص) يعني ابن عباس والحسن بن علي في تسعين ألفا، واضعي سيوفهم على عواتقهم لا يثنون! لئن خلص إلي خلص إلي ليجدني أحمر ضرابا! فلم يزل زياد بفارس واليا حتى صالح الحسن (عليه السلام) معاوية وقدم معاوية الكوفة، فتحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد). انتهى.

إلى آخر قصة زياد التي ختمت بعد سنوات بطاعته لمعاوية وتقريره له حتى جعله أخاه! ومعنى قول زياد (ليجدني أحمر ضرابا) أي فارسيا مقاتلا، وكان زياد يلكن بالعربية لأن لغته فارسية من أمه سمية.

بدعة معاوية في استلحاق زياد وجعله ابن أبي سفيان!
يناسب هنا أن نذكر خلاصة ما كتبه الحافظ محمد بن عقييل في كتابه القيم (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية / ٨٠): (ومن موبقاته الشنيعة: استلحاقه زياد بن عبيد وجعله زياد بن أبي سفيان! وهو أول استلحاق جاهلي عمل به في الإسلام علنا، واستنكره الصحابة وأهل الدين! أخرج البخاري في صحيحه... عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر... وفي الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلى يوم القيامة... فانظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي لم يبال به معاوية، ولم يكثر بما يترتب على ذلك الإستلحاق من اختلاط الأنساب، وهتك الحرم! سعيا وراء أغراض دنيوية سياسية. وقد ذكر المحدثون والمؤرخون أسباب هذا الإستلحاق، ولنذكر ملخص ما ذكره العلامة ابن الأثير قال:
لما ولي علي الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها، واتصل الخبر بمعاوية فسأه ذلك، وكتب إلى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال: العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده إياي وبينني وبينه ابن عم رسول الله (ص) في المهاجرين والأنصار! أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشا ضرابا بالسيف! وبلغ ذلك عليا فكتب إليه: إني وليتك ما وليتك وإني أراك له أهلا، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس، لا توجب له ميراثا ولا تحل له نسبا. وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم

احذر والسلام! فلما قتل علي وكان من أمر زياد ومصالحة معاوية ما كان، رأى معاوية أن يستميل زيادا ويستصفي مودته باستلحاقه، فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من شهد لزياد، وكان فيمن حضر خمار يقال له أبو مريم السلولي فقال له معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟ فقال: أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا، فقلت له: ليس عندي إلا سمية، فقال ائمني بها على قدرها ووضرها، فأتيته بها فخلا معها، ثم خرجت من عنده وإن إسكتيها ليقطران منيا، فقال له زياد: مهلا أبا مريم إنما بعثت شاهدا، ولم تبعث شاتما!

فاستلحقه معاوية! وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية، فإن رسول الله (ص) قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضى معاوية بعكس ذلك طبقا لما كان العمل عليه قبل الإسلام. يقول الله تعالى: أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (المائدة: ٥٠) وقد لام معاوية على هذه الفعلة الشنيعة أهل الدين والفضل، وعيره أهل الشعر والنقد وكتب إليه ابن مفرغ الحميري.

ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الأتان).
وكتب زياد إلى الإمام الحسن (عليه السلام): (من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن علي... فكتب إليه الحسن (عليه السلام): (من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله (ص) إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الولد للفراش وللعاهر الحجر...)

فغضب زياد وأرسل الكتاب إلى معاوية يشكو إليه! (تاريخ دمشق: ١٩ / ١٩٨، وشرح النهج: ١٦ / ١٩٣، والنصائح الكافية / ٧٨، والإيضاح / ٥٤٩، والقواعد الفقهية للبحروردى: ٤ / ٢٤).

أقول: زياد هذا يعرف بزياد بن عبيد وزياد بن أبيه وابن سمية، وهي جارية

فارسية أهداها أحد دهاقين كسرى إلى الطبيب الحارث بن كلدة لأنه عالجه، فأتى بها إلى الطائف فولدت له أبا بكرة فلم يعترف به (تاريخ دمشق: ١٩ / ١٧٣)! وقيل كان عنينا فتزوجت غلاما اسمه عبيد وفتحت محلا للبغاء، فهي أمة الحارث وزوجة عبيد! وكان ابن كلدة خبيرا بالسموم وروي أنه عالج كسرى من السم. وقد استدعاه أبو بكر عندما بايعوه بالخلافة ليراقب طعامه من السم وكان لا يأكل إلا معه، فقال له يوما إرفع يدك فإن الطعام مسموم وأموت أنا وأنت معا بعد ثلاثة أيام وفي رواية بعد سنة! فمات أبو بكر وطيبه! لكن لم يفتح أحد ملف اغتيالهما! (الطبقات: ٣ / ١٩٨ وتاريخ دمشق: ٣٠ / ٤٠٩، والإصابة: ٤ / ١٤٩، والرياض النضرة: ٢ / ٢٤٣، ومسائل الإمام أحمد / ٧٥، وتخريج الدلالات السمعية للخزاعي / ٤٧، والصواعق: ١ / ٢٥٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ٦١).

أما سبب استلحاق معاوية له وجعله أخاه، فقد رأى أبو سفيان زياد بن سمية في المدينة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) فأعجبه فادعى أنه ابنه لأنه زنى بأمه! فأراد معاوية بعد ثلاثين سنة أن يثبت كلام أبيه ولو كان ضد قول النبي (صلى الله عليه وآله)! فاستلحق زيادا فأطاعه القضاة والرواة! وصار اسم زياد عندهم: (زياد بن أبي سفيان رضي الله عنه)! (بخاري: ٢ / ١٨٣ / والمستدرک: ٣ / ٤٤٢).

قال الشوكاني في نيل الأوطار: ٥ / ١٩٤: (وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبي سفيان، وما وقع من أهل العلم في زمان بني أمية، فإنما هو تقية!). وفي الإستيعاب: ٢ / ٥٢٦: (لما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم فقال له: يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة! فأقبل معاوية على مروان وقال: أخرج عنا هذا الخليع! فقال مروان: والله إنه لخليع إنه ما يطاق..). انتهى.

يقصد أن معاوية يريد تكثير إخوته أولاد أبي سفيان، في مقابل بني مروان!
وفي أعلام الزركلي: ٣ / ٣٠٥، أن عبد الرحمن هذا (كان حاضرا عند يزيد بن معاوية
لما جئ إليه برأس الحسين وراه عبد الرحمن، فبكى وقال من أبيات:
سمية أمسى نسلها عدد الحصى * وبنت رسول الله ليس لها نسل!
فشتمه يزيد وأسكته!! انتهى.

وقد وقع استلحاق زياد سنة ٤٤ هجرية (تاريخ دمشق: ١٩ / ١٧٢) وفيه قصص
ونوادير! وقد أبطل العباسيون نسب آل زياد في بني أمية وردوهم إلى نسبهم إلى عبيد
غلام ثقيف، وصدر بذلك مرسوم من حاكم البصرة (الطبري: ٦ / ٣٦٤. راجع أيضا:
الطبري: ٤ / ٢٣٥، وتاريخ دمشق: ٣٤ / ٣١٤، النهاية: ٨ / ١٠٣، وغيرها).
وقد اعترف معاوية لعائشة أنه إنما فعل ذلك تنفيذا لرغبة أبي سفيان! قال: (يا أم
المؤمنين... وأما زياد فإن أبي عهد إلي فيه). (شرح الأخبار: ٢ / ١٧٢).
وكان معاوية يعرف قول النبي (صلى الله عليه وآله) جيدا: الولد للفراش وللعاهر
الحجر! فعندما ادعى نصر بن الحجاج أن عبد الله بن رباح مولى عبد الرحمن بن
خالد، أخوه لقول أبيه إنه زنى بأمه، فاختصموا ورفعوا أمرهم إلى معاوية: (أعد لهم
معاوية حجرا تحت بعض فرشه فألقاه إليهم! فقالوا له: نسوغ لك ما فعلت في زياد ولا
تسوغ لنا ما فعلنا في صاحبنا؟! فقال: قضاء رسول الله خير لكم من قضاء معاوية!)
(الطبري: ٦ / ٣٦٥، والفتح: ١٢ / ٣٣، وأبو يعلى: ١٣ / ٣٨٣، وتاريخ دمشق: ٣٧ /
٤٢٨، وغيرها).

هذا، وقد استفاد زياد من بنود صلح معاوية مع الإمام الحسن (عليه السلام)، لكن
استلحاق معاوية له كان وبالاً عليه! فقد نفذ معاوية به سياساته الدموية وقتل بيده ألوفاً
مؤلفة من خيار الأمة، ثم لما رآه طمع أن يكون ولي عهده بدل يزيد لم يتردد في قتله،
كما تقدم في المجلد الثاني!
**

الفصل الثالث

تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن (عليه السلام) إلى مدينة جده (صلى الله عليه وآله)

الإمام الحسن (عليه السلام) يعود من المدائن إلى الكوفة
تم توقيع عهد الصلح، بعدما وافق معاوية على النقاط التي أرسلها له الإمام الحسن (عليه
السلام) فوقع عليها، ثم أرسل معاوية رقاً أبيض موقعا مختوما بخاتمه، ليكتب فيه الإمام
(عليه السلام) كل ما أراد، فكتب ما أراد واحتفظ به.

(ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة
بكتاب الصلح، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد، خطب فقال في خطبته: فعسى أن تكرهوا
شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً). (أنساب الأشراف للبلاذري / ٧٤٢).

(جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن فقال: يا أهل العراق، لو لم
تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: قتلكم أبي، وطعنكم بغلتي، وانتهابكم
ثقلي، أو قال: ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سألمت وتحاربوا
من حاربت، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا. قال ثم نزل فدخل القصر).
(وأنساب الأشراف / ٧٤٢، وتاريخ بغداد: ١ / ١٤٩، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٧٠،
وفيه: دخل القصر وأغلق الباب دونهم، والإصابة: ٢ / ٦٥، والمعرفة والتاريخ /
٢٧٥٣، وغيرها).

ثم عاد الإمام الحسن (عليه السلام) من المدائن إلى الكوفة ليسلم السلطة إلى معاوية،
ثم ينسحب إلى مدينة جده (صلى الله عليه وآله) ويواجه مع العترة النبوية موجة الظلم
الأموية.

الإمام الحسن (عليه السلام) يخطب في الكوفة قبل أن يغادرها إلى المدينة وصل الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الكوفة قبل معاوية بفترة، وذكر ابن الأثير أنه خطب في المسجد خطبته مؤثرة فبكى الحاضرون وخنوا! والخنين النسيج. ففي أسد الغابة: ٢ / ١٤: (ولما بايع الحسن معاوية خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة، فقال: أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيغانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وكرر ذلك حتى ما بقي إلا من بكى حتى سمع نسيجه). ومثله في الكامل: ٣ / ٢٧٣، ونحوه في مجمع الزوائد: ٩ / ١٧٢، وفيه: (فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكيا. رواه الطبراني ورجاله ثقات). (وهو في الطبراني الكبير: ٣ / ٩٣).

وفي شواهد التنزيل: ٢ / ٣٢: (فما رأيت يوما قط أكثر باكيا من يومئذ). وفي تفسير ابن كثير: ٣ / ٤٩٥، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٦٩: (فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن بكاء) وفي ٢٦٩ / ٢: (قال هلال: فما سمعت يوما قط كان أكثر باكيا ومسترجعا من يومئذ).

وفي ينابيع المودة: ٢ / ٤٢٣: (وما بقي أحد في المجلس إلا وهو يبكي. وكان الحسن رضي الله عليه سيدا حليفا كريما زاهدا، ذا سكينه ووقار وذا حشمة، وجوادا ممدوحا). وفي تاريخ الطبري: ٤ / ١٢٦: (فجعل الناس يبكون. ثم تحملوا إلى المدينة). ومثله في الصواعق المحرقة: ٢ / ٤١٠.

أقول: يظهر أن هذه الخطبة كانت في مسجد الكوفة، بعد وصول معاوية وخطبته في النخيلة! وأنها آخر خطبة للإمام (عليه السلام) لأهل الكوفة قبل أن يغادرها إلى المدينة، كما تشير العبارة الأخيرة في تاريخ الطبري وغيره.

**

معاوية يدخل الكوفة فاتحاً فيثأر لفتح مكة!
وصف المحدثون والمؤرخون حالة معاوية عند موافقة الإمام الحسن (عليه السلام) على الصلح بأنه (كاد يطير فرحاً)! (سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٧، وإمتاع الأسماع: ٥ / ٣٥٨، ونهاية الإرب / ٤٣٩٩). وبهذه الحالة أسرع من قرب حلب يغذ السير إلى الكوفة، فدخل معسكر النخيلة في أوائل جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين للهجرة. (الحاكم: ٣ / ١٧٤)

وفي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٦٥: (أرسل الحسن بن علي عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل، وأرسل معاوية عبد الله بن عامر بن كريب، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدموا المدائن إلى الحسن فأعطياه ما سأل وما أراد ووثقا له، فكتب إليه الحسن أن أقبل، فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس، فسلم إليه الحسن الأمر وبايعه ثم سارا جميعاً حتى قدما الكوفة فنزل الحسن القصر، ونزل معاوية النخيلة فأتاه الحسن في عسكره غير مرة). (ورواه في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٤٥).

والصحيح أن الإمام الحسن (عليه السلام) عاد إلى الكوفة أولاً، ثم وصل إليها معاوية بمن جاء معه، وانضم إليه جيشه الذي كان في مسكن أي الدجيل، فاستقبله في معسكر النخيلة قرب الكوفة عملاؤه القدماء والجدد الذين اشتراهم له الأشعث! ونزل في معسكر النخيلة، ثم زاره الإمام (عليه السلام) في النخيلة، ثم كان المجلس العام في مسجد الكوفة بمناسبة غلبة معاوية على رقاب المسلمين!
قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤٢: (وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة فنزل بين النخيلة ودار الرزق، معه قصاص أهل الشام وقرأؤهم). انتهى.

معاوية يتهتك ويكشف نواياه عند وصوله الكوفة! ادعت عائشة وطلحة والزبير أنهم خرجوا على علي (عليه السلام) وقتلوه وسفكوا دماء المسلمين قربة إلى الله تعالى، وأنهم لا مطلب لهم من علي (عليه السلام) إلا أن يدفع إليهم قتلة عثمان فيقتصوا منهم! وكان جوابه (عليه السلام) أن عليهم أن يفوا ببيعته ويدخلوا فيما دخل فيه المسلمون، ثم يطلب منه أولاد عثمان أولياء دم أبيهم القصاص من القتلة، وحينئذ يقضي بينهم بالحق،! وكانت هذه الحقيقة واضحة لعائشة! ففي شرح النهج: ٩ / ٥٤٨: (خرج عثمان بن الحنيف (والي البصرة من قبل علي (عليه السلام)) إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليا فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك؟! أين بنوه أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم؟! كلا والله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه وكنتما تروجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما؟! فشتماه شتما قبيحا وذكر أمه)!

وقد كتب علي (عليه السلام) عائشة وأرسل إليها من احتج عليها لكنها كانت مغترة بجيشها فأجابته: (قد جل الأمر عن الخطاب يا بن أبي طالب). (المناقب: ٢ / ٣٣٨، والكافية في رد توبة الخاطئة للمفيد / ٢٠).

ولم ينتصر أصحاب الجمل حتى تنكشف نواياهم على ألسنتهم كما حدث لمعاوية! فقد ادعى معاوية مثلهم أنه إنما خرج على علي (عليه السلام) طلبا بدم عثمان لأنه أموي فهو ولي دمه، وقام بدعاية واسعة في الشام لذلك، وأرسل قميص عثمان وبعض أصابع زوجته نائلة إلى القرى والأرياف، وأقام له مجالس العزاء والنوح!

قال الطبري في تاريخه: ٣ / ٥٦١: (وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس وبكوا سنة، وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام

ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم! فمكتوا حول القميص سنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر ويجلله أحيانا فيلبسه، وعلق في أردانه أصابع نائلة). انتهى.

وقال الذهبي في السير: ٣ / ١٤٠: (عن ابن شهاب قال: لما بلغ معاوية هزيمة يوم الجمل وظهور علي، دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان فبايعوه على ذلك أميرا غير خليفة). وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٢٥٠: (عن أبي بردة قال قال معاوية: ما قاتلت عليا إلا في أمر عثمان). انتهى.

قال الدكتور حسن بن فرحان المالكي في كتابه نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي / ٢٧٩: (كون معاوية هو ولي دم عثمان باطل، فإن أبناء عثمان هم أولياء دم عثمان، وكانوا شبابا بالغين خرجوا مع عائشة يوم الجمل، فهم أولياء دمه وليس معاوية! أما كونه كبير أسرة بني أمية فإن القبلية قد أبطلها الإسلام! فقول الفقيهي فيه إقرار بشرعية العصبية القبلية على حساب الأحكام الشرعية! وللأسف أن أكثر المؤرخين الإسلاميين اليوم إذا تحدثوا عن خلاف معاوية، فإنهم يركزون على الجانب القبلي الجاهلي في تسويغ خروج معاوية، وينسون الجانب الشرعي الإسلامي أو يتناسونه!) انتهى.

إذا امتلأ القلب بالزيف فاض على اللسان!

فقد وصل معاوية إلى معسكر النخيلة بالكوفة ليلة الجمعة أو يومها، وصلى بهم الجمعة، وخطب خطبة مشحونة بالتحدي لأهل الكوفة والإذلال، أعلن فيها أنه لم يقاتل عليا (عليه السلام) وأهل العراق من أجل عثمان ولا الإسلام، وإنما لأجل أن يتسلط على المسلمين ويحكمهم، وها هو وصل إلى هدفه رغم أنوفهم!

قال ابن أبي شيبة في مصنفه: ٧ / ٢٥١: (عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية

الجمعة بالنخيلة في الضحى ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون). (وابن عساكر في تاريخه: ٥٩ / ١٥٠، وابن كثير في النهاية: ٨ / ١٤٠، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٤٦، وقال في هامشه: أخرجه البخاري: ٥ / ٢٢٤، ٢٢٥ في الصلح، و: ١٣ / ٥٢، ٥٧، وسيد ذكره المؤلف بتمامه في / ٢٧٠، ٢٧١).

قال المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١٥: (سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك يوم جمعة فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون!! ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له)!!
وفي مقاتل الطالبين / ٤٥: (كان عبد الرحمن بن شريك إذا حدث بذلك يقول: هذا والله هو التهتك)! وفي الملاحم والفتن / ١٠٨: (رغم أنفكم).

وفي تاريخ دمشق: ٥٢ / ٣٨٠: (إني والله ما قاتلتكم على الصوم والصلاة والزكاة وإني لأعلم أنكم تصومون وتصلون وتزكون ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم.... قوموا فبايعوا، فبايعه الناس فمر به شيخ فقال: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه فقال: لا شرط لك، فقال: لا بيعة لك، فإنما خاف معاوية أن يفسد عليه الناس قال أجلس فتركه حتى إذا رأى أنه قد عقل، قال: أيها الشيخ لا خير في أمر لا يعمل فيه بكتاب الله وسنة نبيه، فبايع أيها الشيخ فبايعه). انتهى.

لا يفي بعهده للمسلمين لكن يفي للروم ويدفع لهم الجزية!
قال البلاذري في فتوح البلدان: ١ / ١٨٨: (حدثني هشام بن عمار قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو وسعيد بن عبد العزيز أن الروم صالحت معاوية

على أن يؤدي إليهم مالا، وارتهن معاوية منهم رهنا فوضعهم ببعلك. ثم إن الروم غدرت فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم، وخلوا سبيلهم وقالوا: وفاء بغدر، خير من غدر بغدر. قال هشام: وهو قول العلماء الأوزاعي وغيره). انتهى. وهذا يدل على أن ميزان معاوية في وفائه وخيانتة، ليس هو تقواه كما يصورها النص، بل المعادلة العسكرية والسياسية كما يفهمها، ولو كان ميزانه التقوى لوفى بما وقع عليه للإمام الحسن (عليه السلام) وحلف عليه بأغلظ الأيمان، وأشهد عليه الله تعالى وشخصيات المسلمين!

عائلة عثمان تعترض على كذب معاوية!

روى الطبري في تاريخه: ٣ / ٥٦٩: أن عليا (عليه السلام) أرسل ثلاثة من شخصيات المسلمين إلى معاوية هم بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشيث بن ربيعي التميمي فقال: إئتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شيث بن ربيعي: يا أمير المؤمنين ألا تطعمه في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟ فقال علي: إئتوه فألقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيته.. الخ. وأورد الطبري احتجاجهم البليغ على معاوية فكان جوابه: ونطل دم عثمان رضي الله عنه؟! لا والله لا أفعل ذلك!! انتهى.

وفي الغدير: ١ / ٢٠٢: (قال الأصبغ: فدخلت على معاوية وهو جالس على نطع من الأدم متكئا على وسادتين حضراوتين وعن يمينه عمرو بن العاص وحوشب وذو الكلاع، وعن شماله أخوه عتبة وابن عامر بن كريز والوليد بن عتبة، وعبد الرحمن بن خالد، وشرحبيل بن السمط. وبين يديه أبو هريرة وأبو الدرداء والنعمان بن بشير وأبو أمامة الباهلي، فلما قرأ الكتاب قال: إن عليا لا يدفع إلينا قتلة عثمان. قال الأصبغ فقلت له: يا معاوية لا تعتل بدم عثمان فإنك تطلب الملك

والسلطان، ولو كنت أردت نصره حيا لنصرته، ولكنك تربصت به لتجعل ذلك سببا إلى وصول الملك! فغضب من كلامي، فأردت أن يزيد غضبه فقلت لأبي هريرة: يا صاحب رسول الله إني أحلفك بالذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة وبحق حبيبه المصطفى إلا أخبرتني أشهدت يوم غدير خم؟ قال: بلى شهدته. قلت: فما سمعته يقول في علي قال: سمعته يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فقلت له: فإذا أنت يا أبا هريرة واليت عدوه وعاديت وليه! فتنفس أبو هريرة الصعداء وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون). (الحنفي في مناقبه / ١٣٠، وسبط ابن الجوزي في تذاكرته / ٤٨).

لكن معاوية عندما سيطر على المسلمين نسي دم عثمان وأطله، وجعله تحت قدمه كشروط الصلح، ولم يهتم لاعتراض أولاد عثمان واستغاثتهم! قال ابن كثير في النهاية: ٨ / ١٤١: (فتوجه (معاوية) إلى دار عثمان بن عفان فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباهما، فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم فإن لي حاجة في هذه الدار، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بن عثمان وأمرها بالكف وقال لها: يا بنت أخي إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلما تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا وباعونا هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم، ومع كل إنسان منهم شيعته وهو يرى مكان شيعته فإن نكثناهم نكثوا بنا، ثم لا ندري أتكون لنا الدائرة أم علينا؟ ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين أحب إلي أن تكوني أمة من إماء المسلمين ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك). (وروته مصادر عديدة كالبيان والتبيين / ٤٦٧، والعقد الفريد / ١٠٧٨، وشرح الأخبار: ٢ / ١١٣، وتاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٤).

الإمام الحسن (عليه السلام) يسجل مطالباته بتنفيذ الشروط
روى الطبري في تاريخه: ٤ / ١٢٤ مطالبة الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بتنفيذ
شروطه، قال:

(وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه
أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت، فهو لك! فلما أتت الحسن
اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده، وأمسك معاوية
صحيفة الحسن التي كتب إليه يسأله ما فيها.

فلما التقى معاوية والحسن سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي
ختم معاوية في أسفلها، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك، فقال: لك ما كنت كتبت إلي أولاً
تسألني أن أعطيكه، فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك. قال الحسن: وأنا قد
اشترطت حين جاءني كتابك وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه، فاختلفا في ذلك فلم
ينفذ للحسن من الشروط شيئاً!! انتهى.

أقول: إن ادعاء الرواة أن الإمام الحسن (عليه السلام): (اشترط أضعاف الشروط التي
سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده) تبرير لنكث معاوية، فإن الذي يبعث بصحيفة
بيضاء موقعة مختومة، لا يعتذر بأن شروطها أكثر مما جرت المفاوضات حوله!
كما أن حجة معاوية بأنه نفذ كل ما عليه، وهو ما طلبه الإمام الحسن (عليه السلام) في
رسالته.. ويقصد بها الراوي الرسالة المتقدمة التي اقتضت علي شرطين: تطبيق الكتاب
والسنة وسيرة الخلفاء الصالحين، وعدم عهده بالخلافة بعده لأحد!
هذه الحجة لا يمكن قبولها، ولو قالها معاوية فلا بد أن الإمام أجابه ورد حجته بأنها
رسالته كانت في المفاوضات حول نقطة وليست كل الشروط!
ويبدو أن مطالبة من الإمام الحسن (عليه السلام) هذه كانت بعد خطبة معاوية في
الكوفة وإعلانه أنه لن يفي بشيء، وأن شروطه التي شرطها لهم تحت قدمه!!

قد يقال: لماذا لم يقيم الإمام الحسن (عليه السلام) على الفور بحركة مطالبة لمعاوية بالوفاء بالشروط ويضغط عليه بالرأي العام، أو لماذا لم يقيم بعد فترة بعد تصريح معاوية بخيانتة لتعهداته، ومواصلته سياسة سب علي (عليه السلام) واضطهاد شيعته؟! والجواب: أن معاوية لم يعلن ذلك في الكوفة إلا بعد أن دخلها بجيش مطيع من أهل الشام، وهو يعرف أن أهل العراق قد تفككت قوتهم، وأنهم ذلوا بمعصيتهم لإمامهم (عليه السلام) فلا يستطيعون أن يواجهوه! فقرر أن يتحداهم ويذلهم! معاوية يدخل مسجد الكوفة

كان كلامه في مسجد الكوفة أسوأ من تصريحه في النخيلة، وقد دخله في نفس اليوم فتكلم ابن العاص بعد كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، ثم تكلم معاوية فواصل غطرسته وتحديه وإذلاله لأهل الكوفة، وإعلانه عدم وفائه بشيء من شروط عهد الصلح! قال ابن الأعمش في كتابه الفتوح: ٤ / ٢٩٤: (وقام عمرو بن العاص فقال: يا أهل العراق! إنا كنا نحن وأنتم جميعاً على كلمة هي السواء ففرق بيننا وبينكم الأهواء ثم تحاكمنا إلى الله فحكم أنكم أنتم الظالمون لنا، فتداركوا ما سلف منكم بالسمع والطاعة، يصلح لكم دينكم ودنياكم. والسلام!)

ثم تكلم معاوية فقال: أيها الناس! إنه لم تتنازع أمة كانت قط من قبلنا في شيء من أمرها بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها (وهنا تلعنم فقال) إلا هذه الأمة فإن الله تعالى أظهر خيارها على أشرارها، وأظهر أهل الحق على أهل الباطل، ليتم لها بذلك ما أسداها من نعمة عليها فقد استقر الحق قراره، وقد كنت شرطت لكم شروطاً أردت بذلك الألفة واجتماع الكلمة وصلاح الأمة وإطفاء النائرة، والآن فقد جمع الله لنا كلمتنا وأعز دعوتنا، فكل شرط شرطته لكم فهو مردود، وكل وعد وعدته أحداً منكم فهو تحت قدمي.

قال: فغضب الناس من كلام معاوية وضجوا وتكلموا، ثم شتموا معاوية وهموا به في وقتهم ذلك وكادت الفتنة تقع، وخشي معاوية على نفسه فندم على ما تكلم به أشد الندم. وقام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال: لا والله جعلني الله فداك ما ينقضي تعجبي منك! كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهدا وميثاقا، في عقد طاهر، لكنه أعطاك أمرا بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت، والله ما أراد بهذا الكلام أحدا سواك. فقال له الحسن: صدقت يا مسيب! قد كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: أرى والله أن ترجع إلى ما كنت عليه وتنقض هذه البيعة، فقد نقض ما كان بينك وبينه! قال: ونظر الحسن بن علي إلى معاوية وإلى ما قد نزل به من الخوف والجزع، فجعل يسكن الناس حتى سكنوا، ثم قال للمسيب: يا مسيب! إن الغدر لا يليق بنا ولا خير فيه، ولو أنني أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني على اللقاء ولا أثبت عند الوغاء، ولا أقوى على المحاربة إذا استقرت الهيجاء، ولكنني أردت بذلك صلاحكم وكف بعضكم عن بعض، فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر... الخ). (وأنساب الأشراف ص ٧٤٤، وترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات ص ٧٩).

أقول: هذا النص على ما فيه يكشف لنا عدة أمور:
أولا: أن معاوية دخل الكوفة بنشوة النصر والانتقام، ولم يخف نواياه في ذلك بل تعمد أن يظهرها ويعلن تشفيه بإذلال خصمه، وأنه سينتقم سينتقم!
فهو لم ينس أن محمدا جد الإمام الحسن (عليهما السلام) دخل مكة بالأمس فاتحا فأرسل نداءه إلى أهلها بالعفو العام قبل دخول رايته! فبادر أبو سفيان إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأعلن إسلامه وحفظ دمه، بينما اضطر معاوية إلى الهرب إلى اليمن

لأن النبي (صلى الله عليه وآله) هدر دمه لبذاءة لسانه!
وهو لم ينس أن أهل العراق لم يؤذوه معشار ما آذى هو وأبوه رسول الله (صلى الله عليه وآله)! ولكنه شخص مادي الإحسابات والأهداف والعواطف، فلم يعمل يوما بالقيم الإسلامية أو الإنسانية، حتى نطلب منه أن يعمل بها اليوم في فتح الكوفة!
ثانيا: إن قول عمرو العاص: (ثم تحاكمنا إلى الله فحكم أنكم أنتم الظالمون لنا) يدل على التفكير المادي الذي يحكم ذهنه ومعاوية، فالغلبة الدنيوية ميزان الحق فالغالب على حق والمغلوب على باطل! وهو التفكير اليهودي المادي.
وقوله: (فتداركوا ما سلف منكم بالسمع والطاعة يصلح لكم دينكم ودنياكم)، يدل على منهجه في مصادرة الدين لمصلحة المتسلط، فهو يطلب منهم أن يسمعوا ويطيعوا حتى يصلح دينهم، ويرضى عنهم الله تعالى!
ثالثا: المتأمل في مجرى مفاوضات الصلح، يلاحظ أن الإمام الحسن (عليه السلام) بذل أقصى الجهد، وحصل على أكثر ما يمكن من تعهدات، فما نسبتة إليه رواية ابن الأعمش من أنه أقر بتقصيره في شروط الصلح لا بد من رده أو تأويله! فقد زعمت أن المسيب قال له: (لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهدا وميثاقا في عقد ظاهر، لكنه أعطاك أمرا بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت والله ما أراد بهذا الكلام أحدا سواك. فقال له الحسن: صدقت يا مسيب! قد كان ذلك فما ترى الآن؟). ومعناه الصحيح أن الإمام (عليه السلام) قال له: أفرض أن ما تقوله صحيحا فما العمل برأيك الآن؟ وهنا دعاه المسيب إلى إعلان نقض الصلح! وهو يدل على سذاجة المسيب فإن هدف معاوية دفع الإمام الحسن (عليه السلام) إلى حركة تنتهي بقتله!
رابعا: ماذا يفعل الإمام الحسن (عليه السلام) أمام هذا الطغيان الأموي واستخذاء الأمة؟! لقد وجه معاوية كلامه إلى زعماء الكوفة قبل الإمام (عليه السلام) وهم حاضرون يسمعون!

وأعلن بصلافة ووقاحة وتحذ وإذلال في معسكر النخيلة ثم في مسجد الكوفة، أنه لن يفي لهم بشروط الصلح! فكانت غاية ردة فعل البعض منهم أنه تبرم وأنحى باللائمة على الإمام الحسن (عليه السلام)!

فأين هم التسعون ألف سيف أو الأربعون ألفا الذين تتحدث عنهم مصادر السنة والمسيب بن نجية؟ ولماذا لم يتحرك هو وغيره بعشائريهم، فيتجمهروا معترضين على إعلان معاوية نقض الشروط؟! وهل يريدون من الإمام الحسن (عليه السلام) أن يعلن أن معاوية نقض الشروط وأن الصلح قد بطل، ويدعوهم إلى جهاد معاوية فيتفرقوا عنه، فيقتله معاوية أو يأخذه أسيرا؟! أم يريدون أن يدعوهم إلى اجتماع في مسجد الكوفة ويخرج لهم نسخة الرق المختوم بختم معاوية ويقرأها ويطلب منهم تهديد معاوية لإلزامه بتنفيذ الشروط التي قطعها على نفسه؟! وهل ستكون نتيجة مثل هذه الدعوة إلا خوفهم من مجرد الحضور فيعلن معاوية أن الحسن (عليه السلام) نكث الصلح ودعا إلى حربه فحل دمه ودم أهل بيته! فيقتله وأهل بيته أو يأسرهم، وهم يتفرجون؟! وقد نسب البلاذري هذا الكلام إلى سليمان بن صرد عندما جاء في وفد أهل الكوفة إلى الإمام (عليه السلام) بالمدينة، قال في أنساب الأشراف / ٧٤٤: (فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صرد الخزاعي: ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف... ثم لم يف بها ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الناس: إني كنت شرطت شروطا... فإن ذلك تحت قدمي... فإذا شئت فأعد الحرب جذعة وأنذر لي في تقدمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه وتبذ إليه على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

وتكلم الباقر بمثل كلام سليمان، فقال الحسن: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا،

فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أربض وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأسا، ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدم فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره والزموا بيوتكم وأمسكوا، أو قال: كفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر).

فإذا كانوا بعد أن ذاقوا ظلم معاوية لمدة سنتين يطلبون من الإمام (عليه السلام) أن يعلن هو بطلان الصلح، فما هو حالهم في موجة الصلح؟!

ثالثا: كان الإمام الحسن (عليه السلام) على بصيرة من مجتمعه، وهو يرى أن المرحلة لا تتحمل أكثر من تسجيل الموقف الصريح من معاوية نظريا، ليكون محفوظا لأجيال المسلمين، ولمن يستفيق بعد مدة من ذلك الجيل الجبان المستسلم! لذلك بين مقام أهل بيت النبي (عليهم السلام) وكشف حقيقة بني أمية ومعاوية، وطالبه بتنفيذ شروطه، وفي نفس الوقت أعلن أنه لا يغدر ولا يتراجع عن صلحه!

كما واصل بعد الصلح وعودته إلى المدينة اعتراضه على معاوية هو والإمام الحسين (عليه السلام) وأبرار الصحابة والأمة! لكن هل ينفع مع معاوية اعتراض؟!

قال ابن خزيمة شيخ البخاري كما رواه الصدوق في علل الشرائع: ١ / ٢١٠: (قال يوسف: فسمعت القاسم بن محمية يقول: ما وفي معاوية للحسن بن علي بشيء عاهده عليه، وإنني قرأت كتاب الحسن إلى معاوية يعد عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة علي، فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ومن قتلهم معه). انتهى.

رابعا: من مظاهر الإستخذاء في أهل الكوفة في عصر الإمام الحسن (عليه السلام) أن زعماء الكوفة (وأشرافها) كما وصفتهم النصوص، بادروا إلى الخروج لاستقبال معاوية في معسكر النخيلة (العباسيات) التي تبعد عن الكوفة عدة ساعات. فواجههم معاوية بخطبة نمرودية مهينة أعلن فيها أنه لا يفي لهم بشرط، فخرسوا أمامه!

ثم أمرهم بعد أيام أن يخرجوا إلى حرب الخوارج فخرجوا! والطريف أن الخوارج خصموهم بالحجة، فمسح بها جنود الزعماء (الشرفاء) شواريهم! قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٢٦: (قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة فقالت الحرورية الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة فأرسل إليهم معاوية خيلا من خيل أهل الشام فكشفوا أهل الشام (أي هزموهم)! فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم (أي تعالجوا سيئاتكم)! فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم! فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا؟ أليس معاوية عدونا وعدوكم؟! دعونا حتى نقاتله وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا! قالوا: لا والله حتى نقاتلكم! فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة)! انتهى.

أقول: إن الفرق كبير بين قتال أهل الكوفة للخوارج تحت راية هدى مع إمام حق بالنص والبيعة (عليه السلام)، وبين قتالهم لهم تحت راية ضلال وقيادة متسلط بالقهر والجبر، وإمام لأهل النار بالنص! ولكن أذهان الخوارج لا تدرك مدى التغير الشرعي والنفسي الذي طرأ على مقاتليهم اليوم ومقاتليهم بالأمس في النهروان. خامسا: ينبغي الإشارة إلى أن معاوية أتقن برنامج دخوله إلى الكوفة، فقد عمل حزبه بنشاط متواصل لحشد رؤساء القبائل لاستقباله في النخيلة، ثم لاستقباله في مسجد الكوفة، وأرسل أمامه أبا هريرة ليحدث المسلمين عن النبي (صلى الله عليه وآله) ويذم عليا (عليه السلام) ويهيب الجو لمعاوية في المسجد! فقد نقل الرواة عن الأعمش (رحمه الله) ما كذبه أبو هريرة كما في شرح النهج: ٤ / ٦٧: قال:

(لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مرارا وقال: يا أهل العراق أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إن لكل نبي حرما، وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها!! فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة). انتهى. ويقصد أبو هريرة بقوله إن عليا (عليه السلام) أحدث في المدينة أنه عندما أغار بسر بن أرطاة من قبل معاوية على المدينة، وأجبرهم على خلع بيعة علي (عليه السلام) والبيعة لمعاوية وكان أبو هريرة متحمسا لمعاوية! فجعله بسر واليا على المدينة! فجاء جارية بن قدامة السعدي (رحمه الله) بجيش من الكوفة فهرب منه بسر بجيشه وهرب أبو هريرة أيضا! قال الطبري: ٤ / ١٠٧: (ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي فبايعوه). (والنهاية: ٧ / ٣٥٧، وقد بايعوا الحسن لأنه بلغهم قتل علي (عليهما السلام)).

قال الشيخ محمود أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية / ٢١٦، تعليقا على ضرب أبي هريرة على صلته واتهامه عليا (عليه السلام): (على أن الحق لا يعدم أنصارا وأن الصحابة إذا كان فيهم مثل أبي هريرة ممن يستطيع معاوية أن يستحوذ عليه، فإن فيهم كثرة غالبية لا يستهويها وعد ولا يرهبها وعيد. فقد روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار أن أبا هريرة، لما قدم الكوفة مع معاوية، كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعت رسول الله يقول لعلي

بن أبي طالب: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ فقال: اللهم نعم. فقال: فأشهد بالله
لقد واليت عدوه وعاديت وليه! ثم قام عنه بعد أن لطمه هذه اللطمة الأليمة).
وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٤٩٩ أن شابا قام اليه وسأله: (فقال الشاب: أنا منك
برئ! أشهد أنك قد عاديت من والاه وواليت من عاداه، قال: فحصبه الناس بالحصباء).
انتهى. أي رمى أتباع معاوية الشاب بالحصى! وينبغي أن نشير هنا إلى خيانة الرواة
والمؤلفين الذين بتروا هذا الحديث، فحذفوا كلام الشاب المسلم! كما ترى في مجمع
الزوائد: ٩ / ١٠٥، وأبي يعلى: ١١ / ٣٠٧، وابن سعد: ٢ / ١١٠، وتاريخ دمشق:
٤٢ / ٢٣٢ والنهاية: ٥ / ٢٣٢. وقد استوفاه الأميني (رحمه الله) في المناشدة
والاحتجاج بحديث الغدير / ٨٢، والسيد الميلاني في نفحات الأزهار: ٧ / ٥٣
والسيد الطباطبائي في رسالة طرق حديث من كنت مولاه / ٨١، والأنصاري في
المسانيد: ٢ / ٤٩٣).
**

شموخ الإمام الحسن (عليه السلام) أمام غطرسة معاوية!
الإمام الحسن (عليه السلام) شخصية ربانية، بين جنبيه روح جده وأمه وأبيه (عليهم السلام) فهو في عالم أعلى من عوالم الناس، سواء كان حاكماً أم محكوماً. وهذا أمر يصعب على معاوية أن يفهمه لأن ذهنه مسكون بالمقياس المادي والغلبة الدنيوية!
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٦٥٢: (لما ورد معاوية الكوفة واجتمع عليه الناس قال له عمرو بن العاص: إن الحسن مرتفع في الأنفس لقرايته من رسول الله (ص) وإنه حديث السن عيي، فمره فليخطب فإنه سيعيي فيسقط من أنفس الناس فأبى! فلم يزالوا به حتى أمره، فقام على المنبر دون معاوية:
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو ابتغيتم بين جابلق وجابرس رجلا جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه! وإنا قد أعطينا معاوية بيعتنا ورأينا أن حقن الدماء خير. وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين وأشار بيده إلى معاوية! فغضب معاوية فخطب بعده خطبة عيية فاحشة ثم نزل وقال: ما أردت بقولك فتنة لكم ومتاع؟ قال: أردت بها ما أراد الله بها). (وأسد الغابة: ٢ / ١٤، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٧٦).
وفي تاريخ الطبري: ٤ / ١٢٤: (فقال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيه للناس فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلا فنادى الحسن بن علي (عليه السلام) فقال: قم يا حسن فكلم الناس، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه ثم قال: أما بعد يا أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه (صلى الله عليه وآله): وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. فلما قالها قال معاوية: أجلس، فلم يزل ضمرا على

عمرو، وقال: هذا من رأيك). انتهى.

أقول: بخل علينا الرواة على عاداتهم، فلم ينقلوا إلا يسيرا من خطبة الإمام الحسن (عليه السلام)! ويظهر من مجموع نصوصها أنها كانت خطبة قوية صريحة، أفاض فيها الإمام (عليه السلام) في الثناء على الله تعالى والرضا بمقاديره في الأمم بعد أنبيائها (عليهم السلام)، وكشف للأمة طرفا من مؤامرة قريش على العترة النبوية، وزيف ما يدعيه معاوية من حق قريش وبني أمية في قيادة أمة النبي (صلى الله عليه وآله)!

ففي المناقب: ٣ / ١٩٦: (وإن معاوية نازعني حقا هو لي فتركته لصالح الأمة وحقن دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمته، وقد رأيت أن أسأله وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر! وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين).

وروى سليم بن قيس (رحمه الله) / ٤٨٥، فقرات من أول الخطبة، قال: (قام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) على المنبر حين اجتمع مع معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن معاوية زعم أنني رأيت للخلافة أهلا ولم أر نفسي لها أهلا، وكذب معاوية! أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله. فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها ولما طمعت فيها يا معاوية. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما ولت أمة أمرها رجلا قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلا حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل! وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى! وقد تركت الأمة عليا وقد سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي. وقد هرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى

الغار، ولو وجد عليهم أعوانا ما هرب منهم. ولو وجدت أعوانا ما بايعتك يا معاوية!
وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ولم يجد عليهم أعوانا،
وقد جعل الله النبي (صلى الله عليه وآله) في سعة حين فر من قومه لما لم يجد أعوانا
عليهم، وكذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد
أعوانا. وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا.
أيها الناس، إنكم لو التستم فيما بين المشرق والمغرب، لم تجدوا رجلا من ولد النبي
غيري وغير أخي...). (ورواه في الإحتجاج: ٢ / ٨).
وأكمل ما وصل إلينا من نصوص هذه الخطبة، ما رواه الشيخ الطوسي (رحمه الله) في
أماله بسنده عن عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده علي بن
الحسين زين العابدين (عليهم السلام)، قال في / ٥٦١: (لما أجمع الحسن بن علي
(عليه السلام) على صلح معاوية خرج حتى لقيه، فلما اجتمعا قام معاوية خطيبا فصعد
المنبر وأمر الحسن (عليه السلام) أن يقوم أسفل منه بدرجة، ثم تكلم معاوية فقال: أيها
الناس، هذا الحسن بن علي وابن فاطمة، رأنا للخلافة أهلا، ولم ير نفسه لها أهلا، وقد
أتانا ليبايع طوعا. ثم قال: قم يا حسن! فقام الحسن (عليه السلام) فخطب فقال: الحمد
لله المستحمد بالآلاء وتتابع النعماء، وصارف الشدائد والبلاء، عند الفهماء وغير
الفهماء، المدعنين من عباده لامتناعه بجلاله وكبريائه، وعلوه عن لحوق الأوهام ببقائه،
المرتفع عن كنه ظنانه المخلوقين من أن تحيط بمكنون غيبه رويات عقول الرائيين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده في ربوبيته ووجوده ووحدانيته، صمدا لا شريك له، فردا
لا ظهير له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اصطفاه وانتجبه وارتضاه وبعثه داعيا إلى
الحق وسراجا منيرا، وللعباد مما يخافون نذيرا ولما يأملون بشيرا، فنصح للأمة وصدع
بالرسالة، وأبان لهم

درجات العمالة، شهادة عليها أموت وأحشر، وبها في الآجلة أقرب وأحبر.
وأقول: معشر الخلائق فاسمعوا، ولكم أفئدة وأسماع فعوا: إنا أهل بيت أكرمنا الله
بالإسلام واختارنا واصطفانا واحتباننا، فأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيرا، والرجس هو
الشك فلا نشك في الله الحق ودينه أبدا، وطهرنا من كل أفن وغية مخلصين إلى آدم
(عليه السلام)، نعمة منه، لم يفترق الناس قط فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما، فأدت
الأمور وأفضت الدهور إلى أن بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله) للنبوّة واختاره
للمرسلة وأنزل عليه كتابه، ثم أمره بالدعاء إلى الله عز وجل فكان أبي (عليه السلام)
أول من استجاب لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله)، وأول من آمن وصدق الله
ورسوله، وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيه المرسل: أفمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه، فرسول الله الذي على بينة من ربه، وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه.
وقد قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أمره أن يسير إلى مكة والموسم
ببراءة: سر بها يا علي فإنني أمرت أن لا يسير بها إلا أنا أو رجل مني وأنت هو، فعلي
من رسول الله ورسول الله منه. وقال له نبي الله (صلى الله عليه وآله) حين قضى بينه
وبين أخيه جعفر بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة في ابنة حمزة: أما أنت يا علي
فمني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن من بعدي، فصدق أبي ورسول الله في كل موطن
يقدمه ولكل شديدة يرسله، ثقة منه به وطمأنينة إليه لعلمه بنصيحته لله ورسوله، وأنه
أقرب المقربين من الله ورسوله، وقد قال الله عز وجل: والسابقون السابقون، أولئك
المقربون. وكان أبي سابق السابقين إلى الله عز وجل والى رسوله (صلى الله عليه وآله)
وأقرب الأقربين، فقد قال الله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل
أولئك أعظم درجة، فأبي كان أولهم إسلاما وإيمانا، وأولهم إلى الله ورسوله هجرة
ولحوقا، وأولهم على وجده

ووسعه نفقة، قال سبحانه: والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم. فالناس من جميع الأمم يستغفرون له سبقه إياهم إلى الإيمان بنبيه (صلى الله عليه وآله) وذلك أنه لم يسبقه إلى الإيمان به أحد، وقد قال الله تعالى: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم، فهو سابق جميع السابقين، فكما أن الله عز وجل فضل السابقين على المتخلفين والمتأخرين فكذلك فضل السابقين على السابقين، وقد قال الله عز وجل: أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. فهو المؤمن بالله والمجاهد في سبيل الله حقا وفيه نزلت هذه الآية. وكان ممن استجاب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عمه حمزة وجعفر ابن عمه فقتلا شهيدين رضي الله عنهما، في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعل الله تعالى حمزة سيد الشهداء من بينهم، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء من بينهم، وذلك لمكانهما من رسول الله ومنزلتهما وقرابتهما منه (عليهما السلام). وصلى رسول الله على حمزة سبعين صلاة من بين الشهداء الذين استشهدوا معه، وكذلك جعل الله تعالى لنساء النبي (صلى الله عليه وآله) للمحسنة منهن أجرين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لمكانهن من رسول الله (صلى الله عليه وآله). وجعل الصلاة في مسجد رسول الله بألف صلاة في سائر المساجد، إلا المسجد الحرام ومسجد إبراهيم خليله (عليه السلام) بمكة وذلك لمكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ربه. وفرض الله عز وجل الصلاة على نبيه (صلى الله عليه وآله) على كافة المؤمنين فقالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلى على محمد وآل محمد، فحق على كل مسلم أن

يصلي علينا مع الصلاة على النبي فريضة واجبة.
وأحل الله تعالى خمس الغنيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوجبها له في كتابه،
وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له، وحرم عليه الصدقة وحرمها علينا معه، فأدخلنا فله
الحمد فيما أدخل فيه نبيه (صلى الله عليه وآله) وأخرجنا ونزهنا مما أخرج منه ونزهه،
كرامة أكرمنا الله عز وجل بها، وفضيلة فضلنا بها على سائر العباد فقال الله تعالى
لمحمد (صلى الله عليه وآله) حين جحدته كفرة أهل الكتاب وحاجوه: فقل تعالوا ندع
أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على
الكاذبين، فأخرج رسول الله من الأنفس معه أبي ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء أمي
فاطمة من الناس جميعا، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه ونحن منه وهو منا وقد قال الله
تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، فلما نزلت آية
التطهير جمعنا رسول الله أنا وأخي وأمي وأبي فجعلنا ونفسه في كساء لأم سلمة
خيري، وذلك في حجرتها وفي يومها فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وهؤلاء أهلي
وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقالت أم سلمة: أنا أدخل معهم يا
رسول الله؟! فقال لها رسول الله: يرحمك الله أنت على خير والى خير وما أَرْضاني
عنك! ولكنها خاصة لي ولهم. ثم مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك بقية
عمره حتى قبضه الله إليه يأتينا كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يرحمكم الله:
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وأمر رسول الله بسد
الأبواب الشارعة في مسجده غير بابنا فكلموه في ذلك فقال: أما إنني لم أسد أبوابكم
وأفتح باب علي من تلقاء نفسي ولكن أتبع ما يوحى إلي، إن الله أمر بسدها وفتح بابها،
فلم يكن من بعد ذلك أحد تصيبه جنابة في مسجد رسول الله ويولد

فيه الأولاد غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) تكرامة من الله تعالى لنا وتفضلا اختصنا به على جميع الناس. وهذا باب أبي قرين باب رسول الله في مسجده، ومنزلنا بين منازل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك أن الله أمر نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يبني مسجده فبنى فيه عشرة أبيات تسعة لبنيه وأزواجه، وعاشرها وهو متوسطها لأبي فيها هو بسبيل مقيم، والبيت هو المسجد المطهر وهو الذي قال الله تعالى: " أهل البيت " فنحن أهل البيت، ونحن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أيها الناس: إنني لو قمت حولاً فحولاً أذكر الذي أعطانا الله عز وجل وخصنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيه (صلى الله عليه وآله) لم أحصه، وأنا ابن النبي النذير البشير والسراج المنير الذي جعله الله رحمة للعالمين، وأبي علي ولي المؤمنين وشبيه هارون. وإن معاوية بن صخر زعم أنني رأيت للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً فكذب معاوية! وأيم الله لأنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله، غير أنا لم نزل أهل البيت مخافين مظلومين مضطهدين منذ قبض رسول الله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا ونزل على رقابنا وحمل الناس على أكتافنا، ومنعنا سهمنا في كتاب الله من الفئ والغنائم، ومنع أمنا فاطمة (عليها السلام) إرثها من أبيها! إنا لا نسمي أحداً ولكن أقسم بالله قسماً تالياً لو أن الناس سمعوا قول الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأمة سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة، وإذا ما طمعت فيها يا معاوية! ولكنها لما أخرجت سالفاً من معدنها، وزحزحت عن قواعدها تنازعتها قريش بينها وترامتها كترامي الكرة، حتى طمعت فيها أنت يا معاوية وأصحابك من بعدك! وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما

ولت أمة أمرها رجلا قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلا حتى يرجعوا إلى ما تركوا! وقد تركت بنو إسرائيل وأصحاب موسى هارون أخاه وخليفته ووزيره وعكفوا على العجل وأطاعوا فيه سامريهم، ويعلمون أنه خليفة موسى (عليه السلام)! وقد سمعت هذه الأمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ذلك لأبي (عليه السلام): إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وقد رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين نصبه لهم بغدير خم وسمعوه ونادى له بالولاية ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب! وقد خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) حذرا من قومه إلى الغار، لما أجمعوا أن يمكروا به وهو يدعوهم لما لم يجد عليهم أعوانا، ولو وجد عليهم أعوانا لجاهدتهم. وقد كف أبي يده وناشدهم واستغاث أصحابه فلم يغث ولم ينصر، ولو وجد عليهم أعوانا ما أجابهم، وقد جعل في سعة كما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) في سعة! وقد خذلتني الأمة وبايعتك يا ابن حرب! ولو وجدت عليك أعوانا يخلصون ما بايعتك، وقد جعل الله عز وجل هارون في سعة حين استضعفه قومه وعادوه، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا، ولم نجد عليهم أعوانا! وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا.

أيها الناس: إنكم لو التمستم بين المشرق والمغرب رجلا جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبوه وصي رسول الله، لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتقوا الله ولا تضلوا بعد البيان، وكيف بكم وأنى ذلك لكم؟ ألا وإني قد بايعت هذا، وأشار بيده إلى معاوية، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

أيها الناس: إنه لا يعاب أحد بترك حقه، وإنما يعاب أن يأخذ ما ليس له، وكل صواب نافع، وكل خطأ ضار لأهله...

أيها الناس: إسمعوا وعوا واتقوا الله وراجعوا، وهيئات منكم الرجعة إلى

الحق وقد صار عكم النكوص وخامر كم الطغيان والجحود، أنلزمكموها وأنتم لها
كارهون؟! والسلام على من اتبع الهدى!
فقال معاوية: والله ما نزل الحسن (عليه السلام) حتى أظلمت علي الأرض وهممت أن
أبطش به، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية). انتهى. * *

نلاحظ في هذه الخطبة:

- ١ - أن هذا الشموخ في شخصية الإمام (عليه السلام) ناشئ من عالمه السامي الذي يعيش فيه (عليه السلام)، وهذا ما لا يفهمه بعضهم فيتصورونه تكبرا! قال ابن شعبة في تحف العقول / ٢٣٤: قيل للإمام الحسن (عليه السلام): (إن فيك عظمة فقال (عليه السلام): بل في عزة، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). (ورواه الزمخشري في ربيع الأبرار / ٦٣٨، والتوحيد في البصائر / ٢٧، وفي نثر الدرر للآبي / ١٥٠، ونزهة الناظر للحلواني / ٧٤، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٦).
- وفي عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ١٧٦: (وكان نقش خاتم الحسن بن علي (عليهما السلام): العزة لله، وكان نقش خاتم الحسين: إن الله بالغ أمره).
- ٢ - أن منطق معاوية مع الإمام الحسن (عليه السلام) هو نفس منطق أبي سفيان مع النبي (صلى الله عليه وآله) فهو يقوم على تسقيط الآخرين، والفرعنة والعلو بدون دليل! ويفتقر إلى الحد الأدنى من اللياقة التي يستعملها رؤساء القبائل عادة في مثل هذه المناسبة! فلو كان المتكلم بدل معاوية الأحنف بن قيس رئيس بني تميم، وحتى الأشعث رئيس كندة، عدو علي والحسن (عليهما السلام)، لقالا كلاما فيه شئ من اللياقة! أما معاوية فقد أفرغ كل سمه و (يهوديته) في كلامه فقال: (أيها الناس، هذا الحسن بن علي وابن فاطمة رأنا للخلافة أهلا ولم ير نفسه لها أهلا، وقد أتانا ليبايع طوعا. ثم قال: قم يا حسن!) فانظر إلى قوله (ابن علي وابن فاطمة) الذي يقصد به أن الحسن وارث علي

ومحمد من آل عبد المطلب، جاءنا طائعا واعترف بحقنا نحن بني أمية، وبالخصوص آل أبي سفيان، وشهد على نفسه وأبيه وجده بأنا نحن معدن الحق وأهل القيادة دونهم! فقم يا حسن فبايع! وبهذا يلغي معاوية النبوة والوحي والإسلام كلياً من صراع بني أمية وقبائل قريش مع النبي (صلى الله عليه وآله)! فالمؤمن بالإسلام لا يمكنه أن يتكلم بمثل هذا المنطق!

٣ - أن الإمام الحسن (عليه السلام) لم تهتز منه شعرة لمنطق معاوية الفرعوني، فتصدى له بمنطق النبوة، فتحدث بعمق وصراحة عن بعثة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) وما خصه الله تعالى به، وعن موقف المكذبين القرشيين بقيادة أبي سفيان ومعه أولاده وابنه معاوية، والحقوق الشرعية التي ترتبت عليهم، حتى صاروا أسرى حرب للنبي وآله (صلى الله عليه وآله) في فتح مكة! وأفاض في موقف المؤمنين بالنبي (صلى الله عليه وآله) وفي طليعتهم علي (عليه السلام) والعترة، وما وفقهم الله إليه من نصرته النبي (صلى الله عليه وآله) وما رتبته لهم من حقوق بنص كتابه ونص نبيه (صلى الله عليه وآله)، وما خصهم به من فرض طاعتهم على جميع الأمة، بمن فيها الصحابة والقرشيين الأسرى الطلقاء!

٤ - أن الإمام (عليه السلام) كان يرى أنه اضطر إلى بيعة الطاغية معاوية والتنازل له عن الحكم، لكنه غير مضطر أبداً إلى مداراته والسكوت على منطقه الجاهلي، ولذلك كان دائماً قويا في بيان الحق وقمع باطل معاوية وإفحامه، فيجب عنده أن يسجل موقفه للأجيال وأن يلفت الأمة التي استسلمت لمعاوية وتركت عترة نبيها (صلى الله عليه وآله) أي طريق ضلال اختارته! وفي بلعوم أي طاغية وضعت نفسها!

٥ - من الطبيعي بمقتضى الصلح، أن يخطب معاوية عند قدومه إلى الكوفة، ويخطب الإمام الحسن (عليه السلام) فيعلن للمسلمين تنازله عن الحكم لمعاوية! لهذا

لا يمكن قبول ما روي من أن خطبته (عليه السلام) كانت بناء على طلب عمرو بن العاص وإصراره على معاوية، وأن غرض عمرو أن يخجل الإمام الحسن (عليه السلام) لأنه لا يجيد التصرف في مثل ذلك الموقف أو لا يجيد الخطابة، وأن معاوية لم يكن راغبا في أن يخطب الإمام (عليه السلام) ولكنه وافق، ثم ندم ولام ابن العاص.. الخ. فهذا أمر غير معقول، ولذا نقله في الإحتجاج: ١ / ٤٢٠، بصيغة (روي)، بل الصحيح ما رواه ابن أبي شيبه في مصنفه: ٨ / ٦٣٤ من أن الإمام الحسن (عليه السلام) أراد ترك الكوفة لمعاوية بدون أن يخطب فاعتبر معاوية ذلك خطيرا، لأن ترك الخطبة بمثابة ترك الإمضاء العملي للصلح قال: (عن الشعبي قال: لما كان الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية أراد الحسن الخروج إلى المدينة فقال له معاوية: ما أنت بالذي تذهب حتى تخطب الناس، قال قال الشعبي: فسمعتة على المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: فإن أكيس الكيس التقى، وإن أعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا فيه ومعاوية حتى كان لي فتركته لمعاوية، أو حق كان لا يرى أحق به مني، وإنما فعلت هذا لحقن دماءكم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، ثم نزل). وما رواه الذهبي في تاريخ الإسلام: ٤ / ٣٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٦ / ٥٩، والوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٩: (لما بايع الحسن معاوية قال له عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم فإنه عبي عن المنطق فيزهد فيه الناس! فقال معاوية: لا تفعلوا فوالله لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمص لسانه وشفته ولن يعيا لسان مصه النبي له شفة، قال فأبوا على معاوية فصعد معاوية المنبر ثم أمر الحسن فصعد، وأمره أن يخبر الناس إنني قد بايعت معاوية فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا، وإنني قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم، وأن يوفر

عليكم غنائمكم وأن يقسم فيكم فيأكم، ثم أقبل على معاوية فقال: أكذاك؟ قال: نعم. ثم هبط من المنبر وهو يقول ويشير بإصبعه إلى معاوية: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، فاشتد ذلك على معاوية فقالوا: لو دعوته فاستنطقته يعني استفهمته ما عني بالآية؟ فقال مهلاً فأبوا عليه فدعوه فأجابهم فأقبل عليه عمرو فقال له الحسن: أما أنت فقد اختلف فيك رجلان رجل من قريش ورجل من أهل المدينة فادعياك فلا أدري أيهما أبوك!

وأقبل عليه أبو الأعور فقال له الحسن: ألم يعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رعلاً وذكوان وعمرو بن سفيان؟! وهذا اسم أبي الأعور! ثم أقبل عليه معاوية يعينهما فقال له الحسن: أما علمت أن رسول الله لعن قائد الأحزاب وسائقهم، وكان أحدهما أبو سفيان والآخر أبو الأعور السلمي! (ورواه في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من طبقات ابن سعد / ٧٩).

أقول: لقد خلط الرواة بين خطب للإمام الحسن (عليه السلام) أحدها هذه في الكوفة، والثانية جواباً على كلام معاوية ولعلها كانت في المدينة. وثالثها المناظرة الصاخبة القاصعة بينه وبين معاوية ووزرائه، وهي التي طعن فيها في نسب ابن العاص وغيره وقد جعلتها رواية الذهبية جزء من خطبته (عليه السلام) في الكوفة!

وينبغي الإلفات إلى أن مقولة أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان في لسانه تأتأة، قد تسربت إلى بعض مصادرنا! والفأفة: تكرار التاء في أول الكلام. والرثة بالتاء والضم: العجمة في الكلام وعدم بيان حروفه، والرثة: بالتاء أشد منها وهي إدغام حرف في حرف وعدم بيان الحروف. (منتهى المطلب: ١ / ٣٧٢، وصحاح الجوهري: ١ / ٢٤٩، ولسان العرب: ٢ / ٣٤) وهذا عيب مكذوب على الإمام الحسن (عليه السلام) وأراد الراوي تخفيف ذلك بتشبيهه بموسى (عليه السلام) لكن دعاه (عليه السلام): واحلل عقدة من لساني. وقوله: ويضيق صدري ولا ينطلق لساني. لا يدل على أنه كان مصاباً بالفأفة أو الرثة أو

الرثة! بل يعني أن درجة انفعاله أكثر من انفعال أخيه هارون (عليهما السلام).
ويبدو أن الذين ادعوا المهديّة لمحمد بن عبد الله بن الحسن المثنى وضعوا هذه الرواية
لتبرير فأفأة مهديهم والرثة في لسانه فقالوا إن جده الحسن (عليه السلام) كان كذلك!
ففي مقاتل الطالبين لأبي الفرج / ٣١: (عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن
علي: وكان في لسان الحسن بن علي ثقل كالفأفة... كانت في لسان الحسن رثة
فقال سلمان الفارسي: أتته من قبل عمه موسى بن عمران (عليه السلام)). انتهى.
ثم أضافوا إلى صفات المهدي (عليه السلام) أن في لسانه رثة وفأفة! ففي مقاتل
الطالبين / ١٦٤ عن أبي هريرة: (أن المهدي اسمه محمد بن عبد الله في لسانه رثة!)
كما أضافوا إلى حديث النبي (صلى الله عليه وآله): (اسمه اسمي وكنيته كنييتي):
(واسم أبيه اسم أبي) لينطبق على محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى! وقد شهد علماء
الجرح والتعديل بأنها زيادة كما بحثناه في (معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه
السلام): ١ / حديث ١٠٠).

حادثة أخرى سجلت شموخ الإمام الحسن (عليه السلام)
خلط بعض الرواة والمؤلفين بين خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) بحضور معاوية في
مسجد الكوفة، وبين خطبته عندما نال معاوية من أمير المؤمنين (عليه السلام)! وقد
نصت عدة مصادر على أن الثانية كانت في المدينة وليس في الكوفة وهو الصحيح لأنه
لا يمكن أن يقوم معاوية بلعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في أول قدومه إلى الكوفة، لا
لتقواه! بل للجو العام الذي يخشى معه ردة فعل أهل الكوفة، خاصة وأنه أعلن نقضه
لتعهداته وعدم وفائه بشروطه! ولعل أصل الاشتباه من أبي الفرج الأصفهاني المتوفى
٣٥٦، وأن المفيد (رحمه الله) ومن تأخر عنه نقلوا عنه، قال في مقاتل الطالبين / ٤٦:
(لما بويع معاوية خطب فذكر عليا فنال منه ونال من الحسن فقام الحسين ليرد عليه

فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال: أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند وجدتي خديجة وأعمامنا كرا وأعمامنا حسبا وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أحملا ذكرا وأأمنا حسبا وشرنا قدما وأقدمنا كفرا ونفاقا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال فضل: فقال يحيى بن معين: ونحن نقول: آمين. قال أبو عبيد: ونحن أيضا نقول: آمين. قال أبو الفرج. وأنا أقول: آمين).

لكن الصحيح رواية المستطرف: ١ / ١٥٧ و ٢٨٩، والإتحاف ١٠، ونزهة الناظر للحلواني / ٧٤، والتذكرة الحمدونية / ٧٠٨، واللفظ للأول: (لما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال: من ابن علي ومن علي؟! فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا جعل له عدوا من المجرمين، فأنا ابن علي وأنت ابن صخر، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتك قتيلة وجدتي خديجة، فلعن الله أأمنا حسبا وأحملا ذكرا، وأعظمنا كفرا، وأشدنا نفاقا! فصاح أهل المسجد: آمين آمين. فقطع معاوية خطبته ودخل منزله). انتهى.

إنه منطلق النبوة الرباني في مواجهة منطلق الجاهلية الشيطاني! وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا!

ومما يؤيد أن الحادثة كانت في المدينة أن الإمام الحسين (عليه السلام) اعترض علي معاوية في حج سنة ٥١ بعد قتله حجرا (رحمه الله) لنيله من علي (عليه السلام) وقال له كما في الإحتجاج: ٢ / ١٩: (ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا واعتراضك بني هاشم بالعيوب). انتهى. ويبدو أن صاحب الغدير (رحمه الله) تنبه إلى أن هذا الحديث وقع في المدينة وليس في الكوفة: (١٠ / ١٦٠). وسيأتي أن معاوية لم يجرؤ على لعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حياة الإمام الحسن (عليه السلام) وسعد بن أبي وقاص.

* *

معاوية يعلن في النخيلة انتهاء الدولة الإسلامية
وقيام الإمبراطورية الأموية!

إذا أردت أن تفهم بني هاشم وبني أمية فاقراً آيات الشجرتين الطيبة والنخيلة، ثم اقرأ
سورة محمد (صلى الله عليه وآله) وأعدائه المفسدين في عصره وبعده!
إن سورة محمد (صلى الله عليه وآله) كآيات الشجرتين، لوحة ربانية متكاملة تتحدث
عن شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) وعظمة مقامه ورسالته، وموقف فئات العالم
كلها منه، ومنهم فئة المنافقين مرضى القلوب الذين سيحكمون أمته!
فمن هم جبابرة هذه الأمة الذين خاطبهم الله تعالى بقوله: فهل عسيتم إن توليتم أن
تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها. (محمد: ٢٢ - ٢٤)؟
ومن هم الأنواع الثلاثة من أعداء النبي وآله (صلى الله عليه وآله) الذين أخبر الله عنهم
في سورة محمد (صلى الله عليه وآله) بأنهم: كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم.
(محمد: ٩) اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم. (محمد: ٢٨)
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم.
(محمد: ٣٢).

فمن هؤلاء الذين سيأتون بعد النبي (صلى الله عليه وآله) فتحدث الله بسين الاستقبال
عن عملهم ووعده بإحباط خطتهم؟! من هم إن لم يكونوا بني أمية، ومن مهد لهم؟
**

بعد أن تمكن معاوية من إجبار الإمام الحسن (عليه السلام) على التنازل له عن الحكم،
أخذه زهو انتصار أمية وسقوط دولة بني هاشم صريعة في يده بعد ثلاثين سنة فقط من
وفاة نبيهم (صلى الله عليه وآله)! وها هو ابن أبي سفيان قائد قريش صار حاكم العرب
المطلق، وإمبراطور البلاد التي فتحها أتباع نبي بني هاشم (صلى الله عليه وآله)!

لقد جاءت خطبته في معسكر النخيلة بالكوفة إعلانا أمويا كاملا بانتهاء العهد النبوي الإسلامي وقيام الإمبراطورية الأموية! وقد تكلم الرواة عن هذه الخطبة بتذمر ولم ينقلوها كاملة، لكن كل فقرة نقلوها منها جاءت معولا في هدم الإسلام، وطعنا للنبي وأهل بيته (صلى الله عليه وآله) وشيعتهم! قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين / ٤٥ : (وسار معاوية حتى نزل النخيلة، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة، لم ينقلها أحد من الرواة تامة وجاءت مقطعة في الحديث، وسنذكر ما انتهى إلينا من ذلك! فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار... عن الشعبي قال: خطب معاوية حين بويع له فقال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم إنه انتبه فندم فقال: إلا هذه الأمة فإنها وإنها... عن أبي إسحاق قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به! قال أبو إسحاق: وكان والله غدارا... عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الصحن ثم خطبنا فقال: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا! إنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون! قال شريك في حديثه: هذا هو التهتك). انتهى.

وفي الصراط المستقيم للبياضى: ٣ / ٤٨ : (وروى الأعمش أنه لمام قدم الكوفة قال: ما قاتلتكم على أن تصلوا وتصوموا... فقال الأعمش: هل رأيتم رجلا أقل حياء منه؟ قتل سبعين ألفا فيهم عمار وخزيمة وحجر وعمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر والأشتر وأويس وابن صوحان وابن التيهان وعائشة وابن حسان! ثم يقول هذا!) ويبدو أن معاوية قال ذلك في سفرة أخرى، بعد قتل حجر سنة ٥١ . وقال في شرح الأخبار: ٢ / ١٥٨ : (فقال في خطبته: إنه لم تختلف أمة بعد نبيها

إلا غلب أهل باطلها على أهل حقها! وهذا حديث يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) أجراه الله على لسانه فلما قاله ندم فقال: إلا هذه الأمة فإنها، فتلجلج لسانه ولم يدر ما يقول في ذلك فأخذ في غيره). (وكان يتلجلج في خطبه). (تذكرة ابن حمدون / ١٣٦٩:

خطبة معاوية الثانية الأسوأ!

قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤٣: (وخطب معاوية أيضا بالنخيلة فقال: إني نظرت فعلمت أنه لا يصلح الناس إلا ثلاث خصال: إتيان العدو في بلاده فإنكم إن لم تأتوه أتاكم، وهذا العطاء والرزق أن يقسم في أيامه، وأن يقيم البعث القريب ستة أشهر والبعيد سنة، وأن تستحم بلاد إن جمدت خربت، وقد كنت شرطت شروطا ووعدت عداة ومنيت أمني لما أردت من إطفاء نار الفتنة وقطع الحرب ومداراة الناس وتسكينهم. ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع، ألا وإني طلبت بدم عثمان فقتل الله قاتليه ورد الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام، ألا وإنا قد أجلناكم ثلاثا، فمن لم يبايع فلا ذمة له ولا أمان له عندنا. فأقبل الناس يبايعون من كل أوب).

ومعنى قول البلاذري: (وخطب معاوية أيضا بالنخيلة) أنها خطبة أخرى بعد أن رجع من الكوفة إلى النخيلة في طريق عودته إلى الشام! وقوله: طلبت بدم عثمان فقتل الله قاتليه ورد الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام) يدل على تفكيره، ولا بد أنه كرر هذا المعنى في زهو انتصاره! ويبدو أن قوله: (قد قتل الله طاغيتكم ورد الأمر إلى معدنه)! كان في ذلك اليوم فهو بيت القصيد عنده! وقد روت مصادرنا رد الإمام الحسن (عليه السلام) عليه وقوله لمعاوية: (العجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك ومن جرأتك على الله حين قلت: قد قتل الله طاغيتكم ورد الأمر إلى معدنه! فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا؟!)

ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس وسنوا لك هذه السنة!!).
(كتاب سليم / ٣٦٨، والاحتجاج: ٢ / ٦، والدر النظيم / ٤٩٩، والعدد القوية /
(٤٩).

أقول: تكفي أقوال معاوية وأفعاله وسياساته دليلا على أنه كان ينظر إلى نفسه كمؤسس
لأمبراطورية أموية، وأن الحق له ولأبيه، وأن بني هاشم كانوا غصبوه!
وهو في هذه الخطبة يعلن تمردَه على قيم الإسلام وأحكامه، وتمردَه على التعامل
الإنساني السليم مع الإمام الحسن (عليه السلام) وأهل العراق، الذين يمثلون بامتدادهم
وفتوحاتهم ثقل الأمة الإسلامية! فانظر كيف يصف أولياؤه وأتباعه خطبته بأنها (خطبة
بليغة) ويعتبروها بداية مرحلة جيدة من تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية؟! قال ابن كثير
في النهاية: ٨ / ٢٣: (ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما
بايعه الناس واستوثقت له الممالك شرقا وغربا وبعدا وقربا، وسمي هذا العام عام
الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة، فولى معاوية قضاء الشام
لفضالة بن عبيد، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني، وكان على شرطته قيس بن حمزة،
وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي). انتهى. فالمهم عند ابن كثير
وهو عالم إمام لأتباع الخلافة، هو (الغلبة) فيجب التغاضي عن الحاكم ولو كان
برنامج التمرد على قيم الإسلام وأحكامه، وكان كاتبه وصاحب أمره وسره روميا
نصرانيا!

لكن ابن كثير يمثل حزبه الأموي فقط! أما المسلمون العاديون من أتباع المذاهب
فيمثلهم ابن سعد صاحب الطبقات، الذي وصف خطبة معاوية في مسجد الكوفة بقوله:
(فغضب معاوية فخطب بعده خطبة عيية فاحشة ثم نزل!)
(سير أعلام النبلاء: ٦٥٢، ونحوه أسد الغابة: ٢ / ١٤، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٧٦).
ولماذا لا تكون فاحشة قد قرأت فيها غروره وتهديده بالموت من لم يبايعه!

لهذا لتستغرب إذا وصف مستشرق غربي موقف المسلمين من معاوية فقال: (اعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسهم معاوية انتصارا للأرستقراطية الوثنية التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء، والتي جاهدتها رسول الله حتى قضى عليها، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله، ففضوا عليها. وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام!

لذلك لا ندهش إذا كره المسلمون بني أمية وغطرستهم، لا سيما أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الإسلام إلا سعيا وراء مصالحهم الشخصية، ولا غرو فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكا كسرويا وليس أدل على ذلك من قوله: أنا أول الملوك). (نيكلسون: تاريخ الإسلام: ١ / ٢٧٨).

معجزة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ظهرت عند دخول معاوية إلى الكوفة! روى الشريف الرضي (رحمه الله) في خصائص الأئمة (عليهم السلام) / ٥٢: (عن أم حكيم بنت عمرو قالت: خرجت وأنا أشتهي أن أسمع كلام علي بن أبي طالب، فدنوت منه وفي الناس رقة (أي يمكن تخطي الحضور) وهو يخطب على المنبر حتى سمعت كلامه فقال رجل: يا أمير المؤمنين استغفر لخالد بن عرفطة فإنه قد مات بأرض تيماء فلم يرد عليه، فقال الثانية فلم يرد عليه ثم قال الثالثة فالتفت إليه فقال: أيها الناعي خالد بن عرفطة كذبت، والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من هذا الباب يحمل راية ضلالة! قالت: فرأيت خالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حتى نزل نخيلة وأدخلها من باب الفيل!! ورواه في مناقب آل أبي طالب / ٤٦، وفيه: (ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة، وبين يديه خالد بن عرفطة ومعه رجل يقال له حبيب بن جماز يحمل رايته، حتى دخل الكوفة فصار إلى المسجد فدخل من باب الفيل فاجتمع الناس إليه. فحدثني أبو عبيد الصيرفي..... عن عطاء

بن السائب عن أبيه قال: بينما علي (عليه السلام) على المنبر إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة! فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد يعني باب الفيل براية ضلالة يحملها له حبيب بن جماز! قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن جماز وأنا لك شيعة! قال: فإنه كما أقول، فقدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب بن جماز! قال مالك: حدثنا الأعمش بهذا الحديث فقال: حدثني صاحب هذا الدار وأشار بيده إلى دار السائب أبي عطاء أنه سمع عليا (عليه السلام) يقول هذه المقالة!

ورواه في تاريخ بغداد مبتورا: ١ / ٢١٤: (عن أم حكيم بنت عمرو الجدلية قالت: لما قدم معاوية يعني الكوفة فنزل النخيلة دخل من باب الفيل، وخالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حتى ركزها في المسجد). (ونحوه في بغية الطلب: ٧ / ٣٠٩١).

وقال المفيد في الإرشاد: ١ / ٣٣٠: (وهذا أيضا خبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم الرواة للآثار، وهو منتشر في أهل الكوفة، ظاهر في جماعتهم لا يتناكره منهم اثنان، وهو من المعجز الذي بيناه). انتهى.

وروى هذا الحديث الصفار في بصائر الدرجات / ٣١٨ بنحو آخر، عن أبي حمزة عن سويد بن غفلة وفيه: (فأعادها عليه الثالثة فقال: سبحان الله أخبرك أنه مات وتقول لم يمت! فقال له علي (عليه السلام): لم يمت والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جماز! قال فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين فقال أناشدك في وأنا لك شيعة لك! وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي!

فقال له علي (عليه السلام): إن كنت حبيب بن جماز فلتحملنها! فولى حبيب بن جماز وقال: إن كنت حبيب بن جماز فلتحملنها! قال أبو حمزة: فوالله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين (عليه السلام) بن علي (عليه السلام) وجعل بن عرفطة على

مقدمته، وحبیب صاحب رایته!). (ورواه كذلك في الإرشاد: ١ / ٣٢٩، والراوندي في الخرائج والجرائح: ٢ / ٧٤٥، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ٢ / ١٠٥، والطبرسي في إعلام الوری: ١ / ٣٤٥، والعلامة الحلبي في كشف اليقين / ٧٩. ونقله في الإصابة: ٢ / ٢٠٩ عن ابن المعلم المعروف بالشيخ المفيد الرافضي، في مناقب علي!).

أقول: لا تنافي بين الروایتين، لأن ابن عرفطة من قادة جيش معاوية (الإصابة: ٢ / ٢٠٩) وهو حليف بني زهرة (الطبقات: ٤ / ٣٥٥، كنى بخاري / ١١١) وروي أنه ابن أخت سعد بن وقاص: (بعث سعد إلى الناس خالد بن عرفطة وهو ابن أخته). (غريب الحديث للحربي: ٣ / ٩٢٩، والنهاية لابن الأثير: ٤ / ٣٤٢، ولسان العرب: ٧ / ٢٣٤)، وروي أنه حليف بني أمية (تاريخ الطبري: ٣ / ٧٧ و ٧٩) وقد أقطعه عثمان أرضا في العراق عند حمام أعين (فتوح البلدان: ٢ / ٣٣٥) وكذلك أقطعه سعد وقاص (تاريخ الكوفة / ١٦٠)، وبنى دارا كبيرة في الكوفة (تاريخ الكوفة / ٤٣٣)، وله فيها بقية وعقب (الطبقات: ٤ / ٣٥٥) وكان من رؤساء الأرباع في الكوفة (أعيان الشيعة: ٤ / ٥٧٨) وقد شارك في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فقتله المختار سنة ٦٤، غلاه في الزيت! قال في إمتاع الأسماع: ٤ / ٢٤٧: وأخذ خالد بن عرفطة مصاحف ابن مسعود، فأغلى الزيت وطرحها فيه... وقاتل مع معاوية، فلما كانت أيام المختار بن أبي عبيد، أخذه فأغلى له زيتا وطرحه فيه). ومات سنة ٦٤ (تقريب التهذيب / ١٨٩، وفي كاشف الذهبی: ١ / ٣٦٦ سنة ٦١).

والحجة تامة على ابن عرفطة في معاداته لعلي (عليه السلام) وقتله الحسين (عليه السلام)، لأنه اعترف بأنه سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يحذرهم: (إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي) رواه الطبراني الكبير: ٤ / ١٩٢، قال في الزوائد: ٩ / ١٩٤: رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير عمارة وعمارة وثقه ابن حبان). كما اعترف ابن عرفطة بأن النبي (صلى الله عليه وآله) حذره شخصا من الفتنة وقتل أهل بيته (صلى الله عليه وآله)! كما في مسند أحمد: ٥ / ٢٩٢: (قال قال لي رسول الله (ص): يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت

أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل). (ورواه الحاكم: ٣ / ٢٨١، و: ٤ / ٥١٧، وابن شيبه: ٨ / ٦٠٥، والطبراني الكبير: ٤ / ١٨٩، وبخاري في تاريخه: ٣ / ١٣٨، ونعيم في الفتن / ٨٧، أو ١٥٦، وابن عاصم في الديات / ٢١، وابن الأثير في أسد الغابة: ٢ / ٨٨، والسيوطي في الدر المنثور: ٢ / ٢٧٥، والضحاك في الأحاد والمثاني: ١ / ٤٦٦، والعجلوني في كشف الخفاء: ٢ / ١٣٤، والألباني في إرواء الغليل: ٨ / ١٠٤، وقال: (من طريق علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عنه، سكت عنه الحاكم والذهبي. وعلي بن زيد هو ابن جدعان سئ الحفظ لكن الأحاديث التي قبله تشهد له).

معاوية المريض بالشك بالنبي (صلى الله عليه وآله) يمتحن علم الإمام الحسن (عليه السلام)

تدلنا الرواية التالية على عدم إيمان معاوية، بل وسوء نظرتة إلى النبي وأهل بيته (صلى الله عليه وآله)، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لما صالح الحسن بن علي (عليهما السلام) معاوية جلسا بالنخيلة فقال معاوية: يا أبا محمد بلغني أن رسول الله كان يخرص النخل فهل عندك من ذلك علم؟ فإن شيعتكم يزعمون أنه لا يعزب عنكم علم شئ في الأرض ولا في السماء؟! فقال الحسن (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يخرص كيلا وأنا أحرص (لك) عدا! فقال معاوية: كم في هذه النخلة؟ فقال الحسن (عليه السلام): أربعة آلاف بسرة وأربع بسرات! فأمر معاوية بها فصرمت وعدت فجاءت أربعة آلاف وثلاث بسرات! فقال: والله ما كذبت ولا كذبت! فنظر فإذا في يد عبد الله بن عامر بن كريز بسرة! ثم قال: يا معاوية أما والله لولا أنك تكفر لأخبرتكم بما تعمله! وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في زمان لا يكذب وأنت تكذب وتقول: متى سمع من جده على صغر سنه! والله لتدعين زيادا، ولتقتلن حجرا، ولتحملن إليك الرؤوس من بلد إلى بلد! فادعى زيادا، وقتل حجرا، وحمل إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي!). (البحار: ٤٣ / ٣٣٠ وفرج المهموم لابن طاووس / ٢٢٥).

فمعاوية يريد أن يمتحن الإمام الحسن (عليه السلام) فيقول له بأسلوب السخرية والشك: بلغني أن جدك محمدا كان عنده علم يخمن به مقدار حمل النخلة من الرطب فيصيب،

وهاهم شيعتكم يا بني هاشم يدعون لجدكم ولكم علم الغيب! فهل عندك من هذا العلم شيء؟! فأخبره الإمام (عليه السلام) بأن عنده من علم جده، مما علمه الله تعالى، ثم أخبره بعدد حبات الرطب على النخلة، وبما سيكون منه، وأتم عليه الحجة! لكن أنى لمعاوية المسكين أن ينتفع ببرهان وهو لا يرى إلا ماديات الدنيا، وإن رأى غيرها فهي ومضة نور تمر عليه عابرة: كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون). (البقرة: ١٧). فلو كان يرى غير الماديات لما أجاب أنصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالجواب المادي التالي عندما سمع شكواهم من سياسة الإفكار التي اتبعها معهم! (قدم معاوية بن أبي سفيان حاجاً في خلافته فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذين استقبلوه ما فيهم أحد من الأنصار، فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالها لم تستقبلني؟ فقيل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب (خيول). فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ (جمالهم التي تسقي زرعهم، وهو إهانة يستعملها أهل مكة للأنصار) فقال قيس بن سعد بن عبادة وكان سيد الأنصار وابن سيدها: أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون! فسكت معاوية! فقال قيس: أما إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إلينا أنا سنلقي بعده إثرة (أي استئثرا عليكم وظلماً) فقال معاوية: فما أمركم به؟ فقال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه! (الإحتجاج: ٢ / ١٥). هكذا! بكل وقاحة: إصبروا على حكمي حتى تلقوا نبيكم في الآخرة وتشتكوا له علي! فالمهم أن لا تثوروا علي ولا تمسوا دنياي! فكيف لمثل هذا الشخص أن يرى أعلى من ماديات الدنيا؟! *

مسكين معاوية! فقد كان يحلم أن يتأمر على رقاب العرب والمسلمين، ويبنى لأسرته إمبراطورية تمتص دولة نبي بني هاشم (صلى الله عليه وآله) الإسلامية، وتمتد في ذريته سلالات (خلفاء الله في أرضه) كقياصرة الروم وأكاسرة الفرس! وقد دفع لذلك ثمننا باهظا من إزهاق أرواح الناس وهدر كراماتهم وأموالهم!

لكنه لم يكن يعلم أن ابنه يزيدا سوف يدمر كل ما بناه في سنتين، ثم [اتي حفيده معاوية بن يزيد فيعلن للمسلمين (إن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهنا بعمله، ثم تقلده أبي ولقد كان غير خليق به فركب ردعه واستحسن خطاه) (البدء والتاريخ / ٤٥٤، وتاريخ مختصر الدول / ٩١). وأنه سيطلب من بني أمية أن يفوضوه ليرجع الخلافة إلى أهلها! وأن بني أمية سيدفنونه مع أستاذه، ولا يبقى من ذرية معاوية إلا أطفال يزيد الصغار! فيتلقفها العجوز مروان بن الحكم وبنوه ويطفؤون ذكر آل أبي سفيان، بل سيصفه عبد الملك بالمداهن، ويصف يزيدا بالمأبون! (العقد الفريد / ١١٠٣)!

وبسبب هذه الحقيقة أجاب الإمام الصادق (عليه السلام) عن سؤال عن العقل و (عقل) معاوية فقال: (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، أما الذي كان في معاوية فهو الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل). (الكافي: ١ / ١١). وكيف يكون عاقلا من يسفك دماء الآلاف ويرتكب العظائم لهدف تافه وحلم زائل!؟

رجوع الإمام الحسن (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) إلى المدينة قال المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١٥: (ولما استقر الصلح بين الحسن (عليه السلام) وبين معاوية على ما ذكرناه، خرج الحسن (عليه السلام) إلى المدينة فأقام بها كاظما غيظه، لازما منزله منتظرا لأمر ربه جل اسمه، إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد، فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت زوجة الحسن (عليه السلام) من حملها على سمه، وضمن لها أن يزوجه بابنه يزيد، وأرسل إليها مائة ألف درهم، فسقته جعدة السم فبقي (عليه السلام) مريضا أربعين يوما، ومضى لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، فكانت خلافته عشر سنين، وتولى أخوه ووصيه الحسين (عليه السلام) غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، بالبيع).

معاوية يعرض على الإمام الحسن (عليه السلام) أن يكون قائد جيش عنده! دعا النبي (صلى الله عليه وآله) على معاوية أن لا يشبع! فلم يشبع لا من طعام ولا دنيا، فكان يطعم في تحويل كل الناس لخدمة مشروعه الأموي! قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤٣: (ثم إن الحسن شخص إلى المدينة وشيعة معاوية إلى قنطرة الحيرة وخرج على معاوية خارجي فبعث إلى الحسن من لحقه بكتاب يأمره فيه أن يرجع فيقاتل الخارجى وهو ابن الحوساء الطائي، فقال الحسن: تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأمة وأفتهم أفتراي أقاتل معك؟!). وفي الروائع المختارة / ١٠٧: (لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك). وفي الإمامة والسياسة: ١ / ١٨٣: (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فوجده). انتهى. فأرسل معاوية فرسان الشام إلى ابن الحوساء فانهزموا! فأجبر أهل الكوفة على قتاله فقاتلوه!!

الفصل الرابع
ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن (عليه السلام) وتلميذها لمعاوية

(١٢٣)

عملهم لتشويه شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) وتلميع شخصية معاوية!
إذا أردت تعرف معنى دس السم في العسل، فانظر إلى أحاديثهم عن الإمام الحسن
(عليه السلام) ففيها أنواع من السم مدسوسة في عسل! ظاهرها المدح للإمام الحسن
(عليه السلام) وباطنها المدح لبني أمية والذم لعلي والحسين والإمام الحسن (عليهم
السلام)! لذلك عليك أن تحذر من كل ما رووه عن الإمام الحسن (عليه السلام)! فقد
صوروه وكأنه خرج من العترة وبيني هاشم ودخل في الحزب القرشي، وصار لا يؤمن
بحق العترة النبوية بالإمامة والخلافة، لأنه لا يجوز أن تجتمع النبوة والإمامة في بني
هاشم! بل الخلافة حق إلهي لبطن قريش جميعا وخاصة لبني أمية!
وصوروه كأنه ضد أبيه (عليهما السلام) وضد حرب الحمل وشفين! وكذبوا عليه أنه
أوصى أخاه الإمام الحسين (عليه السلام) أن لا يخرج على بني أمية!
ثم زعموا أن الحسن (عليه السلام) شبيه بالنبي (صلى الله عليه وآله) والحسين شبيه
بعلي (عليه السلام)! ثم أرادوا أن ينصفوا الحسن والحسين (عليهما السلام) فقالوا إن
الحسن شبيه بجده إلى سرتة والحسين شبيه به من سرتة إلى قدمه، وكأنهم رأوا ذلك
من النبي (صلى الله عليه وآله) والحسين (عليهما السلام)!

١ - بخاري يمدح معاوية ويطن ذم الإمام الحسن (عليه السلام)!
قال في صحيحه: ٣ / ١٦٩: (باب قول النبي (ص) للحسن بن علي رضي الله عنهما:
ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين. وقوله جل ذكره: فأصلحوا
بينهما... عن أبي موسى قال: سمعت الحسن (البصري) يقول: استقبل والله الحسن بن
علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص إنني لأرى كتائب لا تولي حتى
تقتل أقرانها! فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين! إن

قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟! فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: إذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال! وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به. فما سألهما شيئا إلا قالوا نحن لك به، فصالحه! فقال الحسن (البصري): ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

وقال بخاري: ٨ / ٩٨: (باب قول النبي (ص) للحسن بن علي: إن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين... الحسن (البصري) قال: لما سار الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى معاوية بالكثائب، قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر أحرأها! قال معاوية: من لذراري المسلمين؟ فقال: أنا. فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة: نلقاه فنقول له الصلح). انتهى. ونحوه في مستدرك الحاكم: ٣ / ١٧٤، وفيه: (فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له وبايعه بالخلافة على شروط ووثائق، وحمل معاوية إلى الحسن مالا عظيما! يقال خمس مائة ألف ألف درهم، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وإنما كان ولي قبل أن يسلم الأمر لمعاوية سبعة أشهر وأحد عشر يوما). انتهى.

لقد اختار بخاري من بين عشرات الروايات التي حفلت بها المصادر ورواها

شيوخ بخاري، عن خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) وحربه وصلحه مع معاوية، هذه الرواية الكاذبة الخبيثة التي تصور الأمر وكأن فتى الصراع على حق وليس فيهما فئة باغية وأن النبي (صلى الله عليه وآله) وصفهما بأنهما: (فتن عظيمتين من المسلمين)! ثم صور بخاري جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه كتائب أمثال الجبال جاهزة للحرب، لكن معاوية فكر في حفظ دماء المسلمين لتقواه، فأرسل زعيمين من بني أمية إلى الإمام الحسن (عليه السلام) ليعطياه ما يريد، فوجداه يريد المال فأعطياه ملايين وتم الصلح!

فهل بعد هذا مسخ وتزوير وافتراء على سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة، من أجل تلميع شخصية معاوية القاتل الدموي الطليق بن الطليق؟! أليس بخاري هو الذي روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن عمارا تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! فكيف صار معاوية الذي وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه إمام ضلال يدعو المسلمين إلى جهنم حريصا على دماء المسلمين ومصالحهم؟! وهل أخطأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصفه لمعاوية فلم يذكر تقواه؟

ومتى كانت قوات الإمام الحسن (عليه السلام) كأمثال الجبال التي فسرها شارح بخاري: (أي لا يرى لها طرف لكثرتها كما لا يرى من قابل الجبل طرفه) (فتح الباري: ١٣ / ٥٣)

ومتى كان الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الشخصية الضعيفة والمادية التي صورها الأمويون للناس! وسوقها بخاري ليغش بها أجيال المسلمين؟! قال ابن حجر في الفتح: ١٣ / ٥٥: (فقال معاوية: إذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، أي ما شاء من المال. وقولا له: أي في حقن دماء المسلمين بالصلح. واطلبا إليه: أي أطلبنا منه خلعه نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لمعاوية، وابدلا له في مقابل ذلك ما شاء..). انتهى. فالمسألة إذن مالية! وسبط الرسول سيد شباب أهل الجنة

إنما هو عند هؤلاء تاجر بخلافة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)!!
والعجيب أن ابن حجر روى بعد هذا وصححه سنده، أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد
شرط على معاوية أن تكون الخلافة له من بعده! واعترف بأن معاوية نقض الشروط
ونكث العهود كلها ولم يف له بشئ أبدا! فهل بقيت له شرعية؟!
قال: (وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح... وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح
ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه: أن اشترط ما شئت فهو
لك... فلم ينفذ للحسن من الشرطين شئ!... وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق عبد الله
ابن شوذب قال: لما قتل علي سار الحسن بن علي في أهل العراق ومعاوية في أهل
الشام فالتقوا، فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده).
انتهى.

تأثير بخاري على ثقافة المذاهب!

من تأثيرات بخاري على المذاهب مساواته الفئة الباغية بالفئة المحقة، ومساواته عليا
والحسن (عليهما السلام) بمعاوية! بل لقد جعل معاوية أفضل منهما بدرجة! وجعل
موقف الحسن تخطئة لأبيه (عليهما السلام)، فخلط الأوراق لمصلحة بني أمية!
فإن لم يكن هذا تشويها للتاريخ، فكيف يكون التشويه؟!
أنظر إلى ما قاله ابن حجر في شرحه: ١٣ / ٥٧: (وفي هذه القصة من الفوائد علم من
أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلّة ولا لذلة ولا لعلّة بل لرغبته
فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة! (يعني
كان أفضل من أبيه)! وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون عليا ومن معه
ومعاوية ومن معه بشهادة النبي (ص) للطائفتين بأنهم من المسلمين، ومن ثم كان
سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث: قوله من

المسلمين يعجبنا جدا! (يعجبهم: لأنه يساوي بين الحق والباطل والإمام الشرعي بالنص والغاصب المتغلب، وبين الفئة الباغية والمبغى عليها، وبين الدعاة إلى النار والدعاة إلى الجنة!).

ثم قال ابن حجر: (وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس ولا سيما في حقن دماء المسلمين ودلالة علي رافة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين وقوة نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب. ((وبهذا يكون أحق بالخلافة من الإمام الحسن (عليه السلام))! وفيه ولاية المفضول بالخلافة مع وجود الأفضل، لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الحياة وهما بدريان. قاله ابن التين! (فيكون الإمام الحسن (عليه السلام) كمعاوية، ويكون أي بدري أفضل من سيد شباب أهل الجنة والإمام بنص النبي (صلى الله عليه وآله))! ثم قال ابن حجر: وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحا للمسلمين والنزول عن الوظائف الدينية والدينية بالمال وجواز أخذ المال على ذلك. (يعني أن الإمام الحسن (عليه السلام) خلع نفسه وباع الخلافة بيعا!) واستدل به على تصويب رأي من قعد عن القتال مع معاوية وعلي، وإن كان علي أحق بالخلافة وأقرب إلى الحق، وهو قول سعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة، وسائر من اعتزل تلك الحروب! (يعني أن موقف الحياد والتخلف عن علي هو الصحيح، مع أن عليا (عليه السلام) مع الحق بنص النبي (صلى الله عليه وآله) الصحيح عندهم، وفتته الفئة المحقة بنص النبي (صلى الله عليه وآله) الصحيح عندهم، ومع أن ابن عمر ندم وخطأ نفسه مرارا لتخلفه عن بيعة علي (عليه السلام) وعدم جهاده بني أمية معه!)

ثم قال ابن حجر: وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي امتثال قوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. الآية.. ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أن من قاتل عليا كانوا بغاة، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا (يعني أن معاوية وحزبه بغاة ظالمون دعاة إلى النار وقتالهم فريضة، ودمائهم هدر وقتلهم طاعة لله وقربة، والى جهنم وبئس المصير، لكنهم مجتهدون مأجورون في دعوتهم المسلمين إلى جهنم!). ثم قال ابن حجر:

(ذهب طائفة قليلة من أهل السنة وهو قول كثير من المعتزلة، إلى أن كلا من الطائفتين مصيب وطائفة إلى أن المصيب طائفة لا بعينها). انتهى.

فانظر إلى هذا التزوير والهروب من قول الحق، وتعمد الخلط والإمعان فيه! على أنه لا بد لنا أن نشكر ابن حجر وغيره، لأنهم كشفوا عن أن بعض الرواة أضافوا إلى الحديث صفة (عظيمتين)! فوضعوا يدنا على واحد من التزويرات الأموية في نص الأحاديث، وأعطونا الحق في أن نشك في أصل الحديث، لأنه موظف بالكامل لمصلحة بني أمية ولأن شهادتهم بالتزوير الجزئي توجب الشك في الكل! قال ابن حجر: (قوله: بين فئتين من المسلمين، زاد عبد الله بن محمد في روايته عظيمتين وكذا في رواية مبارك بن فضالة، وفي رواية علي بن زيد كلاهما عن الحسن عند البيهقي... ولفظه عند الطبراني والبيهقي: قال للحسن إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين. قال البزار: روي هذا الحديث عن أبي بكر وعن جابر، وحديث أبي بكر أشهر وأحسن إسنادا وحديث جابر غريب). انتهى. وفي تحفة الأحوذى: ١٠: ١٨٩: (زاد البخاري في رواية: عظيمتين). وقال الألباني في إرواء الغليل: ٦ / ٤١: (وزاد: ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. زاد أصحاب السنن: عظيمتين)! انتهى.

فهذه شهادة من كبارهم بكذب الرواة في قسم من هذا الحديث لمصلحة بني أمية! وقد فاق العجلي الوضاعين فوصف الفئتين بالمؤمنين! قال: (ويصلح الله به بين فئتين من المؤمنين عظيمتين)! (الثقات: ١ / ٢٩٧).

لكن ابن حجر فاق الجميع جميعا في تبنيه أقوال المغالين في بني أمية، فزعم أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان شاكا في أنه أهل للخلافة وأحق بها من معاوية فاحتاط لدينه وأعطاهما إلى معاوية! قال في فتح الباري: ١٣ / ٥٣: (قال ابن بطال: ذكر أهل

العلم بالأخبار أن عليا لما قتل سار معاوية يريد العراق وسار الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة، فنظر الحسن إلى كثرة من معه فنادى: يا معاوية إني اخترت ما عند الله فإن يكن هذا الأمر لك فلا ينبغي لي أن أنزعك فيه، وإن يكن لي فقد تركته لك! فكبر أصحاب معاوية! وقال المغيرة عند ذلك: أشهد أنني سمعت النبي (ص) يقول: إن ابني هذا سيد.. الحديث..). انتهى.

فتأمل في " سيناريو " ابن بطلال الذي تبناه ابن حجر واسأله: من هؤلاء أهل العلم بالأخبار؟ أليست الأخبار التي رويتها وصححتها في الصلح؟! فلماذا تركتها وتبنت رواية ابن بطلال اللقيطة التي سندها: (ذكر أهل العلم بالأخبار)! لا يغرك أبناء بطلال وتيمية وحجر وأمثالهم، فهم أمويون أكثر من بني أمية! وعندما ترى أحدهم يقول (قال أهل العلم) فاعرف أنه قول شخص مغمور أخفاه لمهاتته، أو هو قوله هو يلبسه لأهل العلم ليغش به المسلمين!

هذا، وينبغي أن تعرف أن بخاري المحب لمعاوية المتعصب له، مضطر لأن يستعمل الأسلوب المبطن والتقية في صحيحه، لأنه كتبه للمتوكل العباسي الذي هو مثله! لكنه يخشى بني العباس إن مدح معاوية، وإلا لكشف عن دحيته!

٢ - طعنهم في أمير المؤمنين (عليه السلام) على لسان ولده الإمام الحسن (عليه السلام)!

من ذلك ما رواه النووي في المجموع: ١٩ / ٢٠٢ عن الإمام الحسن (عليه السلام) أنه عندما رأى محمد بن طلحة قتيلا فقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون هذا فرع قريش والله! فقال له أبوه ومن هو يا بني؟ فقال محمد بن طلحة. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إن كان ما علمته لشابا صالحا، ثم قعد كئيبا حزينا! فقال له الحسن: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان! قال قد كان ذلك يا

بني، فلوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة). انتهى.
أقول: يقصد الراوي الوضاع بفلان وفلان عمارا والأشتر رضوان الله عليهما، فهما يمينا علي (عليه السلام) بتعبير معاوية، وهما من أبعض الناس لأتباع بني أمية! ولهذا يحاولون تصوير أنهما دفعا أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى حرب الجمل وحرب صفين، وأن الإمام الحسن نصحه وأمره بعدم الحرب فلم يقبل منه، ثم ندم أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما رأى ابن طلحة العدوي القرشي مقتولا، فتأسف وتمنى أنه مات هو من عشرين سنة!

بل تفاقم كذبهم على الإمام الحسن (عليه السلام) فنسبوا إليه أنه رأى مناما أن القيامة قامت وأن أبا بكر وعمر نجا وتمسكا بحزام النبي (صلى الله عليه وآله) لكنه لم ير عليا معهما! بل رأى الدم ينصب على الأرض! روى الطبراني في الكبير: ٣ / ٩١ (فلفلة الجعفي قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله عنه يقول: رأيت النبي (ص) في المنام متعلقا بالعرش ورأيت أبا بكر رضي الله عنه أخذ بحقوي النبي (ص) ورأيت عمر أخذ بحقوي أبي بكر ورأيت عثمان أخذ بحقوي عمر. ورأيت الدم ينصب من السماء إلى الأرض! فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده قوم من الشيعة فقالوا: وما رأيت عليا؟ فقال الحسن: ما كان أحد أحب إلي أن أراه أخذ بحقوي النبي من علي، ولكنها رؤيا رأيتها! انتهى.

والكذب والخبث واضحان في هذه الرواية لكل مسلم بل كل منصف!
٣ - كذبهم عليه بأنه كان ضد نهضة أخيه الحسين (عليهما السلام)!
تبنى الذهبي في سيره: ٣ / ٢٧٨ قول ابن عبد البر: (قال: وروينا من وجوه: أن الحسن لما احتضر قال للحسين: يا أخي: إن أباك لما قبض رسول الله (ص)، استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه، فلما احتضر أبو بكر تشرف أيضا لها

فصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى إلى أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما قتل عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها، فما صفا له شيء منها!

وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفن استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك! وقد كنت طلبت إلى عائشة أن أدفن في حجرتها فقالت نعم، وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياء، فإذا ما مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعونك فإن فعلوا فادفني في البقيع.

فلما مات قالت عائشة: نعم وكرامة، فبلغ ذلك مروان فقال: كذب وكذبت. والله لا يدفن هناك أبدا! منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن حسن في بيت عائشة! فلبس الحسين ومن معه السلاح واستلأم مروان أيضا في الحديد ثم قام في إطفاء الفتنة أبو هريرة. أعادنا الله من الفتن، ورضي عن جميع الصحابة، فترض عنهم يا شيعي تفلح، ولا تدخل بينهم فالله حكم عدل). (وأوله في تاريخ الخلفاء / ١٥٠، والتحفة اللطيفة: ١ / ٢٨٢، ونفحات الأزهار: ٤ / ٢٤٤ عن الإستيعاب: ١ / ٣٩١).

أقول: معنى هذه الرواية وأمثالها أن عليا والحسين (عليهم السلام) كانا طامعين في الحكم والدينيا، وأن الإمام الحسن كان خيرا منهما (عليهم السلام) ولذلك فهو ينصح أخاه الحسين أن لا يخرج على يزيد ولا يطلب الدنيا، ولكنه لم يطعه! وهذا هو رأي بني أمية تماما، وهو تزوير للحقيقة وطعن في دين العترة الطاهرة الذين مدحهم الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) بأنهم فوق الدنيا وأنهم سادة أهل الجنة!

ومما يزيدك معرفة بوظيفة هذه الرواية ما رواه الهيثمي في موارد الظمآن: ٧ / ١٩٩: (عن الشعبي قال: بلغ ابن عمر وهو بمال له أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة يومين أو ثلاثة فقال: إلى أين؟ فقال: هذه كتب أهل

العراق وبيعتهم، فقال: لا تفعل فأبى! فقال له ابن عمر: إن جبريل أتى النبي (ص) فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنكم بضعة من رسول الله كذلك يريدكم بكم، فأبى! فاعتنقه ابن عمر وقال: أستودعتك الله والسلام).

تحذير من الدس القرشي في وصية الإمام الحسن (عليه السلام) يبدو أننا نحتاج في كل فصل من سيرته (عليه السلام) إلى التحذير من الدس الأموي والقرشي في أحاديثه! والقاعدة لكشف ذلك: أن المدسوس يتضمن تنقيصاً بشخصية المعصوم (عليه السلام) ويتنافى مع سموها الذي نص عليه النبي (صلى الله عليه وآله) أو يتضمن تبريراً لأعمال السلطنة، أو يدعو لقبول الحاكم، وينتهي عن مبدأ الخروج عليه. وبعض الدس ظاهر وبعضه خفي، تسرب منه إلى مصادرنا مع الأسف!

ومن أمثلته هنا، قولهم إن الإمام الحسن أوصى أخاه الحسين (عليهما السلام) أن لا يطلب الخلافة وأن لا يخرج علي بن أمية كما تقدم!

ومنه قولهم إن الإمام الحسن (عليه السلام) جزع عند الموت، وقال إنه لا يعرف مصيره إلى الجنة أو النار! فطمأنه الحسين (عليه السلام) فاطمأن، أو لم يطمئن فبكى معه! قال ابن كثير: ٤٧ / ٨: (وقال أبو نعيم: لما اشتد بالحسن بن علي الوجع، جزع فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسديك فتقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جدك النبي (ص) وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب، قال: فسرى عنه. وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين وأن الحسن قال له: يا أخي إنني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط! قال: فبكى الحسين رضي الله عنهما. رواه عباس الدوري عن ابن معين، ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه

فذكر نحوهما). (ونحوه تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٦).
وأسوأ منه ما في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٧: (لما حضر الحسن بن علي الموت بكى
بكاء شديدا! فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي وإنما تقدم على رسول الله (ص)
وعلى علي وفاطمة وخديجة وهم ولدوك، وقد أجرى لك على لسان نبيه أنك سيد
شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك
خمس عشرة مرة حاجا! وإنما أراد أن يطيب نفسه. قال: فوالله ما زاده إلا بكاء
وانتحابا، وقال: يا أخي أني أقدم على أمر عظيم مهول لم أقدم على مثله قط!! انتهى.
فهذا دس ينتقص من مقام الإمام (عليه السلام) ويلغي قول النبي (صلى الله عليه وآله):
الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة! ويتضمن التهوين من المقام العظيم الذي بلغه
النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أمته، وعبر عنه الراوي الكاذب باستخفاف بقوله: (وقد
أجرى لك على لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة)! وكأنه شئ جرى على لسان
النبي (صلى الله عليه وآله) من نفسه، لا وحيا يوحى! ثم تضيف الرواية القرشية أن
الإمام الحسن (عليه السلام) لم يطمئن بذلك بل زاد بكاءه وانتحابه، وكأنه لا يؤمن
بكلام جده (صلى الله عليه وآله)! وقد تكرم بعضهم بالقول إن الإمام الحسن (عليه
السلام): (سري عنه) أي ارتاح شيئا ما! (سبل الهدى: ١١ / ٧٠).
وقد تسربت بعض رواياتهم إلى مصادرنا مع الأسف، كما في رواية مناقب آل أبي
طالب: ٣ / ٢٠٣ قال: (وحكي أن الحسن (عليه السلام) لما أشرف على الموت قال
له الحسين (عليه السلام): أريد أن أعلم حالك يا أخي؟ فقال الحسن: سمعت النبي لا
يفارق العقل منا أهل البيت ما دام الروح فينا، فضع يدك في يدي حتى عاينت ملك
الموت أغمز يدك، فوضع يده في يده فلما كان بعد ساعة غمز يده غمزا خفيفا، فقرب
الحسن أذنه إلى فمه فقال: قال لي ملك الموت: أبشر فإن الله عنك راض

وجدك شافع). انتهى. ولعل ابن شهر آشوب (رحمه الله) عبر عنها (رحمه الله) ب (حكى) لأنها تزعم أن الحسن والحسين (عليهما السلام) شكوا في قول جدهما إنهما: (سيدا شباب أهل الجنة)!!

إنها وأمثالها نقات من حسدهم للأئمة الطاهرين (عليهم السلام) عندما رأوهم يواجهون الموت باستبشار ويقين لا مثيل له، كقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (فرت ورب الكعبة)! فقد أرادوا أن يساووا بينهم وبين القرشيين والأمويين الذين انفضح أمرهم عند موتهم واشتهر جزعهم وصرائحهم! وتمنى بعضهم لو أنه كان ترابا! وبعضهم لو كان خروفا! وبعضهم لو كان تينة! وبعضهم زاد صراخه فتمنى لو كان عذرة! كما ينبغي التنبيه إلى أن بعضهم نسبوا إلى الإمام الحسن (عليه السلام) كلام الحسن البصري وحالاته! وأين الثريا من الثرى! قال الذهبي في سيره: ٤ / ٥٨٧: (عن يونس قال: لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع فقام إليه ابنه فقال: يا أبت قد غممتنا فهل رأيت شيئا، قال: هي نفسي لم أصب بمثله). انتهى. فنسبوا هذا الكلام بعينه إلى الإمام الحسن (عليه السلام)! وأخذته عنهم بعض مصادرنا مع الأسف، ولم تتنبه لما فيه من الحط من مقام الإمام (عليه السلام)! وقد تنبه الإربلي (رحمه الله) إلى بعضها دون بعض فقال في كشف الغمة: ٢ / ٢١٠ ونحوه ١٧٤: (روي أنه لما حضرت الحسن بن علي الوفاة كأنه جزع عند الموت فقال له الحسين (عليهما السلام) كأنه يعزيه: يا أخي ما هذا الجزع! إنك ترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وهما أبواك، وعلي خديجة وفاطمة وهما أمك، وعلي القاسم والطاهر وهما خالاك، وعلي حمزة وجعفر وهما عمك! فقال له الحسن (عليه السلام): أي أخي إنني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقا من خلق الله لم أر مثله قط! قال فبكى الحسين). انتهى.

ولو تتبعت أن أصل الرواية أخذها السيوطي في الخلفاء / ١٥٠ من كتاب الطيوريات ومن كتاب ابن طرار المجلس الصالح / ٧٧٦!

وأخيراً، نشير إلى كذب الأمويين على الإمام الحسن (عليه السلام) أنه كان ييكي عند وفاته خوفاً من أن يخطب حفيد عثمان بعد موته فاطمة بنت الحسين (عليه السلام)، وأنها أعطت عمها العهد أن لا تقبل به فهدأ، ثم نقضته بعد وفاته وتزوجت به! (نسب قريش للزبيرى / ٣٣، وأخبار النساء لابن قيم الجوزية / ٨٣، وذم الهوى لابن الجوزي / ٦٤٨، وتاريخ دمشق: ٧٠ / ١٧، ومقاتل الطالبين / ١٣٨، وأعيان الشيعة: ٨ / ٣٨٨ عن الأغاني)

٤ - زعمهم أن الإمام الحسن يشبه النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يشبه علياً (عليهما السلام)

أشرنا إلى أنهم وضعوا روايات بأن الحسن (عليه السلام) شبيه بجده (صلى الله عليه وآله) وليس شبيهاً بأبيه علي (عليه السلام)! ومعناه أن علياً (عليه السلام) أراد الدنيا فحارب معاوية، أما الحسن (عليه السلام) فلم يرد الدنيا فصالح معاوية! وأن الحسين (عليه السلام) شبيه بعلي وليس شبيهاً بالنبي (صلى الله عليه وآله) لأنه خرج علي يزيد وطلب الدنيا!

وزعموا أن أبا بكر بفراسته الخارقة كان يتفأدل خيراً بالحسن ويقول إنه يشبه جده النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يشبه علياً! قال بخاري: ٤ / ١٦٤ و ٢١٧ إن أبا بكر خرج بعد صلاة العصر: (يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي يضحك!) وفي فضائل الصحابة للنسائي / ١٩ (فوضعه على عنقه). وفي مستدرک الحاكم: ٣ / ١٦٨ (فضمه إليه) وفي ثقات العجلي: ١ / ٢٩٧: (فاستقبل الحسن بن علي عنه فأخذه أبو بكر فجعل يقبله ويقول..) وفي مسند أحمد: ١ / ٨، وتاريخ دمشق: ١٣ / ١٧٤: (بعد وفاة النبي (ص) بليال وعلي يمشى إلى جنبه فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان فاحتمله علي رقبتة وهو يقول.. فأخذه فحمله على عنقه) وفي تاريخ دمشق: ١٣ / ١٧٥ (رأيت أبا بكر يحمل الحسن بن علي ويقول...) وفي الطبراني الكبير: ٣ / ٩١: (وحمل أبو بكر الحسن بن علي على عاتقه ولعابه يسيل وعلي إلى جانبه، وجعل أبو بكر يقول).

ونقاط الضعف في روايتهم كثيرة، من أبسطها: كيف استطاع أبو بكر على ضعفه وهرمه أن يحمل الإمام الحسن (عليه السلام) وهو رشيد الجسم ابن ثمان سنوات؟! ومنها: أن روايتهم انتقلت من لسان أبي بكر إلى لسان الزهراء (عليها السلام) وأنها كانت: (تنقز الحسن بن علي (ترقصه) وتقول: بأبي شبه النبي * ليس شبيها بعلي) (أحمد: ٦ / ٢٨٣).

ومنها: أن وظيفة الرواية أن أبا بكر قال لعلي إن الحسن خير منك لأنك تطلب الخلافة وتعارضني والحسن لا يطلبها! لكنهم ناقضوا أنفسهم فروى بخاري نفسه وغيره أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان أشبههم بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله)! قال في صحيحه: ٤ / ٢١٦: (عن أنس بن مالك: أتني عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله وكان مخضوبا بالوسمة).

وفي سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٥، والطبراني الكبير: ٣ / ١٢٥: (فجئ برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسنا). (ومسند أحمد: ٣ / ٢٦١، ومسند أبي يعلى: ٥ / ٢٢٨، وصحيح ابن حبان: ١٥ / ٤٢٩، وتاريخ دمشق: ١٤ / ١٢٦ و ١٢٧، وأسد الغابة: ٢ / ٢٠).

لكن الكذبة الأمويين لا يضيق عليهم مسلك! فقد حلوا تناقض بخاري وغيره بأن الحسن يبقى أفضل من الحسين (عليهما السلام) لأنه يشبه جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) من رأسه إلى سرتة، بينما الحسين (عليه السلام) يشبهه من سرتة إلى قدمه! وبما أنك قد تسأل الراوي: وهل رأيت القسم الأسفل من الحسين والنبي (صلى الله عليه وآله)؟! فقد وضع الحديث على لسان علي (عليه السلام)! قال الطيالسي في مسنده / ٢٠: (كان الحسن بن علي أشبه الناس برسول الله (ص) من وجهه إلى سرتة، وكان الحسين أشبه الناس بالنبي (ص) ما أسفل من ذلك)! وفي تاريخ أبي الفداء / ٢٣١: (من سرتة إلى قدمه).

وفي مسند أحمد: ١ / ٩٩: (عن هانئ عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه الناس برسول الله (ص) ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه الناس بالنبى ما كان أسفل من ذلك). (ونحوه مجمع الزوائد: ٩ / ١٧٦، ومسند أبي يعلى: ٦ / ٢٧٦ وصحيح ابن حبان: ١٥ / ٤٢٩، والذرية الطاهرة النبوية / ١٠٤، وتاريخ دمشق: ١٤ / ١٢٥ و ١٢٧، وغيرها.

راجع تمحلاتهم لتصحيح روايتي بخاري: فتح الباري: ٦ / ٤١١ و ٧ / ٧٥، ومقدمته (٤٧٤ /).

وراجع أحاديثهم الكثيرة في أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان أشبههم بالنبى: (صلى الله عليه وآله) تاريخ دمشق: ١٣ / ١٧٦، وفتح الباري: ٦ / ٤١١، وتحفة الأحوذى: ١٠ / ١٩١، وكبير الطبراني: ٣ / ٢٤ وأبي يعلى: ٦ / ٢٧١، والإصابة: ٢ / ٦٢، وتاريخ دمشق: ١٣ / ١٧٨، و ١٨١، و ١٨٣، ونبلاء الذهبى: ٣ / ٢٤٩).

وراجع من روى ذلك من مصادرنا متأثرا به أو ناقلا: مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٥٩، وروضة الواعظين / ١٦٥، ومقاتل الطالبين / ١٢٧، وشرح الأخبار: ٣ / ٩٧، ودلائل الإمامة / ١٧٨).

٥ - روايات السلطة حول قبر النبى (صلى الله عليه وآله) على لسان الإمام الحسن (عليه السلام)

ومنها ما كذبوه عليه أنه قال: (إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله (ص) قال: لا تتخذوا قبوري عيدا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء!) (الجنائز للألباني / ٢٢٠، ونحوه مصنف عبد الرزاق: ٣ / ٧١).

وقد بينا في المجلد الأول أن السلطة خافت أن يستجير بنو هاشم بقبر النبى (صلى الله عليه وآله) ويطالبوا بتنفيذ وصيته بخلافة علي (عليه السلام)، فأعلنوا الأحكام العرفية عند القبر ومنعوا مجلس فاطمة الزهراء (عليها السلام) عنده، وكل تجمع أو صلاة قرب القبر، وظهر هذا الحديث وأمثاله!

أما مصادرنا فمما ثبت فيها أن الإمام الحسن (عليه السلام) قال لجده رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا أبه، ما جزاء من زارك؟ فقال: من زارني أو زار أبك أو زارك أو زار أخاك، كان حقا علي أن أزوره يوم القيامة حتى أخلصه من ذنوبه). (أمالي الصدوق / ١١٤).

**

ولا يتسع المجال لاستعراض تحريفاتهم ومكذوباتهم، وقد تسرب بعضها إلى مصادرنا مع الأسف لخفاء تحريفه وغرضه! وقد علمنا لإمام الحسن (عليه السلام) ضرورة التنبيه إلى الأهداف الخفية لبني أمية فكشف غرض معاوية من كلامه التالي في مدح بني هاشم! قال المزني في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٤١: (قال معاوية يوما في مجلسه: إذا لم يكن الهاشمي سخيا لم يشبه حسبه، وإذا لم يكن الزبيري شجاعا لم يشبه حسبه، وإذا لم يكن المخزومي تائها لم يشبه حسبه، وإذا لم يكن الأموي حليما لم يشبه حسبه! فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال: والله ما أراد الحق ولكنه أراد أن يغري بني هاشم بالسخاء فيفنون أموالهم ويحتاجوا إليه! ويغري آل الزبير بالشجاعة فيفنونوا بالقتل، ويغري بني مخزوم بالتيه فييغضهم الناس! ويغري بني أمية بالحلم فيحبهم الناس!) (وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٥٨).

**

الفصل الخامس
برنامج الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة بعد الصلح

١ - الانسحاب من المسرح السياسي ولا الدور السيء!
للعتره النبويه (عليهم السلام) معادله تقول: قيمه الحكم بقدر ما تستطيع أن تقيم فيه من حق أو تدفع من باطل. (قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت لا قيمة لها. فقال: والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا). (نهج البلاغه: ١ / ٨٠).
وهم جميعا مؤمنون بهذه القاعدة، فعندما يكون ثمن وصولهم إلى الحكم أو بقائهم فيه يتعارض معها، فموقفهم رفضه بدون تردد!
لذلك رفض علي (عليه السلام) الخلافة عندما شرطوا عليه العمل بسنة أبي بكر وعمر! وتنازل عنها الحسن (عليه السلام) عندما توقف بقاؤه فيها على انتهاج (ميكافيلية) معاوية!
فلا يمكن لعلي (عليه السلام) أن يعترف بأن سنة أبي بكر وعمر جزء من الإسلام، ولا بالأساس الذي قامت عليه، وهو الغلبة ووراثة القرشيين القبلية لمحمد (صلى الله عليه وآله)!
ولا يمكن للحسن (عليه السلام) أن يكون كمعاوية فيضع قيم الإسلام تحت قدميه ويقتل ويضرب ويسجن ويرهب، ويقرب من أطاعه وتملق له ويجعل لهم بيت مال المسلمين، ويسرقه لهم من أصحابه الشرعيين المحتاجين!
إن مشروع معاوية تأسيس ملك دنيوي لبني أمية، ومشروع الإمام الحسن (عليه السلام) إقامة الدين وإعادة دولة العدل النبوي، فهو وأخوه الحسين (عليهما السلام) ومن تبعهم، منفذون للخريطة النبوية الربانية، فإن لم يمكنهم ذلك فلا معنى للحكم عندهم، لا ابتداء ولا بقاء! فبقاؤهم في المسرح مرتبط بإمكانية أن يرسموا اللوحة النبوية

في الناس بقيمها وعدالتها، أما إذا غلب على المسرح أعداء القيم والعدل واستخذلت الأمة ولم تنصر أهل بيت نبيها (صلى الله عليه وآله) فلا بد لهم من ترك المسرح والعودة إلى العمل الفكري وترسيخ الإسلام في الأمة كدين، والتوعية على نموذج العدل النبوي، حتى يأتي يوم تطبيقه!

كنا ونحن صغار نتحرق ألما لماذا لم يقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة بدل عثمان، ويجيبهم عن شرط سنة الشيخين بجواب محمل؟ إذن لتغير التاريخ! ولماذا لم يستعمل الدهاء ضد معاوية وهو القائل: (والله ما معاوية بأدهى مني)؟ ولماذا قبل الإمام الحسن (عليه السلام) بالتنحي عن الحكم ولم يستعمل أسلوباً آخر..؟ ثم عرفنا أن المسألة أعمق من أخذ المعصوم منصباً أو بقاءه فيه، فهي قضية الصراع بين الهدى الإلهي والضلال البشري، وهي علم له معادلاته في المجتمعات والنفوس، وفي خطة الله تبارك وتعالى للأرض وإنسانها!

وله وسائله لدى الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)! وكل ذلك كان حاضراً عند علي والحسن (عليهما السلام) عندما قررا رفض الخلافة أو التخلي عنها! على أنه قرار من علم الله الممكن وأمره المطاع، كانا يعلمانه قبل مجيء وقته! لكنه لا يعني العزلة كما يفعل السياسيون، فلا رهينة في مهمة المعصوم (عليه السلام)!

٢ - العالم الأعلى الذي يعيش فيه المعصوم (عليه السلام)

بالنظرة العادية لا يمكنك أن تفهم مكونات شخصية الإمام المعصوم من عترة النبي (صلى الله عليه وآله) وكيف يعيش ويفكر ويتصرف؟ لأنه إنسان مختلف، سواء في عالمه الداخلي وعالمه الذي يحيط به. فكذلك هم الأئمة الربانيون الذين وعد الله خليله إبراهيم (عليه السلام) أن يجعلهم من ذريته في الأمة الآخرة: (أما إسماعيل، فقد استجبت لطلبك من أجله. سأباركه حقاً وأجعله مثمراً، وأكثر ذريته جداً فيكون أباً

لاثني عشر رئيسا (قيما، إماما) ويصبح أمة كبيرة). (التوراة - سفر التكوين: ١٧ - ٢٠).

فالوعد الإلهي بهم قديم وتكوينهم مميز: صنع الله الذي أتقن كل شيء. (النمل: ٨٨) لأن مهمتهم عظيمة، سواء في جيل عصرهم أو مستقبل الحياة الإنسانية! الإمام المعصوم (عليه السلام) يعيش عالم الغيب كما نعيش نحن عالم المحسوس وحضور الله عنده دائم قوي. نعم، إنه يملك في سلوكه الحرية والاختيار لكن الله يتولى رعايته في صغير أموره وكبيرها، وملائكة الله تحفظه وتسدده. ومن هنا كان عالم الإمام الحسن (عليه السلام) وتفكيره يختلف كلياً عن عالم معاوية! فمن يكون معاوية وأبو معاوية وكل الماديين في هذا البرنامج الرباني؟! الإمام الحسن (عليه السلام) يعيش في كون له رب، يديره بتكوينه وأمره ونهيه، وله أهداف في إنسانه، أرسل من أجلها رسولا (صلى الله عليه وآله) وأنزل عليه هدى وشريعة، وجعل بعده أئمة ربانيين (عليهم السلام)! فقضية الإمام الحسن (عليه السلام) أن يقوم بأعباء الإمامة وينفذ أوامر ربه وجده (صلى الله عليه وآله)، ثم ليكن ما يكون! أما معاوية فقضيته هي التي أعلنها بقوله: إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم! ثم ليكن ما يكون! وتفكير معاوية في نظر الإمام (عليه السلام) خطأ قاتل لصاحبه، ولذلك كتب إلى معاوية قبل الصلح: (وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق، حين لا ينفع الندم)! (علل الشرائع: ١ / ٢٢٠).

وبالفعل ذهب معاوية إلى ربه بعد أن حطب ما حطب، وسلم حصيلة عمره إلى ولد أهوج هدر كل جهود أبيه وجده، وهدر نفسه وأسرته! وندم معاوية حيث لا ينفع الندم! وفاز الإمام الحسن (عليه السلام) حيث ينفع الفوز، مع أبيه وأمه وجده والنبیین والشهداء والصالحين صلوات الله عليهم، في رضوان ربهم ونعيمه.

٣ - برنامج الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة بعد الصلح
عاد الإمام الحسن (عليه السلام) إلى مدينة جده (صلى الله عليه وآله)، هو وأخوه
الحسين (عليهما السلام) وبقية أبناء الرسول وبناته وكل بني هاشم.. إلى هذه المدينة
التي اختارها الله لرسوله وأسرته وجعلها حرمهم وبيتهم (عليهم السلام)، فهي تعني
عندهم الجد والأب والأم والبيت والذكريات الغالية الحنونة، وأمجاد الرسالة النازلة من
السماء.

المدينة تعني القاعدة الثابتة لهم كما لجدهم (صلى الله عليه وآله)، فتراهم (عليهما
السلام) ينطلقون منها ثم يعودون إليها. وعندما يضطرون لمغادرتها كالإمام الرضا
والجواد (عليهما السلام) يتركون فيها أبناءهم وبناتهم، ليكونوا استمرار وجودهم فيها،
فكأنهم أخذوا على أنفسهم التواجد فيها ما أمكنهم، حتى يأتي وعد الله بمهديهم (عليه
السلام)!

واستقبله الأنصار، وحفوا به كما حفوا بأبيه في الجمل وصفين والنهروان!
وكلهم معه وكلهم غاضب من بني أمية، وفي وجود الحسن (عليه السلام) ضمان لهم
من أن يستيحبهم معاوية، بحقده القديم عليهم من بدر وأحد، والجديد من صفين!
وفي وجوده بينهم قوة لهم أمام حاكم المدينة وجهازه الأموي، الذي ينظر إليهم شزرا،
كأنه يطالبهم بدم زعمائه في بدر، وبدم عثمان بالأمس!

وبقدر ما كان الأنصار يحبون الإمام الحسن (عليه السلام) ويحبهم كان معاوية
يكرههم ويكرهونه، وكان يعرف ذلك جيدا! (دخل المدينة فقصد المسجد وعلا المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنني والله وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم
لا تسرون بولايتي ولا تحبونها! وإنني لعالم بما في نفوسكم ولكني خالستكم بسيوفي
هذا مخالسة!) (تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٣).

واستمر برنامج الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة نحو عشر سنوات:
زيارة لقبر جده الحبيب (صلى الله عليه وآله) يوميا ولقبر عمه حمزة أحيانا، ومجلس
في المسجد النبوي اتخذه منبرا لرد أباطيل بني أمية، بتفسير القرآن ونشر أحاديث

جده (صلى الله عليه وآله) ومناقب أبيه والعترة الطاهرة (عليهم السلام). ومجلس أمام بيته عصرا. ومضيف للحاضر والبادي. ومتابعة لأوضاع المسلمين عامة وشيعته خاصة، وكتابة رسائل إلى معاوية وولاته، اعتراضا أو وساطة لجماعة أو لشخص.

والسفر إلى مكة للعمرة أحيانا، وللحج في كل عام في موكب مهيب خاشع، يذكر المسلمين بموكب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومهابته، حتى أن سعد بن وقاص عندما رآه أخذته هيبتة فترجل عن فرسه ومشى إلى جانب الإمام (عليه السلام) مسافة! فقد كان الإمام (عليه السلام) يمشي والخيل تقاد بين يديه، فيركب من يريد ويواسي الإمام في التواضع لربه من يريد! ولم يسجل التاريخ سفرا آخر للإمام (عليه السلام) إلا سفرات إلى الشام من أجل مجالس المناظرات والمحاضرات التي كانت بمثابة قناة فضائية حرة في عصرنا، وكان يحرص عليها معاوية، فيحولها الإمام الحسن (عليه السلام) إلى منبر لبيان حق العترة النبوية (عليهم السلام) وباطل بني أمية! **

روى في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٤١: (أن معاوية قال لرجل من أهل المدينة من قريش: أخبرني عن الحسن بن علي؟ قال: يا أمير المؤمنين، إذا صلى الغداة جلس في صلاة حتى تطلع الشمس، ثم يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله (ص) رجل له شرف إلا أتاه، فيتحدثون حتى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين ثم ينهض، فيأتي أمهات المؤمنين فيسلم عليهن فر بما أتحنفنه، ثم ينصرف إلى منزله، ثم يروح فيصنع مثل ذلك. فقال: ما نحن معه في شيء). انتهى.

أقول: معنى كلام معاوية أنه ما دام لم يخرج علينا فليس لنا به شغل! لكن معاوية يكذب! فهو يقول ذلك لتطمين الإمام الحسن (عليه السلام) والمسلمين بأنه لا يبغيه شرا كما التزم في عهد الصلح، مع أنه مشغول به ليل نهار، يتساءل هل سينقض

الصلح لعدم وفاء معاوية بشروطه؟ وهل يعد أنصاره ليعلم نفسه خليفة شرعيا بوصية جده (صلى الله عليه وآله) وبموجب الصلح، بمجرد أن يأتيه خبر موت معاوية؟! وهل يغيب عن معاوية قول القرشي الذي سأله عنه: (فلا يبقى في مسجد رسول الله (ص) رجل له شرف إلا أتاه فيتحدثون...؟!)

وفي إعلام الوري بأعلام الهدى: ١ / ٤١٢: (ما رواه محمد بن إسحاق قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بلغ الحسن بن علي (عليه السلام) كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مر أحد من خلق الله إجلالا له فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس، ولقد رأيت في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص قد نزل ومشى إلى جنبه!) (ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٤، وأعيان الشيعة: ١ / ٥٦٣).

وفي أمالي الصدوق / ٦٧١: عن (عمير بن مأمون العطاردي قال: رأيت الحسن بن علي (عليه السلام) يقعد في مجلسه حين يصلي الفجر حتى تطلع الشمس، وسمعتة يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من صلى الفجر ثم جلس في مجلسه يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس، ستره الله عز وجل من النار). (كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم حين تطلع الشمس وإن زحزح). (مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٨٠).

ونورد فيما يلي أنواعا من نشاطاته (عليه السلام) في المدينة:
أ - جعل الإمام (عليه السلام) المسجد النبوي منبرا لرد الأفكار الأموية:
أصدر معاوية مرسوما خلافا وعممه على البلاد بمنع رواية أي حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أحاديث تفسير القرآن، خوفا من أحاديث مدح أهل البيت (عليهم السلام)!!

ورأى معاوية ابن عباس ذات يوم، يحدث عن النبي (صلى الله عليه وآله) في المسجد الحرام فقال له: (فإننا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكف

لسانك! فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟! قال: لا. قال: أتنهانا عن تأويله؟! قال: نعم. قال: فنقرؤه ولا نسأل عما عنى الله به؟! ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟! قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك! قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان؟! (الإحتجاج: ٢ / ١٦).

وروى الثعلبي في تفسيره: ٦ / ١٦٥، أن رجلا دخل المسجد النبوي فرأى ثلاثة مجالس لابن عباس وابن عمر والإمام الحسن (عليه السلام)، وقد تحلق الناس حولهم وهم يحدثونهم عن النبي (صلى الله عليه وآله) ويجيبون على أسئلتهم. وهذا يدل على نجاح الإمام الحسن (عليه السلام) في نقض قرار معاوية بمنع التحديث!

ويقول الراوي إنه سأل ابن عباس وابن عمر عن قوله تعالى: وشاهد ومشهود، فقالوا: (أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة أو النحر) ثم سأل الإمام الحسن (عليه السلام) فقال: (أما الشاهد ف محمد (صلى الله عليه وآله) وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وقال عز وجل: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود). ووصف الراوي صباحة وجه الحسن (عليه السلام) وجماله. (والطبري مختصرا: ٣٠ / ١٣٠، والدر المنثور: ٨ / ٤٦٤، والآلوسي: ٣٠ / ٨٦، وكشف الغمة: ٢ / ١٦٦، عن تفسير الأوحدي، وفيه: (وكان جواب الحسن أحسن). بل تدل سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) على أنه كان يصدع في المسجد بأحاديث جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) وسيرته ومواجهة قريش المشركة للنبي (صلى الله عليه وآله) بقيادة أبي سفيان ومعاوية، ثم تحالف قبائل الطلقاء ضد عترته وضد علي (عليه السلام) خاصة.. الخ. كما يأتي!

ب - كشف الإمام (عليه السلام) ضحالة قصابي الدولة وثافتها:
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٧: (مر الحسن يوما وقاص يقص على باب مسجد رسول الله فقال الحسن: ما أنت؟ فقال: أنا قاص يا ابن رسول الله. قال: كذبت، محمد (صلى الله عليه وآله) القاص، قال الله عز وجل: فاقصص القصص! قال: فأنا مذكر. قال: كذبت محمد (صلى الله عليه وآله) المذكر! قال له عز وجل: فذكر إنما أنت مذكر. قال: فما أنا؟ قال: المتكلف من الرجال). انتهى. والمتكلف مذموم في القرآن والسنة، وهو الجاهل بلباس العالم مثل هذا الموظف ليغش المسلمين بظنونه وإسرائيلياته فيقول ما لا يعلم، ويعمل ما لا يلزم، ويحاول ما لا يتقن، ويدعي ما لا يصح!

والمطلع على قصة استبدال المحدثين بالقصاصين في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، وحضور عمر مجالس قص تميم وكعب! يعرف أن وجود القاص الأموي على باب المسجد النبوي في زمن الحسن (عليه السلام)، يعني أنه كان ممنوعا من القص داخل المسجد، وأن هذا المنع ظل ساريا من خلافة علي (عليه السلام)! وأن الإمام الحسن (عليه السلام) أراد بعمله هذا فضح القاص الأموي وطرده حتى من أمام المسجد! (وقد بحثنا تسرب الإسرائيليات والقصاصين إلى ثقافة المسلمين، في كتاب تدوين القرآن / ٣٤٠،

و ٤٤٤، وتعرض له كل من بحث تحريم الخلافة القرشية لتدوين سنة النبي (صلى الله عليه وآله) كالسيد الجلاي في كتابه تدوين السنة، والسيد جعفر مرتضى في كتابه الصحيح من السيرة: ١ / ١٢١).

ج - هل عطل الإمام الحسن (عليه السلام) بدعة التراويح:
اتفق المسلمون على أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى نافلة ليالي شهر رمضان ذات ليلة فائتم به الحاضرون في المسجد، فأمرهم بصلاتها فرادى لا جماعة، وذهب إلى منزله حتى لا يأتوا فيها، وقالت عائشة كما في بخاري: ٢ / ٢٥٢: (فتوفي رسول الله (ص) والأمر على ذلك) أي فرادى. لكن عمر (جمع الناس على أبي بن كعب) (وتميم) في قيام رمضان قال: ثم خرجت مع عمر ليلة أخرى والناس يصلون مع قارئهم فقال عمر: نعمت البدعة). (المدونة: ١ / ٢٢٢، والموطأ: ١ / ١١٤). قال الكحلاني في سبل السلام:

٢ / ١٠ : (وأما قوله: نعم البدعة، فليس في البدعة ما يمدح بل كل بدعة ضلالة، وأما الكمية وهي جعلها عشرين ركعة، فليس فيه حديث مرفوع إلا ما رواه عبد بن حميد والطبراني من طريق أبي شيبة... قال في سبل الرشاد: أبو شيبة ضعفه أحمد، وابن معين، والبخاري، ومسلم، وداود، والترمذي، والنسائي وغيرهم، وكذبه شعبة، وقال ابن معين ليس بثقة وعد هذا الحديث من منكراته)! انتهى.

وعندما تولى أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة عمل على إعادة الأمور إلى السنة النبوية ومنع الجماعة في النوافل، فتم له ذلك في المدينة وبعض البلاد، لكن بعض أهل الكوفة أصروا عليه أن ينصب لهم إماما يصلي بهم التراويح أي نافلة شهر رمضان، فرفض وشرح لهم أن النوافل لا جماعة فيها، وبعث إليهم الإمام الحسن (عليه السلام) لينهاهم ويهددهم بالضرب بالسوط! فلم ينفع معهم ذلك ونادوا واعمراه! فتركهم أمير المؤمنين (عليه السلام) على سنة عمرهم! قال الشريف المرتضى في الشافي: ٤ /

٢١٩: (وقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلي بهم نافلة شهر رمضان زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم، فبعث إليهم الحسن (عليه السلام) فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة، فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا واعمراه). (ونهج الحق للعلامة / ٢٨٩). ولم أجد نصا يدل على حالة التراويح في المسجد النبوي بعد الصلح فلعل الإمام الحسن (عليه السلام) أبقى سنة جده (صلى الله عليه وآله) نافذة بدل سنة عمر!

وقد شكى أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحالة في خطبة بليغة رواها الكافي: ٨ / ٥٨ بسند صحيح، بين فيها (عليه السلام) عددا من التحريفات ارتكبتها الحكام قبله، وقد تقدمت في المجلد الأول وفيها: (وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجال رجالا! ألا إن الحق لو خلس لم يكن اختلاف، ولو أن

الباطل خلص لم يخف على ذي حجي، لكنه يؤخذ من هذا ضغت ومن هذا ضغت فيمزجان فيجللان معا، فهالك يستولى الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى.... والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة! فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري! ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار...).

د - مكانة الإمام الحسن (عليه السلام) عند محبيه وأعدائه: من عجائب الإمام الحسن أنه استطاع كأبيه وأخيه (عليهم السلام) أن يقيموا علاقات طيبة مع أعدى أعدائهم بمن فيهم الذين قاتلوهم بالأمس كعائشة ومروان وابن الزبير! وقد ساعدتهم على ذلك أنهم عاملوهم بالعفو ومنوا عليهم جميعا! وستعرف أنه كان للإمام الحسن (عليه السلام) علاقة مجاملة مع معاوية وظفها لهدفه في صراعه مع خطته! وقد بين الإمام (عليه السلام) القاعدة التي يتبعها في تعامله مع فئات المجتمع عندما سئل ما هو العقل؟ فقال: (التجرع للغصة ومداهنة الأعداء)! (أمالي الصدوق / ٧٦٩).

وفيما يلي نماذج من علاقاته (عليه السلام) مع المحب والمخالف تؤكد ذلك: ه - دعوة ابن الزبير للإمام (عليه السلام) إلى مائدته وإعجابه به: في مجمع الزوائد: ١٠ / ١٠٦: (عن عمير بن المأموم قال: أتيت المدينة أزور ابنة عم لي تحت الحسن بن علي فشهدت معه صلاة الصبح في مسجد الرسول (ص) وأصبح ابن الزبير قد أولم، فأتى رسول ابن الزبير فقال: يا ابن رسول الله إن ابن الزبير قد أصبح قد أولم وقد أرسلني إليك، فالتفت إلي فقال: قد طلعت الشمس؟ قلت لا أحسب إلا قد طلعت. قال: الحمد لله الذي أطلعها من مطلعها ثم قال:

سمعت أبي وجدي يعني النبي (ص) يقول: من صلى الغداة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس جعل الله بينه وبين النار سترا، ثم قال: قوموا فأجيبوا ابن الزبير فلما انتهينا إلى الباب تلقاه ابن الزبير على الباب فقال: يا ابن رسول الله أبطأت عني في هذا اليوم! فقال: أما إني قد أجبتمكم وأنا صائم قال: فهاهنا تحفة فقال الحسن بن علي: سمعت أبي وجدي يعني النبي (ص) يقول تحفة الصائم الذرائر، أن تغلف لحيته (بالطيب) وتجمر ثيابه ويذرر (بالبخور). قال قلت: يا ابن رسول الله أعد علي الحديث قال: سمعت أبي وجدي يعني النبي (ص) يقول: من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب آية محكمة أو رحمة منتظرة أو علما مستطرفا أو كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى، أو يدع الذنوب خشية أو حياء). انتهى.

وفي هذا الحديث دلالات عن جو مجتمع المدينة آنذاك، ومكانة الإمام (عليه السلام) المحترمة بل المقدسة حتى عند مخالفيه، وعن كسره لقرار معاوية المشدد بتغييب السنة، ومنع التحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله)!

وفي تهذيب الكمال: ٦ / ٢٣٣: عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: (رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء، فأراه قال: فوالله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقا فغازني ذلك فقمت إلى فقلت: يا عم، قال: ما تشاء؟ قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فما قمت حتى تفسخ جبينك عرقا! قال: يا ابن أخي إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله!) انتهى.

وابن الزبير هذا، كان مع المنهزمين في حرب الجمل، وكان جريحا جرحا بليغا بسيف الأشر فاختبأ يتداوى، فأعلن علي (عليه السلام) العفو العام وسمح لخالته عائشة أن تحضره إلى (قصرها) وتعالجه، فكان هو ومروان وغيرهم معها! وابن الزبير هذا، كان أشد عداوة لأهل البيت (عليهم السلام) من بني أمية، فعندما سيطر

على مكة حبس بني هاشم وهددهم بأن يحرقهم إذا لم يبايعوه! وترك ذكر النبي
والصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) في خطبه وربما في صلاته! لئلا يشمخ أهل بيته (صلى الله عليه وآله) بأنوفهم!

قال في العقد الفريد / ١١١١: (ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين
أظهر بعض بني هاشم الطعن عليه وذلك بعد موت الحسن والحسين، فدعا عبد الله بن
عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعته فأبوا عليه فجعل يشتمهم
ويتناولهم على المنبر. وأسقط ذكر النبي (ص) من خطبته فعوتب على ذلك فقال: والله
ما يمنعني أني لا أذكره علانية من ذكره سرا وأصلي عليه! ولكن رأيت هذا الحي من
بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشترأبت أعناقهم، وأبغض الأشياء إلي ما يسرهم! ثم قال:
لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار! فأبوا عليه فحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني
هاشم في السجن، وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم...). وفي /
١٧٢٦: (عن الزهري أنه قال: كان من أعظم ما أنكر على عبد الله بن الزبير تركه ذكر
رسول الله (ص) في خطبته وقوله حين كلم في ذلك: إن له أهيل سوء إذا ذكر استطالوا
ومدوا أعناقهم لذكره!) (والصحيح من السيرة: ٢ / ١٥٣، وفيه عن العقد الفريد: ٤ /
٤١٣ ط دار الكتاب العربي، وأنساب الأشراف: ٤ / ٢٨، وغيرهما).

وفي أنساب الأشراف / ٨٥٧، أنه فقال لابن عباس: (لقد كتبت بغضك وبغض أهل
أبيك مذ أربعون سنة! فقال ابن عباس: ذلك والله أبلغ إلى جاعريتك (يقصد أنه لا يشبه
خؤولته وجدته صفية بنت عبد المطلب فهو كجعروور التمر) بغضي والله أضرك وأثمك
إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبك، فإذا عوتبت على
ذلك قلت إن له أهيل سوء فإذا صليت عليه تناولت أعناقهم وسمت رؤوسهم!
فقال ابن الزبير: أخرج عني فلا تقربني. قال: أنا أزهديك من أن أقربك

ولأخرج عنك خروج من يذمك ويقلبك. فلحق بالطائف فلم يلبث يسيرا حتى توفي
فصلى عليه ابن الحنفية، فكبر عليه أربعاً وضرب على قبره فسطاطاً).
وفي العقد الفريد / ١٢٩٩: (وأظهر سوء الرأي في بني هاشم وترك ذكر النبي (ص)
من أجلهم! وقال: إن له أهيل سوء فإن ذكر مدوا أعناقهم لذكره! وحبس ابن الحنفية
في الشعب حتى شخص من أهل الكوفة من شخص وعليهم أبو عبد الله الجدلي، فلم
يقدر له على مضرة).

و - إعجاب أبي هريرة بالإمام (عليه السلام) وبكاؤه عليه!
كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يجاهر بأن أبا هريرة كذاب ويقول: (ألا إن أكذب
الأحياء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبو هريرة الدوسي). (شرح النهج: ٤ /
٦٨، وأبو هريرة للسيد شرف الدين / ١٥٩، وشيخ المضيرة أبو هريرة للشيخ محمود
أبو رية / ١٣٥).

وعندما أغار بسر بن أرطاة على المدينة وقتل من أهلها، وأجبرهم على البيعة لمعاوية
نصب أبا هريرة واليا عليها، فلما جاء جيش علي (عليه السلام) بقيادة جارية بن قدامة
السعدي (رحمه الله) هرب ابن أرطاة وأبو هريرة (فقال جارية: والله لو أخذت أبا
سنور لضربت عنقه!) (تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٧، والنهاية: ٧ / ٣٥٧).
وتقدم أن معاوية أرسل أبا هريرة قبله إلى مسجد الكوفة فضرب على صلته وشهد على
علي (عليه السلام) بأنه أحدث في المدينة وكفر! فقام إليه شاب وسأله: (أنشدك بالله
أسمعت رسول الله (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه؟ فقال أبو هريرة: نعم، فقال الشاب: أنا منك برئ أشهد أنك قد عاديت من
والاه وواليت من عاداه). (ابن أبي شيبه: ٧ / ٤٩٩).
وبعد أن صالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية أخذ أبو هريرة يتقرب إليه ويحدث
عن النبي (صلى الله عليه وآله) بفضائله وكلما رآه يبكي ويقول: (ما رأيت الحسن بن
علي قط إلا

فاضت عيناى دموعا وذلك أنى رأيت رسول الله... (تاريخ دمشق: ١٣ / ١٩٣).
وروى عنه بخارى: ٧ / ٥٥ أن النبى (صلى الله عليه وآله) التزم الحسن وقال: (اللهم
إنى أحبه وأحب من يحبه. قال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إالى من الحسن بن علي
بعدا قال رسول الله ما قال). انتهى.

وقد انتقد مروان أبا هريرة لحبه الحسين (عليهما السلام)! فقال له: (ما وجدت عليك
فى شىء منذ اصطحبنا إلا فى حبك الحسن والحسين...)!
وفى الطبرانى الأوسط: ٦ / ٣٠١: (والله إنى لأحبك لولا أنك تحب الحسن بن علي
فقال أبو هريرة لمروان: ومالى لا أحبه وقد رأيت رسول الله يوما...). (وتهذيب
الكمال: ٦ / ٢٣٠). وسيأتى بكاء أبى هريرة ومروان يوم شهادة الإمام الحسن (عليه
السلام).

ز - إعجاب مروان بن الحكم بالإمام (عليه السلام) وبكاؤه عليه!
روى فى تهذيب الكمال: ٦ / ٢٣٥: (عن جويرية بن أسماء: لما مات الحسن بن علي
بكى مروان فى جنازته، فقال له حسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟! فقال: إنى
كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل)!
وفى سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٦: (حمل مروان سريره فقال الحسين: تحمل سيره؟
أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ! قال: كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال).
(وترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات / ٩١، وفى هامشه: رواه أبو الفرج
فى مقاتل الطالبين / ٧٤، وعنه ابن أبى الحديد: ١٦ / ٥١ ورواه قبله فى / ١٣ عن
المدائنى).

فقد اعترف مروان بأنه كان يؤذى سبط النبى وحببيه (صلى الله عليه وآله)! ولا عجب
فأبوه كان يؤذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسخر به وقد لعنه وذريته (صلى الله
عليه وآله) مرارا ونفاهم من المدينة إلى بر الطائف، ولم يقبل أبو بكر وعمر أن
يرجعوهم، وأرجعهم عثمان وسلطهم على الخلافة، فتواصل أذاهم للعترة النبوية بأشد ما
كان للنبي (صلى الله عليه وآله) ثم

كان مروان حاكم المدينة من قبل معاوية فزاد أذاه للعترة الطاهرة (عليهم السلام). ورووا أنه عندما رضيت عائشة بدفن الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده (صلى الله عليه وآله) استنفر مروان الدولة ومرترقة بني أمية ولبس عدة حربته! فلا بد أن يكون بكأوه عليه عندما انحلت المشكلة واتجه بنو هاشم بجنازة الإمام الحسن (عليه السلام) إلى البقيع!

وأعجب من بكاء مروان شهادته بأنه بحلم الإمام الحسن (عليه السلام) عن أذاه له! فتأمل هذا السر الإلهي في شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) والإنحطاط في عدوه! ح - عائشة تروي عن الإمام الحسن (عليه السلام) قنوت النبي (صلى الله عليه وآله)! روى الحاكم في المستدرک: ٣ / ١٧٢: (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وترى إذا رفعت رأسي ولم يبق إلا السجود: اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت وتعاليت. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين... الخ). وقال النووي في المجموع: ٣ / ٤٩٥: (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم بإسناد صحيح، قال الترمذي: هذا حديث حسن، قال: ولا يعرف عن النبي (ص) في القنوت شيء أحسن من هذا). (ومبسوط السرخسي: ١ / ١٦٥، والمغني: ١ / ٧٨٥). ط - إعجاب معاوية بشخصية الإمام (عليه السلام) وفرحه بقتله! في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٥٢: (قال معاوية: ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي! وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فإنه كان بين الحسن بن علي وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض، فعرض الحسن بن علي أمرا لم يرضه عمرو، فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما

رغم أنفه، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط! (والطبقات: ٨ / ١٧٨، وتهذيب الكمال: ٦ / ٢٣٥، وتاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٢٧، ونهاية ابن كثير: ٨ / ٤٣، والسيرة الحلبية: ٣ / ٣٦٠، ونسب قريش للزبيرى / ١٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٤٨، ونظم درر السمطين / ٢٠١، والعدد القوية / ٢٩).

وفي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٤٠: (قال معاوية وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف: من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وخالا وخالة وعمما وعممة؟ فقام النعمان بن العجلان الزرقى: فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه علي وأمه فاطمة وجده رسول الله، وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم وخالته زينب! فقال عمرو بن العاص: أحب بني هاشم دعاك إلى ما علمت! قال ابن العجلان: يا ابن العاص ما علمت أن من التمس رضا مخلوق بسخط الخالق حرمة الله أمنيته وختم له بالشقاء في آخر عمره! بنو هاشم أنضر قريش عودا وأقعدها سلما، وأفضل أحلاما). انتهى.

أقول: لا بد أن يكون معاوية اتفق مع ابن العجلان، لأن أحدا لا يجرؤ على هذا الكلام في مجلسه! فغرضه أن يغيظ ابن العاص، أو يبعد معارضي يزيد من بني أمية عن ولاية عهده، ويهددهم بالحسن (عليه السلام) لأنه شرط له الخلافة من بعده! وذلك قبل أن يقتله بالسهم ويزيحه من طريق يزيد! وشاهدنا منه أن الإمام الحسن (عليه السلام) فرض احترامه على ألد خصومه وخصوم أبيه (عليهما السلام)! واستفاد من هامش علاقته مع معاوية لحماية شيعته، وإحباط خطط معاوية ضد الإسلام.

ي - جابر بن عبد الله يرى الإمام (عليه السلام) فيفرح ويجهر بفضله! في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢١٠: (اطلع الحسن بن علي من باب المسجد فقال جابر بن عبد الله: من أحب (وقال في رواية أخرى: من سره) أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا! سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)). انتهى.

ولجابر (رحمه الله) أحاديث كثيرة في فضل أهل البيت (عليهم السلام) جهر بها وبلغها للمسلمين رغم الظروف الخطرة التي كانت تحيط به، منها ما رواه شاذان بن جبرئيل في الروضة في فضائل أمير المؤمنين / ١٥٣ أنه قال: (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالسا في المسجد إذ أقبل علي (عليه السلام) والحسن عن يمينه والحسين (عليهما السلام) عن شماله فقام النبي (صلى الله عليه وآله) وقبل عليا ولزمه إلى صدره، وقبل الحسن وأجلسه على فخذه الأيمن وقبل الحسين وأجلسه على فخذه الأيسر، ثم جعل يقبلهما ويرشف شفتيهما ويقول: بأبي أبوكما وبأمي أمكما ثم قال: أيها الناس: إن الله سبحانه وتعالى باهي بهما وبأبيهما وأمهما وبالأبرار من ولدتهما الملائكة جميعا، ثم قال: اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما. اللهم من أطاعني فيهم وحفظ وصيتي فارحمه برحمتك يا أرحم الراحمين، فإنهم أهلي والقوامون بديني، والمحيون لسنتي والتالون لكتاب ربي، فطاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي).
أقول: هذا نموذج للصحابة الأبرار الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، وحفظوا أمانة النبي (صلى الله عليه وآله) وبلغوها إلى الأمة، وتحملوا في سبيل ذلك.
ك - المسلمون يتذكرون مكانة الحسنين (عليهما السلام) عند النبي (صلى الله عليه وآله)

في ذخائر العقبي لأحمد بن عبد الله الطبري / ١٢١: (عن أبي هريرة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لحسن (عليه السلام): اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من أحبه، خرجه مسلم وأبو حاتم وزاد: فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما قال. وخرجه أبو بكر الإسماعيلي في معجمه مستوعبا عن أبي هريرة قال: لا أزال أحب هذا الرجل يعني الحسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصنع به ما يصنع. وقال: رأيت الحسن في حجر النبي (ص) وهو يدخل أصابعه في لحية النبي والنبي يدخل لسانه في فيه ثم يقول: اللهم إني أحبه.. وذكر الحديث. وعنه قال:

ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عيناي دموعاً وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج يوماً وأنا في المسجد فأخذ بيدي واتكأ علي حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع ورجعت معه حتى جلس في المسجد، ثم قال ادعوا ابني قال فأتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره، ثم جعل يقول بيده هكذا في لحية رسول الله (ص) وجعل رسول الله (ص) يفتح فمه في فمه ويقول: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، ثلاث مرات يقولها. خرجه الحافظ السلفي).

٤ - خط الإمام الحسن (عليه السلام): الوفاء بالصلح والعمل ضد معاوية اتخذ الإمام الحسن (عليه السلام) خطاً سياسياً واضحاً وأفهمه لمعاوية والناس، وهو: أ - الوفاء بالصلح وعدم الخروج على الطاغية، والضغط عليه ليفي بشروطه. ب - مواجهة موجة التحريف العقائدي والانحراف العملي، بكل ما يستطيع من قول وفعل لا يبلغ الخروج على السلطة.

ج - الإصرار على أن خط علي والعترة النبوية (عليهم السلام) هو خط الإسلام الصحيح الذي أنزله الله على رسوله (صلى الله عليه وآله)، وبذل كل جهد وطاقة لبيانه وترسيخه في الأمة والدفاع عنه من تحريف معاوية وبني أمية.

وقد تقدم أن معاوية لما دخل إلى الكوفة وخطب في النخيلة بغطرسة وأوعد أهل الكوفة وهدد، وأعلن أنه لا يفى بشروطه للإمام الحسن (عليه السلام) ويضعها جميعاً تحت قدمه! فجاء عدد من وجهاء الكوفة إلى الإمام (عليه السلام) يطالبونه بإعلان نقض الصلح فلم يقبل وأصر على الوفاء به! ثم جاؤوا إليه في المدينة مرات وإلى أخيه الحسين (عليهما السلام) فأعادا عليهم موقفهما وكانا يقولان: (ليكن كل رجل منكم جلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم)!

وروى الحاكم في المستدرک: ٣ / ١٧٠ وصححه: (قام رجل إلى الحسن بن علي فقال يا مسود وجوه المؤمنين! فقال الحسن: لا تؤنبنی رحمک الله فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فسأه ذلك، فنزلت: إنا أعطيناك الكوثر، نهر في الجنة، ونزلت: إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تملكها بنو أمية)! انتهى.

وفي الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) / ٧٠: (وقد فهمت ما ذكرت ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة!... فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم، حتى يستريح من بر أو يستراح فاجر).

وفي الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٢، وغيره، أن وفد الكوفة خرج من عند الإمام الحسن، وذهبوا إلى الحسين (عليهما السلام) فأجابهم بنفس الجواب.

لكن معاوية لم يطمئن! فكان يرسل الجواسيس ليعرفوا نية الإمام (عليه السلام) فقد جاءه أحدهم فقال له: (يقولون إنك تريد الخلافة؟ فقال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، تركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء أمة محمد (صلى الله عليه وآله) ثم ابتزها (أثيرها) بأتياس أهل الحجاز)!

(المستدرک: ٣ / ١٧٠ وصححه على شرط الشيخين، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٠، وفيه: ثم أثيرها بأتياس الحجاز! وتهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٠، وتهذيب التهذيب: ٢ / ٢٦٠ كما في رواية الحاكم، وتاريخ واسط / ١١٢، وفيه: ثم أثيرها بأوباش أهل الحجاز، وأنساب الأشراف / ٧٤٥ وفيه: ثم أريدها بأهل الحجاز! وقال أحدهما: بأتياس الحجاز). انتهى. وذكرت المصادر أن الذي سأله كان دسيسة من معاوية وهو جبير بن نفير بن مالك الحضرمي (وكان دسيس معاوية إلى مولانا الحسن المجتبي صلوات الله عليه دسه ليختبره هل في نفسه الإثارة وقال له: أثيرها

بأتياس أهل الحجاز؟! (مستدركات علم رجال الحديث: ٢ / ١٢٠).
**

٥ - الإمام الحسن (عليه السلام) في زيارات معاوية للمدينة ومكة من مواد البحث التاريخي المهمة أخبار سفر معاوية إلى مكة والمدينة، ولقائه ببقية الصحابة والتابعين وشخصيات الأمة، وقصصه مع الإمام الحسن (عليه السلام) وغيره، فهي مادة لمعرفة الأوضاع الفكرية والسياسية للأمة، ونمط تفكير معاوية وخططه ضد الإسلام، ومواجهة أهل البيت (عليهم السلام) لها. ونكتفي منها بنماذج:

أ - موكب معاوية ب (سيارات المارسيدس)

في شرح النهج: ٢٠ / ١٤٩: (وروى أبو الفرج قال: كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها، فذكر لها إن خروجه كان غضبا لله عز وجل ولرسوله (ص) وللمهاجرين والأنصار من إثرة معاوية وابنه بالفئ، وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبايعه، فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير وعبادته واجتهاده وأثنت عليه وقالت: إنه ليدعو إلى طاعة الله عز وجل، وأكثر القول في ذلك فقال لها: ويحك! أما رأيت البغلات الشهب التي كان يحج معاوية عليها وتقدم إلينا من الشام؟ قالت: بلى، قال: والله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن)!

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٥٧: (فقدم معاوية المدينة حاجا، فلما أن دنا من المدينة خرج إليه الناس يتلقونه..... ومعه خلق كثير من أهل الشام).

ب - موكب أحد رفقاء معاوية ب (الشاحنات)!

في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٩٣: (عن سلمان بن ربيعة الغنوي: أنه حج زمن معاوية في عصابة من القراء، فحدثنا أن عبد الله في أسفل مكة فعمدنا إليه، فإذا نحن بثقل عظيم يرتحلون ثلاث مئة راحلة، منها مئة راحلة ومئتا زاملة (راحلة الاحتياط

للحمل) وكنا نحدث أنه أشد الناس تواضعا. فقلنا: ما هذا؟! قالوا: لإخوانه يحملهم عليها ولمن ينزل عليه فعجبنا! فقالوا: إنه رجل غني ودلونا عليه أنه في المسجد الحرام فأتيناه، فإذا هو رجل قصير أرمص بين بردين وعمامة، قد علق نعليه في شماله). انتهى. والرمص قذى يتجمع في موق العين، وهو أشد من العمش.

وهذا يكشف عن الدنيا الواسعة لابن عمرو في الشام، وأنه لذلك كان يتحمل غضب معاوية عليه، عندما روى حديث (عمار تقتله الفئة الباغية) فقال معاوية لأبيه عمرو: (ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو). (ابن أبي شيبه: ٨ / ٧٢٣) وقال له يوما كما في مسند الطيالسي / ٩٥: (ما أحاديث بلغتنني عنك تحدث بها لقد هممت أن أنفيك من الشام! فقال أما والله لولا إناث ما أحببت أن أكون بها ساعة! فقال معاوية: ما حديث تحدث به في الطلاء، أي الخمر... الخ).

ج - معاوية يذهب بدون دعوة إلى مائدة عبد الله بن جعفر في تاريخ دمشق: ٢٧ / ٢٧٦: (حج معاوية فنزل في دار مروان بالمدينة فطال عليه النهار يوما وفرغ من القائلة فقال: يا غلام أنظر من بالباب هل ترى الحسن بن علي أو الحسين أو عبد الله بن جعفر أو عبد الله بن أبي أحمد بن جحش، فأدخله علي؟ فخرج الغلام فلم ير منهم أحدا وسأل عنهم فقال هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون عنده، فأتاه فأخبره فقال: والله ما أنا إلا كأحدكم، ولقد كنت أجامعهم في مثل هذا، فقام فأخذ عصا فتوكأ عليها وقال سر يا غلام فخرج بين يديه حتى دق عليهم الباب! فقال هذا أمير المؤمنين! فدخل فأوسع له عبد الله بن جعفر عن صدر فراشه فجلس فقال: غداء يا ابن جعفر، قال: ما يشتهي أمير المؤمنين فليدع به، قال أطعمنا مخا، قال: يا غلام هات مخا، قال فأتي بقصعة فيها مخ، فأقبل معاوية يأكل ثم قال عبد الله: يا غلام زدنا مخا فزاد، ثم قال يا

غلام مخا فزاد، ثم قال يا غلام زدنا مخا، فقال معاوية: إنما كنا نقول يا غلام زدنا سخينا! (أكلة للفقراء يعيرون بها قريشا) فأما قولك يا غلام زدنا مخا فلم أسمع به قبل اليوم! يا ابن جعفر ما يسعك إلا الكثير، قال فقال عبد الله: يعين الله على ما ترى يا أمير المؤمنين، قال فأمر له يومئذ بأربعين ألف دينار!

قال: وكان عبد الله بن جعفر قد ذبح ذلك اليوم كذا وكذا من شاة وأمر بمخهن فنكت له فوافق ذلك معاوية!

د - لم يستطع معاوية إخفاء حقه على بني هاشم والأنصار:
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٢: (ولما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم، وكلموه في أمورهم، فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نقر عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان، حتى تقولوا ما تقولون؟! فوالله لا أنتم أجل دما من كذا وكذا، وأعظم في القول! فقال له ابن عباس: كل ما قلت لنا يا معاوية من شر بين دفتيك أنت والله أولى بذلك منا! أنت قتلت عثمان ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه! فانكسر معاوية، فقال ابن عباس: والله ما رأيتك صدقت إلا فرغت وانكسرت. قال: فضحك معاوية (وكان إذا ضحك انقلبت شفته العليا. أسد الغابة: ٤ / ٣٨٧). وقال: والله ما أحب أنكم لم تكونوا كلمتموني! ثم كلمه الأنصار فأغلظ لهم في القول وقال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أفيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك، ولكننا نفعل ما أوصانا به رسول الله. قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر. قال: فاصبروا. ثم أدلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة، ووهب فدكا لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله (صلى الله عليه وآله)! انتهى.

أقول: نلاحظ أن الأنصار حلفاء طبيعيون لبني هاشم، وأن قريشا يكرهونهم لأنهم ناصرُوا النبي (صلى الله عليه وآله) عليهم وقتلوا صنائدهم! ويكرههم بنو أمية أيضا لأنهم

لم ينصروا عثمان ولم يحاربوا وفود المصريين والبصريين والكوفيين الذين حاصروه، ثم لموقفهم القوي مع علي (عليه السلام) في حرب الجمل وصفين. وقد تفاقم بغض بني أمية لهم حتى انفجر في حملة يزيد ومجزرة الحرة واستباحة المدينة وإذلال الأنصار، وأخذ البيعة منهم على أنهم عبيد ليزيد! ه - رددتها عليك وأنا ابن فاطمة (عليها السلام)!

في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٨٣: (قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من دخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف، فدخل عليه الحسن بن علي في آخر الناس فقال: أبطأت يا أبا محمد فلعلك أدت تبخلني عند قریش فانتظرت أن يفنى ما عندنا، يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمد وأنا ابن هند، فقال الحسن (عليه السلام): لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة!) (وأخبار الدولة العباسية / ٥٩، وفيه: فقال الحسن: اشهدوا أنني قد قبلته ووهبته الحاضرين وأنا ابن فاطمة، والمستطرف: ١ / ٢٨٩، وفيه: قد رددته عليك. وكذا في التذكرة الحمدونية / ٧٠٨، وإعلام الناس للإليدي / ٢١، وشرح إحقاق الحق: ٢٦ / ٥٣٣، عن السميع المذهب: ٢ / ١٦٢). وصدق المتنبي حيث يقول:

ويعظم في عين الصغير صغيرها * وتصغر في عين العظيم العظام

**

الإمام الحسن (عليه السلام) يواجه خطط معاوية ضد الإسلام

١ - ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية!

قامت خطط معاوية على نشر الثقافة المادية، وتسطيح البعد الديني في الإسلام أو تسخير مشروع الدولة الأموية، وإشاعة عقيدة الجبرية والإرجاء لتأييد حق بني أمية المزعوم في قيادة العرب والمسلمين!

ومن أبرز معالم هذه الخطة أنها تقدم النبي (صلى الله عليه وآله) على أنه رجل أنزل الله عليه وحيه وهو القرآن فقط، واختار معه معاوية فكتب الوحي وبلغه إلى الناس، وأن معاوية من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) لأن بني أمية وهاشم من أبناء عبد مناف!

أما حروب قريش ضد النبي (صلى الله عليه وآله) بقيادة أبي سفيان فهي خلاف عائلي، تمت تسويته بفتح مكة، فعاد محمد إلى احترام زعماء قريش خاصة أبي سفيان، وعاد إلى الإيمان بتركيبة قريش القبلية وحقها الخالد في قيادة العرب!

وأما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيجب فصله وأولاده عن النبي (صلى الله عليه وآله) لأنه كان يكرهه حتى سماه أبا تراب! وكان سفاكا للدماء قتالا للعرب! وهو المسؤول عن قتل صناديد قريش وزعمائها في حرب بدر وأحد! فيجب على المسلمين لعنه والبراءة منه، ومن لم يفعل فهو خارج عن الإسلام يجب قتله!

كما تقضي خطط معاوية بمنع تدوين سنة النبي (صلى الله عليه وآله) ومنع مجرد التحديث بها لأنها ليست وحيا، بل يجب التعويض عنها بقصص أهل الكتاب، وإعادة القصص الذين طردهم علي (عليه السلام) إلى وظائفهم في مساجد المسلمين لنشر ثقافة بني إسرائيل! (راجع تاريخ بخاري: ٣ / ٢٦٧، وتاريخ دمشق: ١٧ / ٣٨٧) وقد حرفوا لذلك قول

النبي (صلى الله عليه وآله): حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج! فزعموا أنه أمرهم بأخذ ثقافة اليهود والنصارى! وكان بعض علماء البلاط يكذب ويرويها على أنها أحاديث نبوية!

كما تقضي خطة معاوية بتقريب اليهود وإحياء علاقات أبي سفيان القديمة بهم وجعل كعب الأبحار مستشارا دينيا للخليفة، كما كان مستشارا لعمر وعثمان!
كما توجب خطته الصلح مع الروم: (وكان معاوية أول من صالح الروم، وكان صلحه إياهم في أول سنة ٤٢). أي بعد شهادة علي (عليه السلام). (تاريخ ابن خياط ١٥٤، واليعقوبي: ٢ / ٢١٧).

كما يجب تقريب النصارى وتعيين شخصياتهم في ديوان الخلافة، وحتى ولاة على المسلمين، فكان سرجون حاجبه وصاحب سره (تاريخ دمشق: ٢٠ / ١٦١) وعين ابن أثال واليا على حمص ثمنا لسمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد! (فسقاه شربة فمات عبد الرحمن بحمص، فاستعمل معاوية ابن أثال على خراج حمص، وكان أركونا من أركنة النصارى عظيمًا). (تاريخ دمشق: ١٦ / ١٦٣) (ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله). (اليعقوبي: ٢ / ٢٢٣). إلى آخر معالم الخطة الأموية التي سماه النبي (صلى الله عليه وآله): الفتنة الأموية، وقد عرفت بعض معالمها مما تقدم!

فما هي العوامل التي جعلت الأمة تتغلب على هذه الموجه القوية وتجتازها رغم أنها خضعت لها عقودا وخنعت أمام حزبها النشيط الذي كان يفرض آراءه على المسلمين بالقتل بلا حساب، وبالترغيب بحساب!

لاشك أن مخزون الأمة الفكري والروحي والتجريبي من العهد النبوي، كان العامل الأول، وكذلك نص القرآن الذي لا يمكن تطويعه للمشروع الأموي مهما تفنن مفسروهم بتحريف آياته، وتشبثوا بمتشابهاته.

وكذلك نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) التي كشفت للأمة حقيقة بني أمية من جهة، ونبأ أهل البيت النبوي (عليهم السلام) وتضحيتهم لحفظ الإسلام من جهة.

ثم ما تلى ذلك من جهود أبنائه الأئمة (عليه السلام) وشيعتهم لإنقاذ المسلمين من الفتنة!

لكن لا يصح هنا أن نهمل عمل الإمام الحسن (عليه السلام) في العشر سنوات في المدينة بعد الصلح، فقد نشط (عليه السلام) في مواجهة الخطة الأموية ودحض مفرداتها، وساعده في ذلك شخصيته المميزة، وأن موقف الأنصار ومجتمع المدينة معه، وأن له نفوذا وهيبه نبوية في أرجاء العالم الإسلامي حتى في نفوس أعدائه!

٢ - لم يجرؤ معاوية على شتم علي (عليه السلام) في حياة الحسن (عليه السلام) وابن وقاص!

يظهر من مجموع الروايات أن معاوية لم يجرؤ على لعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة مع وجود الإمام الحسن (عليه السلام) فأوكل ذلك إلى المغيرة بن شعبه لما عينه حاكما على الكوفة، فاستأجر المغيرة رواة يروون الطعن في علي (عليه السلام) وأهل بيته ويخترعون فضائل لمعاوية وعثمان وبني أمية!

كان معاوية يتخوف إذا لعن عليا (عليه السلام) في الكوفة من ردة فعل الإمام الحسن (عليه السلام)!

أما في المدينة فقد جرب معاوية عندما دخلها في سنة الصلح فنال من علي (عليه السلام) في خطبته، فتصدى له الإمام الحسن (عليه السلام) وأجابه بذلك الجواب المنفحم ورد اللعنة عليه وعلى أسرته فقال: (إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا جعل له عدوا من المجرمين، فأنا ابن علي وأنت ابن صخر، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتك قتيلة وجدتي خديجة، فلعن الله الأمنا حسبا، وأحملنا ذكرا، وأعظمنا كفرا، وأشدنا نفاقا! فصاح أهل المسجد: آمين آمين. فقطع معاوية خطبته ودخل منزله).

(المستطرف: ١ / ١٥٧ و ٢٨٩، والإتحاف / ١٠، ونزهة الناظر / ٧٤)

ويظهر أن معاوية لم يعد إلى ذلك في المدينة، ويدل عليه ما رواه في العقد الفريد: ٥ / ١٠٨ قال: (ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة، وأراد أن يلعن عليا على منبر رسول الله (ص) فقليل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص ولا

نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه! فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه! فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد! فلما مات لعنه على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا! فكتبت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله (صلى الله عليه وآله)، فلم يلتفت إلى كلامها! وسيأتي موقف سعد. (راجع الغدير: ٢ / ١٠٢).

٣ - هيبة الإمام الحسن (عليه السلام) تفرض نفسها على معاوية ووزيره!
كان معاوية بن خديج السكوني حليف بني أمية وحاكم مصر من قبل عثمان، ثم صار رئيس العثمانية المعارضين لعلي (عليه السلام) في مصر، وشجع معاوية على غزو مصر فأرسل جيشا بقيادة ابن العاص، فقاتل مع أتباع ابن خديج حاكمها الشرعي محمد بن أبي بكر (رحمه الله) وقتله أحرقه فحكم ابن العاص مصر، ثم حكمها بعده ابن خديج مع إفريقية، فهو من أركان دولة بني أمية!
وكان ابن خديج هذا فحاشا يلعن عليا (عليه السلام) وجاء إلى المدينة مع معاوية، وكان الإمام الحسن (عليه السلام) جالسا أمام داره فقيل له ذاك ابن خديج الذي يلعن عليا! فأرسل من يحضره فدعاه فجاء! فنهاه الإمام عن المنكر وأتم عليه الحج، وصدع بمقام أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ربه! روى ذلك أبو يعلى في مسنده: ٦ / ١٧٤، (ابن أبي طلحة مولى بني أمية قال: حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه حج معاوية بن خديج، وكان من أسب الناس لعلي! قال: فمر في المدينة وحسن بن علي ونفر من أصحابه جالس، فقيل له هذا معاوية بن خديج الساب لعلي! قال: علي الرجل قال: فأتاه رسول فقال: أجب! قال: من؟ قال: الحسن بن علي يدعوك

فأتاه فسلم عليه فقال له الحسن: أنت معاوية بن خديج؟ قال: نعم، وقال فرد ذلك عليه (سأله عن اسمه ثانية) قال: فأنت الساب لعلي؟! قال: فكأنه استحيا! فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده، لتجدنه مشمر الإزار على ساق يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل! قول الصادق المصدوق (صلى الله عليه وآله) وقد خاب من افترى!). انتهى.

وفي أوسط الطبراني: ٣ / ٢٠٣: (قال: يا معاوية بن خديج! إياك وبغضنا، فإن رسول الله قال: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا زيد عن الحوض يوم القيمة بسياط من نار!) وفي نظم درر السمطين / ١٠٨: (لتجدنه مشمر الإزار على ساق يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل! وفي جزء ابن مخلد / ١٣٥: (فمر في مسجد الرسول، والحسن بن علي جالس فدعاه). ونحوه في كتاب السنة لابن أبي عاصم / ٣٤٦. وفي شرح النهج: ١٦ / ١٨: (قال المدائني: وروى أبو الطفيل قال: قال الحسن لمولى له: أتعرف معاوية بن خديج؟ قال: نعم، قال: إذا رأيته فأعلمني فرآه خارجا من دار عمرو بن حريث فقال: هو هذا فدعاه فقال له: أنت الشاتم عليا عند ابن آكلة الأكباد؟! أما والله... الخ.). (والطبراني الكبير: ٣ / ٨١، وتاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٨، وترجمة الطبقات / ٨٢، وغيرها).

ورواه في مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٠ بعدة روايات وفي بعضها: (فجاءه رجل فقال لقد سب عند معاوية عليا سبا قبيحا رجل يقال له معاوية بن خديج... قال: إذا رأيته فأتني به... قال أنت معاوية بن خديج؟ فسكت فلم يجبه، ثلاثا، ثم قال: أنت الساب عليا عند ابن آكلة الأكباد؟! (ورواه في تاريخ دمشق: ٥٦ / ٩١٩، و: ٢٩ / ٢٧، والطبراني في الكبير: ٣ / ٩١ بعدة أحاديث، ومجمع الزوائد: ٩ / ١٣٠، و ٢٧٢، ومختصر تاريخ دمشق: ٢٤ / ٣٩٣، وكفاية الطالب / ٨٩، والغارات: ١ / ٢٨٥، وابن مخلد / ١٣٥ وسير أعلام الذهبية: ٣ / ٣٩).

أقول: لا بد أن يكون ابن خديج وغيره حكوا لمعاوية ما فعله الإمام الحسن (عليه السلام)! ولكنه لم يستطع الانتصار له لا بالمنطق ولا بالقهر! وفي ظني أن الإمام

الحسن (عليه السلام) استعمل ولايته التكوينية لجر ابن خديج! فالمعادلات العادية لا تكفي لتفسير إجابة ذلك الجبار الطاغي ومثوله ذليلاً بين يدي الإمام (عليه السلام)! وتدل هذه القصة على حضور قوي للإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة، يحسب له حسابه!

ويشبهها ما رواه في الكشاف / ١٤٥٨ من أن الإمام الحسن (عليه السلام) واجه الوليد بن عقبة الأموي المعروف بالفاسق وقال له: (كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات وسماك فاسقاً)؟! انتهى. يقصد الإمام (عليه السلام) قصة الوليد التي اتفق الرواة على أنها نزل فيها: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). وفي أمالي الصدوق / ٥٧٨: (لا ألومك أن تسب علياً (عليه السلام)... وقتل أباك صبراً بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم بدر..)! ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبه في مصنفه: ٢ / ٢٧٢: (إن كان الحسن بن علي يسب مروان في وجهه وهو على المنبر حتى توفي). (ونحوه تاريخ دمشق: ٥٤ / ٢٩٠، وسير الذهبي: ٤ / ٤٠٧).

٤ - الإمام الحسن (عليه السلام) يبعث برسالة شديدة إلى ابن العاص!
(بلغ الحسن بن علي أن عمرو بن العاص ينتقص علياً على منبر مصر فكتب إليه: من الحسن بن علي إلى عمرو بن العاص: أما بعد، فقد بلغني أنك تقوم على منبر مصر على عتو آل فرعون وزينة آل قارون وسيماء أبي جهل تنتقص علياً (عليه السلام)! ولعمري لقد أوترت غير قوسك ورميت غير غرضك، وما أنت إلا كمن يقده في صفاة في بهيم أسود، فركبت مركبا صعبا وعلوت عقبة كؤودا فكنت كالباحث عن المدينة لحتفه! يا ابن جزار قريش ليس لك سهم في أبيات سؤودها ولا عائد بأفنية مجدها ولا بفالج قداحها، لا أحسبك تحظى بما تذكر غير قدرك الحقير ونسبك الدخيل ونفسك الدنية الحقيرة التي آثرت الباطل على الحق وقنعت بالشبع والدني من الحطام الفاني، لقد مقتك الله فأبشر

بسخطه وأليم عذابه وجزاء ما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد). (الملاحم والفتن / ٢٠٩).

٥ - خوف معاوية من تعاضم شعبية الإمام الحسن (عليه السلام) روت المصادر خطبة للإمام الحسن (عليه السلام) أمام معاوية يفتخر فيها بجده (صلى الله عليه وآله) ومعدنه، واشتركت رواياتها بأن معاوية حاول قطع كلام الإمام (عليه السلام) بسخرية فطلب منه أن يصف الرطب، فأجابه وتابع كلامه! ونصت رواية المجلسي على أنها كانت في المدينة، وسببها أن معاوية حسد الإمام لتعاضم شعبيته. قال في البحار: ٤٤ / ١٢١: (نظر إلى الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو بالمدينة وقد احتف به خلق من قريش يعظمونه، فتداخله حسد فدعا أبا الأسود الدؤلي والضحاك بن قيس الفهري فشاورهما في أمر الحسن والذي يهم به من الكلام.... وذكر أن أبا الأسود نهاه عن ذلك، لكن وزيره الخاص الضحاك بن قيس قال له: إمض يا أمير المؤمنين فيه رأيك ولا تنصرف عنه بلأيك (بتأخيرك) فإنك لو رميته بقوارض كلامك ومحكم جوابك، لقد ذل لك كما يذل البعير الشارف من الإبل! فقال: أفعل. وحضرت الجمعة فصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، وذكر علي بن أبي طالب فتنقصه ثم قال: أيها الناس إن شيبة من قريش ذوي سفه وطيش وتكدر من عيش، أتعبتهم المقادير اتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد وألسنتهم مبادر فباض وفرخ في صدورهم ودرج في نحورهم، فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل وأعمى عليهم السبل، وأرشدهم إلى البغي والعدوان والزور والبهتان فهم له شركاء وهو لهم قرين، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً، وكفى بي لهم ولهم مؤدباً، والمستعان الله.

فوثب الحسن بن علي (عليهما السلام) وأخذ بعضادة المنبر فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن

أبي طالب. أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجدا وطهورا، أنا ابن السراج المنير أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيين وسيد المرسلين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين. فلما سمع كلامه معاوية غاظ منطقه وأراد أن يقطع عليه فقال: يا حسن عليك بصفة الرطب (ودع هذا)! فقال الحسن (عليه السلام): الريح تلقحه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيئه، ثم أقبل على كلامه فقال.... وذكر مواصلة الإمام (عليه السلام) لكلامه، وأن معاوية أنهى كلام الإمام (عليه السلام) (ثم نزل معاوية وأخذ بيد الحسن وقال: لا مرحبا بمن ساءك).

ورواها في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٨، عن العقد الفريد لابن عبد البر، وعن المدائني، لكنها تشبه خطبته (عليه السلام) في الكوفة يوم الصلح ما عدا وصف الرطب قال: (فقال: نعم، تلفحه الشمال، وتخرجه الجنوب، وتنضجه الشمس، ويطيئه القمر) ثم قال: (وفي رواية المدائني: الريح تنفحه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيئه. وفي رواية المدائني فقال عمرو: أبا محمد هل تنعت الخراة؟ قال: نعم، تبعد الممشى في الأرض الصحصح حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تمسح باللقمة والرمة يريد العظم والروث، ولا تبل في الماء الراكد).

ورواها الذهبي في تاريخ الإسلام: ٤ / ٣٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٦ / ٥٩، وكذا الوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٩، لكن جعل مناسبتها أن أبا الأعور وابن العاص طلبا من معاوية أن يخطب الحسن (عليه السلام) عندما بايعه فخطب.. وذكروا فيها طعن الإمام (عليه السلام) في نسب عمرو وشهادته بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لعن أبا الأعور وأبا سفيان! وقد تقدم ذلك وأشارنا إلى أن هذه الفقرة لا تناسب تلك الخطبة فهي من خطبة أخرى.

ورواها الصدوق في أماليه / ٢٤٤ باختصار وذكر مناسبتها أن معاوية أراد إحراج

الإمام (عليه السلام) فقال له: (إصعد المنبر وتكلم بكلمات تعظنا بها. فقام (عليه السلام) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن سيده النساء فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنا ابن خير خلق الله أنا ابن رسول الله أنا ابن صاحب الفضائل أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقي، أنا وأخي الحسين سيدي شباب أهل الجنة، أنا ابن الركن والمقام أنا ابن مكة ومنى أنا ابن المشعر وعرفات. فقال له معاوية: يا أبا محمد، خذ في نعت الرطب ودع هذا. فقال: الريح تلقحه والحر ينضجه والبرد يطيبه. ثم عاد في كلامه فقال: أنا إمام خلق الله وابن محمد رسول الله، فخشي معاوية أن يتكلم بعد ذلك بما يفتتن به الناس فقال: يا أبا محمد إنزل فقد كفى ما جرى فنزل!

٦ - معاوية يحاول الحط من مكانة الإمام الحسن (عليه السلام) في جواهر المطالب لابن الدمشقي: ٢ / ٢١٥: (ودخل الحسن على معاوية وهو مضطجع فجلس عند رجله فقال معاوية: ألا أطرفك؟ بلغني أن عائشة تقول: معاوية لا يصلح للخلافة! فقال الحسن: وأعجب من ذلك قعودي عند رجلك! فقام معاوية واعتذر إليه!) (وكشف الغمة: ٢ / ١٩٦، ونثر الدرر للآبي / ١٥٠).

٧ - معاوية يتراجع في مشادة بين بني هاشم وبني أمية في أمالي الطوسي / ٢١٢: (خاصم عمرو بن عثمان بن عفان أسامة بن زيد إلى معاوية بن أبي سفيان مقدمه المدينة في حائط (بستان) من حيطان المدينة، فارتفع الكلام بينهما حتى تلاحيا فقال عمرو: تلاحيني وأنت مولاي؟ فقال أسامة: والله ما أنا بمولاك ولا يسرنني أني في نسبك، مولاي رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال: ألا تسمعون

بما يستقبلني به هذا العبد؟! ثم التفت إليه عمرو فقال له: يا بن السوداء ما أطغاك!
فقال: أنت أطغى مني وألام، تعيرني بأمي وأمي والله خير من أمك وهي أم أيمن
مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشرها رسول الله في غير موطن بالجنة، وأبي
خير من أبيك زيد بن حارثة صاحب رسول الله وحبه ومولاه، قتل شهيدا بمؤتة على
طاعة الله وطاعة رسوله، وقبض رسول الله وأنا أمير على أبيك وعلى من هو خير من
أبيك على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسروات المهاجرين والأنصار، فأنى تفاخرني يا
بن عثمان! فقال عمرو: يا قوم أما تسمعون بما يجبهني به هذا العبد؟! فقام مروان بن
الحكم فجلس إلى جنب عمرو بن عثمان، فقام الحسن بن علي فجلس إلى جنب
أسامة، فقام عتبة بن أبي سفيان فجلس إلى جنب عمرو، فقام عبد الله بن عباس فجلس
إلى جنب أسامة، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جنب عمرو، فقام عبد الله بن جعفر
فجلس إلى جنب أسامة.

فلما رأهم معاوية قد صاروا فريقين من بني هاشم وبني أمية، خشي أن يعظم البلاء
فقال: إن عندي من هذا الحائط لعلما! قالوا: فقل بعلمك فقد رضينا! فقال معاوية:
أشهد أن رسول الله جعله لأسامة بن زيد، قم يا أسامة فاقبض حائطك هنيئا مريئا، فقام
أسامة والهاشميين وجزوا معاوية خيرا! فأقبل عمرو بن عثمان على معاوية فقال: لا
جزاك الله عن الرحم خيرا، ما زدت على أن كذبت قولنا وفسخت حجتنا وشممت بنا
عدونا! فقال معاوية: ويحك يا عمرو! إنني لما رأيت هؤلاء الفتية من بني هاشم قد
اعتزلوا، ذكرت أعينهم تزور إلي من تحت المغافر بصفين فكاد يختلط علي عقلي! وما
يؤمني يا بن عثمان منهم وقد أحلوا بأبيك ما أحلوا، ونازعوني مهجة نفسي حتى
نجوت منهم بعد نبأ عظيم وخطب جسيم! فانصرف فنحن مخلفون لك خيرا من
حائطك إن شاء الله!!

٨ - الإمام الحسن (عليه السلام) يرد جبرية معاوية ويؤكد حرية الإنسان!
كتب اليه الحسن البصري: (من الحسن البصري إلى الحسن بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما بعد فإنكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة، ومصايح الدجى وأعلام الهدى، والأئمة القادة الذين من اتبعهم نجا، والسفينة التي يؤول إليها المؤمنون وينجو فيها المتمسكون. قد كثريا ابن رسول الله عندنا الكلام في القدر واختلفنا في الاستطاعة، فتعلمنا ما نرى عليه رأيك ورأي آبائك فإنكم ذرية بعضها من بعض، من علم الله علمتم وهو الشاهد عليكم وأنتم شهداء على الناس. والسلام. فأجابه الحسن بن علي (عليه السلام):

من الحسن بن علي إلى الحسن البصري. أما بعد، فقد انتهى إلي كتابك عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا، وكيف ترجعون إلينا وأنتم بالقول دون العمل! واعلم أنه لولا ما تناهى إلي من حيرتك وحيرة الأمة قبلك لأمسكت عن الجواب ولكني الناصح ابن الناصح الأمين. والذي أنا عليه: أنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد فجر! إن الله تعالى لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة، ولم يهمل العباد سدى من المملكة ولكنه عز وجل المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدروهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عز وجل لهم صادوا ولا عنها مانعا، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يمن عليهم فيحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجبارا ولا ألزمهم بها إكراها، بل احتجاجه جل ذكره عليهم أن عرفهم وجعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه وترك ما نهاهم عنه ولله الحجة البالغة. والسلام). (كنز الفوائد للكراچكي / ١٧٠).

٩ - الإمام (عليه السلام) يرد على معاوية والطلقاء ويؤكد قرآنية البسملة كان الطلقاء ومنهم معاوية يخافون من البسملة وتتوتر أعصابهم من الجهر بها! والسبب أن البسملة كانت سلاحاً من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) عندما كانوا يجتمعون عند داره أو حوله في المسجد ليسبوه ويؤذوه، فأمره الله أن يقرأ البسملة ويرفع بها صوته في وجوههم، فكانت ترتعد فرائصهم ويولون فراراً! وقد وصف الله تعالى فرارهم بقوله: (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا)! وقد روت ذلك مصادرهم كالدر المنثور: ٤ / ١٨٧: (أخرج البخاري في تاريخه عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: لم كنتم بسم الله الرحمن الرحيم فنعم الاسم والله كنتموا، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان إذا دخل منزله اجتمعت عليه قريش فيجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويرفع صوته بها فتولي قريش فراراً! فأنزل الله: (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا). (سورة الإسراء: ٤٦). (ونحوه كنز العمال: ٢ / ٤٥٤ عن ابن النجار وابن جرير، عن أبي الدرداء). وروته مصادرنا كما في تفسير القمي: ٢ / ٢٠: (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا تهجد بالقرآن تسمع له قريش لحسن صوته، وكان إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فروا عنه). وفي تفسير العياشي: ٢ / ٢٩٥: (عن زيد بن علي قال: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فذكر بسم الله الرحمن الرحيم فقال: تدري ما نزل في بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقلت: لا، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يصلي بفناء الكعبة فيرفع صوته، وكان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وجماعة منهم يستمعون قرائته، قال: وكان يكثر قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فيرفع بها صوته فيقولون إن محمداً ليردد اسم ربه تردداً إنه ليحبه، فيأمرون من يقوم فيستمع عليه ويقولون: إذا جاز بسم الله الرحمن الرحيم

فأعلمنا حتى نقوم فنستمع قرائته! فأنزل الله في ذلك: وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده - بسم الله الرحمن الرحيم - ولوا على أديبارهم نفورا).

وفي تفسير فرات / ٢٤١: (عن عمرو بن شمر قال: سألت جعفر بن محمد (صلى الله عليه وآله): إني أؤم قومي فأجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، قال: نعم فاجهر بها، قد جهر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، فإذا قام من الليل يصلي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته، فإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا، فإذا فرغ من ذلك جاؤوا فاستمعوا! قال: وكان أبو جهل يقول: إن ابن أبي كبشة ليردد اسم ربه إنه ليحبه. فقال جعفر (عليه السلام): صدق وإن كان كذوبا.

قال: فأنزل الله: وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أديبارهم نفورا. وهو: بسم الله الرحمن الرحيم). (والكافي: ٨ / ٢٦٦، والوسائل: ٤ / ٧٥٨).

وهذا يدل على أن جهر النبي (صلى الله عليه وآله) بالبسملة كان يشبه ضربهم بعصا كهربائية فيهربون! ثم يجذبهم القرآن وصوت النبي (صلى الله عليه وآله) فيعودون إلى الاستماع!

وقد استمر خوفهم من البسملة حتى بعد إعلانهم الإسلام! وانتقل هذا الخوف منهم إلى القرشيين المهاجرين من غير أهل البيت (عليهم السلام) عندما كثروا في المدينة، فتركوا البسملة! ثم دفعهم ذلك إلى إنكار أنها آية من القرآن!

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار: ١ / ٢٠٤: (فلما ثبت عن رسول الله (ص) وعمن ذكرنا بعده ترك الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، ثبت أنها ليست من القرآن!! ولو كانت من القرآن لوجب أن يجهر بها كما يجهر بالقرآن سواها ألا ترى أن بسم الله الرحمن الرحيم التي في النمل يجهر بها كما يجهر بغيرها من القرآن لأنها من القرآن، فلما ثبت أن التي قبل فاتحة الكتاب يخافت بها ويجهر بالقرآن

ثبت أنها ليست من القرآن، وثبت أن يخافت بها ويسر كما يسر التعوذ والافتتاح وما أشبهها! وقد رأيناها أيضا مكتوبة في فواتح السور في المصحف في فاتحة الكتاب وفي غيرها وكانت في غير فاتحة الكتاب ليست بآية، ثبت أيضا أنها في فاتحة الكتاب ليست بآية، وهذا الذي ثبت من نفي بسم الله الرحمن الرحيم أن تكون من فاتحة الكتاب ومن نفي الجهر بها في الصلاة قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى). (وعمدة القاري للعيني: ٥ / ٢٩١).

وفي المقابل أصر أهل البيت (عليهم السلام) على أنها من القرآن وعلى الجهر بها، حتى صارت من شعائر مذهبهم.

وقد روى الشافعي في كتابه الأم: ١ / ١٣٠، ما حدث لمعاوية فقال: (قدم المدينة فصلى بهم فلم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع، فناداه المهاجرون حين سلم والأنصار: أن يا معاوية سرقت صلاتك، أين بسم الله الرحمن الرحيم؟ وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت؟! فصلى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه). ورواه الدارقطني: ١ / ٣٠٩، ولطف قولهم لمعاوية ثم قال: (وروي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم عن النبي (ص) جماعة من أصحابه ومن أزواجه غير من سمينا كتبنا أحاديثهم بذلك في كتاب الجهر بها مفردا، واقتصرنا هاهنا على ما قدمنا ذكره طلبا للاختصار والتخفيف، وكذلك ذكرنا في ذلك الموضوع أحاديث من جهر بها من أصحاب النبي (ص) والتابعين لهم والخالفين بعدهم رحمهم الله). انتهى.

وقد رد عليه الإمام الإمام الحسن فروى عن أبيه (عليهما السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) كما في أمالي الصدوق / ٢٤٠: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم).

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، فأفرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم. وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله عز وجل خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك معه فيها أحدا من أنبيائه ما خلا سليمان (عليه السلام)). (وعيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٧٠).

أقول: رأيت قول الشافعي عن صلاة معاوية وجهره بالبسمة وتكراره للتكبير: (فصلى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه) ومعناه أن معاوية حاضر لأن يغير في صلاته بما يرضي الناس لأن الصلاة عنده عمل سياسي لا عبادة!

وكذلك هي الصلاة عند بني أمية! وهذه الرواية في الكافي: ٤ / ٥١٨، توضح ذلك: (عن أبي جعفر (الباقر (عليه السلام)) قال: حج النبي (صلى الله عليه وآله) فأقام بمنى ثلاثا يصلي ركعتين ثم صنع ذلك أبو بكر وصنع ذلك عمر ثم صنع ذلك عثمان ست سنين، ثم أكملها عثمان أربعاً فصلى الظهر أربعاً، ثم تمارض ليشد بذلك بدعته فقال للمؤذن: إذهب إلى علي فقل له فليصل بالناس العصر، فأتى المؤذن عليا (عليه السلام) فقال له: إن أمير المؤمنين عثمان يأمرك أن تصلي بالناس العصر فقال: إذن لا أصلي إلا ركعتين كما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)! فذهب المؤذن فأخبر عثمان بما قال علي فقال: إذهب إليه فقل له: إنك لست من هذا في شيء إذهب فصل كما تؤمر، قال علي: لا والله لا أفعل! فخرج عثمان فصلى بهم أربعاً.

فلما كان في خلافة معاوية واجتمع الناس عليه وقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) حج معاوية فصلى بالناس بمنى ركعتين الظهر ثم سلم، فنظرت بنو أمية بعضهم إلى بعض وثقيف ومن كان من شيعة عثمان، ثم قالوا: قد قضى على صاحبكم وخالف وأشمت به عدوه! فقاموا فدخلوا عليه فقالوا: أتدري ما صنعت ما زدت على أن قضيت على صاحبنا وأشمت به عدوه ورغبت عن صنيعه وسنته!

فقال: ويلكم أما تعلمون أن رسول الله صلى في هذا المكان ركعتين وأبو بكر وعمر،
وصلى صاحبكم ست سنين كذلك، فتأمروني أن أدع سنة رسول الله وما صنع أبو بكر
وعمر وعثمان قبل أن يحدث؟! فقالوا: لا والله ما نرضى عنك إلا بذلك، قال: فأقبلوا
فإني مشفعكم وراجع إلى سنة صاحبكم! فصلى العصر أربعاً فلم يزل الخلفاء والأمراء
على ذلك إلى اليوم! انتهى.

فقد أصر الأمويون على صلاة عثمان وإن كانت بدعة لأن الصلاة عندهم أمر سياسي!
وصلى معاوية من أجلهم أربع ركعات، لأن الصلاة عنده أمر سياسي!
كما صلى في المدينة بالبسملة والتكبيرات كما أراد الأنصار!
**

الإمام الحسن (عليه السلام) يجاهر بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ويفضح
الانحراف!

١ - يروي مناقب علي (عليه السلام) لمواجهة اللعن الأموي
يحاول خصوم الشيعة أن يصوروا للمسلمين أن مذهب التشيع لأهل البيت (عليهم
السلام) نشأ متأخراً، لكنهم يقفون حيارى أما النصوص الصريحة من النبي (صلى الله
عليه وآله) وصحابته الأبرار التي نصت على الوصية والعصمة وبقية أصول المذهب،
ومنها نصوص عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن ولديه السبطين الحسنين (عليهما
السلام)، وهذه نماذج منها صدع بها الإمام الحسن (عليه السلام): روى عنه الصدوق
في الخصال / ٣١: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خلقت أنا وعلى من نور
واحد). وعنه في الأمالي / ٦٥٢: (قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)
يقول: أنا سيد النبيين، وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين، والحسن

والحسين سيدا شباب أهل الجنة، والأئمة بعدهما سادات المتقين، ولينا ولي الله وعدونا عدو الله، وطاعتنا طاعة الله ومعصيتنا معصية الله عز وجل).

٢ - ويجهر بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) وفريضة ولايتهم فقد روت عنه مصادر السنة والشيعة أحاديث في فريضة حب أهل البيت (عليهم السلام)، منها أنه قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا معرفة حقنا). (أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢ / ٢٦٠، ومجمع الزوائد: ٩ / ١٧٢، ومن مصادرنا المحاسن: ١ / ٦١ والظاهر أن الإمام الحسين (عليه السلام) أيضا صدع به كما في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عقدة / ١٧١، والمناقب لمحمد بن سليمان: ٢ / ١٠٠، وشرح الأخبار: ١ / ٤٤٥، و: ٣ / ٤٨٧ وأمالى الطوسي / ١٨٧، وجامع أحاديث الشيعة: ١ / ٤٤٨، وبشارة المصطفى للطبري / ١٦٢، وينايع المودة: ٢ / ٣٥٧. ورواه المفيد في أماليه عن الإمام الحسين (عليه السلام) / ١٣ و ٤٤ ورواه / ١٤٠ عن ابن عباس).

٣ - ويجهر بحديث جده (صلى الله عليه وآله) أن مبغض العترة يهودي أو...! من أشد ما جهر به الإمام الحسن (عليه السلام) وبلغه إلى المسلمين، قول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (لا يبغضك من الأنصار إلا من كان أصله يهوديا!!) (عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ٦٥. وفي علل الشرائع: ٢ / ٤٦٨، عن عبادة بن الصامت: إذا رأيت رجلا من الأنصار يبغض علي بن أبي طالب فاعلم أن أصله يهودي! وفي كتاب الأربعين في حب علي للجزري: ٣ / ١٤٠، عن شريك وكلاهما موقوفان. وفي علل الشرائع: ١ / ١٤٣: قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا علي لا يبغضك من قريش إلا سفاحي ولا من الأنصار إلا يهودي، ولا من العرب إلا دعي، ولا من سائر الناس إلا شقي.. الخ. ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ٢ / ١٠٢ عن خصائص النطنزي، والخوارزمي في المناقب / ٣٢٣، عن ابن عباس، ونحوه في هامشه للجويني في فرائد السمطين: ١ / ١٣٤.

وفي شرح الأخبار: ٣ / ٤٤٧ عن ابن عباس: ما أبغض عليا إلا من هو لغير رشدة! أي ابن زنا! وفي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٠ عن الهروي في الغريبين عن عبادة بن الصامت: كنا نبور (نختبر)

أولادنا بحب علي بن أبي طالب فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رشدة).
وغيرضا أن الإمام الحسن (عليه السلام) واجه بهذا الحديث خطة معاوية ضد علي
وأبنائه (عليهم السلام)! وأحاديث الباب كثيرة كحديث أن من يبغض عليا فهو رديء
الولادة، ومن أشهرها وأوسعها حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي (صلى الله
عليه وآله) قال: بوروا أولادكم بحب علي بن أبي طالب! أي اختبروا طيب ولادتهم،
وقول جابر: كنا نبور أولادنا بحب علي! كما في غريب الحديث لابن الجوزي: ١ /
٩٠، والنهاية لابن الأثير: ١ / ١٦١، ولسان العرب: ٤ / ٨٧، وتاج العروس: ٣ /
٦١، وفي طبعة ١٠ / ٢٥٧، وتهذيب اللغة للأزهري: ١٥ / ١٩١. ومن مصادرنا:
مجمع البيان: ٩ / ١٧٧، ونهج الإيمان / ٤٥٦، وأورد الأميني في الغدير: ٤ / ٣٢٢،
بمعناه اثني عشر أثرا وحديثا، وذكر السيد الميلاني في محاضرات في العقائد: ٢ /
٨١٤، تحريفهم له إلى: (كنا بنور إيماننا نحب علي بن أبي طالب)! انتهى.
ورواية الإمام الحسن (عليه السلام) لهذه الأحاديث يعني تحديه لمعاوية، فقد كان
حكم راويها القتل، خاصة أنها تتهم معاوية ومن يبغض العترة (عليهم السلام) في
أنسابهم!

٤ - ويجاهر برأيه في سقيفة قريش!

يدل الحديث الآتي على أن الإمام (عليه السلام) كان يتحدث عن السقيفة بصراحة،
ويدل تحريفهم لروايته على خطورتها عندهم! ففي مصنف عبد الرزاق: ١١ / ٣٢٢:
عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: (قال حذيفة: هلك أصحاب العقد (ة) ورب
الكعبة، والله ما عليهم آسى ولكن على من يهلكون من أصحاب محمد! وسيعلم
الغالبون العقد حظ من ينقصون). وفي هامشه: (يعني أصحاب الولايات على الأمصار،
لأن الولاية تعقد لهم الألوية). والصحيح: (أصحاب العقدة) كما في رواية عبد الرزاق:
٨ / ٦٢٠: عن أبي بن كعب: (هلك أهل هذه العقدة ورب الكعبة هلكوا وأهلكوا
كثيرا أما والله ما عليهم آسى ولكن على من يهلكون من أمة محمد (صلى الله عليه
وآله)!). (ونحوه الحاكم: ٤ / ٥٢٧).

وفي الفصول المختارة / ٩٠: (والدليل على ذلك ما روته العامة عن أبي بن كعب أنه كان يقول في مسجد رسول الله (ص) بعد أن أفضى الأمر إلى أبي بكر بصوت يسمعه أهل المسجد: ألا هلك أهل العقدة! والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس! فقيل له: يا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هؤلاء أهل العقدة وما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم إن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يورثوا أحدا من أهل بيته ولا يولوهم مقامه! أما والله لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاما أبين به للناس أمرهم، قال: فما أتت عليه الجمعة!! انتهى. وقد قتلوا الصحابي أبي بن كعب (رحمه الله) بالسهم يوم الأربعاء قبل أن يقف في المسجد النبوي ويكشف التعاقد السري بين زعماء قريش ضد أهل البيت (عليهم السلام)!

وفي الخصال للصدوق / ١٧٠ أن الإمام الحسن (عليه السلام) روى أن عمر اعترف عند موته ببعض ما أراد أن يكشفه أبي بن كعب. وللحديث عنه مجال آخر!

٥ - ويصارع معاوية بالأئمة الاثني عشر والطغاة الاثني عشر!

في الإحتجاج: ٢ / ٣ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: (قال لي معاوية: ما أشد تعظيمك للحسن والحسين، ما هما بخير منك ولا أبوهما بخير من أبيك، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله لقلت: ما أمك أسماء بنت عميس بدونها. قال: فغضبت من مقالته وأخذني ما لا أملك فقلت: أنت لقليل المعرفة بهما، وبأبيهما وأمهما! بلى والله إنهما خير مني وأبوهما خير من أبي وأمهما خير من أمي، ولقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ووعيته. فقال معاوية - وليس في المجلس غير الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس وأخيه الفضل: هات ما سمعت! فوالله ما أنت بكذاب. فقال إنه أعظم مما في نفسك. قال: وإن كان أعظم من أحد وحرأ فآته ما لم يكن أحد من أهل الشام!

أما إذا قتل الله طاغيتكم وفرق جمعكم، وصار الأمر في أهله ومعدنه فما نبالي ما قتلتم ولا يضرنا ما ادعيتهم! قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه. وعلي بين يديه في البيت والحسن والحسين وعمرو بن أم سلمة وأسامة بن يزيد، وفي البيت فاطمة (عليها السلام) وأم أيمن وأبو ذر والمقداد والزيير بن العوام، وضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً! ثم نص بالإمامة على الأئمة تمام الاثني عشر (عليهم السلام) ثم قال (صلى الله عليه وآله): لأمتي اثنا عشر إمام ضلالة كلهم ضال مضل! عشرة من بني أمية ورجلان من قريش، وزر جميع الاثني عشر وما أضلوا في أعناقهما، ثم سماهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسمى العشرة منهما! قال: فسمهم لنا. قال: فلان وفلان وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص أولهم مروان! قال معاوية: لئن كان ما قلت حقاً هلكت وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الأمة! وهلك أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والتابعين من غيركم وأهل البيت وشيعتكم! قال ابن جعفر: فإن الذي قلت والله حق سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله). قال معاوية للحسن والحسين وابن عباس: ما يقول ابن جعفر؟ قال ابن عباس: ومعاوية بالمدينة أول سنة اجتمع عليه الناس بعد قتل علي (عليه السلام): أرسل إلى الذي سمى، فأرسل إلى عمرو بن أم سلمة، وأسامة، فشهدوا جميعاً أن الذي قال ابن جعفر حق، قد سمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما سمعوا. ثم أقبل معاوية إلى الحسن، والحسين، وابن عباس، والفضل، وابن أم سلمة وأسامة. قال: كلكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا: نعم. قال معاوية: فإنكم يا بني عبد المطلب لتدعون أمراً وتحتجون بحجة قوية إن كانت حقاً، وإنكم

لتبصرون على أمر وتسترونه والناس في غفلة وعمى! ولئن كان ما تقولون حقا لقد هلكت الأمة ورجعت عن دينها وكفرت بربها وحدث نبيا، إلا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم وأولئك قليل في الناس! فأقبل ابن عباس على معاوية فقال: قال الله تعالى: وقليل من عبادي الشكور. وقال: وقليل ما هم. وما تعجب منا يا معاوية فاعجب من بني إسرائيل، إن السحرة قالوا لفرعون: فاقض ما أنت قاض فأمنوا بموسى وصدقوه ثم سار بهم ومن اتبعهم من بني إسرائيل فأقطعهم البحر وأراهم العجائب وهم مصدقون بموسى وبالتوراة يقرون له بدينه، ثم مروا بأصنام تعبد فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون! وعكفوا على العجل جميعا غير هارون فقالوا: هذا إلهكم وإله موسى، وقال لهم موسى بعد ذلك: أدخلوا الأرض المقدسة، فكان من جوابهم ما قص الله عز وجل عليهم: قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، فما اتباع هذه الأمة رجالا سودوهم وأطاعوهم، ما لهم سوابق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنازل قريبة منها، مقرين بدين محمد (صلى الله عليه وآله) وبالقرآن، حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليتهم، بأعجب من قوم صاغوا من حليهم عجلا ثم عكفوا عليه يعبدونه ويسجدون له ويزعمون أنه رب العالمين، واجتمعوا على ذلك كلهم غير هارون وحده، وقد بقي مع صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى من أهل بيته ناس: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، والزبير، ثم رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتى لقوا الله. وتعجب يا معاوية أن سمى الله من الأئمة واحدا بعد واحد، وقد نص عليهم رسول الله بغدير خم وفي غير موطن، واحتج بهم عليهم وأمرهم بطاعتهم، وأخبر أن أولهم علي بن أبي طالب ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعده وأنه خليفته فيهم ووصيه! وقد بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) جيشا يوم

مؤتة فقال: عليكم بجعفر فإن هلك فزيد فإن هلك فعبد الله بن رواحة فقتلوا جميعا، أفتري يترك الأمة ولم يبين لهم من الخليفة بعده، ليختاروا هم لأنفسهم الخليفة، كأن رأيهم لأنفسهم أهدى لهم وأرشد من رأيه واختياره! وما ركب القوم ما ركبوا إلا بعد ما بينه، وما تركهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عمى ولا شبهة. فأما ما قال الرهط الأربعة الذين تظاهروا على علي (عليه السلام) وكذبوا على رسول الله وزعموا أنه قال: إن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة، فقد شبهوا على الناس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم!

قال معاوية: ما تقول يا حسن؟ قال: يا معاوية قد سمعت ما قلت، وما قال ابن عباس، فالعجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك ومن جرأتك على الله حين قلت: قد قتل الله طاغيتكم ورد الأمر إلى معدنه! فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا؟! ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس وسنوا لك هذه السنة! لأقولن كلاما ما أنت أهله ولكني أقول ليسمعه بنو أبي هؤلاء حولي: إن الناس قد اجتمعوا على أمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ولا تنازع ولا فرقة، على: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله عبده، والصلوات الخمس، والزكاة المفروضة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله، واجتمعوا على تحريم الزنا والسرقه والكذب والقطيعة والخيانة، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله، واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها وصاروا فرقا يلعن بعضهم بعضا وهي: الولاية، يتبرأ بعضهم عن بعض ويقتل بعضهم بعضا أيهم أحق وأولى بها، إلا فرقة تتبع كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله، سلم ونجا به من

النار ودخل الجنة. ومن وفقه الله ومن عليه واحتج عليه بأن نور قلبه بمعرفة ولاية الأمر من أئمتهم ومعدن العلم أين هو، فهو عند الله سعيد ولله ولي، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رحم الله امرء علم حقاً فقال، أو سكت فسلم.

نحن أهل البيت نقول: إن الأئمة منا وإن الخلافة لا تصلح إلا فينا، وإن الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه، وإن العلم فينا ونحن أهله وهو عندنا مجموع كله بحذافيره، وإنه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبخط علي (عليه السلام) بيده. وزعم قوم: أنهم أولى بذلك منا حتى أنت يا ابن هند تدعي ذلك، وتزعم أن عمر أرسل إلى أبي أني أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث إلي بما كتبت من القرآن، فأتاه فقال: تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك. قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قال: والراسخون في العلم، إياي عنى ولم يعنك ولا أصحابك، فغضب عمر ثم قال: يا ابن أبي طالب تحسب أن أحدا ليس عنده علم غيرك! من كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتني به، وكان إذا جاء رجل فقراً شيئاً معه يوافق فيه آخر كتبه وإلا لم يكتبه. ثم قالوا: قد ضاع منه قرآن كثير بل كذبوا والله، بل هو مجموع محفوظ عند أهله! ثم أمر عمر قضاته وولاته: اجتهدوا آرائكم واقضوا بما ترون أنه الحق! فلا يزال هو وبعض وولاته قد وقعوا في عزيمة فيخرجهم منها أبي ليحتج عليهم بها، فتجمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شيء واحد بقضايا مختلفة فأجازها لهم، لأن الله تعالى لم يؤت الحكمة وفصل الخطاب، وزعم كل صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة: أنهم معدن الخلافة والعلم دوننا! فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقنا وركب رقابنا، وسن للناس علينا ما يحتج به مثلك! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إنما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا فذلك ناج محب لله ولي. وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحل دماءنا ويجحد حقنا، ويدين الله بالبراءة منا فهذا كافر مشرك، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبون الله عدوا بغير علم كذلك يشرك بالله بغير علم. ورجل آخذ بما لا يختلف فيه ورد علم ما أشكل عليه إلى الله، مع ولايتنا ولا يأتم بنا ولا يعادينا ولا يعرف حقنا، فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة فهذا مسلم ضعيف. فلما سمع معاوية ذلك، أمر لكل منهم بمائة ألف درهم، غير الحسن والحسين وابن جعفر، فإنه أمر لكل واحد منهم بألف ألف درهم! (كتاب سليم بن قيس / ٣٦١).

وهذا من دهاء معاوية وقوة التأثير الروحي للسبكين الإمامين (عليهما السلام).

٦ - ويشر بالإمام المهدي ودولة أهل البيت (عليهم السلام)

في شرح الأخبار: ٣ / ٩٦: أنه (عليه السلام) (مر في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحلقة فيها قوم من بني أمية فتغامزوا به، وذلك عندما تغلب معاوية على ظاهر أمره، فرآهم وتغامزهم به فصلى ركعتين ثم جاءهم، فلما رأوه جعل كل واحد منهم يتنحى عنه مجلسه له، فقال لهم: كونوا كما أنتم فإنني لم أرد الجلوس معكم ولكن قد رأيت تغامزكم بي! أما والله لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ولا سنة إلا ملكنا سنتين! وإنا لنأكل في سلطانكم ونشرب ونلبس ونركب وننكح وأنتم لا تأكلون في سلطاننا ولا تشربون ولا تلبسون ولا تركبون! فقال له رجل: وكيف يكون ذلك يا أبا محمد وأنتم أجود الناس وأرأفهم وأرحمهم تأمنون في سلطان القوم ولا يأمنون في سلطانكم؟! فقال: لأنهم عادونا بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفاً، وإنا عاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد! (ونحوه في المناقب: ٣ / ١٧٥).

وروى المفيد في الأمالي / ١٥ كلاماً لابن عباس فيه من كلام الإمام الحسن (عليه السلام) قال:

(حضر عبد الله بن عباس مجلس معاوية بن أبي سفيان، فأقبل عليه معاوية فقال: يا ابن عباس إنكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما اختصاصتم بالنبوة؟! والله لا يجتمعان أبداً، إن حجتكم في الخلافة مشتبهة على الناس، إنكم تقولون: نحن أهل بيت النبي فما بال خلافة النبوة في غيرنا؟!... فقال ابن عباس: أما قولك يا معاوية إنا نحتج بالنبوة في استحقاق الخلافة فهو والله كذلك، فإن لم يستحق الخلافة بالنبوة فبم تستحق؟! وأما قولك إن الخلافة والنبوة لا تجتمعان لأحد، فأين قول الله عز وجل: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً. فالكتاب هو النبوة، والحكمة هي السنة، والملك هو الخلافة، ونحن آل إبراهيم والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة. وأما دعواك على حجتنا أنها مشتبهة فليس كذلك وحجتنا أضوأ من الشمس وأنور من القمر، كتاب الله معنا وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) فينا وإنك لتعلم ذلك ولكن ثنى عطفك وصعرك! قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمك فلا تبك على أعظم حائلة، وأرواح في النار هالكة ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك وأحلها الكفر ووضعها الدين! وأما ترك تقديم الناس لنا فيما خلا، وعدولهم عن الاجتماع علينا، فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم وكل أمر إذا حصل حاصله ثبت حقه وزال باطله. وأما افتخارك بالملك الزائل الذي توصلت إليه بالمحال الباطل، فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله! وما تملكون يوماً يا بني أمية إلا ونملك بعدكم يومين ولا شهراً إلا ملكنا شهرين، ولا حولاً إلا ملكنا حولين). (ورواه في أخبار الدولة العباسية / ٥١، وفيه قول معاوية: (وقد زعمتم أن لكم ملكاً هاشمياً مهدياً قائماً والمهدي عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه)! وروى السيوطي شبيهاً به في الدر المنثور: ٢ / ١٧٣، و مختصراً في تاريخ الخلفاء / ١١).

وقد بشر الإمام الحسن بالإمام المهدي ودولة أهل البيت في زمن أبيه (عليهم السلام)، ففي

أمالي الطوسي / ٨٢ عن ابن سيرين قال: (سمعت غير واحد من مشيخة أهل البصرة يقولون: لما فرغ علي بن أبي طالب من الجمل عرض له مرض وحضرت الجمعة فتأخر عنها، وقال لابنه الحسن: انطلق يا بني فجمع بالناس، فأقبل الحسن إلى المسجد، فلما استقل على المنبر حمد الله وأثنى عليه وتشهد وصلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: أيها الناس: إن الله اختارنا بالنبوة واصطفانا على خلقه وأنزل علينا كتابه ووحىه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا تنقصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين، ثم جمع بالناس. وبلغ أباه كلامه فلما انصرف إلى أبيه نظر إليه وما ملك عبرته أن سألت علي خديه، ثم استدناه إليه فقبل بين عينيه وقال: بأبي أنت وأمي، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم). (والمحتضر للحسن بن سليمان / ١٥٠).

وكذلك في الكوفة: (لما صالح الحسن بن علي (عليهما السلام) معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال (عليه السلام): ويحكم ما تدرون ما عملت! والله الذي عملت خيراً لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أن الخضر (عليه السلام) لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير). (كمال الدين للصدوق / ٣١٦).

* *

مناظرات الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة ودمشق

١ - المناظرات مادة مهمة لدراسة التاريخ والسيره

لا تعجب عندما تجد عددا من كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) في مصادر السنة أكثر منها في مصادرنا، وأنه يناظر فيها أو يفتخر على معاوية ومروان وابن العاص وأبي الأعرور السلمي وابن الزبير، وغيرهم من أركان أمبراطورية بني أمية وألد أعداء أهل البيت النبوي (عليهم السلام)! فقد كان معاوية يحب هذا النوع من المناظرات والمفاخرات، ويحرص على عقدها في مجلسه أو في المسجد! ومع أنه كان يقول إنها لا تخلو من أضرار لكنه كان مغرما بها شبيها بهواية صراع الديكة، حريصا على أن تكون بحضوره وأن يكون طرفا فيها أحيانا!

وكان المسلمون سواء الطبقة الحاكمة وكبار شخصيات المجتمع أو عامة الناس يتناقلونها بشوق وبدون حرج من السلطة. ولهذا انتشرت أخبارها ووصلت إلينا! إنها إرادة الله تعالى أن يتبنى معاوية عملا يخلد فضائحه وفضائح بني أمية ويحبط كثيرا من خططه وجهوده في نشر شتم لعلي (عليه السلام) وفرض لعنه على منابر المسلمين، ونشر مناقب بني أمية المزعومة!

إن هذه المناظرات والمفاخرات مادة مهمة للدراسة، فكثير من الحقائق التي عرفتها الأمة عن بني أمية وتحولت إلى مخزون للثورة عليهم، كانت من ثمارها!

وأعتقد أن أهم دافع للإمام الحسن (عليه السلام) في سفره إلى الشام كان اغتنام فرصة هذه المجالس التي كان معاوية يحرض عليها في الشام أكثر من المدينة!
وقد أورد البيهقي في المحاسن والمساوي / ٥٨، عددا منها تحت عنوان: (محاسن كلام الحسن بن علي رضي الله عنه) وبدأها بمناظرة بين الإمام الحسن (عليه السلام) في قصر معاوية! قال: (أتى الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس فأمر معاوية فأنزل، فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم وزياد بن أبي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم ومجدهم، فقال معاوية: أكثرتم الفخر، فلو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن العباس لقصرا من أعتكما ما طال!.. وأورد مناظرة ومفاخرة طويلة رتبها معاوية، وفضحهم فيها الإمام الحسن (عليه السلام)! فقبله ابن عباس بين عينيه وقال له: (أفديك يا ابن عم! والله ما زال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا! فقال له الإمام (عليه السلام): (يا ابن العم إنما هي بغاث الطير، انقض عليها أجدل).

ثم روى البيهقي تحريك معاوية لابن الزبير لمناظرة الإمام (عليه السلام) في اليوم التالي، جاء في ختامها قول الإمام (عليه السلام): (ثم بايعوا أمير المؤمنين فسار إلى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخذعا عرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقتل أبوك وطلحة، وأتى بك أسيرا فبصبصت بذنبك وناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي وأنا سيدك وسيد أبيك! فذق وبال أمرك!
فقال ابن الزبير: أعذر يا أبا محمد، فإنما حملني على محاورتك هذا، وأحب الإغراء بيننا! فهلا إذ جهلت أمسكت عني، فإنكم أهل بيت سحيتكم الحلم والعفو! فقال الحسن: يا معاوية أنظر هل أكيع عن محاورة أحد! ويحك أتدري من أي شجرة أنا وإلى من أنتمي، إنته قبل أن أسمك بميسم تتحدث به الركبان

في الآفاق والبلدان!! فقال ابن الزبير: هو لذلك أهل! فقال معاوية: أما إنه قد شفى بلابل صدري منك ورمى مقتلك فصرت كالحجل في كف البازي يتلاعب بك كيف أراد! فلا أراك تفتخر على أحد بعدها:

سبق الجواد من المدى والمقيس* فيم الكلام وقد سبقت مبرزا (أي ظهر سبق من المقيس وهو خط البداية في السباق) فقال معاوية: إياي تعني، أما والله لأنبئتك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك! أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أجودها جودا وأكرمها جدودا وأوفاهها عهدودا، أنا ابن من ساد قريشا ناشئا وكهلا. فقال الحسن: أجل إياك أعني أفعلي تفتخر يا معاوية! أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى، وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثابت والشرف الفائق والقديم السابق، أنا ابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبي وقديم كقديمي؟! فإن قلت لا، تغلب! وإن قلت نعم تكذب! فقال معاوية: أقول لا، تصديقا لقولك.

فقال الحسن: الحق أبلغ ما تخون سبيله* والصدق يعرفه ذووا الأبواب ثم أورد البيهقي ما تقدم من مدح معاوية للإمام الحسن (عليه السلام) وتحريك ابن العجلان ليمدحه، في مقابل بعض بني أمية الطامعين في الخلافة! ثم أورد مناظرة الإمام (عليه السلام) مع ابن العاص فقال: (واستأذن الحسن بن علي علي معاوية وعنده عبد الله ابن جعفر وعمرو بن العاص، فأذن له فلما أقبل قال عمرو: قد جاءكم الأفه العيي...) ومعناه أن معاوية حركه ضد الإمام (عليه السلام) لينظره ويفضح عمروا وهكذا كان! ثم ذكر البيهقي أن (عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر، فيكون ذلك مما نعيه به فبعث إليه معاوية فأصعد المنبر وقد جمع له الناس...). وذكر خطبة

شبيهة بالتي قال معاوية فيها يا حسن إنعت لنا الرطب!
ثم قال البيهقي: (وقدم الحسن بن علي رضوان الله عليه على معاوية، فلما دخل عليه
وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه
اليمن وأهل الشام، فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريره، وأقبل عليه بوجهه يريه
السرور بمقدمه، فلما نظر مروان إلى ذلك حسده! وكان معاوية قال لهم: لا تحاوروا
هذين الرجلين، فلقد قلداكم العار وفضحاكم عند أهل الشام يعني الحسن بن علي وعبد
الله بن العباس فقال مروان...). وأورد مناظرة الإمام (عليه السلام) مع مروان، وكيف
شمت ابن العاص بمروان وقال له:

قد يضطر العير والمكواة تأخذه * لا يضطر العير والمكواة في النار!
ذق وبال أمرك يا مروان! وأقبل عليه معاوية فقال: قد كنت نهيتك عن هذا الرجل
وأنت تأبى إلا انهماكا فيما لا يعنيك! إربع على نفسك فليس أبوك كأبيه ولا أنت
مثله!!

ثم روى البيهقي حوارا بين الإمام (عليه السلام) وعمرو بن العاص في مكة وفي مجلس
معاوية! ثم أورد عددا من مناظرات الإمام الحسين (عليه السلام) وابن عباس (رحمه
الله).

كما روى الجاحظ في المحاسن والأضداد / ٨٠، أكثر ما رواه البيهقي.
وفي نزهة الناظر للحلواني / ٧٥: (قال الشعبي: كان معاوية كالجمل الطيب، قال يوما
والحسن (عليه السلام) عنده: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن بحرها جودا، وأكرمها
جدودا، وأنضرها عودا. فقال الحسن: أفعلي تفتخر؟ أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن سيد
أهل الدنيا، أنا ابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن، هل لك يا معاوية
من قديم تباهى به أو أب تفاخرني به، قل لا أو نعم أي ذلك شئت، فإن قلت: نعم
أبيت وإن قلت: لا عرفت. قال معاوية فإني أقول: لا.

تصديقا لك. فقال الحسن (عليه السلام) متمثلا:
الحق أبلج ما يضل سبيله* . والحق يعرفه ذووا الألباب).
أقول: معنى قول الإمام (عليه السلام): (أنا ابن أعراق الثرى): أنا ابن إبراهيم (عليه
السلام) وذريته وكان الأئمة من أهل البيت النبوي (عليهم السلام) يقولونه عند الشدة أو
الاضطرار إلى الفخر وهو هنا طعن في نسب معاوية وبني أمية إلى إسماعيل (عليه
السلام).

ومعنى قول الشعبي معاوية كالجمل الطب: أنه يتكلم وينظر رد الفعل، فيستمر في
موضوعه أو يتراجع عنه حسب الجو! قال ابن قتيبة في غريب الحديث: ٢ / ١٣٨ (في
حديث معاوية أن الشعبي وصفه فقال: كان كالجمل الطب، يأمر بالأمر فإن سكت عنه
أقدم، وإن رد عنه تأخر). (والنهاية لابن الأثير: ٣ / ١١٠، والفائق: ٢ / ٣٥٥،
وغيرها).

٢ - ندم معاوية على طلبه من الإمام (عليه السلام) أن يخطب!
روى في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٨، خطبة للإمام الحسن (عليه السلام) تشبه أن
تكون في الشام، قال: (المنهال بن عمرو: إن معاوية سأل الحسن أن يصعد المنبر
وينتسب، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن
لم يعرفني فسأبين له نفسي بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفاء وأنا ابن النبي
المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء،
أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب. وأذن المؤذن فقال:
أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله، فقال لمعاوية: محمد (صلى الله
عليه وآله) أبي أم أبوك؟ فإن قلت ليس بأبي فقد كفرت وإن قلت نعم فقد أقررت! ثم
قال: أصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمدا منها، وأصبحت العجم تعرف حق
العرب بأن محمدا منها، يطلبون حقنا ولا يردون

الينا حقنا). ونحوها في تحف العقول لابن شعبة الحراني / ٢٣٢، وذكر أن معاوية قاطعه فقال له: (أظن نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة؟ فقال: ويلك يا معاوية إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعمل بطاعة الله! ولعمري إنا لأعلام الهدى ومنار التقى، ولكنك يا معاوية ممن أبار السنن وأحيا البدع، واتخذ عباد الله خوفاً ودين الله لعباً، فكأن قد أحمل ما أنت فيه، فعشت يسيراً وبقيت عليك تبعاته!) ونحوها بتفاوت في الإحتجاج: ١ / ٤١٨ وفي آخرها غضب معاوية على ابن العاص لأنه دفعه إلى طلب الخطابة من الإمام (عليه السلام): (فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلا شيني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحدا مثلي في حسب ولا غيره حتى قال الحسن (عليه السلام) ما قال! قال عمرو: هذا شيء لا يستطيع دفنه ولا تغييره لشهرته في الناس واتضحاه، فسكت معاوية).

وفي الخرائج والجرائح: ١ / ٢٣٦: (فقال: أفسدت أهل الشام. فقال عمرو: إليك عني إن أهل الشام لم يحبوك محبة دين، إنما أحبوك للدنيا يتناولونها منك، والسيوف والمال بيدك، فما يغني عن الحسن كلامه). انتهى.

٣ - أكثر المناظرات في الإسلام ضجيجا وتحديا وصراحة!
وكانت في المدينة المنورة، وروتها بعض المصادر بتفصيل كالاحتجاج: ١ / ٤٠١ عن ثلاثة مصادر: الشعبي، وأبي مخنف، ويزيد بن أبي حبيب المصري. ورواها في شرح النهج: ٦ / ٢٨٥، عن الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات، ولا يتسع المجال لإيرادها، فنكتفي بمقدمتها من رواية الزبير بن بكار، قال:
(اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعتبة بن أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي

قوارص وبلغه عنهم مثل ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصدق وأمر فأطيع وخفقت له النعال، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا.

قال معاوية، فما تريدون؟ قالوا: ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه، ونعيه ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك! قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله، قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن، فقال: ويحكم لا تفعلوا! فوالله ما رأيت قط جالسا عندي إلا خفت مقامه وعييه لي! قالوا: ابعث إليه على كل حال. قال: إن بعثت إليه لأنصفه منكم. فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا، أو يربي قوله على قولنا؟ قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لأمرنه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا: مره بذلك! قال: أما إذ عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقدفوه بحجره، تقولون له: إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك. قال: من عنده؟ فسماهم له، فقال الحسن: ما لهم! خر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثم قال: يا جارية إبغيني ثيابي. اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأدراك في نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت، بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين! ثم قام فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه وقد ارتاد القوم وخطروا خطر الفحول بغيا في أنفسهم وعلوا، ثم قال: يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني!

فقال الحسن: سبحان الله، الدار دارك والإذن فيها إليك! والله إن كنت أحببتهم

إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحي لك من الفحش! وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف! فأيهما تقرر وأيهما تنكر؟
أما إني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب، وما لي أن أكون مستوحشا منك ولا منهم: إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. قال معاوية: يا هذا إني كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإن لك منهم النصف ومني، وإنما دعوناك لنقرر أن عثمان قتل مظلوما وأن أباك قتله! فاستمع منهم ثم أجبههم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك! فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله ثم ذكر عليا (عليه السلام) فلم يترك شيئا يعيبه به إلا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرها، وشرك في دم عمر وقتل عثمان ظلما، وادعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيره بها وأضاف إليه مساوئ وقال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل!
ثم إنك يا حسن، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش، يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك. وإنما دعوناك لنسبك وأباك، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس!
فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا بني هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعراف حقكم، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلما لا عذر له ولا حجة...

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: يا حسن كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكها لدمائها وأقطعها لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وإنك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا ولا في ميزانها راجحا، وإنكم يا بني هاشم قتلتهم عثمان، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه!

وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتتم عليا وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان. ثم سكتوا. فتكلم الحسن بن علي (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشا ألفتة وسوء رأي عرفت به وخلقا سيئا ثبت عليه، وبغيا علينا عداوة منك لمحمد وأهله! ولكن إسمع يا معاوية واسمعوا، فلاقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم! أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية؟!!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحدهما كافر، وبالأخرى ناكث!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا، وأنت يا معاوية وأباك من المؤلفه قلوبهم، تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال!

وأنشدكم الله أستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بدر وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته، وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط! وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق! أتسى يا معاوية الشعر الذي كتبتة إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك: يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين بيدر أصبحوا فرقا... إلى آخر هذه المناظرة القاصعة القاصمة، التي تألق فيها المنطق النبوي، وهدر فيها الخطاب العلوي، بما يشفي صدور المؤمنين، وتضمنت حقائق ساطعة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرة (عليهم السلام)، وكشفت حقائق فاضحة عن بني أمية وابن العاص والمغيرة وأضرابهم! وفي أعيان الشيعة: ١ / ٥٧٤ أن ابن الجوزي رواها مختصرة. ورووا في مصادرهم فقرات منها، لكنهم يخفون أنها من تلك المناظرة التاريخية!

٤ - مناظرات ابن عباس مع معاوية

روت المصادر مناظرات متعددة لابن عباس (رحمه الله) مع معاوية، في المدينة ومكة والشام، نكتفي منها بما رواه الحاكم في المستدرک: ٣ / ٤٦٧، في حج معاوية سنة ٤٤ قال: (معروف بن حربوذ المكي قال: بينا عبد الله بن عباس جالس في المسجد ونحن بين يديه إذ أقبل معاوية فجلس إليه، فأعرض عنه ابن عباس فقال له معاوية: مالي أراك معرضا، ألسنت تعلم أنني أحق بهذا الأمر من ابن عمك؟ قال:

لم! لأنه كان مسلماً و كنت كافراً، قال: لا، ولكنني ابن عم عثمان! قال: فابن عمي خير من ابن عمك. قال: إن عثمان قتل مظلوماً! قال: وعندهما ابن عمر فقال ابن عباس: فإن هذا والله أحق بالأمر منك، فقال معاوية: إن عمر قتله كافر وعثمان قتله مسلم! فقال ابن عباس: ذاك والله أدحض لحجتك! انتهى.

وقد بتر الحاكم الرواية. ففي أوائل العسكري / ١٧: فذاك أدحض لحجتك أن المسلمين عتبا علي ابن عمك فقتلوه! في كلام هذا معناه! ومثله في تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٥٨. وفي شرح الأخبار: ٢ / ٦٦: (فضحك ابن عباس، وقال: ذاك والله أدحض لحجتك إذ كان المسلمون قتلوه. فسكت معاوية ولم يجر جواباً. ثم أقبل علي سعد بن أبي وقاص...). (ونحوه في كتاب سليم / ٣١٥).

**

من كرامات الإمام الحسن (عليه السلام) ومعجزاته وكرامته صلوات الله عليه عديدة، روتها المصادر المختصة ككتاب نوادر المعجزات ومدينة المعجزات وقد تقدم بعضها، ونورد نموذجين منها:

١ - في الكافي: ١ / ٤٦١: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: خرج الحسن بن علي (عليهما السلام) في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته، فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس، قد ييس من العطش، ففرش للحسن (عليه السلام) تحت نخلة وفرش للزبير بحذاه تحت نخلة أخرى، قال: فقال الزبير ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن: وإنك لتشتهي الرطب؟ فقال الزبير: نعم قال: فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه، فاحضرت النخلة ثم صارت إلى حالها، فأورقت وحملت رطباً! فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله! قال فقال الحسن (عليه السلام): ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مستجابة! قال: فصعدوا إلى النخلة فصرخوا ما كان فيه فكفاهم).

٢ - في الكافي: ١ / ٤٦١: (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: خرج الحسن بن علي (عليهما السلام) إلى مكة سنة ماشياً فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم، فقال كلا إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له: بأبي أنت وأمي ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء فقال له: بلى إنه أمامك دون المنزل، فسارا ميلاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن (عليه السلام) لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن وأعطه الثمن، فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال للحسن بن علي، فقال: انطلق بي إليه، فانطلق فأدخله إليه فقال له:

بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمنًا، إنما أنا مولاك ولكن ادع الله أن يرزقني ذكرا سويا يحبكم أهل البيت، فإني خلفت أهلي تمنخص، فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكرا سويا وهو من شيعتنا).
(وبصائر الدرجات / ٢٧٦، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٤، وفي آخره: فكان كما قال وأطلى رجليه بالدهن فبرأ بإذن الله تعالى).
**

الفصل السادس
قتل معاوية للسبط الأول للنبي (صلى الله عليه وآله)!

(٢٠٦)

١ - محاولات معاوية المستمرة لقتل الإمام (عليه السلام) من الطبيعي أن يهتم معاوية بقتل علي والحسين (عليهم السلام) لأنهم العقبة الكأداء أمام مشروع أمبراطوريته الأموية! هذا المشروع الذي أخذ يسير سيرا حسنا على يد أبي سفيان من أيام السقيفة، عندما أخذ أبو سفيان من أبي بكر وعمر ولاية الشام لولده يزيد، ثم ما لبث ولده يزيد أن مات فأخذ مكانه معاوية، فكان الوالي الوحيد الذي لم يعزل ولم يحاسب قط! (وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب). (نثر الدرر للآبي / ٢٥٥، ونحوه أسد الغابة: ٤ / ٣٨٦، وفتح الباري: ٧ / ٣١١) بل كان يراه أعظم من كسرى فقال: (تذكرون كسرى وقيصر ودهائهما، وعندكم معاوية؟!.) (تاريخ الطبري: ٤ / ٢٤٤).

ثم سار المشروع الأموي سيرا حسنا عندما رتب عمر الأمر بعده لعثمان، فجعل الخلافة شورى شكلية، لكنه أعطى حق النقض لابن عوف صهر عثمان، الذي لا يفضل أحدا على بني أمية، ثم أحكم ذلك بتهديدهم بجيش معاوية من الشام وجيش عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي من اليمن، وهو أخ أبي جهل وأحد قادة قريش مع أبي سفيان، ولا يفضل أحدا على بني أمية! (تاريخ بخاري الكبير: ٥ / ٩).

(قال عمر لأهل الشورى: إن اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام، وبعده عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلا لسابقتكم). (تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٢٤، والإصابة: ٤ / ٧٠، والتحفة اللطيفة للسخاوي: ٢ / ٣٥).

ومعناه أطيعوني يا أصحاب محمد في بيعة من يختاره ابن عوف، وإلا خسرتكم الحكم كليا، وأخذ منكم بنو أمية بجيش الشام وجيش اليمن!

ثم سار المشروع الأموي سيرا حسنا في زمن عثمان فوطد معاوية قوته، وأعد نفسه ليرث الخليفة الأموي الهرم، لكن حدثت مفاجأة وهي أن الصحابة من البصرة والكوفة ومصر والمدينة، نعموا على عثمان وعلى عماله الأمويين فحاصروه وقتلوه، وبايعوا عليا! فخلافة علي (عليه السلام) عند معاوية نشاز اعترض المسار الصحيح الذي تسير فيه دولة محمد (صلى الله عليه وآله) حسب الخطة الأموية اليهودية، لترجع إلى معدنها آل أبي سفيان! والواجب برأيه إسقاط هذا الحكم بالحرب فإن لم يمكن فبقتل رموزه، والقتل من أول الحلول التي يفكر فيها معاوية، فقد خبر أساليبه الظاهرة والخفية وأتقنها! وقد تقدم أن معاوية دس إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجر بن الحجر، وشبث بن ربعي (دسيسا أفرد كل واحد منهم بعين من عيونهم، أنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي!) (علل الشرائع: ١ / ٢٢٠) وتقدم أن الإمام الحسن (عليه السلام) تعرض في يوم واحد إلى ثلاث محاولات اغتيال، لم يكن معاوية بعيدا عنها!

ولم يختلف الحال عند معاوية بعد الصلح، وبعد تنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن الحكم! أليس قد أعطى للحسن (عليه السلام) شرطا أن يكون الخليفة بعده، وها هو الحسن الشاب ينتظر موت معاوية الشايب! علي أن من الممكن أن يجمع الحسن الناس حوله ويخرج علي معاوية بحجة فساد عماله، أو نقضه لشروط الصلح!؟

أليس الحسن أصعب عقبة أمام جعل الخلافة بعده لولده الحبيب العزيز يزيد!؟ إن السبب الواحد من هذه الأسباب كاف لأن يعمل معاوية بجدية لاغتياله،

فكيف إذا اجتمعت ومعها غيرها؟!!

قال محمد بن جرير الطبري الشيعي في دلائل الإمامة / ١٦٠: (وكان سبب وفاته أن معاوية سمه سبعين مرة فلم يعمل فيه السم، فأرسل إلى امرأته جعدة ابنة محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وبذل لها عشرين ألف دينار، وإقطاع عشر ضياع من شعب سورا (نهر في العراق) وسواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجه يزيد ابنه، فسقت الحسن السم في برادة الذهب في السوق المقند)!!

٢ - أبو سفيان حليف اليهود المتخصصين في القتل بالسم!

كان الإغتيال بالسم شائعاً عند اليهود، وعند العرب المتصلين بهم، فقد حاول اليهود وحاولت قريش برئاسة أبي سفيان قتل النبي (صلى الله عليه وآله) بالسم وغيره، مراراً! كما أن أبا بكر مات مسموماً! ففي مروج الذهب / ٥٥٢: (سمته اليهود في شيء من الطعام وأكل معه الحارث بن كلدة فعمي). وفي تاريخ الخلفاء / ٦١: (وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة (لحم مشروم مطبوخ) أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: إرفع يدك يا خليفة رسول الله! والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد! فرفع يده فلم يزالا عليين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة). (وتاريخ دمشق: ٣٠ / ٤٠٩، وكنز العمال: ١٢ / ٥٣٧: وقال: ابن سعد وابن السني وأبو نعيم معا في الطب. قال ابن كثير: إسناده صحيح إلى الزهري. ونحوه في تاريخ مكة لابن الضياء / ٢٣٣، وفتح الباري: ٧ / ٣٤، وتحفة الأحوذى: ١٠ / ٩٦، والمستدرک: ٣ / ٦٤، والطبقات: ٣ / ١٩٨، وأسد الغابة: ٣ / ٢٢٣، وصفة الصفوة: ١ / ٢٦٣، والرياض النضرة: ٢ / ٢٤٣، والمنتظم: ٤ / ١٢٩، ومسائل الإمام أحمد / ٧٥، والمصباح المضي: ١ / ٣٣، وتخريج الدلالات للخزاعي / ٦٧٠، والتراتب الإدارية: ١ / ٤٥٦، والصواعق المحرقة: ١ / ٢٥٣، والعقد الفريد / ١٠١٠، وربيع الأبرار... وغيرها).
**

ولا ننس أن أبا سفيان (وكان معاوية إلى جنبه) قد بذل جهدا متواصلا لقتل النبي (صلى الله عليه وآله) أو سمه ونذر بعد معركة بدر أن لا يمس بدنه الماء حتى يقتله! وأرسل القرشيون وهم بقيادته عدة أشخاص منهم وهب بن عمير وجعلوا له جائزة من الذهب (أواقي على أن يقتل النبي (صلى الله عليه وآله) فأطلعه الله على ذلك). (ابن أبي شيبه: ٨ / ٣٢٩، وأسد الغابة: ٥ / ٩٧). ولم تفتّر محاولاتهم بمعاونة اليهود لقتله حتى بعد أن صاروا (مسلمين) طلقاء! وقد ذكرنا في المجلد السابع من "الإنتصار" بضع عشرة محاولة لاغتيال للنبي (صلى الله عليه وآله) من اليهود وقريش أبي سفيان!

وفي تفسير الرازي: ١٠ / ١٦٢: (قال أبو بكر الأصب: إن قوما من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق الرسول (ص) ثم دخلوا عليه لأجل ذلك الغرض، فأتاه جبريل فأخبره به فقال (ص): إن قوما دخلوا يريدون أمرا لا ينالونه، فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم! فلم يقوموا فقال: ألا تقومون؟ فلم يفعلوا! فقال (صلى الله عليه وآله): قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم! فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا! فقال: الآن! أخرجوا. أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار، وكان الله أقرب إلى الإجابة. أخرجوا عني! انتهى.

فمن هؤلاء المنافقون الذين لا يسميهم رواة الخلافة ستر عليهم؟! ولم يعاقبهم النبي (صلى الله عليه وآله) حتى لا ترتد قريش لأنهم من شخصياتها وزعمائها؟! روى الحاكم في المستدرک: ٣ / ٥٩، ونحوه / ٦٤: (عن داود بن يزيد الأودي قال: سمعت الشعبي يقول: والله لقد سم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسم أبو بكر الصديق، وقتل عمر بن الخطاب صبورا، وقتل عثمان بن عفان صبورا، وقتل علي بن أبي طالب صبورا، وسم الحسن بن علي، وقتل الحسين بن علي صبورا، فما نرجو بعدهم؟!)

٣ - معاوية صاحب الرقم القياسي في قتل معارضيه بالسم وغيره!
تقدم في فصل الذين قتلهم معاوية، قوله: (إن لله جنودا من عسل) وقوله: (لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره)! أي: أجمل ما في الحياة إبادة المعارضين!
وقد كان له هدف آخر يسعى إليه في الإمام الحسن (عليه السلام) هو أن يأخذه في العراق أسيرا، فيمن على بني هاشم بجعله طليقا، ويذهب عن بني أمية وقريش عار الطلقاء، ويجعلها واحدة بواحدة مع بني عبد المطلب ويمن عليهم بها!
فقد قال الإمام (عليه السلام): (والله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فيكون سنة علي بني هاشم آخر الدهر لمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه علي الحي منا والميت). (معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٣ / ١٦٦، مع مصادره).

أما بعد أن انتهت حالة الحرب وعقد الصلح على أن بني هاشم وشيعتهم وجميع المسلمين آمنون، لا يبغى لهم معاوية غائلة، ولا يلاحقهم في سابقة.. فلم يبق أمامه إلا قتله بالسم! وأهم شيء أن يجد شخصا من عائلته أو خدمه يضع السم في طعامه أو شرابه، وقد استطاع معاوية أن يجند جعدة بنت الأشعث!
وقد قال الإمام الحسن (عليه السلام) إنه سقي السم مرارا كان آخرها على يد جعدة أو جعيدة بنت الأشعث بن قيس عميل معاوية، والعدو اللدود لعلي وأبنائه (عليهم السلام).
ففي سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٤: (قال قتادة: قال الحسن للحسين: قد سقيت السم غير مرة ولم أسق مثل هذه). وفي تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥١: (لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مرارا وما سقيته مرة هي أشد من هذه)
(وأسد الغابة: ٢ / ١٥، وحلية الأولياء: ٢ / ٣٨، وصفة الصفوة: ١ / ٧٦١، والاستيعاب: ١ / ٣٩٠، والمنتظم: ٥ / ٢٢٥، والتحفة اللطيفة للسخاوي: ١ / ٢٨٣، وذخائر العقبى / ١٤١، وطبقات الشعرا / ١٧، ونهاية الإرب / ٤٤٤٩، وكشف الغمة: ٢ / ١٩٠، وجواهر المطالب: ٢ / ٢٠٩، وتاريخ المدينة: ١ / ١١٠، والنصائح الكافية / ٨٦).
واتفاق هؤلاء على نقل شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه قتل مسموما بيد جعدة وفي عدد من المصادر بأمر معاوية، يكفي لإدانة معاوية.
**

٤ - النبي (صلى الله عليه وآله) أخبر والإمام الحسن (عليه السلام) أخبر بما يجري عليه!

في الخرائج والجرائح: ١ / ٢٤١: عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أن الحسن (عليه السلام) قال لأهل بيته: إني أموت بالسم، كما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: ومن يفعل ذلك؟! قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك. قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها من نفسك. قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئا ولو أخرجتها ما قتلني غيرها وكان لها عذر عند الناس! فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها معاوية مالا جسيما، وجعل يمنيها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضا ويزوجها من يزيد، وحمل إليها شربة سم لتسقيها الحسن! فانصرف إلى منزله وهو صائم فأخرجت له وقت الافطار وكان يوما حارا شربة لبن وقد ألفت فيها ذلك السم فشربها وقال: يا عدوة الله قتلتي قتلتي الله! والله لا تصيبين مني خلفا ولقد غر ك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه! فمكث يومين ثم مضى، فغدر معاوية بها ولم يف لها بما عاهد عليه).

ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٥ وفيه: (فقال: هيهات من إخراجها ومنيتي على يدها مالي منها محيص، ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها! كان قضاء مقضيا وأمرأ واجبا من الله... فلما شربه وجد مس السم في جسده فقال: يا عدوة الله قتلتي قتلتي الله...).

وفي كتاب سليم (رحمه الله) / ٣٦٣: (فقام إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتقتل؟! قال: نعم أهلك شهيدا بالسم! وتقتل أنت بالسيف وتخضب لحيتك من دم رأسك، ويقتل ابني الحسن بالسم، ويقتل

ابني الحسين بالسيف، يقتله طاغ ابن طاغ، دعي ابن دعي).
وينبغي أن نذكر هنا باختصار هنا أربع مسائل:
الأولى: أن المعصوم (عليه السلام) يعلم أجله!
تقدم في شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) في المجلد الأول أنه كان يعلم أجله،
وكذلك ثبت عن الإمام الحسن وبقية المعصومين (عليهم السلام) واستشهدنا بقوله
تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من
بين يديه ومن خلفه رصدا. (الجن: ٢٦ - ٢٧). فالمرتضى عند ربه من رسول أو
وصي يتحمل غيب الله تعالى، ويخصص له الله ملائكة يسددونه حتى لا يتضرر بالغيب
الإلهي، ويستعمله في غرضه الصحيح!
والغيب الذي يظهره الله لخاصة أوليائه (عليهم السلام) من نوع الأمر الإلهي المقضي
الذي لا بداء فيه، فقد سأل حمران بن بكير الإمام الباقر (عليه السلام) عن الغيب في
هذه الآية، فأجابته: (إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا،
وكان والله محمد (صلى الله عليه وآله) ممن ارتضى. وأما قوله: عالم الغيب فإن الله
تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه، فما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن
يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشية
فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه. فأما العلم الذي يقدره الله ويمضيه فهو العلم
الذي انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم إلينا). (بصائر الدرجات / ١٣٣).
وفي هذه المسألة بحوث جليلة عميقة، أشار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى بعضها في
جوابه لمن قال له: (أخرجها من ملكك عليها لعنة الله! فقال: هيهات من إخراجها
ومنتي على يدها مالي منها محيص! ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها، كان قضاء مقضيا،
وأمر واجبا من الله!) ومعناه: أن المعصوم (عليه السلام) يتعامل مع الأمور المقضية

من الله تعالى كما نتعامل نحن مع الأمور التكوينية، وهذا قد يوجب التفاوت بين تكليفه وتكليفنا، فالمعصوم (عليه السلام) لا يعيش الأسف والحسرة والحرص على تغيير القضاء أو رده، كما نعيشه نحن!

ومعناه أيضا: أن المعصوم (عليه السلام) عنده الوعي والقدرة الكافيين للانسجام مع ما علمه الله من غيبه، فهو يتعاطى مع الأمور على فعليتها، ومع الأشخاص على ظاهرهم حتى لو كانت المصلحة أن يخبر الناس بشئ عن المستقبل!

ومعناه أيضا: أن اختيار الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، لا تؤثر على هيمنة الله تعالى، فهو معها يملك (كل الأوراق) في السلوك الإنساني كما في التكوين!

وأن كل ما جرى ويجري من فعاليات البشر عامة، وفعاليات كل إنسان خاصة، خاضع للمخطط الكلي الكامل للكون والحياة، ومن هذه الفعاليات محاولات تغيير الأقدار، لأنها من الأقدار أيضا! وهذا معنى قوله (عليه السلام): (ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها! كان قضاء مقضيا، وأمرًا واجبا من الله)!

وهذا العقيدة صريحة في كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه وآله (صلى الله عليه وآله) لكن تضيق عنها ظرفية أذهان عامة الناس! قال الله تعالى: ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم. (التغابن: ١١) أي يهدي قلبه فيما يهديه إلى عدم التنافي بين الحرية والمسؤولية وبين المخطط الإلهي والإذن بوقوع ما يقع!

وقال تعالى: وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. (الأنعام: ٥٩). وقال تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين. (هود: ٦). وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين، (النمل: ٧٥) وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير. (فاطر: ١١).

ويمكن تشبيه هذا الكتاب الإلهي للأقدار بشريط مصور لما سيحدث، كالذي نراه أحيانا في منامنا ويحدث كما رأيناه! وقد ثبت أن الله تعالى أعطى الكثير من هذا العلم بالمستقبل إلى نبيه وآله (صلى الله عليه وآله). ففي الكافي: ١ / ٢٢٢ عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (يمصون الثماد ويدعون النهر العظيم! قيل له: وما النهر العظيم؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله عز وجل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد. قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره. وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صير ذلك كله عند أمير المؤمنين (عليه السلام)! فقال له رجل: يا ابن رسول الله فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: إسمعوا ما يقول؟ إن الله يفتح مسامع من يشاء! إنني حدثته أن الله جمع ل محمد (صلى الله عليه وآله) علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو يسألني: أهو أعلم أم بعض النبيين)؟!

وفي الكافي: ١ / ٢٢٤ عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وإن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما إن محمدا ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين). انتهى.

المسألة الثانية: معنى قوله (عليه السلام) أموت بالسم كما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله)

والمعنى الذي فهمه السنيون أنه يقصد بسم النبي (صلى الله عليه وآله) حادثة خبير حيث أهدى اليهود إلى النبي (صلى الله عليه وآله) شاة مشوية مسمومة فأكل منها لقمة فنطق اللحم بإذن الله بأنه مسموم، وقد أثرت تلك اللقمة في بدن النبي (صلى الله عليه وآله) فكانت وفاته بعد سنتين بسببها! ففي الجامع الصغير: ٢ / ٤٩٧: (ما زالت أكلة خبير تعتادني كل عام، حتى

كان هذا أو أن قطع أبهري (شرياني)). (ونحوه تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة /
١٦٩، وأسد الغابة: ١ / ٢٣، كما روت ذلك مصادرنا كما في المناقب: ١ / ٨١،
ومختصر بصائر الدرجات / ١٥)

لكن المقصود لأئمتنا (عليه السلام) مع ذلك أو بدونه، هو أن النبي (صلى الله عليه
 وآله) قد سم في مرض وفاته بالدواء الذي نهاهم أن يسقوه إياه عندما يغمى عليه! ومع
 ذلك سقوه فأفاق وغضب من فعلهم وأمرهم أن يشربوا منه جميعا إلا بني هاشم! وقد
 روته صحاحهم فقال بخاري: ٧ / ١٧: (قالت عائشة: لددناه في مرضه فجعل يشير
 إلينا أن لا تلدونى، فقلنا كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟!
 قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا يبقى في البيت أحد إلا لد وأنا أنظر! إلا العباس
 فإنه لم يشهدكم). ورواه الحاكم: ٤ / ٢٠٢، وفيه: والذي نفسي بيده لا يبقى في
 البيت أحد إلا لد إلا عمي. قال فرأيتهم يلدونهم رجلا رجلا... فلد الرجال أجمعون،
 وبلغ اللدود أزواج النبي فلددن امرأة امرأة! انتهى.
 ولا أستبعد أن يكون الدواء مأخوذا من اليهود فنهى الله نبيه (صلى الله عليه وآله) عن
 استعماله، أو يكون اليهود وجدوا منفذا إلى طعام النبي (صلى الله عليه وآله) وشرابه
 ودوائه، فقد كانت عدة يهوديات يترددن على نسائه، ولا يتسع المجال لهذا البحث.
 المسألة الثالثة: معنى قولهم (عليهم السلام): ما منا إلا مسموم أو مقتول!
 وقد نص أهل البيت (عليهم السلام) على ذلك في أربع روايات، اثنتان منها عن الإمام
 الحسن (عليه السلام) واثنتان عن الإمام الرضا (عليه السلام). ففي كفاية الأثر / ٢٢٦:
 (عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي (عليهما السلام) في مرضه
 الذي توفي فيه وبين يديه طشت يقذف فيه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السم
 الذي أسقاه معاوية لعنه الله فقلت: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله
 بماذا أعالج الموت؟! قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم التفت إلي وقال: والله إنه لعهد
 عهده إلينا

رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماما من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام) ما منا إلا مسموم أو مقتول! ثم رفعت الطشت واتفقت صلوات الله عليه فقلت: عظمي يا بن رسول الله. قال: نعم إستعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك. واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك، واعلم أن في حلالها حسابا وفي حرامها عقابا وفي الشبهات عتابا، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان ذلك حلالا كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراما لم تكن قد أخذت من الميتة وإن كان العتاب فإن العقاب يسير. واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا، وإذا أردت عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فأخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل. وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك وإن مددت يدك بفضل مدها وإن بدت منك ثلثة سدها وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتدأك وإن نزلت بك أحد الملمات ساءه. من لا يأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطوارق ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منفسا آثرك. قال: ثم انقطع نفسه واصفر لونه حتى خشيت عليه، ودخل الحسين (عليه السلام) والأسود بن أبي الأسود فانكب عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه، ثم قعد عنده وتسارعا جميعا فقال أبو الأسود: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن الحسن قد نعت إليه نفسه وقد أوصى إلى الحسين (عليه السلام). وتوفي صلى الله عليه في يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبعة وأربعون سنة). وفي كفاية الأثر / ١٦٠: (عن هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما قتل أمير

المؤمنين (عليه السلام) رقى الحسن بن علي (عليه السلام) فأراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة ثم قام وقال: الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيا وفي أزليته متعظما.... والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت، وعند الله نحتسب عزاءنا في خير الآباء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعند الله نحتسب عزاءنا في أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أصيب به الشرق والغرب.... ولقد حدثني جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الأمر يملكه اثنا عشر إماما من أهل بيته وصفوته، ما منا إلا مقتول أو مسموم).

وفي أمالي الصدوق / ١٢٠ وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ٢٨٧، عن أبي الصلت الهروي، قال: (سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: والله ما منا إلا مقتول شهيد. ف قيل له: فمن يقتلك يا ابن رسول الله؟ قال: شر خلق الله في زمانى يقتلنى بالسّم، ثم يدفننى فى دار مضيعة وبلاد غربة). وعنه أيضا فى: ١ / ٢٢٠: (وما منا إلا مقتول وإنى والله لمقتول بالسّم باغتيل من يغتالنى! أعرف ذلك بعهد معهود إالى من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عز وجل. وأما قول الله عز وجل: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، فإنه يقول لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة، ولقد أخبر الله عز وجل عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق، ومع قتلهم إياهم لن يجعل لهم على أنبيائه (عليهم السلام) سبيلا من طريق الحجة). أقول: بهذا يتضح أن قاعدة شهادة المعصومين (عليهم السلام) بالقتل أو بالسّم صحيحة، وفي المسألة بحوث لا يتسع المجال لها.

المسألة الرابعة: نفاق الأشعث وأسرته وتعامل النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) معهم!

تقدم فى المجلد الأول أن الأشعث بن قيس الكندى كان رأس المنافقين فى عهد على (عليه السلام)، وتاريخه ملئ بالغدر والنفاق، فقد جاء فى وفد كندة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فى سنة وفاته (صلى الله عليه وآله) ثم أعلن ارتداده مع قبيلة بنى وليعة فى حزموت

فأسره المسلمون وأتوا به إلى أبي بكر، فاطلقه وأكرمه وزوجه أخته! ثم ندم أبو بكر في آخر حياته أنه لم يقتله! وقد أوردنا بعض فعالياته المضادة للإمام (عليه السلام). وقد روى اليعقوبي: ٢ / ١٣٧: أن أبا بكر كان يتحسر في مرضه الذي توفي فيه على أشياء ويتمنى أنه لم يفعلها ومنها هجومه على بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام)! وأشياء ليته فعلها منها قتل الأشعث قال: (فليتني قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه، فإنه يخيل إلي أنه لا يري شيئاً من الشر إلا أعان عليه)! انتهى.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) كما في الكافي: ٨ / ١٦٧: (إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وابنته جعدة سمت الحسن (عليه السلام)، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين (عليه السلام))! وقد هلك (بعد مقتل علي (عليه السلام)) بأربعين ليلة (تاريخ دمشق: ٩ / ١٤٤).

وكان نفاق الأشعث مكشوفاً لأمر المؤمنين والإمام الحسن (عليهما السلام) فقد تأمر مع معاوية في صفين، ثم تأمر مع الخوارج (عليه السلام)، ثم شرك في قتل أمير المؤمنين (عليه السلام)! لكنهم كانوا يعاملونهم بكثير من الصبر والتحمل واللين مما لا نتحمله نحن عادة. ويبدو لي أن السر في ليونة أهل البيت (عليهم السلام) مع أمثال الأشعث والأسوأ منه، أنهم كانوا يعرفون أن الغلبة ستكون لهؤلاء المنافقين، فهم يتحملون منهم ويتجرعون الغيظ، ويعاملونهم كأنهم أصدقاء من أجل حفظ الخط النبوي الذي يمثلونه، وأجيال المسلمين الذين سيهتدون بهديهم (عليهم السلام)!

٥ - طال مرض الإمام (عليه السلام) من السم نحو أربعين يوماً!
 في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٥: (أبو عوانة: عن مغيرة، عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى، فكان

توضع تحته طشت وترفع أخرى، نحواً من أربعين يوماً).
ورواه في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٥، وقال في / ٢٩١: (لما مرض حسن بن علي،
مرض أربعين ليلة، فلما استعز به وقد حضرت بنو هاشم، فكانوا لا يفارقونه بيوتون عنده
بالليل، وعلى المدينة سعيد بن العاص، وكان سعيد يعود فمرة يؤذن له، ومرة يحجب
عنه).

أقول: ولا يوجد مخالف لهذه الروايات في طول مرض الإمام (عليه السلام) إلا رواية
الخرائج (١ / ٢٤١) التي تقول إن مرضه استمر يومين، لكنها لا تنهض لمعارضتها
ولعلها تصف شدة مرضه (عليه السلام).

٦ - ورتب معاوية بريدن يومياً عن حالة الإمام الحسن (عليه السلام)
قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ١٥٠: (مرض الحسن بن علي مرضه الذي
مات فيه، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن، فكتب إليه معاوية: إن
استطعت ألا يمضي يوم يمر بي إلا يأتيني فيه خبره فافعل، فلم يزل يكتب إليه بحاله
حتى توفي، فكتب إليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من
كان معه).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ١ / ٣٨٩: (قال قتادة، وأبو بكر بن حفص: سم
الحسن بن علي، سمته امرأته جعدة بنت الأشعث ابن قيس الكندي، وقالت طائفة: كان
ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك. وقال: فلما مات ورد البريد
بموته على معاوية فقال: يا عجباً من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة، فقضى
نحبه!). انتهى.

لكنه لم يكن بريداً واحداً، بل بريدن يومياً! أحدهما من حاكم المدينة يومها سعيد بن
العاص، والثاني من مروان بن الحكم، وكان معاوية يداور حكم

المدينة بينهما، وقد أوقع بينهما الفتنة والعداوة فصار كل منهما يتقرب إليه!
(لما مات الحسن بن علي بعث مروان بن الحكم إلى معاوية يخبره أنه مات، قال
وبعث سعيد بن العاص رسولا آخر يخبره بذلك، وكتب مروان يخبره بما أوصى به
حسن من دفنه مع رسول الله (ص) وأن ذلك لا يكون وأنا حي! ولم يذكر ذلك سعيد)
(تاريخ دمشق: ٢١ / ١٢٧).

وينبغي أن تعرف هنا أن بني أمية ثلاثة فروع:
فرع آل حرب بن أمية بن عبد شمس، ومنهم أبو سفيان ومعاوية، ويعتبرون أنفسهم
ورثة أمية، وأن أمية له زعامة قريش دون غيره!
وفرع العاص الذين منهم سعيد حاكم المدينة المذكور، وهو على اسم جده سعيد بن
العاص بن أمية، المعروف بأبي أحيحة، وهو أحد الستة الأكثر عداً لرسول الله (صلى
الله عليه وآله)، وكان غنياً جباراً لكنه أقل دهاءً من بني حرب، وقد منع أن يلبس أحد
من قريش عمامة بلون عمامته الزرقاء! وكان هرماً في بدر فأرسل مكانه مع المشركين
ابنه العاص أبا سعيد هذا، فقتله علي (عليه السلام).

ومن أولاد أبي أحيحة الممدوحين خالد بن سعيد، أسلم لرؤيا رآها، فأذاه أبوه فهاجر
مع زوجته إلى الحبشة، ثم بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) واليا على اليمن،
وجاء بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وناصر علياً (عليه السلام) واعترض على أهل
السقيفة وخطب في المسجد ووبخ عمر وأهانته! ولم يبايع لأبي بكر حتى أمره علي
(عليه السلام)، وكان فارساً شجاعاً قائداً، عقد له أبو بكر على جيش فتح الشام، فأصر
عمر أن يستبدله بأبي عبيدة بن الجراح، لكنه ذهب إلى الشام قائداً عادياً، وشارك في
فتوحها واستشهد (رحمه الله) وكان أخوه أبان مثله شيعياً. وسعيد والي المدينة ابن
أخيها الكبير العاص وكان عمره يوم قتل أبوه في بدر سنتين فرباه عمه خالد، فنشأ
يميل إلى علي (عليه السلام) مع أنه

قاتل أبيه، لكنه بعد شهادة عمه رجع إلى أصله، فهو ابن العاص بن أبي أحيحة. وفي علل أحمد: ٣ / ١٧٦، ما يدل على أصلته العائلية، قال: (عن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا ست سنين فكان يسب علياً كل جمعة ثم عزل، ثم استعمل سعيد بن العاص سنتين فكان لا يسبه، ثم أعيد مروان فكان يسبه)! والفرع الثالث من أبناء أمية، فرع أبي العاص (وليس العاص) بن أمية، وهم أقل شأناً من بني حرب وبني العاص، ومنهم عثمان بن عفان وبنو الحكم وابنه ومروان، وبنو معيط المعروفون بمستواهم الهابط، كانوا أصحاب خمارة ومبغى في مكة، ومنهم عقبة أخ عثمان لأمه، الفاسق بنص القرآن!

فمعاوية يرى أنه من آل حرب معدن الحق بزعمه، فهو أولى بالخلافة وبعده أولاده. وسعيد يرى نفسه حفيد الزعيم الأموي الثري أبي أحيحة فهو أولى بها، ومروان يرى نفسه ابن عم الخليفة عثمان وسكرتيره فهو أولى بها! ولذلك كان معاوية يداور بينهما حكم المدينة، ويؤجج خلافهما ليبقيا محتاجين إليه، ويتركا التطلع إلى ولاية عهده بدل يزيد!

وفي أيام مرض الإمام الحسن (عليه السلام) اتخذ سعيد موقف الحياد، ولم يعارض ما أشيع من عزم بني هاشم دفن الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده! بينما كلف معاوية مروان الملعون بن الملعون بنص النبي (صلى الله عليه وآله)، فوقف بشراسة ضد أهل البيت (عليهم السلام).

٧ - معاوية يدير المعركة.. ويها مروان أنت لها!

(ويقال إن الحسن أوصى أن يدفن مع النبي (ص) فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن، فأنكره مروان بن الحكم وكتب بقول الحسين إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع، كما منعنا من دفن عثمان مع

النبي). (أنساب الأشراف / ٧٤٨) (وبلغ معاوية ما كانوا أرادوا في دفن حسن في بيت النبي (ص) فقال: ما أنصفتنا بنو هاشم حين يزعمون أنهم يدفنون حسنا مع النبي، وقد منعوا عثمان أن يدفن إلا في أقصى البقيع! إن يك ظني بمروان صادقا لا يخلصون إلى ذلك! وجعل يقول: وبها مروان أنت لها!) (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٨).

(وكان قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله (ص) فإن خاف أن يكون في ذلك شيء فليدفن بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه وقال: ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله وقد دفن عثمان بالبقيع! ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك، فلم يزل عدوا لبني هاشم حتى مات). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٧، والنهاية: ٨ / ٤٤)

(وأبرد مروان إلى معاوية يخبره بموت حسن وأنهم يريدون دفنه مع النبي وأنهم لا يصلون إلى ذلك أبدا وأنا حي! فانتهى حسين بن علي إلى قبر النبي فقال: إحفروا هاهنا، فنكب عنه سعيد بن العاص وهو الأمير فاعتزل ولم يحل بينه وبينه، وصاح مروان في بني أمية ولفها وتلبسوا السلاح!) (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١).

فهذه النصوص تنص على أن معاوية كان يدير معركة مروان مع بني هاشم، وأنه هو الذي أرسل إلى عائشة وربما وبخها، فتراجعت عن وعدّها! ولعلها أرادت أن تتقرب إلى معاوية أيضا بموقفها الشديد ضد دفن الإمام (عليه السلام) عند جده بعد رضاها به! لكن ينبغي أن نلتفت إلى تضخيم مروان للمسألة، فستعرف أن الإمام الحسين لم يرد دفن أخيه (عليهما السلام) عند جده، بل حرص على تنفيذ وصيته بأن لا يهرق في أمره محجمة دم أبدا.

٨ - قبلت عائشة بدفن الإمام (عليه السلام) جنب جده (صلى الله عليه وآله) ثم تراجعت!

نصت روايات مصادر السنة على أن عائشة قبلت أول الأمر أن يدفن الإمام

الحسن (عليه السلام) إلى جنب جده (صلى الله عليه وآله) وأنه أرسل إليها عندما سقي السم (يستأذنها) في ذلك فأجابت بالقبول والترحيب! رواه في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٩، بعدة أسانيد، منها عن (عبيد الله بن علي بن أبي رافع أخبره هو وغيره من مشيختهم أن حسن بن علي بن أبي طالب أصابه بطن فلما عرف بنفسه الموت أرسل إلى عائشة زوج النبي (ص) أن تأذن له أن يدفن مع النبي (ص) في بيتها، فقالت: نعم، بقي موضع قبر واحد قد كنت أحب أن أدفن فيه وأنا أو ترك به، فلما سمعت بنو أمية ذلك لبسوا السلاح). ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٧ قال: (ونقل ابن عبد البر: أنهم لما التمسوا من عائشة أن يدفن الحسن في الحجرة، قالت: نعم وكرامة، فردهم مروان ولبسوا السلاح، فدفن عند أمه بالبقيع إلى جانبها). انتهى. *

وقائع شهادة الإمام الحسن السبط (عليه السلام) ومراسم دفنه
١ - الإمام الحسن (عليه السلام): لا يوم كيومك يا أبا عبد الله!
لم يسجل التاريخ إلا قليلا مما فعله الإمام الحسن (عليه السلام) في العشر سنوات التي
قضاها في المدينة بعد صلحه مع معاوية، وقليلا مما جرى عليه في الأربعين
يوما التي كان فيها طريح الفراش، يكابد آلام سم الطاغية معاوية!
ومما سجله هذا الحوار الذي دار بينه وبين أخيه الحسين (عليهما السلام) وهو واحدة
من أروع الصور الإنسانية ومشاهد السموم! وهو يكشف المأساة التي كتبت عليهما
وأعدهما لها جدهما (صلى الله عليه وآله) فتلقياها راضيين ونسي كل منهما نفسه
وحمل هم أخيه الحبيب! وقد نقل المشهد الإمام زين العابدين (عليه السلام) وأن أباه
الحسين دخل على عمه الحسن (عليهما السلام) وكأنه لما رآه تجسدت له الصورة
التي أخبرهم بها جدهما (صلى الله عليه وآله) وأن الحسن يقتل بالسم: (فلما نظر إليه
بكى فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لما يصنع بك! فقال له الحسن
(عليه السلام): إن الذي يؤتى إلي سم يدس إلي فأقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد
الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد (صلى الله عليه
وآله) وينتحلون دين الإسلام! فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك
وسبي ذراريك ونسائك وانتهاج ثقلك، فعندها تحل بيني أمية اللعنة وتمطر السماء
رمادا ودما، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار!!
(أمالي الصدوق / ١٧٧).

ولماذا لا يكونان كذلك وقد اختارهما الله فداءه لدين جدهما؟! قالت أم سلمة:

(دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين (عليهما السلام) وجلسا إلى جانبيه فأخذ الحسن على ركبته اليمنى والحسين على ركبته اليسرى، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى، وإذا جبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله إنك تحب الحسن والحسين؟ فقال: وكيف لا أحبهما وهما ريحانتي من الدنيا وقرتا عيني، فقال جبرئيل: يا نبي الله إن الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له! فقال: وما هو يا أخي؟ فقال: قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً! وإن لكل نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولدك الحسن والحسين فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهم ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة! فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا جبرئيل أنا راض بحكم ربي لما يريد، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي ويقضي الله في ولدي ما يشاء). (البحار: ٤٤ / ٢٤٢). فصلوات الله على جدهما الرحيم وعليهما من أخوين وإمامين!

٢ - وصية الإمام الحسن لأخيه الإمام الحسين (عليهما السلام)
توجد ثلاث روايات في وصية الإمام الحسن (عليه السلام) خالية من الإشكالات الكثيرة التي ترد على الروايات الأخرى:

الأولى: رواية زياد المخارقي، رواها المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ٢ / ١٧ قال: (وروى عبد الله بن إبراهيم عن زياد المخارقي قال: لما حضرت الحسن الوفاة استدعى الحسين بن علي (عليهما السلام) فقال: يا أخي إنني مفارقك ولاحق بربي عز وجل وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطست، وإنني لعارف بمن سقاني السم ومن أين دهيت وأنا أخاصمه إلى الله تعالى، فبحقني عليك إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما

يحدث الله عز ذكره في، فإذا قضيت فغمضني وغسلني وكفني واحملي على سريري إلى قبر جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأجدد به عهدا، ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك. وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيجلبون في منعكم عن ذلك وبالله أقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم. ثم وصى (عليه السلام) إليه بأهله وولده وتركاته، وما كان وصى به إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) حين استخلفه وأهله لمقامه، ودل شيعته على استخلافه ونصبه لهم علما من بعده. فلما مضى لسبيله غسله الحسين (عليهما السلام) وكفنه وحمله على سريره، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتجمعوا له ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين بن علي إلى قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليجدد به عهدا أقبلوا إليهم في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب. وجعل مروان يقول: يا رب هيجاهي خير من دعه! أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن مع النبي؟ لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية، فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت، فإنما ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكننا نريد أن نجدد به عهدا بزيارته، ثم نرده إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان وصى بدفنه مع النبي (صلى الله عليه وآله) لعلمت أنك أقصر باعا من ردنا عن ذلك، لكنه (عليه السلام) كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدمًا كما طرق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه! ثم أقبل على عائشة فقال لها:

وا سواتاه! يوما على بغل ويوما على جمل، تريدان أن تطفئي نور الله، وتقاتلين أولياء الله؟! إرجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين، والله

تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين.
وقال الحسين (عليه السلام): والله لولا عهد الحسن إلي بحقن الدماء وأن لا أهرق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا!
ومضوا بالحسن (عليه السلام) فدفنوه بالقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها وأسكنها جنات النعيم). (وروضة الواعظين / ١٦٧، والمستجد / ١٤٧، وإعلام الوري: ١ / ٤١٤ وفيه: زياد المحاربي والصحيح المخارقي).

والثانية، رواها الطوسي في أماليه / ١٥٨، بأكثر من طريق عن ابن عباس، قال: (دخل الحسين بن علي علي أخيه الحسن بن علي في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف تجدك يا أخي؟ قال: أجدني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا، واعلم أنني لا أسبق أجلي، وأني وارد على أبي وجدي، علي كره مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأحبة، وأستغفر الله من مقالتي هذه وأتوب إليه، بل علي محبة مني للقاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولقاء فاطمة وحمزة وجعفر، وفي الله عز وجل خلف من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة ودرك من كل ما فات. رأيت يا أخي كبدي أنفا في الطست، ولقد عرفت من دهاني ومن أين أتيت، فما أنت صانع به يا أخي؟ فقال الحسين: أقتله والله. قال: فلا أخبرك به أبدا حتى نلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن اكتب: هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبد حق عبادته لا شريك له في الملك ولا ولي له من الدن، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأنه أولى من عبد وأحق من حمد من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى ومن تاب إليه اهتدى.

فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك، أن تصفح عن مسيئتهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفا ووالدا، وأن تدفني مع جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإني أحق به وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده! قال الله تعالى فيما أنزله على نبيه في كتابه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الاذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده، فإن أبت عليك الامرأة فأنشذك بالقرابة التي قرب الله عز وجل منك، والرحم الماسة من رسول الله أن لا تهريق في محجمة من دم حتى نلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنختصم إليه، ونخبر بما كان من الناس إلينا بعده. ثم قبض.

قال ابن عباس: فدعاني الحسين وعبد الله بن جعفر وعلي بن عبد الله بن العباس فقال: غسلوا ابن عمكم، فغسلناه وحنطناه وألبسناه أكفانه (أي ساعدوا الحسين) (عليه السلام))، ثم خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد، وإن الحسين أمر أن يفتح البيت (بيت حجرة النبي) (صلى الله عليه وآله) التي دفن فيها) فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان، وقالوا أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظلما بالبيع بشر مكان، ويدفن الحسن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والله لا يكون ذلك أبدا حتى تكسر السيوف بيننا وتنقص الرماح وينفذ النبيل!

فقال الحسين: أما والله الذي حرم مكة للحسن بن علي بن فاطمة أحق برسول الله وبيته ممن أدخل بيته بغير إذنه، وهو والله أحق به من حمال الخطايا، مسير أبي ذر (رحمه الله) الفاعل بعمار ما فعل وبعبد الله ما صنع، الحامي الحمى، المؤوي لطريد رسول الله (صلى الله عليه وآله)! لكنكم صرتم بعده الأمراء وبايعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء. قال: فحملناه فأتينا به قبر أمه فاطمة فدفناه إلى جنبها رضي الله عنه

وأرضاه. قال ابن عباس: وكنت أول من انصرف فسمعت اللغظ وخفت أن يعجل الحسين علي من قد أقبل ورأيت شخصا علمت الشر فيه، فأقبلت مبادرا فإذا أنا بعائشة في أربعين راكبا علي بغل مرحل تقدمهم وتأمروهم بالقتال، فلما رأني قالت: إلي إلي يا ابن عباس لقد اجترأتم علي في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب! فقلت: وا سواتاه! يوم علي بغل ويوم علي جمل! تريدان أن تطفئي فيه نور الله وتقاتلي أولياء الله وتحولي بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين حبيبه أن يدفن معه، إرجعي فقد كفى الله المؤنة ودفن الحسن إلى جنب أمه، ولم يزد من الله إلا قربا وما ازددتم منه والله إلا بعدا! يا سواتاه! إنصرفي فقد رأيت ما سرك! قال: فقطبت في وجهي ونادت بأعلى صوتها: أما نسيتم الجمل يا ابن عباس إنكم لذوو أحقاد! فقلت: أما والله ما نسيه أهل السماء فكيف ينساه أهل الأرض؟! فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها فاستقرت بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر).
(وبشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري / ٤١٨، والبحار: ٤٤ / ١٥١، عن أمالي الطوسي).

والثالثة، ما كتبه ابن عبد الوهاب في (عيون المعجزات / ٥٧) وقد ألفه سنة ٤٤٨، قال: (وكان سبب مفارقة أبي محمد الحسن (عليه السلام) دار الدنيا وانتقاله إلى دار الكرامة على ما وردت به الأخبار أن معاوية بذل لجعيدة بنت الأشعث زوجة أبي محمد (عليه السلام) عشرة آلاف دينار وقطاعات كثيرة من شعب سور وسوار الكوفة (قرى وبساتين مهمة) وحمل إليها سما فجعلته في طعامه، فلما وضعته بين يديه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين وعمي جعفر الطيار في الجنة، وحمزة سيد الشهداء! ودخل عليه أخوه الحسين (عليه السلام) فقال: كيف تجد نفسك؟ قال: أنا في آخر يوم من

الدنيا وأول يوم من الآخرة، على كره مني لفراقك وفراق إخوتي، ثم قال: أستغفر الله، على محبة مني للقاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين وفاطمة وجعفر وحمزة (عليهم السلام). ثم أوصى إليه وسلم إليه الاسم الأعظم ومواريث الأنبياء (عليهم السلام) التي كان أمير المؤمنين (عليه السلام) سلمها إليه ثم قال: يا أخي إذا مت فغسلني وحنطني وكفني واحملي إلى جدي حتى تلحدني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك فبحق جدك رسول الله وأبيك أمير المؤمنين وأمك فاطمة الزهراء (عليهم السلام) أن لا تخاصم أحدا واردد جنازتي من فورك إلى البقيع... الخ). وستأتي بقيتها في شهادته (عليه السلام).

٣ - الإمام الحسن (عليه السلام) يوصي أخاه محمد بن الحنفية في الكافي: ١ / ٣٠١: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لما حضرت الحسن بن علي الوفاة قال: يا قنبر أنظر هل ترى من وراء بابك مؤمنا من غير آل محمد (عليهم السلام)؟ فقال: الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم به مني، قال: أدع لي محمد بن علي، فأثبته فلما دخلت عليه قال: هل حدث إلا خير؟ قلت: أجب أبا محمد فعجل علي شسع نعله فلم يسوه وخرج معي يعدو، فلما قام بين يديه سلم فقال له الحسن بن علي: أجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيا به الأموات ويموت به الأحياء كونوا أوعية العلم ومصايح الهدى فإن ضوء النهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أن الله جعل ولد إبراهيم (عليه السلام) أئمة، وفضل بعضهم على بعض، وآتى داود (عليه السلام) زبورا، وقد علمت بما استأثر به محمدا.

يا محمد بن علي، إني لا أخاف عليك الحسد وإنما وصف الله به الكافرين، فقال الله عز وجل: كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، ولم يجعل الله عز وجل للشيطان عليك سلطانا.

يا محمد بن علي، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحب أن ييرني في الدنيا والآخرة فليبر محمدا ولدي!
يا محمد بن علي، لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتكَ.
يا محمد بن علي، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روعي جسمي، إمام من بعدي، وعند الله جل اسمه في الكتاب، وراثته من النبي أضافها الله عز وجل له في وراثته أبيه وأمه فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمدا واختار محمد عليا واختارني علي بالإمامة واخترت أنا الحسين.
فقال له محمد بن علي: أنت إمام وأنت وسيلتي إلى محمد (صلى الله عليه وآله) والله لو ددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإن في رأسي كلاما لا تنزفه الدلاء ولا تغيره نعمة الرياح، كالكتاب المعجم في الرق المنمنم، أهم بإبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت به الرسل، وإنه لكلام يكل به لسان الناطق ويد الكاتب حتى لا يجد قلما، ويؤتوا بالقرطاس حمما، فلا يبلغ إلي فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله. الحسين أعلمنا علما، و أثقلنا حلما، وأقربنا من رسول الله رحما، كان فقيها قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله في أحد خيرا ما اصطفى محمدا (صلى الله عليه وآله)، فلما اختار الله محمدا واختار محمد عليا واختارك علي إماما واخترت الحسين، سلمنا ورضينا. من غيره يرضى؟ ومن غيره نسلم به من مشكلات أمرنا). انتهى. *

وقد تقدم رد روايتهم بوصيته لأخيه الحسين (عليه السلام) بعدم الخروج على يزيد! ومن الروايات التي مدوا إليها أصابعهم، زعمهم أن الإمام الحسين أصر على أخيه الإمام الحسن (عليهما السلام) أن يدلّه على من سقاه السم فأبى، لأنه لا يعرفه بنحو جازم!

قال المزي في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥١: (وقال ابن عون، عن عمير بن إسحاق: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن علي فقال فدخل المخرج (الميضأة) ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مرارا وما سقيته مرة هي أشد من هذه. قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني، قال: ما أسألك شيئا يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من غد وقد أخذ في السوق (الاحتضار) فجاء حسين حتى قعد عند رأسه فقال: أي أخي من صاحبك؟ قال: تريد قتله؟ قال: نعم، قال: لئن كان صاحبي الذي أظن، لله أشد لي نقمة وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بي بريئا). (مصنف ابن أبي شيبة: ٨ / ٦٣١، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٣، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٣، والاستيعاب: ٢٧٩ / ٢٧٩، وطبعة أخرى: ١ / ٣٩٠، والسيرة الحلبية: ٣ / ٣٦٠، ومروج الذهب: ٦٥٨ / ٦٥٨، وسمت النجوم العوالي: ٨٥٤ / ٨٥٤، والجوهرة اللبري: ٥٦٤ / ٥٦٤، ومقاتل الطالبين: ٤٨ / ٤٨، والإرشاد: ٢ / ١٦، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٠٢، وذخائر العقبى: ١٤١ / ١٤١، والعدد القوية: ٣٥٢ / ٣٥٢، والبحار: ٤٤ / ١٥٨).

أقول: لا يمكن قبول الفقرة الأخيرة من الرواية، لأن معناها أن الإمام (عليه السلام) كان يظن ظنا بمن سمه ولا يجزم! وأن الإمام الحسين (عليه السلام) لا يعرف عن القاتل شيئا! يريدون بهذا تبرئة معاوية، لأن المقتول لم يتهمه ولا اتهم عملائه بل ظن ظنا!! ويكفي لرده عندنا عصمة الإمامين الحسين (عليهما السلام) ويضاف إليها تصريح الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه سيقتل بالسهم بيد زوجته جعدة، كما تقدم من الخرائج: ١ / ٢٤١ والمناقب: ٣ / ١٧٥، وكتاب سليم: ٣٦٣ / ٣٦٣.

ثم إن روايتهم هذه ترجع في كل مصادرهم إلى عمير بن إسحاق بن يسار، والفقرة الأخيرة منها مشكوكة لأن بعض المصادر كابن حجر في الإصابة: ٢ / ٦٦، رواها إلى قوله: (فأبى أن يخبره) وليس فيها ذكر لظن الإمام الحسن (عليه السلام) وخوفه أن يقتل به برئ! وقد اضطرب فيها ابن كثير في النهاية: ٨ / ٤٦ وصرح أن هذه الزيادة

وردت في رواية منفصلة قال: (وفي رواية.... وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بي بريئا).
على أنهم رووا مقابلها رواية عبد الله بن الحسن وليس فيها هذه الزيادة ولا معناها،
كما في أكثر المصادر المتقدمة كما في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٢، عن عبد الله بن
الحسن: (فلما حضرته الوفاة، قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قد قطع السم
أمعاه فقال الحسين: يا أبا محمد خبرني من سقاك؟ قال: ولم يا أخي؟ قال: أقتله والله
قبل أن أدفئك أو لا أقدر عليه أو يكمن بأرض أتكلف الشخوص إليه. فقال: يا أخي،
إنما هذه الدنيا ليال فانية دعه حتى التقي أنا وهو عند الله فأبى أن يسقيه. قال: وقد
سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سما). انتهى.
وروا نحوها عن قتادة ولم يذكر فيها ذلك أيضا بل أشار إلى اتهام معاوية: (فقال
الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا أتريد أن تقتلهم؟ أكلهم إلى الله.
فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال: يا عجباً من الحسن شرب شربة من غسل
بماء رومة ففضى نجه!) (الإستيعاب: ١ / ٣٩٠).

٤ - ما رآه الإمام (عليه السلام) قرب موته

في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥١: (عن عمران بن عبد الله بن طلحة: رأى الحسن بن
علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه (قل هو الله أحد) ففرح بذلك، فبلغ سعيد بن
المسيب فقال: إن كان رأى هذه الرؤيا، ما بقي من أجله! قال: فلم يلبث الحسن بعدها
إلا أياما حتى مات). (وتاريخ الخلفاء / ١٥٠، وسبل الهدى: ١١ / ٧٠ وأنساب
الأشراف / ٧٤٨ وفيه: فسئل سعيد بن المسيب فقال: يموت، لأن القرآن حق فهذا
مصير إلى الحق).

٥ - أخرجوني إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات!

في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٣: (عن رقبة بن مصقلة: لما حضر الحسن بن علي

الموت قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات، فأخرجوا فراشه فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي. فكان مما صنع الله أن احتسب نفسه عنده). (وسير الذهبي: ٣ / ٢٧٥، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٥، والنهاية: ٨ / ٤٧، وسبل الهدى: ١١ / ٧٠، ووفيات الأعيان: ٢ / ٦٦).

٦ - ارتجت المدينة لموت الإمام الحسن (عليه السلام) وضجت بالبكاء في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٦: (عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال: جعل الحسن يوعز للحسين: يا أخي إياك أن تسفك دما فإن الناس سراع إلى الفتنة! فلما توفي ارتجت المدينة صياحا فلا تلقى إلا باكيا. وأبرد مروان إلى معاوية بخبره وإنهم يريدون دفنه مع النبي (ص) ولا يصلون إلى ذلك أبدا وأنا حي). (وروى ارتجاج المدينة بالبكاء ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١، وكذا في ترجمة الإمام الحسن القسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد / ٨٦).

٧ - دعوة ضواحي المدينة إلى تشييع الإمام (عليه السلام) تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٧، عن ابن سعد: (عن جهم بن أبي جهم قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحا يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن، فنزل أهل العوالي، ولم يتخلف أحد عنه). (الطبقات / ٨٩).

٨ - حاكم المدينة سعيد بن العاص وقف على الحياض في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١: (لما بلغ مروان بن الحكم أنهم قد اجتمعوا أن يدفنوا الحسن بن علي مع رسول الله (ص) جاء إلى سعيد بن العاص وهو عامل المدينة فذكر ذلك له فقال ما أنت صانع في أمرهم؟ فقال: لست منهم في شيء، ولست

حائلا بينهم وبين ذلك. قال: فخلني وإياهم. فقال: أنت وذاك. فجمع لهم مروان من كان هناك من بني أمية وحشمهم ومواليهم! وبلغ ذلك حسينا فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفن حسنا في بيت النبي (ص). انتهى.

وقد عرفت وسيأتي أن الإمام الحسين (عليه السلام) أوصى أن لا يراق من أجل دفنه محجمة دم، وأن الإمام الحسين (عليه السلام) كان ملتزما بذلك.

٩ - الإمام الحسين يتولى مراسم جنازة أخيه الإمام الحسن (عليهما السلام) في جامع أحاديث الشيعة: ٣ / ١٥٦: (مصباح الأنوار عن زيد بن علي قال: غسل أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغسل أمير المؤمنين (عليه السلام) الحسن ولده (وغسل الحسن الحسين أخوه) ثم قال: بأبي وأمي من تولت الملائكة غسله). (والبحار: ٧٨ / ٣٠٩، ومستدرک الوسائل: ٢ / ٢٠٠) وما بين قوسين فقرة نرجح أنها سقطت من النص.

وفي الإرشاد: ٢ / ١٥: (وتولى أخوه ووصيه الحسين (عليه السلام) غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رحمة الله عليها بالبقيع). (ونحوه في الخرائج: ١ / ٢٤٢، وإعلام الوری: ١ / ٤٠٣، والبحار: ٤٤ / ١٣٧، عن كشف الغمة):

وقد تقدم في أنه أوصى أخاه الحسين (عليهما السلام) أن يغسله ويصلي عليه: (فلما مضى لسبيله غسله الحسين (عليهما السلام) وكفنه وحمله على سريره، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفونونه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتجمعوا له ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين بن علي إلى قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليجدد به عهدا أقبلوا إليهم في جمعهم).

وتقدم من الكافي: ١ / ٣٠٢: (فلما قبض الحسن (عليه السلام) وضع على سريره فانطلقوا به إلى مصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلى على الحسين (عليه السلام) فلما أن صلى عليه حمل فأدخل المسجد). انتهى. فتكون صلاة والي المدينة سعيد بن العاص في البقيع بعد صلاة الحسين (عليه السلام).

١٠ - الإمام الحسين (عليه السلام) يخرج بالجنائز إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ١ - قال المفيد في الإرشاد: ٢ / ١٨: (فلما مضى لسبيله غسله الحسين (عليهما السلام) وكفنه وحمله على سريره، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفونه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتجمعوا له ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين بن علي (عليهما السلام) إلى قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليحدد به عهداً، أقبلوا إليهم في جمعهم ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب. وجعل مروان يقول: يا رب هيجاهي خير من دعة! (أي رب حرب خير من سلم) أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت فإنما ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكننا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته، ثم نرده إلى جدته فاطمة (عليها السلام) فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان وصى بدفنه مع النبي (صلى الله عليه وآله) لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك، لكنه (عليه السلام) كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه. ثم أقبل على عائشة فقال لها: وا سواتاه! يوماً على بغل ويوما على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلين أولياء الله، إرجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين والله تعالى منتصر

لأهل هذا البيت ولو بعد حين) (الإرشاد: ٢ / ١٩، وبمعناه في الخرائج: ١ / ٢٤٢)

٢ - وفي الكافي: ١ / ٣٠٠، عن الإمام الباقر (عليه السلام) من حديث: (فلما قبض الحسن (عليه السلام) وضع على السرير ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلى عليه الحسين (عليه السلام) وحمل وأدخل إلى المسجد، فلما أوقف

على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذهب ذو العوينين (الجاسوس) إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي (صلى الله عليه وآله) فخرجت مبادرة على بغل بسرج! فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجا! فقالت: نحو ابنكم عن بيتي فإنه لا يدفن في بيتي ويهتك على رسول الله حجاب! فقال لها الحسين (عليه السلام): قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدخلت عليه بيته من لا يحب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة).

٣ - وفي رواية أمالي الطوسي المتقدمة / ١٥٨: (ثم خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد، وإن الحسين (عليه السلام) أمر أن يفتح البيت (الغرفة التي فيها القبر الشريف) فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان، وقالوا أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظلما بالبقيع بشر مكان، ويدفن الحسن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! والله لا يكون ذلك أبدا حتى تكسر السيوف بيننا، وتنقصف الرماح، وينفد النبل). انتهى.

٤ - في دلائل الإمامة / ١٦٠: (فوافى (مروان) مسرعا على بغلة حتى دخل على عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جده، ووالله لئن دفنه معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! فقالت له: فما أصنع يا مروان؟ قال: تلحقي به وتمنعيه من الدخول إليه. قالت: فكيف ألحقه؟ قال: هذا بغلي فاركبيه والحقي القوم قبل الدخول. فنزل لها عن بغله وركبته وأسرعت إلى القوم وكانت أول امرأة ركبت السرج هي، فلحقتهم وقد صاروا إلى حرم قبر جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرمت بنفسها بين القبر والقوم، وقالت: والله لا يدفن الحسن ها هنا أو تحلق هذه وأخرجت ناصيتها (شعرها) بيدها!! وكان مروان لما ركبت بغلة جمع من كان من بني أمية وحثهم، فأقبل هو

وأصحابه وهو يقول: يا رب هيجا هي خير من دعة. أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن مع رسول الله؟! والله، لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف. وكادت الفتنة تقع وعائشة تقول: والله، لا يدخل داري من أكره. فقال لها الحسين: هذه دار رسول الله، وأنت حشية من تسع حشيات خلفهن رسول الله، وإنما نصيبك من الدار موضع قدميك. فأراد بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح فقال الحسين: الله الله، لا تفعلوا فتضيعوا وصية أخي! وقال لعائشة: لولا أنه أوصى إلي ألا أهريق فيه محجمة دم لدفنته هاهنا، ولو رغم لذلك أنفك! وعدل به إلى البقيع فدفنه فيه مع الغرباء. وقال عبد الله بن عباس: يا حميراء كم لنا منك؟! فيوم على جمل، ويوم على بغل؟! فقالت: إن شاء أن يكون يوم على جمل ويوم على بغل، والله ما يدخل الحسن داري! انتهى. * *

أقول: هذه النصوص تدل بوضوح على أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يقصد أساسا أن يدفن أخاه الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده (صلى الله عليه وآله) بل كان حريصا على تنفيذ وصيته بدقة، وهي أن يجدد به عهدا بجده (صلى الله عليه وآله) ولا يهرق بسبب دفنه محجمة دم! وإنما أراد أن يزور بجنائزه قبر النبي (صلى الله عليه وآله) قبل دفنه حسب وصيته، لكن مروان لفجوره ادعى أن الحسين (عليه السلام) يريد ذلك، فأقفل باب الحجرة النبوية الشريفة ومنعهم من زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) واستنفر! ويبدو أن سبب تأخر الجنازة في المسجد النبوي أن الإمام الحسين (عليه السلام) وبني هاشم أصروا على زيارة جنازة الإمام الحسن لقبر جده (صلى الله عليه وآله) وأن استنفرهم ودعوتهم بحلف الفضول، كانت من أجل فتح باب الحجرة النبوية. لكن رواة الخلافة كذبوا فقالوا إن بني هاشم أجمعوا على دفنه عند النبي (صلى الله عليه وآله)! وإن الإمام الحسين (عليه السلام) أمرهم بحفر قبر فاستنفر مروان!

ففي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١: (لما بلغ مروان بن الحكم أنهم قد أجمعوا أن يدفنوا الحسن بن علي مع رسول الله (ص) جاء إلى سعيد بن العاص وهو عامل المدينة فذكر ذلك له فقال: ما أنت صانع في أمرهم؟ فقال: لست منهم في شيء ولست حائلا بينهم وبين ذلك. قال: فخلني وإياهم! فقال: أنت وذاك! فجمع لهم مروان من كان هناك من بني أمية وحشمهم ومواليهم، وبلغ ذلك حسينا فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفن حسنا في بيت النبي (ص) وأقبل مروان في أصحابه وهو يقول: يا رب هيجاهي خير من دعة! أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن حسن في بيت النبي (ص) والله لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٦: (فانتهى حسين إلى قبر النبي (ص) فقال: إحفروا فنكب عنه سعيد بن العاص يعني أمير المدينة فاعتزل، وصاح مروان في بني أمية ولبسوا السلاح! فقال له حسين: يا ابن الزرقاء مالك ولهذا؟ أوال أنت؟ فقال: لا تخلص إلى هذا وأنا حي! فصاح حسين بحلف الفضول فاجتمعت هاشم وتيم وزهرة وأسد في السلاح، وعقد مروان لواء وكانت بينهم مرامة). انتهى.

وقول رواتهم إن بني هاشم أجمعوا أن يدفنوا الإمام الحسن (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله) وقولهم إن الإمام الحسين (عليه السلام) قال لهم: إحفروا هنا، من مكذوباتهم ليبرروا استنفارهم ويسجلوا على بني هاشم أنهم تراجعوا أمامهم وأمام قريش، ولو مرة في التاريخ! والصحيح أن بني هاشم كانوا مطيعين للإمام الحسين (عليه السلام) وكان هو ينفذ وصية أخيه بأن يحددوا عهده بقبر جده (صلى الله عليه وآله) ولم يصدر عن الحسين (عليه السلام) حرف بأنه يريد أكثر من ذلك! بل قام بتسكيت بني هاشم وأنصارهم وكف سيوفهم وألسنتهم، وأمرهم بالانتظار حتى يفتحوا باب الحجرة النبوية فيزوروا الجنازة القبر الشريف وينطلقوا بها إلى البقيع. ولا بد أن بني أمية

ادعوا أن المفتاح عند عائشة وهي في بيتها، فسعت شخصيات قریش بالتهدة حتى يأتوا بالمفتاح منها!

١١ - مروان يركض إلى عائشة مستنجدا ويأتي بها على بغل!

تقدمت روايته من دلائل الإمامة للطبري / ١٦٠، وقد وصفت رواية الكافي: ١ / ٣٠٢ عن الإمام الباقر (عليه السلام) الحادثة بدقة قال: (لما احتضر الحسن بن علي (عليهما السلام) قال للحسين: يا أخي إني أوصيك بوصية فاحفظها: فإذا أنا مت فهيني ثم وجهني إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأحدث به عهدا، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة (عليها السلام) ثم ردني فادفني بالبقيع، واعلم أنه سيصيني من الحميراء ما يعلم الناس من صنعها وعداوتها لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) وعداوتها لنا أهل البيت! فلما قبض الحسن (عليه السلام) وضع على سريره فانطلقوا به إلى مصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان يصلى فيه على الجنائز فصلى على الحسين (عليه السلام) فلما أن صلى عليه حمل فأدخل المسجد، فلما أوقف على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلغ عائشة الخبر وقيل لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي ليدفن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرجت مبادرة على بغل بسرج! فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجا، فوقفت وقالت: نحوا ابنكم عن بيتي، فإنه لا يدفن فيه شيء ولا يهتك على رسول الله حجاب، فقال لها الحسين بن علي صلوات الله عليهما: قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله قربه! وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة! إن أخي أمرني أن أقربه من أبيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليحدث به عهدا، واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ستره لأن الله تبارك وتعالى يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله الرجال بغير إذنه! وقد قال الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله المعاول! وقال الله عز وجل: إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله بقربهما منه الأذى، وما رعيًا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله! إن الله حرم من المؤمنين أمواتا ما حرم منهم أحياء، وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عند أبيه رسول الله صلوات الله عليهما جائزا فيما بيننا وبين الله، لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك! قال: ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال: يا عائشة يوما على بغل، ويوما على جمل! فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم!

قال: فأقبلت عليه فقالت: يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين (عليه السلام): وأنى تبعدين محمدا من الفواطم، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر. قال فقالت عائشة للحسين (عليه السلام): نحوا ابنكم واذهبوا به فإنكم قوم خصمون قال: فمضى الحسين (عليه السلام) إلى قبر أمه ثم أخرجه فدفنه بالبقيع). انتهى.

وهذا يدل على أمور مهمة، نكتفي منها بثلاثة:
الأول، أن بيتها كان بعيدا عن القبر الشريف وإلا لما احتاجت إلى الركوب. فقد شهدت المدينة بعد الفتوحات حركة عمران واسعة نصت عليها الآثار، وانتقل أكثر سكان محلاتها المكتظة إلى بيوت جديدة واسعة. وقد تقدم أن عائشة باعت بيتها هذا أو غيره إلى معاوية بمئة وثمانين ألفا. وهو غير حجرتها أيضا لأنها أوصت بها إلى عبد الله بن الزبير كما تقدم. وحجرتها هذه غير الحجرة

النبوية لأنها لا يمكن أن تبيعها أو توصي بها إلى أحد!
الثاني، أن قول الإمام الحسين (عليه السلام): (وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهته
من دفن الحسن عند أبيه رسول الله صلوات الله عليهما جائزا فيما بيننا وبين الله لعلمت
أنه سيدفن وإن رغم معطسك) يدل على دفن الإمام الحسن (عليه السلام) إلى جنب
النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن جائزا في ذلك الوقت بسبب وصية الإمام الحسن
(عليه السلام) والضرر الذي يترتب من فتح المعركة مع معاوية، وإلا فهو جائز لعتره
النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام الحسين (عليه السلام) هو المتولي الشرعي للقبر
الشريف.

كما يدل قوله (عليه السلام) لعائشة: (لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول
الله (صلى الله عليه وآله) المعاول) على وجود حكم خاص للحفر والتصرف عند قبر
النبي (صلى الله عليه وآله).

والثالث، أن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يوص بدفنه إلى جنب جده (صلى الله عليه
وآله) ولا أراد الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك، لكن السلطة استنفرت فجورا وعداء
لأهل البيت (عليهم السلام)!

والسؤال: ما هو السبب الحقيقي لتغير رأي عائشة إلى النقيض؟ فبعد أن قالت كما رروا
عنها: (نعم، بقي موضع قبر واحد قد كنت أحب أن أدفن فيه، وأنا أؤثرك به). (تاريخ
دمشق: ١٣ / ٢٨٩) (قالت: نعم وكرامة). (سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٧).
ثم نقضت كلامها وأتت من بيتها مسرعة على بغل وقالت: (والله إنه لبيتي أعطانيه
رسول الله في حياته! وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمرى، وما أثر علي عندنا
بحسن). (لا يكون أبدا، يدفن ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعا!) (تاريخ دمشق: ١٣ /
٢٩٣).

والجواب: أن معاوية هو الذي فتح المعركة وأدارها، وعين مروان قائدا لأنه يتميز
بحقده على بني هاشم أكثر من حاكم المدينة سعيد! ولا بد أنه أرسل إلى عائشة
تهديدا
وتطميعا، فتراجعت.

والسؤال: لماذا لم تكتف عائشة بالتراجع، وتترك مواجهة بني هاشم للدولة ومروان، خاصة أن بني أمية استنفروا مع لفهم من مرتزقة! ولماذا أقفلت الحجرة النبوية وذهبت إلى بيتها، ولم تثق بكلام الحسين (عليه السلام) وهي تعرف أنه صادق؟

الجواب: أنهم تعمدوا قفل الحجرة النبوية وأخذت عائشة المفتاح، ولما رأى مروان إصرارهم على زيارة الجنازة للقبر الشريف خاف أن يدفنوه عند النبي (صلى الله عليه وآله) وذهب وأتى بعائشة لتواجههم ويكون هو من ورائها! لقد كان مروان حريصا لتبييض وجهه مع معاوية على تصوير الأمر كأنه معركة كاملة، وكان في نفس الوقت خائفا! فركض مسرعا إلى منزل عائشة البعيد عن المسجد وجاء بها على بغله وصور لها كما صور لمعاوية أن بني هاشم مصرون على دفن الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده (صلى الله عليه وآله) بالقوة، وأنه البطل الذي وقف وأجبرهم على التراجع!

والسؤال الثالث: إن عائشة من بني تيم، وهم عضو في حلف الفضول مع بني هاشم وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى. وقد دعا الإمام الحسين (عليه السلام) بحلف الفضول لمساعدته على دفع ظلم بني أمية، فاستجاب له بنو زهرة بقيادة المسور بن مخرمة، وبنو ليث بقيادة جعونة بن شعوب، فلماذا لم يستجب بنو تيم بقيادة أحد أبناء أبي بكر أو أبناء طلحة ووقف عائشة ضد تحالفها الطبيعي الشرعي؟!

والجواب: أن أبناء السلطة يتكلمون بالقيم القبلية والعربية، لكن إذا جد الجد وتعارضت مصلحتهم السياسية معها يسحقونها بأقدامهم! وأكبر دليل على ذلك أن الاعتداء على المرأة عار عند جميع قبائل العرب، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) أقدس شخصية عند العرب، ومع ذلك تجرؤوا على ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعترته ونسائه!

وقد ادعى الحارث التيمي في رواية الطبقات في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) / ٨٨، (قال: حضرت بنو تيم يومئذ حين دعا الحسين بن علي بحلف الفضول). انتهى.

ولو كان ذلك صحيحا لرأيت الروايات تصف شجاعة أبناء طلحة وأبناء أبي بكر ومن معهم! لكن بني تيم وضعوا هذه الرواية ليجمعوا بين النقيضين بين تقربهم إلى معاوية بقيادة عائشة للمعركة إلى جنب مروان، وبقائهم في حلف الفضول حتى لا ينفوا منه ويخسروا شرفه العظيم! وهو الذي حصل!

١٢ - محاولتهم نفي ركوب عائشة البغلة

اشتهرت قصة ركوب عائشة البغلة في مصادر الطرفين، بقول محمد بن الحنفية: (يا عائشة يوما على بغل، ويوما على جمل، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم! قال: فأقبلت عليه فقالت: يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟!). (الكافي: ١ / ٣٠٢). وبقول ابن عباس كما في الخرائج: ١ / ٢٤٣: (وا سواتاه! يوما على بغل ويوما على جمل! وفي رواية: يوما تجملت، ويوما تبغلت، وإن عشت تفيلت. فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي فقال:

أيا بنت أبي بكر * فلا كان، ولا كنت

تجملت تبغلت * وإن عشت تفيلت

لك التسع من الثمن * وبالكل تملكيت).

وفي بهجة المجالس لابن عبد البر / ٣٤: (لما مات الحسن أرادوا أن يدفونه في بيت رسول الله (ص) فأبت ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس! فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل! قالت: رحمك الله ذاك يوم نسي! قال: لا يوم أذكر منه على الدهر).

واشتهر ركوبها على بغلة بموقف ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر: (وقالت: بيتي لا آذن فيه لاحد. فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال لها: يا عمة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء!)

(اليقوبي: ٢ / ٢٢٥). وفي علل الشرائع: ١ / ٢٢٥: قال الإمام الصادق (عليه السلام): (أول امرأة ركبت البغل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عائشة! جاءت إلى المسجد فمنعت أن يدفن الحسن بن علي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)). وروى بخاري في كتاب الكنى / ٥، تعليقا لاذعا لابن عباس لما رأى عائشة ركضت بها بغلتها في المسعى وخرجت عن سيطرتها، قال: (عن أبي إدريس العبدى رأى عائشة تسعى بين الصفا و المروة على بغل أو بغلة فجالت بها البغلة! فقال ابن عباس: كان يوم البغلة!) انتهى. وذكرته مصادر أخرى.

ومع ذلك حاولوا تغطية بغلة أم المؤمنين فأبهموا قصتها وقالوا: (وقع بين حيين من قريش منازعة فخرجت عائشة على بغلة فلقىها ابن أبي عتيق فقال: إلى أين جعلت فذاك؟ فقالت: أصلح بين هذين الحيين. قال: والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل، فكيف إذا قيل يوم البغل؟! فانصرفت!) (نثر الدرر للآبي / ١٣٣٦، والتذكرة الحمدونية / ٢٢٢٥، ووفيات الأعيان: ٣ / ١٧). وزعم الزبير بن بكار أن خالة جده عائشة ركبت البغلة لتصلح بين غلمان اقتتلوا! ورواها عنه في تهذيب الكمال: ١٦ / ٦٦ ٧ قال: (اقتتل غلمان عبد الله بن عباس وغلمان عائشة فأخبرت عائشة بذلك، فخرجت في هودج على بغلة فلقىها ابن أبي عتيق فقال: أي أمي جعلني الله فذاك أين تريدين؟ قالت: بلغني أن غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا، فركبت لأصلح بينهم. فقال: يعتق ما يملك إن لم ترجعي. قالت: يا بني ما الذي حملك على هذا؟ قال: ما انقضى عنا يوم الجمل حتى تريدي أن تأتينا بيوم البغلة؟!). (وتاريخ دمشق: ٣٢ / ٢٤٠، والتحفة اللطيفة للسخاوي: ٢ / ٨٢، ومثله ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٦ / ١٠ قال: (البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق المعروف بابن أبي عتيق. روى عن عمه أبيه عائشة وعن ابن عمر) ثم ذكر رواية البغلة!) بينما جعلتها رواية في أنساب الأشراف / ٢٥٣٤، نكتة من ابن عتيق قال: (بعثت

عائشة إلى ابن أبي عتيق تسأله أن يعيرها بغلة له لترسل عليها رسولا في حاجة لها فقال لرسولها: قل لها والله ما غسلنا رؤوسنا من عار يوم الجمل أضمن رأيك أن تأتينا بيوم البغلة؟!). انتهى. وإن صحت فهي بغلة أخرى غير بغلة مروان!
**

أما الجاحظ والآلوسي وأمثالهما، فأوا أنه لا يمكن تغطية البغلة! فأنكروا الحادثة من أساسها، فروى الجاحظ في رسائله / ٢٣٨، وفي كتابه: البغال / ٤، قصة ركوبها على البغلة لتصلح بين حيين من قريش! ثم قال: (هذا حفظك الله حديث مصنوع ومن توليد الروافض فظن الذي ولد هذا الحديث أنه إذا أضافه إلى ابن أبي عتيق وجعله نادرة وملحة أنه سيشتيع ويجري عند الناس مجرى الخبر عن أم حبيبة وصفية. ولو عرف الذي اخترع هذا الحديث طاعة الناس لعائشة لما طمع في جواز هذا عنه). انتهى. يقصد الجاحظ أن الناس يطيعون عائشة ولا تحتاج إلى ركوب! لكن كلامه لو صح لا ينفي حاجتها إلى الحضور لمنع القتال المفروض، فقد احتاج إلى ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) عندما أوقع اليهود الفتنة بين حيين من الأنصار وتواعدوا الحرب في الحرة. (سيرة ابن هشام: ٣ / ٩٤).

وقال الآلوسي في تفسيره: ٢٢ / ٧: (ولهم) (الشيعة) في هذا الباب أكاذيب لا يعول عليها ولا يلتفت أريب إليها، منها أن عائشة أذنت للحسن حين استأذنها في الدفن في الحجر المباركة، ثم ندمت بعد وفاته وركبت على بغلة لها وأتت المسجد ومنعت الدفن ورمت السهام على جنازته الشريفة الظاهرة وادعت الميراث. وأنشأ ابن عباس يقول: تجملت تبلغت.. وإن عشت تفيلت.. لك التسع من الثمن.. فكيف الكل ملكت! وركاكة هذا الشعر تنادي بكذب نسبه إلى ذلك الحبر رضي الله تعالى عنه! وليت شعري أي حاجة لها إلى الركوب ومسكنها

كان تلك الحجرة المباركة فلو كانت بصدد المنع لأغلقت بابها). انتهى.
أقول: عدم الإنصاف واضح في كلامه، فقد نسب رواية البغلة إلى الشيعة مع أن روايتها من الفريقين، ثم أنكر إذن عائشة ورجوعها عنه وقد روى ذلك السنة! وزعم أن الحجرة النبوية هي حجرة عائشة ومسكنها والدليل على عكسه كما عرفت! ثم كسر البيت الثاني وركبته، وزعم أن الشيعة نسبت البيت إلى ابن عباس، مع أن أحدا لم ينسبهما إليه! وقد رأيت رواية الخرائج وأن ابن عباس قال: (يوما تجملت، ويوما تبغلت، وإن عشت تفيلت. فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي فقال...). انتهى. وقد زاد عليهما شاعر آخر هو الصقر البصري فقال:

أيا بنت أبي بكر * فلا كان ولا كنت

تجملت تبغلت * ولو عشت تفيلت

لك التسع من الثمن * فبالكل تحكمت

ويوم الحسن الهادي * على بغلك أسرعت

ومايست ومانعت * وخاصمت وقاتلت

وفي بيت رسول الله * بالظلم تحكمت

هل الزوجة أولى * بالمواريث من البنت

(بتصرف من مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٠٤)

١٣ - أبو هريرة وأبو سعيد الخدري يواجهان مروان وعائشة!

في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٧، عن مساور مولى بني سعد بن بكر قال: (رأيت أبا

هريرة قائما على مسجد رسول الله (ص) يوم مات الحسن بن علي بيكي وينادي بأعلى

صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا). (وتهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٥،

وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٥، وتهذيب التهذيب: ٢ / ٢٦٠).

وفي سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٥: (فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جئ بآبن موسى

ليدفن مع أبيه فممنع، أكانوا قد ظلموه؟ فقالوا: نعم. قال: فهذا ابن نبي الله (ص) قد جرى ليدفن مع أبيه). (وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٨، وتهذيب التهذيب: ٦ / ٢٥٤، وترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات / ٨٥).

وفي أنساب الأشراف للبلاذري / ٧٤٩: (وقال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة لمروان: تمنع الحسن من أن يدفن مع جده! وقد قال رسول الله: الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة؟! فقال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله إن كان لا يرويه إلا مثلك ومثل أبي هريرة). انتهى.

وقد تجرأ أبو هريرة وناقش عائشة كيف رضيت بدفن الإمام الحسن (عليه السلام) مع جده (صلى الله عليه وآله) ثم حركها معاوية ومروان فتراجعت! فقال أبو هريرة: (أتنفسون على ابن نبيكم (صلى الله عليه وآله) بتربة تدفنونه فيها وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). (وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٤، وسنن البيهقي: ٤ / ٢٩، وتهذيب التهذيب: ٢ / ٢٦٠، وأحكام الجنائز للألباني / ١٠٠، وقال: أخرجه الحاكم (٣ / ١٧١) والبيهقي (٤ / ٢٨) وزاد في آخره: فقال أبو هريرة أتنفسون على ابن نبيكم بتربة تدفنونه فيها وقد سمعت رسول الله يقول

: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني. وأخرجه أحمد أيضا (٢ / ٥٣١) بهذه الزيادة ولكنه لم يسق قصة تقديم سعيد للصلاة وإنما أشار إليها بقوله: فذكر القصة. ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. والحديث أورده الهيثمي في المجمع (٣ / ٣١) بتمامه مع الزيادة ثم قال: رواه الطبراني في (الكبير) والبخاري ورجاله موثقون). انتهى.

ثم ناقش الألباني الحافظ لأنه ضعفه في التلخيص (٥ / ٢٧٥) بأحد رواته سالم بن أبي حفصة.

وكان أبو هريرة يروي موقفه يوم شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) فيقول: (قاتل الله مروان قال: والله ما كنت لا أدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله وقد دفن عثمان بالبيع

فقلت: يا مروان إتق الله ولا تقل لعلي إلا خيرا فأشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ليس بفرار. وأشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول في حسن: اللهم أني أحبه فأحبه وأحب من يحبه! قال مروان: إنك والله أكثرت على رسول الله الحديث فلا نسمع منك ما تقول، فهل غيرك يعلم ما تقول؟ قال قلت: هذا أبو سعيد الخدري! قال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله حين لا يرويه إلا أنت وأبو سعيد الخدري، والله ما أبو سعيد الخدري يوم مات رسول الله إلا غلام! ولقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاة رسول الله بيسير فاتق الله يا أبا هريرة! قال قلت: نعم ما أوصيت به، وسكت عنه). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٨، ورواه ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) / ٩٢، وبتره الذهبي في سيره: ٣ / ٢٧٥!). وهو يدل على استهانة السلطة بأبي هريرة وأبي سعيد وعدم ثقتها بهما، لكنها في نفس الوقت تبنتهما لرواية أحاديثها! وقد مر عتب مروان على أبي هريرة بقوله: (ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلا في حبك الحسن والحسين)! فأجابه أبو هريرة بحديث نبوي في فضلها (عليهم السلام). (تهذيب الكمال: ٦ / ٢٣٠).

وفي العقد الفريد / ١٠٧٦: (وقال أبو هريرة لمروان: علام تمنع أن يدفن مع جده فلقد أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول: الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة. فقال له مروان: لقد ضيع الله حديث نبيه إذ لم يروه غيرك. قال: أما إنك إذ قلت ذلك، لقد صحبتته حتى عرفت من أحب ومن أبغض ومن نفى ومن أقر، ومن دعا له ومن دعا عليه). (وأنساب الأشراف / ٣ / ١٦ وفي طبعة / ٧٤٨، وشرح النهج: ١٦ / ١٤).

ونحوه في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات / ٩٣، وتاريخ دمشق: ١٠ / ١٥٧). وهذا أقصى مواجهة أبي هريرة لمروان، فقد عرض بمروان أنه وأباه ملعونان على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه طردهما ونفاهما من المدينة!

١٤ - الإمام الحسين (عليه السلام) يستنفر حلفاء بني هاشم بحلف الفضول! اعترف عدد من علماء الخلافة بحلف الفضول أو حلف المطيبين وأن شرعيته مستمرة. (مجموع النووي: ١٩ / ٣٨٤، وتهذيب الأسماء: ٣ / ١٨١، وغيرهما). أما سياسة الخلافة القرشية فهي التهوين من هذا الحلف والتعظيم على أحاديثه ونصوصه الكثيرة وحذفها إن استطاعت من التاريخ والفقهاء! والسبب أنه حلف لبني هاشم وبني المطلب، ومعهم ثلاث قبائل: بنو زهرة، وبنو الحارث بن فهر، وبنو تيم. (شرح النهج: ١٤ / ١٢٩). ومعهم بنو ليث من عامر بن صعصعة. (الأنساب للسمعاني: ٤ / ٤٢٣).

وموضوعه: حماية مكة المكرمة ومنع الظلم فيها، وحماية الضعيف حتى يأخذ حقه أيا كان الظالم والمظلوم. وسمي حلف الفضول لأن عبد المطلب (رحمه الله) أرادوه امتدادا لحلف قديم لأبناء إسماعيل وأحوالهم من جرهم من أجل حماية البيت ومنع الظلم فيه: (وغمسوا أيديهم في الطيب وتحالفوا وتصافقوا بأيمانهم ولذلك سمو المطيبين وسموا الحلف حلف الفضول، تشبيها له بحلف كان بمكة أيام جرهم على التناصيف، قام به رجال من جرهم يقال لهم: الفضل بن الحارث والفضيل بن وداعة والفضيل بن فضالة). (أن قوما من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم، فلما تحالفت قريش هذا الحلف سمو بذلك). (سنن البيهقي: ٦ / ٣٦٧، وفتح الباري: ٤ / ٣٨٧، ومجموع النووي: ١ / ٣٨٤، ونهاية الإرب / ٣٢٨٦، والأغانى: ١٧ / ٣٠٠، والفايق للزمخشري: ٢ / ٣١٢).

وفي مقابله (حلف لعقعة الدم) أو (حلف الأحلاف) برئاسة بني عبد الدار وأربع قبائل: بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب. (شرح النهج: ١٤ / ١٢٩).

وموضوعه: التناصر القبلي والشخصي ظالما أو مظلوما، في مقابل المطيبين وغيرهم، ولا علاقة لحلفهم بحرمة الكعبة وحمايتها ونصرة المظلوم!

قال اليعقوبي في تاريخه: ١ / ٢٤٨: (ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضا ليعزوا، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف... فتطيب بنو عبد مناف (وأسد) وزهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فسموا حلف المطيبين. فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منا! فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار، وبنو جمح، وبنو عدي، وبنو مخزوم، فسموا اللعقة). انتهى.

وفي المنمق لا بن حبيب / ٣٣: (فأخرجت عاتكة بنت عبد المطلب جفنة فيها طيب، فغمسوا أيديهم فيه فسموا المطيبين، ونحر الآخرون جزرا فغمسوا أيديهم في دمها فسموا الأحلاف ولعقة الدم، لأن الأسود بن حارثة العدوي لعق من الدم ولعقت معه بنو عدي! فلما كادوا يفشلون عبيت كل قبيلة لقبيلة، فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم، وبنو عبد الدار لبني أسد، وبنو مخزوم لبني تيم، وبنو جمح لبني زهرة، وبنو عدي لبني الحارث بن فهر، ثم إنهم مشوا في الصلح على أن تعطى بنو عبد مناف السقاية وبنو أسد الرفادة وتركت الحجابة والندوة واللواء لبني عبد الدار). وفي المحبر لابن حبيب / ١٦٧: (ثم تناهدوا للقتال فمشت السفراء بينهم حتى اصطلحوا على أن لبني عبد مناف السقاية والرفادة، ولبني عبد الدار بن قصي اللواء والحجابة). انتهى.

أقول: تقرأ بين السطور القرشية أن عبد المطلب استطاع أن يواصل عمل عمه المطلب وجده هاشم رضي الله عنهم، فصار سيد مكة والعرب ووضع حدا

لطغيان بني عبد الدار وأمثالهم من قبائل قريش، وظلمهم للناس خاصة في موسم الحج، فكانت ردة فعلهم أنهم تحالفوا ضده مع بني سهم فبادر هو إلى حلف المطيبين، وأجابوه هم بحلف لعقة الدم، وتهيؤوا لقتاله!

وفي عام حرب الفجار ضج التجار والحجاج من اليمن وغيرها من ظلم بعض قبائل لعقة الدم خاصة بني سهم وكانت لهم قصص في الظلم، حتى أن أحد بني زيد صعد جبل أبي قبيس وصاح شعرا يستنكر ظلم العاص بن وائل السهمي له وأكله لثمن بضاعته جهارا نهارا، وقد ناصره زعماء قريش من بني عبد الدار وغيرهم! (فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك وقال: يا قوم إني والله لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة فمشى إلى ابن جدعان وهو يومئذ شيخ قريش فقال له في ذلك وأخبره بظلم بني سهم وبغيهم). (الأغاني: ١٧ / ٢٩٩).

وجمع الزبير رؤساء قبائل حلف الفضول في دار ابن جدعان وجدده، وحضر الجلسة النبي (صلى الله عليه وآله) وكان عمره الشريف عشرين سنة، وقال عنه: (شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي به حمر النعم). (مسند أحمد: ١ / ١٩٠ ومستدرک الحاكم: ٢ / ٢٢٠، وصححه، وسنن البيهقي: ٦ / ٣٦٧، والطبقات: ١ / ١٢٨، وأدب البخاري / ١٢٥، الآحاد والمثاني للضحك: ١ / ٤٩، وصحيح ابن حبان: ١٠ / ٢١٦، ومسند أبي يعلى: ٢ / ١٥٧، وصححه، وفتح الباري: ١٠ / ٤١٩، ومسند الشاشي: ١ / ٢٧١، وتهذيب الأسماء: ٣ / ١٨١، وسير الذهبية: ١٢ / ١٧٠، وأنساب الأشراف / ١١، واليعقوبي: ١ / ٢٤٨، و: ٢ / ١٧، والتنبية والإشراف / ١٨٠، وسيرة ابن كثير: ١ / ١٠١، و ٢٥٧، وأخبار مكة للفاكهي: ٥ / ١٧٥ والمنمق / ٥٢، و ١٨٦، والفايق للزمخشري: ٢ / ٣١٢ وفيه: وفي رواية: لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفا لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت). انتهى. قال ابن تيمية في قاعدة في المحبة / ١٢٤: (والتحالف عام لبني آدم وهم في جاهليتهم تارة يتحالفون تحالفا يحبه الله كما قال النبي (ص): لقد شهدت حلفا مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان ما يسرني بمثله حمر النعم، أو قال ما

يسرني حمر النعم وأن أنقضه، ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت).
وقال ابن قيم في حاشيته: ٨ / ١٠١: (فهذا والله أعلم هو حلف المطيبين حيث تحالفت قريش (!) على نصر المظلوم وكف الظالم ونحوه). انتهى.
وقد اضطر الخلفاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) بسبب مدحه لحلف الفضول وتأكيده على شرعيته واستمراره، أن يأخذوه في اعتبارهم في تدوين قبائل العرب في ديوان العطاء، فبدؤوا ببني هاشم ثم بقبائل حلف الفضول ثم بقية قريش! (الأم للشافعي: ٤ / ١٦٦، وسنن البيهقي: ٦ / ٣٦٤، والنووي: ١٩ / ٣٨١، وستعرف أن بني أسد ليسوا من حلف الفضول).

١٥ - هدف الإمام الحسين (عليه السلام) من إحياء حلف الفضول
أحيا الإمام الحسين (عليه السلام) حلف الفضول في ظلامتين تعرض لهما: أولاهما أن معاوية كان من سياسته إفقار بني هاشم فأراد والي المدينة ابن أخيه السيطرة على بستان كبير كان استنبط ماءه وأنشأه أمير المؤمنين (عليه السلام) في وادي القرى (تيماء)! قال مصعب بن عمير: (خرج الحسين من عند معاوية فلقي ابن الزبير والحسين مغضب فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له فقال له الحسين: أخيره في ثلاث خصال والرابعة الصيلم (الحرب): أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقر بحقي ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه مني! فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول! فقال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن، أو قائم لأمشين، أو ماش لأشتمدن، حتى تفنى روعي مع روحك، أو ينصفك! قال: ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية فقال: لقيني الحسين فخيرني في ثلاث خصال والرابعة الصيلم! قال معاوية: لا حاجة لنا بالصيلم إنك لقيته مغضبا فهات الثلاث خصال، قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه، فقال قد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما جميعا، قال: أو تقر له بحقه وتسأله إياه، قال فأنا

أقر له بحقه وأسأله إياه، قال: أو تشتريه منه، قال: فأنا أشتريه منه! قال: فما انتهى إلى الرابعة، قال لمعاوية كما قال للحسين إن دعاني إلى حلف الفضول أجبتة! قال معاوية: لا حاجة لنا بهذه). (تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٨٠، وأنساب الأشراف / ١٤).

أقول: هدف ابن الزبير من حماسته للإمام الحسين (عليه السلام) أن يثبت أن قبيلته بني أسد عبد العزى عضو في حلف الفضول، والصحيح أنهم ليسوا منه ففي التذكرة الحمدونية / ٦١٠، ونحوه في الأغاني: ١٧ / ٣٠٠: (فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم: بالله إنا ليد واحدة على الظالم حتى يرد الحق، وخرجت سائر قريش من هذا الحلف. إلا أن ابن الزبير ادعاه لبني أسد في الإسلام. وسأل معاوية جبير بن مطعم عن دعوى ابن الزبير في ذلك فقال جبير: هذا هو الباطل!) والحادثة الأهم عندما منعه أن يزور بجنازة أخيه (عليهما السلام) قبر النبي (صلى الله عليه وآله)! ومعنى ندائه (عليه السلام) بحلف الفضول أنه وقف وشهر سيفه ونادى: يا لحلف الفضول، أو نادى: يا أصحاب حلف الفضول. فهذه عادة العرب في الدعوة بالحلف.

وقد بينت رواياتهم من استجاب له ففي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١: (وصاح مروان في بني أمية ولفها وتلبسوا السلاح وقال مروان: لا كان هذا أبدا! فقال له حسين: يا ابن الزرقاء ما لك ولهذا أوال أنت؟ قال: لا كان هذا ولا يخلص إليه وأنا حي! فصاح حسين بحلف الفضول فاجتمعت بنو هاشم، وتيم، وزهرة، وأسد، وبنو جعونة بن شعوب من بني ليث قد تلبسوا السلاح. وعقد مروان لواء، وعقد حسين بن علي لواء، فقال الهاشميون: يدفن مع النبي (ص) حتى كانت بينهم المراماة بالنبل! وابن جعونة بن شعوب يومئذ شاهر سيفه! فقام في ذلك رجال من قريش: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والمسور بن مخرمة بن نوفل، وجعل عبد الله بن جعفر يلح على حسين وهو يقول: يا ابن عم ألم تسمع إلى

عهد أخيك إن خفت أن يهراق في محجمة من دم فادفني بالبقيع مع أمي أذكرك الله أن تسفك الدماء! وحسين يأبى دفنه إلا مع النبي (ص) وهو يقول ويعرض مروان لي ماله ولهذا؟! قال فقال المسور بن مخرمة: يا أبا عبد الله إسمع مني قد دعوتنا بحلف الفضول وأجبنك، تعلم أني سمعت أخاك يقول قبل أن يموت بيوم: يا ابن مخرمة إنني قد عهدت إلى أخي أن يدفني مع رسول الله (ص) إن وجد إلى ذلك سبيلا، فإن خاف أن يهراق في ذلك محجم من دم فليدني مع أمي بالبقيع، وتعلم أني أذكرك الله في هذه الدماء! ألا ترى ما هاهنا من السلاح والرجال، والناس سراع إلى الفتنة. قال: وجعل الحسين يأبى وجعلت بنو هاشم والحلفاء يلغظون ويقولون لا يدفن إلا مع رسول الله (ص)! قال الحسن بن محمد سمعت أبي يقول لقد رأيتني يومئذ وإني لأريد أن أضرب عنق مروان، ما حال بيني وبين ذلك أن لا أكون أراه مستوجبا لذلك، إلا أني سمعت أخي يقول إن خفت أن يهراق في محجم من دم فادفوني بالبقيع! فقلت لأخي: يا أبا عبد الله وكنت أرفقهم به: إنا لا ندع قتال هؤلاء جنبا عنهم ولكننا إنما نتبع وصية أبي محمد، إنه لو قال والله أدفوني مع النبي (صلى الله عليه وآله) لمتنا من آخرنا أو ندفنه مع النبي، ولكنه خاف ما قد ترى! فقال: إن خفت أن يهراق في محجم من دم فادفوني مع أمي، فإنما نتبع عهده وننفذ أمره). (ورواه ابن سعد في القسم غير المطبوع من الطبقات، في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) وقد طبعه السيد الطباطبائي (رحمه الله) / ٨٦).

وأبناء جعونة بن شعوب الذين كان كبيرهم شاهرا سيفه مع الحسين (عليه السلام)، عداهم ابن حبيب في المنمق / ٢٤٩ والسدوسي في نسب قريش / ١١ في (من دخل في قريش في الإسلام بغير حلف إلا بصهر أو بصدقة أو برحم أو بجوار أو ولاء) وأصلهم من بني ليث من قبيلة عامر بن صعصعة، ومن مواليهم نافع

الأصفهاني صاحب القراءة المشهورة. (الأنساب للسمعاني: ٤ / ٤٢٣). وقد حقق الإمام الحسين (عليه السلام) هدفه من استنفار حلف الفضول، فأكد بذلك شرعيته واستمراره، وبعث برسالة إلى معاوية والسلطة، واختبر مع علمه استجابة هذه القبائل عمليا لنداء أهل البيت (عليهم السلام)، فكان أقوى حضور لبني جعونة بن شعوب من بني ليث وهم حلفاء خاصون لبني هاشم، ويليه حضور بني زهرة بقيادة المسور بن مخرمة، ومعه إلى حد ما سعد بن أبي وقاص! بينما غابت شخصيات بني تميم ما عدا عائشة التي حضرت في الجانب الآخر!

كما ادعى عبد الله بن الزبير من بني أسد عبد العزى، أنه من حلف الفضول، وروى ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من طبقاته / ٨٧ (لما دعا الحسين حلف الفضول جاءه عبد الله بن الزبير فقال: هذه أسد بأسرها قد حضرت فقال معاوية بعد ذلك لابن الزبير: وحضرت مع حسين بن علي ذلك اليوم؟ فقال: حضرت للحلف الذي تعلم دعيت به فأجبت فسكت معاوية). انتهى. ولو صح فإن حضوره كان شكليا، لأنه لم يرد عنه أي خبر في أحداث ذلك اليوم!

كما كشف الإمام (عليه السلام) الغياب الكامل لبني تميم! فرئيسهم عائشة في الجهة المعادية! وغياب بني الحارث بن فهر قبيلة أبي عبيدة بن الجراح ومنها عقبة بن نافع وأولاد سهل بن بيضاء وأولاد عياض بن غنم فلم أر مصدرا ذكر حضورهم!

ومن الواضح أن هدف الإمام (عليه السلام) من دعوة قبائل حلف الفضول لنصرته لم يكن عسكريا لأنه يعلم أنه لا معركة، ولو كانت معركة محلية فبنو هاشم وحدهم كافون لهزيمة مروان ولفه وقد قالوا للحسين (عليه السلام): (دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا كأكلة رأس! فقال: إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم). (تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٥).

١٦ - وساطات عدد من الصحابة والشخصيات

توسط عدة شخصيات مع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يصرف النظر عن زيارة جنازة الإمام الحسن (عليه السلام) أو عن دفنه عند جده (صلى الله عليه وآله)! وقد تقدم من ابن عساكر قول المسور بن مخرمة: (يا أبا عبد الله إسمع مني قد دعوتنا بحلف الفضول وأجبنك تعلم أنني سمعت أخاك يقول قبل أن يموت بيوم: يا ابن مخرمة إني قد عهدت إلى أخي أن يدفني مع رسول الله (ص) إن وجد إلى ذلك سبيلا، فإن خاف أن يهراق في ذلك محجم من دم... الخ). (ورواه ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) / ٨٦).

وذكروا وساطة سعد بن أبي وقاص: (فجعل سعد يكلم حسينا يقول: الله الله، فلم يزل بحسين حتى ترك ما كان يريد). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٣).
ووساطة جابر بن عبد الله الأنصاري: (قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت: يا أبا عبد الله إتق لله فإن أخاك كان لا يحب ما ترى فادفنه بالبقيع مع أمه، ففعل). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٧).

ووساطة أبي هريرة: (فقال له أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء!). (سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٥).
ووساطة عبد الله بن عمر قال: (حضرت موت حسن بن علي فقلت للحسين بن علي: إتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء وادفن أخاك إلى جنب أمه، فإن أخاك قد عهد ذلك إليك، فأخذ بذلك حسين). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٨، وترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات / ٨٨).

ووساطة عبد الله بن جعفر: (وجعل عبد الله بن جعفر يلح على حسين وهو يقول: يا ابن عم ألم تسمع إلى عهد أخيك إن خفت أن يهراق في محجمة من دم فادفني بالبقيع مع أمي). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٦).
(فلما صلوا على حسن خشي عبد الله بن جعفر أن يقع في ذلك ملحمة عظيمة

فأخذ بمقدم السرير ثم مضى نحو البقيع فقال له حسين: ما تريد؟ قال: عزمت عليك بحقي أن لا تكلمني كلمة واحدة، فصار به إلى البقيع فدفنه هناك رحمه الله، وانصرف مروان ومن معه). (سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٥، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١).

أقول: في هذه الروايات إشكالات، أهمها أن رواية الخلافة دأبوا على تصوير الإمام الحسين (عليه السلام) وكأنه مصر على الحرب خلافا لأخيه الحسن (عليه السلام)! وهذا خط عام عندهم، فهم يصورون الإمام الحسن (عليه السلام) مسالما تقيا، والإمام الحسين (عليه السلام) عنيفا جريئا على إراقة الدماء! أما الواقع فهو أن الإمام الحسين نفذ وصية أخيه (عليهما السلام) حرفيا وحقق هدفهما من إظهار الرغبة في دفنه عند جده (صلى الله عليه وآله)، لكنه بين من أول الأمر أنها رغبة مشروطة بعدم إراقة الدماء، ولا يمنع ذلك أنه استنفر بني هاشم ودعا بحلف الفضول، لإثبات ظلامتهم وحقهم المشروع في الدفاع عنها، وعندما اقترب الأمر من القتال وظهر للناس أن معاوية ومروان غاصبون دمويون، فطمأن الإمام الحسين (عليه السلام) الشخصيات التي توسطت، وهدأ بني هاشم وحلفاءهم وأمرهم أن يكفوا سيوفهم! ومن أدق النصوص في موقف الإمام الحسين (عليه السلام) ما كتبه ابن عبد الوهاب في كتابه (عيون المعجزات) الذي ألفه سنة ٤٤٨، وقد تقدم بعضه في وصية الإمام الحسن (عليه السلام) قال في / ٥٧: (فلما فرغ من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغلة وأتى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله، والله إن دفن معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: إلحقي به وامنعيه من أن يدفنه معه. قالت: وكيف ألحقه؟ قال: إركبي بغلتي هذه فنزل عن بغلته وركبتها وكانت تثور الناس وبني أمية على الحسين (عليه السلام) وتحرضهم على منعه مما هم به، فلما قربت من قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وكانت قد وصلت جنازة الحسن (عليه السلام) فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو تجز هذه! وأومت بيدها إلى شعرها (وفي رواية دلائل الإمامة / ١٦٠: حتى تحلق هذه! وأخرجت ناصيتها) فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين (عليه السلام): الله الله لا تضيعوا وصية أخي واعدلوا به إلى البقيع فإنه أقسم علي إن أنا منعت من دفنه مع جده (صلى الله عليه وآله) أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه بالبقيع مع أمه (فاطمة بنت أسد) فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها، فقام ابن عباس وقال: يا حميراء ليس يومنا منك بواحد، يوم على الجمل ويوم على البغلة! أما كفاك أن يقال يوم الجمل حتى يقال يوم البغل، يوم على هذا ويوم على هذا! بارزة عن حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) تريدون إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره المشركون! إنا لله وإنا إليه راجعون! فقالت له: إليك عني، وأف لك وقومك!

١٧ - وصفهم احتشاد المسلمين في تشييع الإمام الحسن (عليه السلام)
(عن جهم بن أبي جهم قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحا يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه... سمعت ثعلبة بن أبي مالك قال: شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع، فلقد رأيت البقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان! قال: عن ابن أبي نجیح عن أبيه قال: بكى على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعا النساء والصبيان والرجال!

وفي المنتخب من ذيل المذيل للطبري / ١٩ عن ابن سنان قال: (سمعت ثعلبة بن أبي مالك قال شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع، ولقد رأيت البقيع ولو طرحت فيها إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان!) (تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٦، والإصابة: ٢ / ٦٦، ومذيل الطبري / ١٩، وترجمة الإمام الحسن من الطبقات ٩٠، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٧، ومستدرک

الحاكم: ٣ / ٣٧٣). وقال ابن كثير: ٨ / ٤٨ (وقد اجتمع الناس لجنائزه حتى ما كان البقيع يسع أحدا من الزحام وقد بكاه الرجال والنساء سبعا واستمر نساء بني هاشم ينحن عليه شهرا، وحدث نساء بني هاشم عليه سنة). انتهى.
ومن بين كل هذه الحشود حضر شخص واحد من بني أمية! (وشهدها خالد بن الوليد بن عقبة بعد أن ناشد بني أمية أن يخلوه يشهد الجنائز فتركوه، فشهد دفنه في المقبرة!) (سنن الداني: ١ / ١٦٤).

١٨ - صلاة والي المدينة على جنازة الإمام الحسن (عليه السلام)
في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٣: (فأطاع حسين بعد أن ظننت أنه لا يطيع، فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع وحضر سعيد بن العاص ليصلي عليه فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه أبدا إلا حسين، قال: فاعتزل سعيد بن العاص فوالله ما نازعنا في الصلاة، وقال: أنتم أحق بميتكم، فإن قدمتموني تقدمت. فقال حسين بن علي: تقدم، فلولا أن الأئمة تقدم ما قدمناك).

وفي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٣: (عن أبي حازم قال رأيت حسين بن علي قدم سعيد بن العاص على الحسن بن علي فصلى عليه، ثم قال: لولا إنها سنة ما قدمته).
وفي رواية عن سالم عن أبي حفصة قال: (سمعت أبا حازم يقول: إنني لشاهد يوم مات الحسن بن علي، فرأيت الحسين بن علي يقول لسعيد بن العاص ويطعن في عنقه ويقول: تقدم فلولا إنها سنة ما قدمت! وكان بينهم شيء، فقال أبو هريرة أتنفسون على ابن نبيكم بتربة تدفونه فيها؟ وقد سمعت رسول الله يقول: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني). (الحاكم: ٣ / ١٧١ ووفيات الأعيان: ٢ / ٦٦، والطبراني الكبير: ٣ / ١٣٦، ونحوه سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٥).
أقول: روت عامة مصادرهم الفقهية تقديم الإمام الحسين (عليه السلام) لوالي المدينة في

الصلاة على جنازة أخيه (عليهما السلام) وأفتوا به، لأنه لمصلحة الولاية. وتدل الرواية الأولى على أنه صلى عليه في البقيع: (فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع، وحضر سعيد بن العاص ليصلي عليه فقالت بنو هاشم...). وتقدم أن الإمام الحسين (عليه السلام) صلى عليه حسب وصيته في مصلى الجنائز، قرب مسجد النبي (صلى الله عليه وآله).

١٩ - سجلوا (انتصارهم) على بني هاشم فرموا الجنازة بالسهم! وصف رواة الخلافة استنفار بني أمية ولفهم، وبني هاشم وحلفائهم في حلف الفضول، وأنهم اتخذوا مواقع للقتال وتراشقوا بالنبال!

ففي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩١، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٦: (وعقد مروان لواء وعقد حسين بن علي لواء، فقال الهاشميون يمدن مع النبي (ص) حتى كانت بينهم المراماة بالنبل! وابن جعونة بن شعوب يومئذ شاهر سيفه! فقام في ذلك رجال من قريش...). انتهى. ولكنهم لم يرووا ماذا فعل بنو أمية بعد أن قبل الإمام الحسين (عليه السلام) وساطة شخصيات قريش وفتحوا باب الحجرة الشريفة وزاروا جنازة الإمام الحسن (عليه السلام) قبر جده (صلى الله عليه وآله) واتجهوا بها إلى البقيع! فقد اكتفت رواياتهم بوصف مشي مروان خلف الجنازة باكيا! (ومشى مروان في جنازة الحسن وبكى) (سمت النجوم / ٨٥٦). كما وصفوا احتشاد المسلمين في البقيع لتوديع سبط نبيهم الحبيب (صلى الله عليه وآله)، وصلاة سعيد بن العاص على جنازته.

أما رواياتنا فتقول إن جلاوزة معاوية ومروان رموا جنازة الإمام الحسن (عليه السلام) برشقة سهام كثيفة! وحكي أنه سل منها سبعون نبلا! (مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٠٣). وفي الصوارم المهركة للشهيد نور الله التستري / ١٦١: (وآل الأمر إلى أن رموا جنازة الحسن (عليه السلام) ووصل بعض النصال إلى بدنه الشريف (عليه السلام))! وروي أنهم رموها

بالأحجار أيضا! (فلك النجاة لفتح الدين الحنفي / ٥٥)
ولا شئ من ذلك ببعيد على طبيعة بني أمية ومرزقتهم! خاصة وأن جنازة عثمان أهينت
ومنع المسلمون دفنها في مقابر المسلمين! وعندما أمر علي (عليه السلام) بدفنها
وحماها، أرسل طلحة بن عبيد الله سفلة فرموها بالحجارة!
قال الطبري في تاريخه: ٣ / ٤٣٨: (عن أبي بشير العابدي قال: نبذ عثمان ثلاثة أيام لا
يدفن، ثم إن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم
بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كلما عليا في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لأهله في ذلك
ففعل وأذن لهم علي، فلما سمع الناس بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة وخرج به
ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يقال له حش كوكب، كانت اليهود
تدفن فيه موتاهم! فلما خرج على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه فبلغ ذلك عليا
فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا، فانطلق حتى دفن في حش كوكب! فلما
ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع
فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين). انتهى.
وكان ينبغي لمروان يسجل شكره لعلّي (عليه السلام) الذي أوقف حجارة طلحة التيمي
عن جنازة عثمان! ولكنه انتقم من ذلك بحجارة علي جنازة الإمام الحسن (عليه
السلام) الهاشمي! ولا تفسير لذلك إلا أن مروان يكره عترة النبي (صلى الله عليه وآله)
الأطهار (عليهم السلام) بسبب أنه ملعون بن ملعون! (المستدرک: ٤ / ٥٢٦،
وصححه، وصححه علماؤهم).

ولا بد أن مروان بعد أن رجع من تشييع الإمام الحسن (عليه السلام) وجفت دموع
عينيه، شكر مرزقته على رمي الجنازة بالسهام والحجارة وكافأهم! كما شكره معاوية
وكافأه، فعزل سعيد بن العاص لأنه كان لينا مع بني هاشم، وعينه واليا مكانه!

أما عائشة فرجعت إلى بيتها على بغل مروان ولم تحضر التشييع، ولا بد أن معاوية بعث إليها بالشكر والمكافأة! لكن علاقة الود بينها وبين معاوية ومروان لم تطل! فما هو إلا شهر أو نحوه حتى اضطر أخوها عبد الرحمن رئيس بني تيم، أن يقف في المسجد النبوي مواجهها لمروان رافضا بيعة يزيد وقد شتمه وشتم معاوية ويزيدا فشتمه مروان وأمر بالقبض عليه، فركض عبد الرحمن إلى حجرة أخته عائشة، فخرجت عائشة إلى المسجد وصاحت بمروان وصكت وجهه! معلنة للمسلمين أنه وأباه مطرودان من النبي (صلى الله عليه وآله) وملعونان على لسانه! وتفاقم صراعها مع معاوية، حتى قتل أخوها مسموما، ثم ماتت هي بنحو مشكوك!

٢٠ - تأبين الإمام الحسين (عليه السلام) ومحمد بن الحنفية لأخيها
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٥: (ولما لف في أكفانه قال محمد بن الحنفية: رحمك الله أبا محمد فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، ونعم الروح روح عمر به بدنك ونعم البدن بدن ضمه كفنك، لم لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وحلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء، غذتك كف الحق وربيت في حجر الإسلام وأرضعتك ثدي الإيمان فطب حيا وميتا، فعليك السلام ورحمة الله. وإن كانت أنفسا غير قالية لحياتك ولا شاكة في الخيار لك).

وفي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٠٥: (وقال الحسين لما وضع الحسن (عليهما السلام) في لحده:

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي * ورأسك مغفور وأنت سليل
أو استمتع الدنيا لشيء أحبه * ألا كل ما أدنى إليك حبيب
فلا زلت أبكي ما تغنت حمامة * عليك وما هبت صبا وجنوب
وما هملت عيني من الدمع قطرة * وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
بكائي طويل والدموع غزيرة * وأنت بعيد والمزار قريب

غريب وأطراف البيوت تحوطه * ألا كل من تحت التراب غريب
ولا يفرح الباقي خلاف الذي مضى * وكل فتى للموت فيه نصيب
فليس حريبا من أصيب بماله * ولكن من وارى أخاه حريب
نسيبك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسيب).
وفي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٦: (عن ابن السماك قال: قال الحسين بن علي عند قبر
أخيه الحسن يوم مات: رحمك الله أبا محمد إذ كنت لناصر الحق مظانه، تؤثر الله عند
مداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معازم الدنيا بعين لها
حاقرة، وتفيض عليها يدا طاهرة، وتردع ماردة أعدائك بأيسر المؤونة عليك وأنت ابن
سلالة النبوة ورضيع لبان الحكمة، والى روح وريحان وجنة نعيم، أعظم الله لنا ولكم
الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة، وحسن الأسى عليه). انتهى.
ثم أورد رواية نسبتها إلى محمد بن الحنفية، وكذا ابن الجوزي في التذكرة / ١٢٢،
ورواها في المجالس الفاخرة / ١٥١، بتفاوت، ونسبها إلى الإمام الحسين (عليه
السلام).

٢١ - العزاء في المدينة ومكة أسبوعا، وحداد بني هاشم سنة!
في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات / ٩٠: (فلما مات أقام نساء بني
هاشم عليه النوح شهرا). وفي هامشه: ورواه الحافظ المزني في تهذيب الكمال: ٦ /
٢٥٢ وابن عساكر في تاريخه برقم ٣٣٨ كلاهما عن ابن سعد. وقال ابن الأثير في
أسد الغابة: ١ / ١٦: ولما مات الحسن أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهرا، ولبسوا
الحداد سنة. ورواه ابن كثير في تاريخه: ٨ / ٤٣ عن الواقدي كما هنا، وقال في /
٤٤: وقد بكاه الرجال والنساء سبعا، واستمر نساء بني هاشم ينحن عليه شهرا، وحدث
نساء بني هاشم عليه سنة). وفي منتخب مذييل الطبري / ١٩: (عن أم بكر بنت المسور
قالت: كان الحسن بن علي سم مرارا كل ذلك يفلت حتى كانت المرة الآخرة التي
مات

فيها، فإنه كان يجتلف (يستأصل) كبده! فلما مات أقام نساء بني هاشم النوح عليه شهرا... مكث الناس ليكون على الحسن بن علي سبعا ما تقوم الأسواق.... حد نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٥ وتهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٢ والنهية: ٨ / ٤٧).

وفي تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٧: (بكي على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعا النساء والصبيان والرجال)! (وترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من الطبقات / ٩٠ والحاكم: ٣ / ١٧٣، والنهية: ٨ / ٤٣، والإكمال ٦ / ٣٩). وينبغي الإلفات هنا إلى أمرين:

الأول: أن أهل البيت (عليهم السلام) ومحبيهم يتميزون بعاطفة إنسانية جياشة لا توجد في غيرهم، لذلك نجد بعض رواة السلطة القرشية وعلمائها ينتقدونونهم بشكل مبطن لحزنهم على أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وكبار شخصياتهم! بل وصل الأمر ببعضهم إلى السخرية أو إطلاق الخيال والفتاوى! وكان الأحرى بهم أن يقدرُوا هذه العواطف الإنسانية الراقية الممدوحة في الإسلام!

ففي العقد الفريد / ١٨٣: (لما مات الحسن بن علي ضربت امرأته فسطاطا على قبره وأقامت حولا، ثم انصرفت إلى بيتها، فسمعت قائلا يقول: هل أدركوا ما طلبوا؟ فأجابه مجيب: بل ملوا فانصرفوا). أما بخاري فقد حشر هذه الرواية في صحيحه حشرا مع أنها أثر وليست حديثا! ونسبها إلى زوجة الحسن بن الحسن، والتي هي فاطمة بنت الحسين (عليه السلام)! وأفتى بأن عملها مكروه لأنه من اتخاذ القبر مسجدا! قال في صحيحه: ٢ / ٩٠: (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور: ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت، فسمعوا صائحا يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا).

وقال في فتح الباري: ٣ / ١٦١: (ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك، فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر، وقد يكون

القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهة). انتهى.
وعليه فمعنى كلام بخاري أن فاطمة بنت الحسين أو زوجة الحسن (عليهم السلام) قد اتخذت القبر مسجدا فشملتها لعنة النبي (صلى الله عليه وآله)! وقد حكم شراحه بأن المنادي من الملائكة أو مؤمني الجن وأنهم نواصب ينتقدون هذا العمل لأنه لا يعيد الميت إلى الحياة! وهو نموذج من جفاف العواطف وقبول الأساطير!
ومن خشونتهم انتقادهم وفاء الرباب بنت امرئ القيس لزوجها الإمام الحسين (عليه السلام) حيث آلت على نفسها أن لا تستظل بظل بعد أن قتل عطشانا على رمضاء كربلاء: (وقد خطبها بعده خلق كثير من أشرف قريش فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)! ووالله لا يؤويني ورجلا بعد الحسين سقفا أبدا! ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت)! (النهاية: ٨ / ٢٢٩، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٤٤٠، وتاريخ دمشق: ٦٩ / ١٢٠).

والأمر الثاني: أن أهل البيت (عليهم السلام) تعمدوا أن يقيموا مجالس العزاء والبكاء والنوح على شخصياتهم وعامتهم، وقد أوصى عدد منهم بذلك وأن يكون في المدينة أو منى في موسم الحج، من أجل تأصيل هذه الحالة الإنسانية الإسلامية وتعميمها على المسلمين، وليدحضوا بها الخشونة البدوية التي تزعم أن الإسلام نهى عن البكاء على الميت، وأن بكاء الشخص على ميتة يوجب عذابه! ويبتلوا سياسة السلطة التي استعملتها ضدهم بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)!

٢٢ - العزاء على الإمام الحسن (عليه السلام) في البصرة
(قال أبو الحسن المدائني: وصل نعي الحسن رضي الله عنه إلى البصرة في يومين وليلتين، فقال الجارود بن أبي سبرة:
إذا كان شرا سار يوما وليلة* وإن كان خيرا آخر السير أربعا

إذا ما بريد الشر أقبل نحونا * بإحدى الدواهي الربد سار وأسرعاً
(شرح النهج: ١٦ / ١٤)

ورواه في في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٣، وقال: (فنعاه زياد لجلسائه، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي فنعاه للناس فبكوا، فسمع أبو بكره البكاء فقال لميسة بنت شحام امرأته وهو مريض: ما هذا؟ قالت نعي الحسن بن علي فاستراح الناس من شر كثير! قال: ويحك! بل أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس خيراً كثيراً.

قال: وأخبرني عمي مصعب بن عبد الله أن النجاشي قال يرثي الحسن رضي الله عنه:
يا جعد بكيه ولا تسأمي * بكاء حق ليس بالباطل

علي ابن بنت الطاهر المصطفى * وابن ابن عم المصطفى الفاضل
كان إذا شبت له ناره * يوقدها بالشرف القابل

لكي يراها بائس مرمل * أو فرد حي ليس بالآهل
لم تغلقي بابا علي مثله * في الناس من حاف ومن ناعل

أعني فتى أسلمه قومه * للزمن المستحرج الماحل
نعم فتى الهيجاء يوم الوغا * والسيد القائل والفاعل).

٢٣ - فرح معاوية بقتله للإمام الحسن (عليه السلام)!

روت كافة المصادر ارتفاع صوت الفرحة من قصر معاوية بقتل الإمام الحسن (عليه السلام)! ففي وفيات الأعيان: ٢ / ٦٦: (ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه: أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن، ولما بلغه موته سمع تكبيراً من القصر، فكبر أهل الشام لذلك التكبير! فقالت فاخنة زوجة معاوية: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ما الذي كبرت له؟ قال: مات الحسن. قالت: أعلى موت ابن فاطمة تكبير؟ قال: والله ما كبرت شماتة بموته، ولكن استراح قلبي!

وكان ابن عباس بالشام فدخل عليه فقال يا ابن عباس هل تدري ما حدث في

أهل بيتك؟ قال: لا أدري ما حدث إلا أنني أراك مستبشرا وقد بلغني تكبيرك وسجودك! قال: مات الحسن. قال: إنا لله يرحم الله أبا محمد ثلاثا، ثم قال: والله يا معاوية لا تسد حفرتة حفرتك، ولا يزيد نقص عمره في يومك، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين، فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك المصيبة، وكان الله الخلف علينا من بعده).

وفي أخبار الدولة العباسية / ٤٢: (عن معمر عن إدريس ومحمد بن إسحاق قال: ثم إن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية يخبره بمرض الحسن بن علي وأنه رأى أن به السل! فكتب إليه معاوية: لا تغيبني خبره يوما فكان يأتي خبره معاوية كل يوم! فقال رجل من قريش: إني الباب في اليوم الذي جاء فيه نعي الحسن بن علي (عليه السلام) إذ مر يزيد بن معاوية داخلا على أبيه فأدخلني فما مر بباب إلا قالوا: مرحبا بابن أمير المؤمنين حتى انتهى إلى البيت الذي فيه معاوية، وإذا امرأته بنت قرظة تعطره وتسرح لحيته، فلما رأتنا امرأته قالت: وا سواتاه أتدخل علينا الرجال؟ فقال لها: أسكتي وإلا عزمت على أمير المؤمنين أن يتزوج أربع قرشيات كلهن يأتين بسلام يباع له بالخلافة! فقال لها معاوية: أسكتي فلو عزم علي يزيد لم أجد بدا من إنفاذ عزمته! فقامت فلم تقدر على النهوض حتى وضعت يدها على الأرض ثم ارتفعت، فلما ولت قال معاوية: ما كنا لنغيرها. قال يزيد: وما كنت لأعزم عليك إنما قلت ما قلت لأذعرها! فإنا كذلك إذ دخل شيخ طوال كان على الصائفة فسأله معاوية عن أمر الناس والجند، فبينما نحن كذلك إذ دخل غلام معاوية فقال: يا أمير المؤمنين بشراي! قال: وما ذلك؟ قال: في هذه الصحيفة ما تحب. قال: لك بشراك، فدفعتها إليه ولما قرأها خر ساجدا ثم رفع رأسه، فعرفنا السرور في وجهه فنعى الحسن بن علي، فبكى الشيخ وانتحب ووضع يده على

(فمه) ينتحب فقال له الغلام: أسكت أيها الشيخ فقد شققت على أمير المؤمنين! هل الحسن إلا أحد رجلين: إما منافق أراح الله منه، وإما بر فما عند الله خير للأبرار! ثم إن معاوية قال لحاجبه: إئذن للناس وأخر إذن ابن عباس..).

وفي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٠٣، وبعضه في تاريخ أبي الفداء / ٢٣١: (ربيع الأبرار عن الزمخشري، والعقد لابن عبد ربه: أنه لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي (عليه السلام) سجد وسجد من حوله وكبر وكبروا معه! فدخل عليه ابن عباس فقال له: يا ابن عباس أمات أبو محمد؟ قال: نعم رحمه الله، وبلغني تكبيرك وسجودك! أما والله ما يسد جثمانه حفرتك، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك! قال: حسبته ترك صبية صغاراً ولم يترك عليهم كثير معاش! فقال: إن الذي وكلهم إليه غيرك، وفي رواية: كنا صغاراً فكبرنا! قال: فأنت تكون سيد القوم؟ قال: أما وأبو عبد الله الحسين بن علي باق فلا. وقال الفضل بن عباس:

أصبح اليوم ابن هند آمنًا * ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة الله عليه إنما * طالما أشجى ابن هند وأرن
استراح القوم منه بعده * إذ ثوى رهنا لأجدات الزمن
فارتع اليوم ابن هند آمنًا * أينما يقمص بالغير السمن).

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٥٠: (فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً، حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ فدخل علي معاوية، فلما جلس قال معاوية: يا بن عباس هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: نعم هلك إنا لله وإنا إليه راجعون ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاة! أما والله ما سد جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن

كان خيرا منه، جده رسول الله (صلى الله عليه وآله). فجبر الله مصيبتة وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة. ثم شهق ابن عباس وبكى وبكى من حضر المجلس وبكى معاوية، فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم! فقال معاوية: بلغني أنه ترك بنين صغارا.. إلى آخر ما مر. (ونحوه تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٥، ومروج الذهب ٦٦١).

٢٤ - أقام ابن عباس مجلس العزاء في الشام وصف في أخبار الدولة العباسية / ٤٢، فرح معاوية بموت الإمام الحسن (عليه السلام) وجواب ابن عباس كما تقدم ثم جاء فيه: (قال معاوية: أصبحت سيد أهل بيتك يا أبا العباس. قال: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين بن علي فلا! قال: ثم نهض وعيناه تدمع فلما ولي قال معاوية: لله دره والله ما هيحناه قط إلا وجدناه معدا. فلما رجع ابن عباس إلى رحله جلس بفنائيه وجاءه الناس يعزونه، وجاءته خيل كلما جاءه إنسان نزل ووقف حتى جاءه يزيد بن معاوية، فأوسع له ابن عباس فأبى أن يجلس إلا بين يديه مجلس المعزي، فذكر الحسن في فضله وسابقته وقرابته فأحسن ذكره وترحم عليه ثم قام فركب، فأتبعه ابن عباس بصره فلما ولي قال: إذا ذهب بنو حرب ذهب حلمااء قريش). انتهى.

وروى في تاريخ دمشق: ٦٥ / ٤٠٥، عدة روايات في ذلك ومنها: (ثم ذكر الحسن فقال: رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها وعظم أجرك وأحسن عزاءك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثوبا وخير عقبى. ثم قام فأتبعه ابن عباس بصره فقال: إذا ذهب آل حرب ذهب حلمااء قريش). انتهى.

أقول: يمدح ابن عباس بني حرب من بني أمية وهم فرع معاوية، بأنهم عندهم حلم أي (ديلماسية) ويفضلهم على بني العاص فرع أبي أحيحة، وعلى بني أبي العاص فرع عثمان ومروان، ويقصد أن بني حرب يحفظون الحد

الأدنى مع أعدائهم كإرسال معاوية ولده يزيد لكي يعزیه بالإمام الحسن (عليه السلام) بعد أن قتله وأعلن فرحه بمقتله! وقد أراد ابن عباس أن يصل كلامه إلى معاوية مع أنه يعرف أن غرضه من إرسال يزيد أن يقول له: اشترطتم علي أن يكون الحسن خليفة بعدي، وقد قتلته من أجل هذا الذي جاء يعزيك به!

٢٥ - رثاء الشعراء للإمام الحسن (عليه السلام)

أول من رثاه نثرا وشعرا الإمام الحسين (عليهما السلام) ثم الفضل بن العباس، والنجاشي الشاعر وهو قيس بن عمرو من بني الحارث بن كعب، وكذلك رثاه كثير غزة وغيره من شعراء عصره وما بعده، وفيه قصائد ومقطوعات بليغة ولوحات أدبية، وهي مليئة بالحقائق العقيدية والتاريخية. ولا يتسع لها المجال. * *

٢٦ - جريمة سم الإمام الحسن (عليه السلام) ثابتة في رقبة معاوية

لم يقنع رواة الخلافة ومحبو معاوية بشهادة الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه وإجماع الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وشهادة العديد من المؤرخين والمحدثين، بأن سم جعدة للإمام الحسن (عليه السلام) كان بأمر معاوية. فقاموا بأعمال متعددة لتغطية الجريمة وتضييع الحقيقة وكانت مهمتهم صعبة لأنه انتشر في الناس أن الإمام (عليه السلام) سقي السم مرارا وبقي آخر مرة يعاني منه مدة طويلة! ومن الواضح أن المستفيد من قتله معاوية ليجعل الخلافة لابنه يزيد، وينقض عهده ومواريقه للإمام الحسن (عليه السلام) أن يكون الخليفة بعده! وهذه خلاصة الآراء في القضية:

الاتجاه الأول، إجماع أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم على أن معاوية قتله بواسطة

جعدة بنت الأشعث! ووافقهم عدد مهم من الرواة والمحدثين السنيين كما يأتي.
ففي الكافي: ٨ / ١٦٧، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الأشعث بن قيس
شرك في دم أمير المؤمنين (عليه السلام) وابنته جعدة سمت الحسن (عليه السلام)
ومحمد ابنه شرك في دم الحسين (عليه السلام)). وفي الكافي: ١ / ٤٦٢، عنه (عليه
السلام) قال: (إن جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سمت الحسن بن علي وسمت
مولاة له، فأما مولاته فقأت السم وأما الحسن فاستمسك في بطنه ثم انتفط (التنفط
حالة كالجدري) به فمات).

وفي كمال الدين للصدوق / ٥٤٦: (مات الحسن (عليه السلام) مسموماً، سمته جعدة
بنت الأشعث بن قيس الكندي لعنها الله، دسا من معاوية).
وفي الإرشاد للمفيد (رحمه الله): ٢ / ٧: (من الأخبار التي جاءت بسبب وفاة الحسن
(عليه السلام) وما ذكرناه من سم معاوية له، وقصة دفته وما جرى من الخوض في ذلك
والخطاب: ما رواه عيسى بن مهران قال: حدثنا عبيد الله بن الصباح قال: حدثنا جرير،
عن مغيرة قال: أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس: أني مزوجك يزيد ابني
على أن تسمي الحسن وبعث إليها ألف درهم، ففعلت وسمت الحسن (عليه
السلام) فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها،
فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام غير وهم وقالوا: يا بني مسمة الأزواج).
(ونحوه في المناقب والمثالب للقاضي النعمان / ٢٣١، و مناقب آل أبي طالب: ٣ /
٢٠٢، وشرح الأخبار: ٣ / ١٢٣، وفيه: فحملها ما كان بينها وبين الحسن (عليه
السلام) وما تخوفت من طلاقه إياها، وما عجله
لها معاوية وما وعد بها، على أن سقته ذلك السم فأقام أربعين يوماً في علة شديدة).
(ونحوه في الإحتجاج: ٢ / ١٢ ودلائل الإمامة / ١٦٠).
الاتجاه الثاني، تشجع بعض محدثيهم ومؤرخيهم فوافقوا أهل البيت (عليهم السلام)
وشيعتهم، ورووا عن ثقاتهم أن الجريمة ثابتة في رقبة معاوية:

- ١ - كالمخشري في ربيع الأبرار / ٩٠٧، قال: (جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى سمته ومكث شهرين وإنه ليرفع من تحته كذا طستا من دم. وكان يقول: سقيت السم مرارا ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة لقد لفظت كبدي فجعلت أقلبها بعود كان في يدي). (والغدِير: ١١ / ١١)
- ٢ - وقال أبو الحسن المدائني: (كانت وفاته في سنة ٤٩ هـ وكان مريضا أربعين يوما، وكان سنه سبعا وأربعين سنة، دس إليه معاوية سما على يد جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن وقال لها: إن قتلتيه بالسم فلك مائة ألف وأزوجك يزيد ابني. فلما مات وفي لها بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال: أخشى أن تصنعني بابني ما صنعت بابن رسول الله). (شرح النهج: ١٦ / ١١).
- ٣ - وقال الشعبي: (إنما دس إليها معاوية فقال: سمي الحسن وأزوجك يزيدا وأعطيك مائة ألف درهم، فلما مات الحسن بعثت إلى معاوية تطلب إنجاز الوعد فبعث إليها بالمال وقال: إنني أحب يزيد وأرجو حياته، ولولا ذلك لزوجتك إياه! وقال الشعبي: ومصداق هذا القول: أن الحسن كان يقول عند موته وقد بلغه ما صنع معاوية: لقد عملت شربته وبلغت أمنيته، والله لا يفي بما وعد، ولا يصدق فيما يقول). (الغدِير: ١١ / ١٠، عن تذكرة ابن الجوزي. والانتصار للمؤلف: ٨ / ٣٣).
- ٤ - وقال السدي: (دس إليها يزيد بن معاوية أن سمي الحسن وأتزوجك. فسمته فلما مات أرسلت إلى يزيد تسأله الوفاء بالوعد فقال: أنا والله ما أرضاك للحسن، أفرضاك لأنفسنا؟) (الغدِير: ١١ / ١٠، عن تذكرة ابن الجوزي / ١٢١)
- ٥ - طائفة من العلماء، ذكرهم في الإستيعاب: ١ / ١٤١، وفي طبعة: ١ / ٣٨٩: (قال قتادة، وأبو بكر بن حفص: سم الحسن بن علي، سمته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندي. وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في

ذلك وكان لها ضرائر. فالله أعلم). انتهى. ولم يعين من هم أولئك الطائفة!
٦ - ابن الأعمش في كتاب الفتوح: ٤ / ٣١٨، قال: (وأرسل مروان بن الحكم إلى
المدينة وأعطاه منديلا مسموما وأمره بأن يوصله إلى زوجة الحسن جعدة بنت الأشعث
بن قيس بما استطاع من الحيل).

٧ - وفي مقاتل الطالبين / ٣١: (ودس معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده
وإلى سعد بن أبي وقاص، سما فماتا منه في أيام متقاربة! وكان الذي تولى ذلك من
الحسن (عليه السلام) زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية).
وهم يعدون أبا الفرج الأموي النسب شيعيا، ولكنه شيعي بالمعنى الأعم.

٨ - الطبري في تاريخه، وابن سعد في طبقاته، وابن الجوزي في المنتظم!
فقد نقل ذلك عنهم بعض علماء السنة، ولكن طبقاتها الموجودة خالية منه!
٩ - اعترف به ابن تيمية لكنه برر فعل معاوية فقال: (فمعاوية حين أمر بسم الحسن
فهو من باب قتال بعضهم بعضا). (منهاج السنة: ٢ / ٢٢٥) وابن تيمية يعترف بذلك
وهو يعلم: أن معاوية قتله بعد الصلح، وبعد العهود والأيمان والمواثيق، وشهادة
الضامين لوفائه بالشروط، وأن يكون الحسن الخليفة بعده، وأن لا يبغى له ولا لأخيه
الحسن غائلة!

١٠ - الحافظ ابن عقيل في النصائح الكافية لمحمد بن عقيل / ٨٦، ونقله عن ابن عبد
البر.

١١ - وكان الحصين بن المنذر الرقاشي رئيس ربيعة قبائل يقول: (والله ما وفي معاوية
للحسن بشئ مما أعطاه، قتل حجرا وأصحاب حجر وباع لابنه يزيد وسم الحسن).
(شرح ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٧).

١٢ - والمسعودي في مروج الذهب / ٦٥٩، قال: (ذكر الذي سمه وذكر أن

امراته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم، وقد كان معاوية دس إليها إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم، وزوجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات وفي لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه).

١٣ - وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها، ففعلت). (أنساب الأشراف / ٧٤٧)
ويجد المتتبع شهادات أخرى لعلمائهم، فقد قال ابن حجر في الصواعق: ٢ / ٤١٣:
(وبموته مسموما شهيدا جزم غير واحد من المتقدمين، كقتادة وأبي بكر بن حفص، والمتأخرين كالزبير العراقي في مقدمة شرح التقريب).

٢٧ - من تحريفات أتباع معاوية للتغطية على جريمته!
أ - فقد حذفوا قسما من تاريخ الطبري أو حرفوه: نقرأ في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة / ١٥٤ قوله: (وفي تاريخ الطبري أن الحسن بن علي رضي الله عنهما مات مسموما في أيام معاوية، وكان عند معاوية كما قيل دهاء فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت زوجة الحسن رضي الله عنه شربة وقال لها: إن قتلت الحسن زوجتك بيزيد! فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله فقال لها في الجواب: أنا أضن بيزيد! وقال كثير يرثي الحسن رضي الله عنه... يا جعد إبكيه ولا تسأمي.. الخ). انتهى.

وترجع إلى تاريخ الطبري فلا نجد ذلك في أي من مجلداته الستة! بل تتعجب عندما نجد تفصيلا في أحداث سنة خمسين هجرية لمقتل حجر بن عدي (رحمه الله) في ٢٥ صفحة، ولا تجد ذكرا لشهادة الإمام الحسن (عليه السلام)! ولا تجد في أحداث سنة

إلا صفحة واحدة! وأما ذيل تاريخ الطبري ففيه صفحة واحدة فيمن مات سنة خمسين، فيها عدة سطور عن وفاة الإمام الحسن (عليه السلام)! فهل أن الطبري لم يكتب ذلك، أم حذفه من طبعته الفعلية أو من نسخته المعروفة؟ أم أن ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨، قد أخطأ، وهو المؤرخ المعروف والطبيب المشهور والإمام عندهم؟ وقد اعتمد على كتبه وتاريخه أئمتهم الكبار كالذهبي ونقلوا عنها كثيرا؟! (الأعلام: ١ / ١٩٧).

كلا، بل المرجح عندنا أنهم غيبوا من الطبري كثيرا من سيرة الإمام الحسن وسير أهل البيت (عليهم السلام) وأخبارهم، التي تكشف جرائم بني أمية وأسيادهم! ب - حرف المتمسلفون كتاب المنتظم لابن الجوزي من أجل معاوية! فقد حذفوا منه تصريحه بذلك! قال ابن الدمشقي في جواهر المطالب: ٢ / ٢٠٩: (قال الإمام ابن الجوزي في تاريخه المنتظم: والصحيح أن الذي سمه هي جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت تحت الحسن فدرس إليها معاوية أن سمي الحسن وأزوجك يزيد. وكان معاوية قد جعل ولاية العهد بعده للحسن فسمه ليكون الأمر بعده لابنه يزيد. فلما فعلت ذلك أرسلت إليه تطالبه بما عاهدها عليه وتذكره بالعهد والوفاء! فأجابها معاوية: لا نفعل وقد فعلت بالحسن ما فعلت فكيف آمنك على يزيد)! انتهى.

وقال في هامشه: (كلام ابن الجوزي هذا ما وجدته فيما أورده ابن الجوزي حول شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) حوادث العام (٤٩) من النسخة المطبوعة سنة ١٤١٢ من تاريخ المنتظم: ٥ / ٢٢٥ ط المكتبة العلمية ببيروت. والظاهر أن أنصار الشجرة الملعونة أسقطوه منه سترأ على مخازي المنافقين)! انتهى.

ج - ويظهر أنهم فعلوا ذلك في طبقات ابن سعد! فهي ترجمة الإمام

الحسن (عليه السلام) محذوفة من طبعتها، حتى طبعتها السيد عبد العزيز الطباطبائي (رحمه الله). وها هو سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ يقول في تذكروته / ٢١١: (وقال ابن سعد في الطبقات: سمه معاوية مرارا لأنه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين). (الغدیر: ١١ / ١١). ولا وجود له الآن في نسخة الطبقات!!

الاتجاه الثالث، حاول منهم أن يجعلوا الجريمة في رقبة يزيد ويبرئوا معاوية! قال في عون المعبود: ١١ / ١٢٧: (وكان وفاة الحسن رضي الله عنه مسموما، سمته زوجته جعدة بإشارة يزيد بن معاوية سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين أو بعدها). وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء / ١٥٠، وفي طبعة / ١٩٢: (توفي رضي الله عنه بالمدينة مسموما سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، دس إليه يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعددها فقال: إنا لم نرضك للحسن أفرضاك لأنفسنا وكانت وفاته سنة تسع وأربعين). (ونحوه في تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٨٤، والمنتظم: ٥ / ٢٢٦، والصواعق المحرقة: ٢ / ٤١٣، تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٣، وسمط النجوم: ٣ / ١٠٢، وغيرها).

الاتجاه الرابع، أظهر بعضهم التوقف في الأمر! فقال لا نعلم هل قتله معاوية أو يزيد!! كما فعل أبو الفداء في تاريخه / ٢٣١: (وتوفي الحسن من سم سقته زوجته جعدة بنت الأشعث، قيل فعلت ذلك بأمر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية، ووعددها أنه يتزوجها إن فعلت ذلك فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى...). انتهى.

وبعضهم أبهم خوفا من المعاوين وتكلم بصيغة المبني للمجهول كما فعل الحاكم في المستدرک: ٣ / ١٧٦، قال: (سمت ابنة الأشعث بن قيس الحسن بن علي وكانت تحته ورشيت على ذلك مالا!)

الاتجاه الخامس، اكتفى بعضهم بنقل الأقوال: قيل، يقال، سمعنا أنه معاوية!

كما فعل ابن قتيبة في المعارف / ٢١٢: (ويقال إن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس سمته). وفي تاريخ دمشق: ٤ / ٢٢٩: (وروي عن محمد بن المرزبان أن يزيدا دس إليها السم، وعن عبد الله بن الحسن قد سمعت من يقول إنه معاوية). وأضعف منه الذهبي في سيره: ٣ / ٢٧٤، قال: (قال الواقدي: فقال الطبيب: هذا رجل قد قطع السم أمعاءه، وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تطف لبعض خدمه أن يسقيه سما). (ومثله في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥١).

وفي سمت النجوم العوالي / ٨٥٤: (وذكر (المسعودي) بأن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي قد بعث إليها يزيد: إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك مائة ألف درهم وتزوجتك، فكان هذا الذي بعثها على سمه، فلما مات وفي لها بالمال وأرسل إليها: إنا لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا؟! والله أعلم بصحة ذلك).

وفي البدء والتاريخ: ٦ / ٥: (واختلفوا في سبب موته فزعم قوم أنه زج ظهر قدمه في الطواف بزج مسموم! وقال آخرون: إن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس بأن تسم الحسن ويزوجها يزيد فسمته وقتلته، فقال لها معاوية: إن يزيد منا بمكان وكيف يصلح له من لا يصلح لابن رسول الله وعوضها منه مائة ألف درهم).

وفي أنساب الأشراف للبلاذري / ٧٤٧: (وقد قيل أن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس امرأة الحسن وأرغبها حتى سمته وكانت شائنة له. وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها، ففعلت).

الاتجاه السادس، شكك بعضهم في أن تكون جعدة سمته بأمر يزيد أو

معاوية! بحجة أنه قول قيل أو سمع سماعاً! قال الصفدي في الوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٨: (قيل إن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس أمرها بذلك يزيد بن معاوية لتكون ولاية العهد له ووعدها أن يتزوجها فلما مات الحسن قال يزيد: والله لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا! ولم يتزوجها).

الاتجاه السابع، تبرئة يزيد لعدم الدليل! وتبرئة معاوية لأنه حاشاه أن يفعل ذلك! وقد انفرد بذلك بعض المتأخرين مثل ابن كثير وابن خلدون!

قال في النهاية: ٨ / ٤٣: (وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمي الحسن وأنا أتزوجك بعده ففعلت فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا. وعندي أن هذا ليس بصحيح وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى).

وقال ابن خلدون في تاريخه: ٢ / ٦٤٩: (وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك!) أقول: والحقيقة ظاهرة حتى لذي عين واحدة! وعملهم الذي رأته في هذه المسألة الواضحة نموذج لأساليبهم في تجميع الحقائق وتضييعها! **

٢٨ - معاوية يكافئ مروان بولاية المدينة!

روى المؤرخون رسالة مروان إلى معاوية مفتخراً! قال في تاريخ دمشق: ٢١ / ١٢٧: (لما مات الحسن بن علي بعث مروان بن الحكم إلى معاوية يخبره أنه مات. قال: وبعث سعيد بن العاص رسولا آخر يخبره بذلك. وكتب مروان يخبره بما أوصى به حسن من دفنه مع رسول الله (ص) وأن ذلك لا يكون وأنا حي! ولم يذكر ذلك

سعيد، فلما دفن حسن بن علي بالبقيع أرسل مروان بريدا آخر يخبره بما كان من ذلك ومن قيامه ببني أمية ومواليهم: وإني يا أمير المؤمنين عقدت لوائي وتلبسنا السلاح، وأحضرت معي من اتبعني ألفي رجل! فلم يزل الله بمنه وفضله يدرأ ذلك أن يكون مع أبي بكر وعمر ثالثا أبدا حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان المظلوم، وكانوا هم الذي فعلوا بعثمان ما فعلوا!!

فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع، واستعمله على المدينة ونزع سعيد بن العاص وكتب إلى مروان: إذا جاءك كتابي هذا فلا تدع لسعيد بن العاص قليلا ولا كثيرا إلا قبضته! فلما جاء الكتاب إلى مروان بعث به مع ابنه عبد الملك إلى سعيد يخبره بكتاب أمير المؤمنين، فلما قرأه سعيد بن العاص صاح بجارية له: هات كتابي أمير المؤمنين، فطلعت عليه بكتابين! فقال لعبد الملك: إقرأهما، فإذا فيهما كتاب من معاوية إلى سعيد بن العاص يأمره حين عزل مروان بقبض أموال مروان التي بذى المروة، والتي بالسويداء، والتي بذى خشب، ولا يدع له عذقا واحدا! فقال: أخبر أباك!! فجراه عبد الملك خيرا، فقال سعيد: والله لولا أنك جئتني بهذا الكتاب ما ذكرت ما ترى حرفا واحدا! قال: فجاء عبد الملك بالخبر إلى أبيه، فقال: هو كان أوصل لنا منا له). (والمنتظم: ٥ / ٢٦٧).

أقول: غرض معاوية إيقاع العداوة بين مروان وسعيد حتى يحتاجا إليه ولا ينافسا يزيدا على الخلافة، وله قصص متعددة في الفتنة بينهما! وروى ابن عساكر وغيره أن معاوية أخر عزل سعيد، لكنه لا يصح بل عزله وولى مروان بعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) مباشرة، وأمره أن يأخذ البيعة ليزيد فلم يستطع، فعزله وأعاد سعيدا، فخرج مروان من المدينة غاضبا!

هذا وقد أقر مروان بانحطاطه وبأن سعيد بن العاص أوصل منه لرحمه! وقد

ذكرنا أن مروان آل من فرع بني العاص، وسعيد بن العاص من فرع أبي أحيحة، وهم أرقى نوعية من مروان لكنهم أكثر بغضا لأهل البيت (عليهم السلام) منه! وقد روى أن الإمام الصادق (عليه السلام) رجح مروانا على سعيد، فروى عنه في تاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٤٧: (كان مروان يعدلنا بلسانه ويصلنا، وكان سعيد بن العاص لا يعدلنا ولا يصلنا. فقلت له: أيهما كان أحب إليكم؟ قال مروان كان خيرا لنا في السر من سعيد). انتهى. ولكن يصعب قبول ذلك في حق مروان!

**

الفصل السابع
خمس مسائل حول الحجرة النبوية الشريفة

(٢٨٤)

المسألة الأولى: قداسة الحجر النبوية الشريفة وأهميتها!
إن قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وتربته الشريفة قضية كبيرة، تتعلق بأمة النبي (صلى الله عليه وآله) بكاملها، وما كان الله تعالى ليترك أمرها بدون تدبير وتخطيط! فالذي تكفل تسديد منطق نبيه (صلى الله عليه وآله) فبرأه عن الهوى والخطأ، وجعله لا ينطق إلا وحيًا محسوبًا، لا بد أن يتكفل بكل أموره ومنها قبره الشريف ومستقبل موقعه في أمته.

وقد تواصل نزول جبرئيل عليه في مرض وفاته، ولا بد أنه علمه كل ما ينبغي له من أمر أمته ومرضه ووفاته وقبره وأين يكون في مرضه، وأين يدفن وما يوصي به من مراسم جنازته. (كان جبرئيل ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله) في مرضه الذي قبض فيه في كل يوم وفي كل ليلة). (جامع أحاديث الشيعة: ٣ / ١٠٩، عن علي (عليه السلام)).

وقد بلغ (صلى الله عليه وآله) أمته منظومة من الأحكام شرعية لتعامل الأمة مع عترة نبيها (صلى الله عليه وآله) وقبره وبيته وآثاره، فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (كان فيما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يدفن في بيته ويكفن بثلاثة أثواب أحدها يمان، ولا يدخل قبره غير علي (عليه السلام) ثم قال: يا علي كن أنت وفاطمة والحسن والحسين، وكبروا خمسا وسبعين تكبيرة، وكبر خمسا وانصرف، وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة. قال علي (عليه السلام): ومن يأذن لي بها؟ قال: جبرئيل يؤذنك بها ثم رجال أهل بيتي يصلون على أفواجا أفواجا ثم نساؤهم، ثم الناس من بعد ذلك. قال: ففعلت). (وسائل الشيعة: ٢ / ٧٧٩، ومستدرك الوسائل: ٢ / ٢٠٦). كما روينا أنه (صلى الله عليه وآله) أوصى عليا (عليه السلام) أن يغسله بسبع قرب من بئر غرس، وأن يحنطه بحنوط أتاه به جبرئيل (عليه السلام) ويأخذ

بقيته له ولفاطمة والحسين (عليهم السلام)، وأمره إذا أكمل مراسم غسله وتكفينه أن يجلسه ويسأله عما يريد ويكتب ما يقول، وأن يدفنه في البقعة التي يقبض الله فيها روحه الشريفة. (تهذيب الأحكام: ٦ / ٢، وبصائر الدرجات / ٣٠٤، وشرح الأخبار: ٢ / ٤١٩، ودعائم الإسلام: ١ / ٢٣٤).

وقد غاب الطلقاء وزعماءهم عن مراسم تجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) والصلاة عليه ودفنه لانشغالهم بالسقيفة والتردد إلى بيوت الأنصار المتباعدة لإقناعهم ببيعة أبي بكر، وكان غيابهم فرصة مناسبة لعلي (عليه السلام) والعترة النبوية لتنفيذ وصية الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله) على أحسن وجه، ولم يترك علي (عليه السلام) جنازته ووصيته ويذهب إلى السقيفة ليخاصم الطامعين في سلطان النبي (صلى الله عليه وآله)! أما بعد انتهاء المراسم فقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٢٩: (وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم النصره فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم!) (والاحتجاج: ١ / ٩٦).

لهذا السبب، فإن أي رواية في مراسم دفن النبي (صلى الله عليه وآله) ومكانه، ينبغي أن تأخذها الأمة من أهل بيت النبي (عليهم السلام) فهم مضافا إلى وصية النبي (صلى الله عليه وآله) بهم، أخبر الناس بما يجب ولا يجب في هذا المراسم، وأخبر بما جرى وأين دفن النبي (صلى الله عليه وآله)، أما غيرهم فكانوا غائبين عن ذلك مشغولين بالسقيفة والذهاب إلى منازل الأنصار المتباعدة، من ساعة وفاته (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين إلى يوم الجمعة أو السبت،

وقد دفن النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الأربعاء!
وقد اتفقت رواياتهم على أن عائشة وأباها وحفصة وأباها كانوا غائبين! قال في الطبقات: ٢ / ٢٦٢: (عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله؟ فقال عمر: سل عليا، قال أين هو؟ قال: هو هنا، فسأله فقال علي: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة. فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه بيعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل عليا، قال فسأله فقال: كنت أغسله وكان العباس جالسا و كان أسامة وشقران يختلفان إلي بالماء).
وقال الخطيب في الإكمال / ٢١: (أخرج ابن أبي شيبة (المصنف: ١٤ / ٥٦٨) أن أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي (ص) وكانا في الأنصار فدفن رسول الله (ص) قبل أن يرجعا. والخبر صحيح).
وروى أحمد: ٦ / ٦٢: (عن عائشة قالت ما علمنا بدفن رسول الله (ص) حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء). (وابن هشام: ٤ / ١٠٧٨، والبيهقي: ٣ / ٤٠٩).

وفي الدرر لابن عبد البر / ٢٧١: (ودفن يوم الثلاثاء وقيل بل دفن ليلة الأربعاء ولم يحضر غسله ولا تكفينه إلا أهل بيته! غسله علي وكان الفضل بن عباس يصب عليه الماء والعباس يعينهم). انتهى. لكن مع ذلك زعم رواة الخلافة أن أبا بكر أشار عليهم أن يدفن في المكان الذي توفي فيه، ثم كذبوا أنفسهم ورووا أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بذلك! لذلك قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٣ / ٣٩: (قلت: كيف اختلفوا في موضع دفنه وقد قال لهم (فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري) وهذا تصريح بأنه يدفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت

عائشة (!) فإما أن يكون ذلك الخبر غير صحيح أو يكون الحديث الذي تضمن أنهم اختلفوا في موضع دفنه وأن أبا بكر روى لهم أنه قال (الأنبياء يدفنون حيث يموتون) غير صحيح، لأن الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن). ترى أين صارت هذه المنظومة الشرعية للتعامل مع قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته؟

لقد أقصيت كلها بفعل موجة الطلقاء التي فرضت خليفة السقيفة، وهاجمت بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) والمعترضين وهددتهم بإحراق البيت عليهم إن لم يبايعوا! ثم سارعت السلطة إلى فرض سيطرتها على المسجد النبوي والقبر الشريف، خوفاً من أن يعود بنو هاشم بقبر النبي (صلى الله عليه وآله) مطالبين بحقهم في الخلافة فوضعت يدها على مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وبيته وقبره وأعلنت (الأحكام العرفية) ومنعت الصلاة والجلوس عند القبر الشريف والتجمع، بحجة أن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن ذلك!

وفي وقت لاحق ادعت عائشة بنت رئيس السلطة أن هذه الحجرة التي دفن فيها النبي (صلى الله عليه وآله) لها، وأنه أعطها إياها في حياته، مع أن غرفتها من الجهة الثانية من المسجد كما ستعرف!

ومع أن عائشة وحفصة تركتا جنازة النبي (صلى الله عليه وآله) من لحظات وفاته، ولم تقوما بالحداد الواجب على زوجهما (عليهما السلام)! فقد كانت عائشة بعد ذلك تتحسر لفوز علي (عليه السلام) بمراسم تجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) وتقول: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه)! (أحكام الجنائز للألباني / ٤٩ " وقال: أخرجه أبو داود: ٢ / ٦٠، وابن الجارود في المنتقى ٢٥٧، والحاكم: ٣ / ٥٩ وصححه علي شرط مسلم، وأحمد: ٦ / ٧٢٦، بسند صحيح).

إنها قضايا كبيرة وخطيرة لكن ما نريد قوله هنا: إننا نعتقد أن الحجرة الشريفة ملك للنبي (صلى الله عليه وآله) وعلى من يدعي انتقال ملكيتها إلى أحد أن يثبت ذلك. وستعرف أنهم لا دليل عندهم على أن الحجرة الشريفة هي غرفة عائشة، ولا

على انتقال ملكيتها من النبي (صلى الله عليه وآله) إليها. وقد دل الدليل القطعي عند الجميع على أن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى بها لعلي والأئمة بعده (عليهم السلام)، فقاعدة: من كنت مولاه فعلي (عليه السلام) مولاه، وأدلة ولاية العترة الطاهرة (عليهم السلام) المتواترة تشمل ما كان النبي (صلى الله عليه وآله) وليا عليه ومنه أوقاف النبي (صلى الله عليه وآله) وصدقاته ومسجده وبقعته الشريفة (صلى الله عليه وآله).

بل نعتقد أن هذه الولاية لعلي (عليهم السلام) تشمل لقب أمهات المؤمنين وحق الحصانة الذي جعله الله لنساء النبي (صلى الله عليه وآله) فله أن ينزعه عن من تستوجب ذلك منهن!

المسألة الثانية: ادعائهم وراثه عائشة أو ولايتها على الحجرة النبوية قال بعض من خالفنا إن النبي (صلى الله عليه وآله) دفن في غرفة عائشة، وهي ملك للنبي (صلى الله عليه وآله) لكن عائشة لها حق فيها لأنها وارثة! نقول: منعوا الزهراء (عليها السلام) أن ترث أباهما (صلى الله عليه وآله) وادعى أبو بكر أن الأنبياء (عليهم السلام) ترثهم الدولة ولا يرثهم ورثتهم الشرعيون، وأيده عمر وعائشة! فما هذا التناقض؟!

وعلى فرض أن عائشة ترث من بيت النبي (صلى الله عليه وآله) فسهمها التسع من الثمن لأنها واحدة من تسع زوجات لهن جميعا الثمن! فلماذا يجب أن تستأذن دون بقية ورثته؟ ولماذا لا يحق للإمام الحسن (عليه السلام) أن يدفن في سهم أمه (عليها السلام) وهي البنت الوحيدة للنبي (صلى الله عليه وآله) وسهمها أكثر من سهم زوجاته جميعا؟!

قالوا: إن الحجرة النبوية الشريفة إما ملك عائشة أو لها الولاية عليها، حيث أعطاهما إياها أبو بكر وأقرها عمر: (أرسل إلى عائشة إئذني لي أن أدفن مع صاحبي فقالت: إي والله قال وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة قالت: لا والله لا أوثرهم بأحد أبدا). (البخاري: ٨ / ١٥٣).

والجواب: أن هذه الولاية لها غير شرعية، ولو سلمنا صحتها فقد انتهت بموت أبي بكر، فلماذا لم يجددها عمر ولا عثمان، ولا أعطاها معاوية لها! فلو صحت لوجب عليها أن تقول للإمام الحسن (عليه السلام): استأذن معاوية فهو متولي الوقف ولا مانع عندي! أو تتكلم بمستوى أرفع فتقول: إن ولايتنا لا تشملكم يا ابن رسول الله فالبيت بيتكم، والنبى (صلى الله عليه وآله) قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وأنتم أحب إليه مني! ففي خصائص علي (عليه السلام) للنسائي / ١٠٨: (استأذن أبو بكر على النبي (ص) فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول: لقد علمت أن عليا أحب إليك مني! فأهوى لها ليلطمها وقال لها: يا بنت فلانة أراك ترفعين صوتك على رسول الله!). (وصححه الزوائد: ٩ / ٢٠١).

المسألة الثالثة: رد ادعائهم بأن الحجرة النبوية ملك لعائشة؟! وقال بعضهم إن الحجرة ملك لعائشة، والأدلة الممكنة لهم هي: الأول: أن عائشة حلفت بالله تعالى أن النبي (صلى الله عليه وآله) أعطها إياها في حياته فقالت: (والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله (ص) في حياته، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمرى وما أثر علي عندنا بحسن). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٣). وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٥: (وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد). وفي الكافي: ١ / ٣٠٢: (فخرجت مبادرة على بغل بسرجه فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجا فوقفت وقالت: نحوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يدفن فيه شيء). والجواب: أنهم لا يستطيعون أن يأخذوا بقول عائشة ويصدقوها بدون شهود، لأنهم إن فعلوا وجب أن يأخذوا بقول فاطمة الزهراء (عليه السلام) التي تشهد عائشة بأنها أصدق منها. فقد روى الحاكم: ٣ / ١٦٠ وصححه على شرط مسلم أن عائشة (كانت

إذا ذكرت فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) قالت: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها (صلى الله عليه وآله)! (ووافقه الذهبي، ورواه في سيره: ٢ / ١٣١، ومجمع الزوائد: ٩ / ٢٠١ وصححه مع شبيه له، والاستيعاب: ٤ / ١٨٩٦، وأبو يعلى: ٨ / ١٥٣ وسبل الهدى: ١١ / ٤٧ وصححه).
وأخذهم بقول فاطمة (عليها السلام) يكلفهم كثيرا، فهو يبدأ بإرجاع مزرعة فدك التي صادروها، ويصل إلى الخلافة التي قالت إن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى بها لعلي (عليه السلام)!

وهذا هو السبب في مطالبتهم الزهراء (عليها السلام) بشهود على دعواها. وفي أن الذهبي لم يقبل رواية ادعاء عائشة بملكية الحجرة الشريفة وقال عنه في سيره: ٣ / ٢٧٦: (إسناده مظلم)! ومضافا إلى ظلمته عندهم وكلفته إرجاع الخلافة، فهو يتضمن الطعن في عدالة النبي (صلى الله عليه وآله) لأنه أعطى عائشة دون بقية زوجاته وابنته (عليها السلام) العزيزة!

والدليل الثاني: أن عمر استأذن من عائشة لدفنه في الحجرة الشريفة، وقد استدلت به عائشة! لكن عمر غير معصوم وقوله وفعله ليسا حجة كالنبي (صلى الله عليه وآله)! بل يرد عليه الإشكال لاستئذانه من غير الولي والوصي الشرعي، وهو علي (عليه السلام). ثم، إن استئذان عمر أعم من الشهادة بالملكية، فقد يكون من باب الاحترام لعائشة، أو لأنها وضعت يدها ولا يريد فتح مشكلة معها، أو لأي سبب آخر.

قال العلامة الحلي في نهج الحق / ٣٦٤: (كيف يجوز لأبي بكر أن يقول أنا ولي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذا لعمر، مع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مات وقد جعلهما من جملة رعايا أسامة بن زيد؟!). انتهى.

والدليل الثالث: نسبة البيوت إلى نساء النبي (صلى الله عليه وآله) في القرآن، واستئذان الإمام الحسن (عليه السلام). وقد استدلت بهما القاضي عبد الجبار في المغني، وأجابه الشريف المرتضى (رحمه الله) في الشافي: ٤ / ١٦٨. وسبب بحثهم للمسألة أن الشيعة أشكلوا على دفن أبي بكر وعمر عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وأنه حرام شرعا لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا

لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه... وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (الأحزاب: ٥٣) وحرمة النبي (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته كحرمة في حياته! فأجاب القاضي عبد الجبار بأن الموضع كان ملكا لعائشة وهي حجرتها التي كانت تسكن فيها، قال: (وقد بينا أن هذه الحجر كانت أملاكا لنساء الرسول وأن القرآن ينطق بذلك في قوله تعالى: وقرن في بيوتكن، وذكر أن عمر استأذن عائشة في أن يدفن في ذلك الموضع حتى قال: إن لم تأذن فادفوني في البقيع وعلى هذا الوجه يحمل ما روي عن الحسن أنه لما مات أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله (ص) فإن لم يترك ففي البقيع، فلما كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دفن بالبقيع. وإنما أوصى بذلك بإذن عائشة، ويجوز أن يكون علم من عائشة أنها جعلت الموضع في حكم الوقف فاستباحوا ذلك لهذا الوجه).

وقال الآلوسي في تفسيره: ٤ / ٢١٩، تبع لعبد الجبار: (ومن الشيعة من أورد هنا بحثا وهو أن النبي (ص) إذا لم يورث أحدا فلم أعطيت أزواجه الطاهرات حجراتهن؟ والجواب: أن ذلك مغالطة لأن إفراز الحجرات للأزواج إنما كان لأجل كونها مملوكة لهن لا من جهة الميراث، بل لأن النبي (ص) بنى كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة وهي موجبة للملك. وقد بنى النبي (ص) مثل ذلك لفاطمة وأسامة وسلمه إليهما، وكان كل من بيده شيء مما بناه له رسول الله (ص) يتصرف فيه تصرف المالك على عهده. ويدل على ما ذكر ما ثبت بإجماع أهل السنة والشيعة أن الإمام الحسن لما حضرته الوفاة استأذن من عائشة وسألها أن تعطيه موضعا للدفن جوار جده المصطفى، فإنه إن لم تكن الحجر ملك أم المؤمنين لم يكن للاستئذان والسؤال معنى. وفي القرآن نوع إشارة إلى كون

الأزواج المطهرات مالكات لتلك الحجر حيث قال سبحانه: وقرن في بيوتكن (الأحزاب: ٣٣) فأضاف البيوت إليهن ولم يقل في بيوت الرسول (ص).
ومن أهل السنة من أجاب عن أصل البحث بأن المال بعد وفاة النبي (ص) صار في حكم الوقف على جميع المسلمين، فيجوز لخليفة الوقت أن يخص من شاء بما شاء كما خص الصديق جناب الأمير بسيف ودرع وبغلة شهباء تسمى الدلدل مع أن الأمير كرم الله تعالى وجهه لم يرث النبي (ص) بوجه، وقد صح أيضا أن الصديق أعطى الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة بعضا من متروكاته). انتهى.
وأجاب السيد المرتضى (رحمه الله) فقال: (يقال له: ليس يخلو موضع قبر النبي (صلى الله عليه وآله) من أن يكون باقيا على ملكه أو يكون انتقل في حياته إلى عائشة على ما ادعاه، فإن كان الأول لم يخل من أن يكون ميراثا بعده أو صدقة، فإن كان ميراثا فما كان يحل لأبي بكر ولا لعمر من بعده أن يأمر بدفنهما فيه، إلا بعد إرضاء الورثة الذين هم على مذهبننا فاطمة (عليها السلام) وجماعة الأزواج وعلى مذهبهم هؤلاء والعباس. ولم نجد واحدا منهما خاطب أحدا من هؤلاء الورثة عن ابتياع هذا المكان، ولا استنزله عنه بثمن ولا غيره! وإن كان صدقة فقد كان يجب أن يرضي عنه جماعة المسلمين ويبتاعه منهم هذا إن جاز الابتياح لما يجري هذا المجرى. وإن كان انتقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله والحجة فيه، فإن فاطمة (عليها السلام) لم يقنع منها في انتقال فدك إلى ملكها بقولها ولا شهادة من شهد لها!!
فأما تعلقه بإضافة البيوت إلى ملكهن بقوله تعالى: وقرن في بيوتكن، فمن ضعيف الشبهة لأننا قد بينا فيما مضى من الكتاب أن هذه الإضافة لا تقتضي الملك وإنما تقتضي السكنى، والعادة في استعمال هذه اللفظة فيما ذكرناه ظاهرة قال الله تعالى: لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. ولم يرد

تعالى إلا حيث يسكن وينزلن دون حيث يملكن بلا شبهة.
وأطرف من كل شئ تقدم قوله: إن الحسن استأذن عائشة في أن يدفن في البيت حتى
منعه مروان وسعيد بن العاص، لأن هذه مكابرة منه ظاهرة، فإن المانع للحسن (عليه
السلام) من ذلك لم يكن إلا عائشة، ولعل من ذكر من مروان وسعيد وغيرهما أعانها
واتبع في ذلك أمرها! وروي أنها خرجت في ذلك اليوم على بغل حتى قال ابن عباس:
يوما على بغل ويوما على جمل! فكيف تأذن عائشة وهي في ذلك مالكة للموضع على
قولهم، ويمنع منه مروان وغيره ممن لا ملك له في الموضع ولا شركة ولا يد! وهذا
من قبيح ما يرتكب). انتهى.

وقد كرر الآلوسي مقولة القاضي عبد الجبار وأغمض كلتا عينيه عن جواب الشريف
المرتضى (رحمه الله)! ولا بد أنه قرأ كتابه الشافي لأنهما بغداديان، ولأن الآلوسي
استشهد مرات عديدة بأقوال الشريف المرتضى اللغوية والعلمية وذكر أسماء بعض
كتبه، منها في مجلدات تفسيره: ١ / ٢٠٧، و: ٦ / ٧٦، و ١١٢، و ١٦٨ و: ٧ /
١٩، و ٢٠ و: ٨ / ١٠٠، و: ١٢ / ١٠، و ١٤٠ و ١٤٥، و: ١٣ / ٢١٦، و ٢٩ و
٥٠ و ٢٥٨ و: ١٤ : ٢٩، و: ١٥ / ١٣٣ و ٢٤٩ و: ١٨ / ٩٩، و ٢٠٥، و: ٢١ /
١٥٩ و ١٦٠ و: ٢٣ / ٢٠١، و: ٢٧ / ٩٧ و ١٧٨ و: ٢٩ / ١٤٥، و: ٣٠ / ٧ و
٥٢ و ١٣٩ و ٢٠٩)!

ومعنى كلام الآلوسي الأخير: أن أبا بكر خص عائشة بالحجرة الشريفة كما خص عليا
(عليه السلام) والزبير ومحمد بن مسلمة، بشئ من تركة النبي (صلى الله عليه وآله)! ثم
أبهم دعواه كما فعل غيره، ولم يبين هل ملك أبو بكر الحجرة الشريفة لعائشة ملكية
شخصية فانتقلت إلى ورثتها، كما انتقلت تلك الأشياء إلى ورثة من ذكرهم؟!
ولو سلمنا أن تركة النبي (صلى الله عليه وآله) وقف بيد الدولة، فما هو الدليل على حق
رئيس الدولة في أن يملك شيئا منها بنته أو غيرها فيكون قبر النبي (صلى الله عليه وآله)
ملكا شخصيا يباع ويشترى؟! ولماذا لم يعط عمر بنته غرفتها كما أعطى أبو بكر؟!
ولم يعط

عثمان أو معاوية أم حبيبة الأموية غرفتها؟! إن سؤال الشيعة عن المستند الشرعي لتصرف عائشة وأبيها في بيوت النبي (صلى الله عليه وآله) وحجرته الشريفة سؤال قوي، وليس مغالطة كما زعم الألويسي! بل المغالطة ادعاؤه ولاية أبي بكر على تركة النبي (صلى الله عليه وآله) وحقه في أن يعطي منها الحجرة التي فيها قبره الشريف ملكا شخصيا لبنته، بلا دليل ولا أثارة من علم! فهذه أحاديث تركة النبي (صلى الله عليه وآله) مدونة في مصادرهم، وقد كتب حماد بن زيد المتوفى سنة ٢٦٧ كتابا باسم (تركة النبي) ولم يذكر شيئا مما ادعاه الألويسي! أما مصادرنا فأكدت أن استثناء الأنبياء (عليهم السلام) من قانون التوريث كذب من السلطة لتسيطر على أملاكه وأوقافه (صلى الله عليه وآله) وتغصبها من ابنته وارثته الوحيدة وزوجها علي (عليه السلام) الذي عينه النبي (صلى الله عليه وآله) وصيا عليها! كما يرد ما ذكره من تمليك عمر لعلي (عليه السلام) شيئا من تركة النبي (صلى الله عليه وآله) ما رواه أبو يعلى وأحمد: ١ / ١٣، قال: (خاصم العباس عليا في أشياء تركها رسول الله (ص) فقال أبو بكر: شئ تركه رسول الله فلم يحركه فلا أحركه! فلما استخلف عمر اختصما إليه فقال: شئ لم يحركه أبو بكر فلست أحركه، قال فلما استخلف عثمان اختصما إليه، قال: فأسكت عثمان ونكس رأسه، قال ابن عباس: فخشيت أن يأخذه فضربت بيدي بين كتفي العباس، فقلت: يا أبت أقسمت عليك الا سلمته لعلي. قال فسلمه له). (ووثقه في الزوائد: ٤ / ٢٠٧). فهذا الموثق عندهم على إشكالنا فيه، يرد إعطاء أبي بكر لعلي (عليه السلام) شيئا أو غيره، بل يحرمه. أما زعمه أن النبي (صلى الله عليه وآله) (بنى كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة) فهو رجم بالغيب لتبرير ما فعلته السلطة من إعطائهن غرفهن! وقد طلق النبي (صلى الله عليه وآله) اثنتين منهن هما عمرة والشبابة فلم تطالبا بشيء!؟

بل الصحيح أن النبي (صلى الله عليه وآله) اشترى أرض مسجده وبيته وبناهما بماله وبمساعدة المسلمين كما روى الجميع ومنهم بخاري: ١ / ١١١، ثم اشترى بيوتا حسب حاجته من حارثة بن النعمان، أو بناها كما تقدم من الطبقات: ٨ / ١٦٦! فهي ملكه وتنتقل إلى ورثته وحسب وصيته، ولا دليل على أنه ملك شيئا منها إلى أزواجه. ثم لو صح كلام الألووسي من أن النبي (صلى الله عليه وآله) ملك كل واحدة من زوجاته غرقتها فإن ابنته الزهراء (عليها السلام) هاجرت معه وكانت عند أبيها سنتين قبل زواجها من علي (عليه السلام) فأين الغرفة التي ملكها إياها، ولماذا منعوا دفن الإمام الحسن (عليه السلام) فيها؟

أما استدلال ألووسي على ملكية عائشة للحجرة باستئذان الإمام الحسن (عليه السلام) منها فلو سلمنا وقوعه فهو لا يعتبر اعترافا بملكيتها، بل كان بسبب تسلطها من زمن أبيها وعمر علي الحجرة الشريفة! والاستئذان من المتسلط ليس إقرارا! ومن قرأ رأي الإمام الحسن (عليه السلام) في عائشة وأبيها وفي عمر يعرف أنه (عليه السلام) لا يرى لهم ملكية ولا ولايته، بل كان يراهم متسلطين! وقد نص على ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) لعائشة في الكافي: ١ / ٣٠٠: (قدما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدخلت عليه بيته من لا يحب قربه وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة).

وأخيرا، كرر ألووسي استدلال عبد الجبار بالقرآن فقال: (وفي القرآن نوع إشارة إلى كون الأزواج المطهرات مالكات لتلك الحجر حيث قال سبحانه: وقرن في بيوتكن (الأحزاب: ٣٣) فأضاف البيوت إليهن، ولم يقل في بيوت الرسول). انتهى. فأي إشارة لملكتهن في الآية، وإنما أضاف الله البيوت لهن لسكناهن فيها؟! ولماذا لم يقرأ الألووسي عالم التفسير نسبة الله تعالى البيوت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم... (الأحزاب: ٥٣)؟ أو تعبير النبي (صلى الله عليه وآله) ببיתי في قوله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة!

وقول عائشة في البخاري: ٣ / ١٤٩: (يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك)؟! فكل واحدة من هذه التعابير على مبناه إقرار من عائشة بملكية النبي (صلى الله عليه وآله) وعدم ملكيتها، أو قول عبد الله بن عمرو في البخاري ٤ / ٤٦: (قام النبي خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان)! فعبر بالمسكن، ولم يقل بيت عائشة! فهو على رأيه إشارة إلى عدم ملكيتها؟!)

والصحيح أن باب الإضافة في العربية واسع فهي تصح بأدنى سبب، ولا تشير إلى ملكية ولا إلى سلبها، وإلا لكانت كل مطلقة تملك البيت الذي تسكن فيه كما أشار المرتضى (رحمه الله) في قوله تعالى: لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة! ولا يحكم أحد بملكية المطلقات للبيوت لإضافتها إليهن؟! ادعاء عائشة لم يكن معروفاً في القرن الثاني!

روى القطب الراوندي في الخرائج: ١ / ٢٤٥، مناظرة بين أبي حنيفة وفضال بن الحسن بن فضال، وأنه سأل أبا حنيفة: (قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، منسوخ أو غير منسوخ؟ قال: هذه الآية غير منسوخة. قال: ما تقول في خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبو بكر وعمر أم علي بن أبي طالب؟ فقال: أما علمت أنهما ضجيعا رسول الله (ص) في قبره، فأبي حجة تريد أوضح في فضلها من هذه؟ فقال له الفضال: لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) لقد أساءا إذا رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما! وقد أقررت أن قوله تعالى: لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، غير منسوخة! فأطرق أبو حنيفة ثم قال: لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع لحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: أنت تعلم أن النبي (صلى الله عليه وآله) مات عن تسع حشايا، وكان
لهن الثمن لمكان ولده فاطمة، فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في
تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، والحجرة كذا وكذا طولاً وعرضاً، فكيف يستحق
الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد، فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله وفاطمة بنته
منعت الميراث؟ فالمناقضة ظاهرة في ذلك من وجوه كثيرة. فقال أبو حنيفة: نحوه يا
قوم عني، فإنه والله رافضي خبيث). (والصوارم المهركة للشهيد التستري / ١٥).
وهذا يدل على أن ادعاء ملكية عائشة للحجرة الشريفة لم يكن متبنياً عند السنة في زمن
أبي حنيفة، وأنهم كانوا يرون أن قول عائشة قول في الهواء!
المسألة الرابعة: تناقضات أقوال عائشة في الحجرة النبوية الشريفة!
المعروف في مصادر الحديث والتاريخ رواية بخاري: ٤ / ٢٠٥ التي تقول إن عمر بعد
أن ضرب أرسل إلى عائشة يستأذنها فقال لابنه: (انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ
عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن
عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعداً
تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه؟ فقالت:
كنت أريده لنفسه ولأؤثرنه به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر
قد جاء، قال: إرفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال الذي تحب يا أمير
المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت
فاحملوني ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب؟ فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني
ردوني إلى

مقابر المسلمين! وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن). (وسنن البيهقي: ٤ / ٥٨، وابن أبي شيبة: ٣ / ٢٣٠، و: ٨ / ٥٧٦، وابن حبان: ١٥ / ٣٥٢، والطبقات: ٣ / ٣٣٨، وغيرهم). لكن رواية ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٣٦٣، تدل على أن عمر رأى المكان قبل اغتياله وقاسه بالعصا، لأنه قال أو قيل له لا يسع قبراً! قال: (فأذنت، قال عمر: إن البيت ضيق، فدعا بعصا فأتي بها فقدر طولها، ثم قال: إحفروا على قدره). انتهى. فلا بد أن يكون ذلك في حال صحته، ولعل عائشة اعتذرت منه يومها بضيق المكان فجاء بنفسه وقاسه بالعصا فوجد فيه مكان قبر واحد ضيق!

ويؤيد ذلك ما رواه ابن الضياء في تاريخ مكة / ٢٣٩، أن عمر بن عبد العزيز عندما سقط جدار الحجرة الشريفة: (أمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس، فبينما هو يكشفه إذ رفع يده وتنحى فقام عمر بن عبد العزيز فزعا فرأى قدمين ورأى الأساس وعليها السعد، فقال له عبد الله بن عبد الله بن عمر: أيها الأمير لا يروعك فهما قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه، فحفر له في الأساس! فقال له ابن وردان: غط ما رأيت، ففعل). انتهى.

فماذا حدث حتى صار المكان ضيقاً؟ والجواب أن الحجرة النبوية كانت واسعة ولها باب على المسجد، لكن السلطنة بنت جدارا عزلت فيه قبر النبي (صلى الله عليه وآله) عن المسجد بجدار كان قصيرا أول الأمر، وقد تكون عزلت القبر من داخل الحجرة بجدار أيضا، وكانت عائشة تجلس في القسم الآخر من الحجرة بحجة

أنها لها، مع أن غرفتها في مكان آخر كما مر، ولكنها لم تكن تسكن عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ولا في حجرتها من جهة القبلة، بل في بيت بعيد عن المسجد، هو الذي ذهب إليه مروان وجاء بها على بغلة لمنع دفن الإمام الحسن (عليه السلام)! فالمكان الذي قاسه عمر لا بد أن يكون قسما من الحجرة الشريفة بعد أن بنوا لها جدارا من جهة المسجد، وجدارا آخر من جهة البيت النبوي!

وقد التفت شراح بخاري إلى تناقض كلام عائشة فقال في فتح الباري: ٢٠٥ / ٣: (قال ابن التين: قول عائشة في قصة عمر: كنت أريده لنفسى، يدل على أنه لم يبق ما يسع إلا موضع قبر واحد، فهو يغير قولها عند وفاتها: لا تدفني عندهم! فإنه يشعر بأنه بقي من البيت موضع للدفن)! انتهى.

وليس هذا هو التناقض الوحيد ففي أقوالها وتصرفها في الحجرة النبوية عدة تناقضات! منها أنها وهبت مكانا لعثمان ليدفن فيه لكن المسلمين لم يرضوا بدفنه في مقابر المسلمين! فقد روى ابن شبة في تاريخ المدينة: ١ / ١١٣، عن عمر بن عبد العزيز، وكان أمير المدينة، قال: (اتكأ الوليد (الخليفة) على يدي حين قدم المدينة فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه، ثم إلى بيت النبي فوقف عليه ثم أقبل علي فقال: أمعه أبو بكر وعمر؟ قلت: نعم. قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال: فالله يعلم أنني لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما! فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس كانوا حين قتل عثمان في فتنة وشغل، فذاك الذي منعهم من أن يدفنوه معهم. فسكت)! كما روى حديثا آخر طويلا جاء فيه: (ثم أخرجناه لنصلي عليه فقالت المصرية: والله لا يصلى عليه... ثم أرادوا دفنه مع نبي الله وكان قد استوهب من عائشة موضع قبر فوهبت له فأبوا وقالوا: ما سار بسيرتهم فيدفن معهم؟! انتهى.

ومعنى (المصرية) الوفد المصري الذي جاء شاكيا ظلم الوالي الأموي فلم يسمع

لهم عثمان، وشاركوا في محاصرته وقتله، كما تقدم في المجلد الأول.
وقد دل هذا النص على أن عائشة وهبت مكانا في الحجرة النبوية لعثمان!
ثم وهبت لعبد الرحمن بن عوف مكانا ولكنه لم يقبله! فقد كان يهدي هدايا كبيرة إلى
نساء النبي (صلى الله عليه وآله) وخاصة عائشة (الترمذي: ٥ / ٣١٢، والطبقات: ٣ /
١٣٢)، ورووا عن ثروته المليونية: (وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت
أيدي الرجال منه). (الطبقات: ٣ / ١٣٦) وأن عائشة أرسلت إليه: (حين نزل به
الموت: أن هلم إلى رسول الله (ص) وإلى أخويك، فقال: ما كنت مضيقا عليك بيتك
إني كنت عاهدت ابن مظعون، أينا مات دفن إلى جنب صاحبه). (الرياض النضرة /
٥٢٩، وتاريخ المدينة: ١ / ١١٥، وفيه: هذا موضع قد حبسته لك مع رسول الله فخذ
به).

ثم أذنت عائشة أن يدفن الإمام الحسن (عليه السلام) إلى جنب جده (صلى الله عليه
وآله) وقالت: (نعم بقي موضع قبر واحد قد كنت أحب أن أدفن فيه وأنا أو ترك به!)
وقد تقدم.

وبعد عشرات السنين كان يوجد مكان قبر واحد في الحجرة النبوية الشريفة! وقد
عرضه الراوي عن عائشة على عمر بن عبد العزيز، فلم يقبل عمر لأنه لا يرى نفسه أهلا
لذلك: قال في تاريخ دمشق: ٤٠ / ١٦٩: (أتي عمر بن عبد العزيز يوما بتمر فقال:
كأن هذا من تمر المدينة سقيا للمدينة، وكان يحبها، فقال له عراك بن مالك: يا أمير
المؤمنين لو سرت حتى تنزلها فإن في بيت عائشة موضع قبر، فإن أصابك قدرك دفنت
فيه! فقال: ويحك يا عراك ما كان من عذاب يعذب الله به أحدا من خلقه إلا وأنا
أحب أن يصيبني من قبل أن يعلم الله أن منزلتي بلغت في نفسي أن أراها لذلك أهلا).
انتهى.

فهذه تصرفاتهم بالحجرة الشريفة وكأنها ملك لعائشة أو للسلطة! وكلامهم في ملكيتها
ومساحتها متهافت حسب الغرض السياسي!

هل باعت عائشة الحجرة النبوية أو وهبتها لأحد؟!
تقدم قول ابن سعد في الطبقات: ٨ / ١٦٥: (واشترى (معاوية) من عائشة منزلها).
وفي البيهقي: ٦ / ٣٤، وتاريخ دمشق: ٢٨ / ١٩٠: (أوصت له عائشة بحجرتها
واشترى حجرة سودة). أي لابن الزبير في مرض موتها!
فما الذي باعته وما الذي أوصت به؟! إن كان الحجرة النبوية، فوا مصيبتاه!
وإن كان حجرتها وبيتها فوا مصيبة الكذابين! لأن بيتها وحجرتها يكونان غير الحجرة
النبوية التي لا تباع ولا تشرى! مضافا إلى تناقض قولها وفعلها وقبولها ورفضها دفن
الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده (صلى الله عليه وآله).
**

المسألة الخامسة: أين دفن النبي (صلى الله عليه وآله)؟
رأي أتباع الخلافة القرشية:
اتفق أتباع الخلافة القرشية على قبول قول عائشة بأن النبي (صلى الله عليه وآله) مات
وهو متكئ على صدرها ودفن في غرفتها، فالرواية المعتمدة عندهم ما نقله بخاري: ١
/ ١٦٢ عن عائشة قالت: (لما ثقل النبي واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في
بيتي فأذن له، فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض وكان بين العباس ورجل آخر. قال
عبيد الله بن عبد الله: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة فقال لي: وهل تدري
من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب).
وفي مسند أحمد: ٦ / ٢٢٨: (هو علي، ولكن عائشة لا تطيب له نفسا).
وفي الطبقات: ٢ / ٢٣٢: (هو علي، إن عائشة لا تطيب له نفسا بخير).
والزمن الذي تحدثت عنه عائشة هو آخر يوم من حياة النبي (صلى الله عليه وآله) عندما
بلغه أن

أبا بكر وقف يصلي بالمسلمين فجاء وصلى مكانه، فهو اليوم الوحيد الذي يصح فيه وصفها: (فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض وكان بين العباس ورجل آخر). وكرر بخاري حديثه في: ٣ / ١٣٤، و: ٤ / ٤٥، و: ٥ / ١٣٩، و: ٢ / ١٠٦، و: ٥ / ١٤١، و ١٤٢، و: ٦ / ١٥٥، وكل رواياته عن عائشة وذكرت فيها تفاصيل لإثبات كلامها، وفي بعضها تناقض مثل أن النبي (صلى الله عليه وآله) طلب أن يكون تمر يرضه ووفاته في بيت عائشة فتنازل نساؤه لها، وفي بعضها أن ذلك اليوم كان يومها ونوبتها. وفي بعضها أنها هيأت له سواكا فاستاك به هو قبل موته وأعطاه إياه، وفي بعضها أنها هي هيأته له وسنته! إلى آخر نقاط الضعف والتهافت، ولا مجال لبحثها.

قال ابن حجر في فتح الباري: ٨ / ١٠٦: (والسحر بفتح المهملة وسكون الحاء المهملة هو الصدر، وهو في الأصل الرئة والنحر بفتح النون وسكون المهملة، والمراد به موضع النحر... والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها... وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أن النبي (ص) مات ورأسه في حجر علي وكل طريق منها لا يخلو من شيعي، فلا يلتفت إليهم). انتهى.

وهذا تعصب وهوى من ابن حجر لأن الرواة الشيعة يملؤون مصادرهم، وقد اعتمد البخاري في صحيحه على أكثر من مئة راو شيعي! على أنهم رووا حديث وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) في حجر علي (عليه السلام) بطرق أخرى ليس فيها (شيعي)! كما رووا طلب النبي لعلي (عليه السلام) ودعوة فلانة وفلانة لغيره وإعراض النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم!

ففي مسند أحمد: ١ / ٣٥٦: (لما مرض رسول الله (ص) مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة فقال ادعوا لي عليا، قالت عائشة ندعو لك أبا بكر قال أدعوه. قالت حفصة يا رسول الله ندعو لك عمر قال أدعوه قالت أم الفضل يا رسول الله ندعو لك العباس قال أدعوه! فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير عليا فسكت فقال

عمر: قوموا عن رسول الله). انتهى. وفيه دلالة قوية وصفعة قوية لو يشعرون!
رأي أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم:
روت مصادرنا أحاديث عديدة عن وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ومراسم جنازته
ودفنه، كالذي رواه الصدوق (رحمه الله) في الأمالي / ٧٣٥ عن آخر صلاة صلاها
النبي (صلى الله عليه وآله) عندما عرف أن عائشة أرسلت إلى أبيها ليصلي بالناس!
(فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصلى بالناس وخفف الصلاة ثم قال: ادعوا
لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فجاءا فوضع يده على عاتق علي والأخرى على
أسامة، ثم قال: انطلقا بي إلى فاطمة فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن
والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء ووجوهنا لوجهك
الوقاء. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من هذان يا علي؟ قال: هذان ابناك
الحسن والحسين فعانقهما وقبلهما وكان الحسن أشد بكاء فقال له: كف يا حسن،
فقد شققت على رسول الله. فنزل ملك الموت فقال: السلام عليك يا رسول الله. قال:
وعليك السلام يا ملك الموت لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك يا نبي الله؟ قال:
حاجتي أن لا تقبض روعي حتى يجيئني جبرئيل فيسلم علي وأسلم عليه، فخرج ملك
الموت وهو يقول: يا محمداه، فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال: يا ملك الموت قبضت
روح محمد؟ قال: لا يا جبرئيل سألني أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلم عليه ويسلم
عليك. فقال جبرئيل: يا ملك الموت أما ترى أبواب السماء مفتحة لروح محمد، أما
ترى الحور العين قد تزين لروح محمد؟ ثم نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا
القاسم فقال: وعليك السلام يا جبرئيل أدن مني حبيبي جبرئيل فدنا منه، فنزل ملك
الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت إحفظ وصية الله في روح محمد... إلى آخر
الحديث).

وجاءه جبرئيل (عليه السلام) بحنوط من الجنة فأعطاه النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) وقال له: (إقسم هذا أثلاثاً، ثلثاً لي حنطني به، وثلثاً لابنتي، وثلث لك). (أمالي الطوسي / ٥٥٣).

وقال لعلي: (إذا أنا مت فاستق لي ست قرب من ماء بئر غرس فغسلني وكفني وحنطني، فإذا فرغت من غسلني فخذ بمجامع كفني وأجلسني ثم اسألني عما شئت، فوالله لا تسألني من شيء إلا أجبتك). (بصائر الدرجات / ٣٠٤).

وقال المفيد (رحمه الله) في الإرشاد: ١ / ١٨٤: (ثم ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحضره الموت، فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا علي في حرك فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل علي أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي واستعن بالله عز وجل. وأخذ علي رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه، وأكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه* ثمال اليتامى عصمة للأرامل
ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب (رحمه الله) لا تقوليه ولكن قولي: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم! فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدينونة فدنت إليه فأسر إليها شيئاً هلّل له وجهها، ثم قضى (صلى الله عليه وآله) ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسح به، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره). انتهى. (راجع أيضاً بصائر الدرجات / ٣٣٣، والكافي: ١ / ٢٩٦، والخصال / ٦٤٢، وشيبه بها في مسند أحمد: ١ / ٣٥٦، و: ٦ / ٢١٤، وابن ماجه: ١ / ٣٩١، وغيرها).

وفي تهذيب الأحكام: ٦ / ٢: (فقال بعضهم: يدفن بالبيع وقال: آخرون يدفن في صحن المسجد فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن الله لم يقبض نبيه إلا في أطهر البقاع

فينبغي أن يدفن في البقعة التي قبض فيها، فاتفقت الجماعة على قوله، ودفن في حجرته).

الأدلة على صحة رأي أهل البيت (عليهم السلام) وبطلان غيره:
كتب الشيخ محمد برو بحثا في مكان دفن النبي (صلى الله عليه وآله) ولم أجد كتابه،
وكتب الباحث السيد جعفر مرتضى العاملي بحثا بعنوان (أين دفن النبي (صلى
الله عليه وآله)) تجده في موقعه: <http://alhadi.org/Data/books/Html/makalat>
استشهد فيه بنصوص مصادرهم وأثار إشكالات على تاريخ
الحكومات، واستدل بوجوه على أن النبي (صلى الله عليه وآله) دفن في بيت علي
وفاطمة (عليهما السلام)، وقد أوردنا أهم أدلته.

والرأي الذي أختاره أن النبي (صلى الله عليه وآله) دفن في بيته في حجرته التي كان
يستقبل فيها الناس، والدليل الأول عليه: أنه كان للنبي (صلى الله عليه وآله) بيت مستقل
عن بيوت نسائه بناه عندما قدم إلى المدينة شرقي المسجد، وفيه غرفة واسعة يستقبل
فيها الناس وتسمى أحيانا الحجرة بدون إضافة، وكان إلى جنبها حجرة ابنته فاطمة
(عليها السلام) التي هاجرت معه، وكان فيه مكان لخدمته، وفيه فناء أو صحن أو دار،
وكان هذا البيت بعيدا نسبيا عن بيوت نسائه التسع، وأقرب البيوت إليه بيت علي
وفاطمة (عليهما السلام) فباب دارهما إلى جانب باب هذا البيت!

فقد روى ابن سعد: ٨ / ١٦٦، أن الزهراء (عليها السلام) سكنت بعد زواجها في بيت
علي (عليه السلام) ثم أخذ لهما النبي (صلى الله عليه وآله) بيتا قرب بيته قال: (لما قدم
رسول الله (ص) المدينة وتزوج علي فاطمة وأراد أن يبنى بها قال له رسول الله (ص):
أطلب منزلا، فطلب علي منزلا فأصابه مستأخرا عن النبي قليلا فبنى بها فيه، فجاء النبي
(ص) إليها قال: إني أريد أن أحولك إلي، فقالت لرسول الله: فكلم حارثة بن النعمان
أن يتحول عني تريد أن يتحول لي عن منزله، فقال رسول الله: قد تحول حارثة عنا
حتى قد

استحييت! فبلغ حارثة فتحول وجاء إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلتي وهي أسقب (أنسب) بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله! والله يا رسول الله للذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع! فقال رسول الله: صدقت بارك الله عليك فحولها إلى بيت حارثة).

وفي صحيح بخاري: ٤ / ٢٠٨: (ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ثم قال: لعل ذاك يسوءك؟ قال أجل! قال فأرغم الله بأنفك). وفي فتح الباري: ٧ / ٥٩: (وله من رواية العلاء بن عيزار قال: سألت ابن عمر عن علي فقال: أنظر إلى منزله من نبي الله، ليس في المسجد غير بيته). وفي الحاكم: ٣ / ٥١: (ثم قال: ألا أحدثك عن علي؟ هذا بيت رسول الله في المسجد وهذا بيت علي)! انتهى.

وفي الكافي: ٤ / ٥٥٥ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا دخلت من باب البقيع فبيت علي صلوات الله عليه على يسارك قدر ممر عنز من الباب، وهو إلى جانب بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبابهما جميعا مقرونان). انتهى.
أقول: فبيت علي وفاطمة (عليهما السلام) أقربها إلى بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وفي دار كل منهما باب مفتوح على ساحة المسجد، مضافا إلى غرفة الزهراء (عليها السلام) التي بقيت باسمها في بيت أبيها. وستعرف أن بيوت نساء النبي (صلى الله عليه وآله) ومنها حجرة عائشة كانت تدور حول المسجد، ابتداء من بيت علي (عليه السلام) لكن باتجاه قبلي المسجد، لا شرقيه.

* *

وقد كان البيت بحجرته النبوية مركزا لنشاطه (صلى الله عليه وآله) فكان يقضي الكثير من وقته فيه ويذهب ليلا إلى غرفة إحدى نساءه ويعود فجرا إلى المسجد، وربما رجع إلى غرفتها فتناول طعام الصباح عندها أو في بيته، وربما تغدى أو تعشى في بيته

بل كان كثيرا من الليالي ينام فيه، كما نصت أحاديث كثيرة عن ضيوفه وخدامه وغذائه ونومه، وهذه نماذج منها:

(كان رسول الله في بيته، فغدا إليه علي في الغداة، فدخل فإذا النبي (صلى الله عليه وآله) في صحن الدار). (أمالي الطوسي / ٦٠٤). (كان يصلي ذات ليلة في حجرته (في شهر رمضان) فجاء أناس فصلوا بصلاته فخفف فدخل البيت ثم خرج). (مسند أحمد: ٣ / ١٠٣).

وعن أنس قال: (كنت أخدم رسول الله فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم ائني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير! قال: فقلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار، فجاء علي فقلت إن رسول الله علي حاجة! ثم جاء فقلت: إن رسول الله علي حاجة! ثم جاء فقال رسول الله: إفتح، فدخل فقال رسول الله ما حبسك علي فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك علي حاجة! فقال: ما حملك علي ما صنعت؟! فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلا من قومي! فقال رسول الله: إن الرجل قد يحب قومه! هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه). (مستدرک الحاكم: ٣ / ١٣٠).

(يا أنس إني أريد الصيام، أطعمني شيئا، فأتيته بتمر وإناء فيه ماء، وذلك بعد ما أذن بلال فقال: يا أنس أنظر رجلا يأكل معي). (سنن النسائي: ٤ / ١٤٧).

(كنت أبيت عند حجرة النبي (ص) فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول: سبحان الله رب العالمين). (سنن النسائي: ٣ / ٢٠٩).

فالنبي (صلى الله عليه وآله) كان يتغدى أو يتعشى أحيانا في بيته وحجرته، لا في بيوت نسائه!

ومعنى ذلك أنه عندما يقال بيت النبي ومنزل النبي وحجرة النبي (صلى الله عليه وآله) ودار النبي وباب بيت النبي (صلى الله عليه وآله).. فالمقصود به هذا البيت وهذه الحجرة، وإلا لقليل بيت عائشة أو حجرة عائشة، أو بيت أم سلمة أو حجرتها. وقد كان لكل واحدة

منهن بيت فيه غرفة ودار صغيرة وتوابعها من مشربة أو مطهرة.
إقرأ كلام أنس يصف وليمة النبي (صلى الله عليه وآله) في حجرته وهي نفس هذه
الحجرة: (فقال لي: هل بقي في المسجد أحد؟ قلت: لا، قال: فانظر من كان في
الطريق فادعهم قال فدعوت حتى امتلأت الحجرة فقال: هل بقي من أحد؟ قلت: لا يا
رسول الله قال: هلم التور فوضعت بين يديه فوضع أصابعه الثلاث فيه وغمزه
وقال للناس كلوا بسم الله...). (الطبقات: ٨ / ١٠٤). فهي حجرة النبي (صلى الله
عليه وآله) وليست حجرة لزوجته! وهي نفس الحجرة التي تقول عنها أم سلمة (رحمه
الله): (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد
امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس، يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بي وقد
قدمت إليكم القول معذرة إليكم. ألا إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ثم
أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي، خليفتان بصيران لا
يفترقان حتى يرثي علي الحوض فأسألهما ماذا خلفت فيهما). (أمالى الطوسي / ٤٧٨).
وهي نفس الحجرة التي يقول عنها ابن حجر: (ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك
(الكتاب والعترة) طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا... وفي بعض تلك
الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد
امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم). (الصواعق: ٢ /
٤٤٠). فحجرة النبي (صلى الله عليه وآله) بعيدة عن حجرة عائشة!
وهي نفس الحجرة التي توفي فيها النبي (صلى الله عليه وآله) بنص مصادر السنة فقد
جاء في حديث عمر عن المكان الذي توفي فيه النبي (صلى الله عليه وآله): (فبينما
نحن في منزل رسول الله (ص) إذا رجل ينادي من وراء الجدار أن أخرج إلي يا ابن
الخطاب... فإن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، فأدركوهم قبل أن يحدثوا
أمرا...). (فتح)

الباري: ٧ / ٢٣ عن أبي يعلى، وتاريخ دمشق: ٣٠ / ٢٨٢، وفي رواية ابن حبان: ٢ / ١٥٥: فيينا نحن في منزل رسول الله إذ رجل ينادي من وراء الجدار... انتهى. فمَنْزل رسول الله هو بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيه حجرتة التي توفي فيها. ومعنى ذلك أن السلطة وضعت يدها على المسجد والبيت والقبر حتى لا يعوذ به بنو هاشم، ثم ادعت بنت رئيس السلطة أن الحجرة التي دفن فيها النبي (صلى الله عليه وآله) وأعطاهما لها وسيطرت عليها وعلى بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وأبعدت عنها ابنته فاطمة وعليها (عليهما السلام) مع أن حجرة عائشة من الجهة الثانية قبلي المسجد! ولا بد أن يكون سبب سكوت علي وأهل البيت (عليهم السلام) عن تحريك المسلمين ضد السلطة وعائشة، أن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصاهم كما أوصاهم بشأن الخلافة، أن لا يثيروا مشكلة حول قبره وبيته وتركته، ويكتفوا بتسجيل ظلامتهم والمطالبة السلمية بحقهم (عليه السلام)! وأخبرهم أن ظلامتهم ستبقى حتى يظهر ولده المهدي الموعود (عليه السلام) فيكشف ما جرى على جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) وآبائه الطاهرين (عليهم السلام).

* *

الدليل الثاني: اعتراف عائشة نفسها بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يدفن في غرفتها! فقد قالت: (لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها)! (ابن ماجه: ١ / ٦٢٥، وأوسط الطبراني: ٨ / ١٢، وأبو يعلى: ٨ / ٦٤، والمحلى: ١١ / ٢٣٦، وقال: وهذا حديث صحيح. وفي لسان العرب: ٧ / ٣٣، ونهاية ابن الأثير: ٢ / ٨٧، وفيها: إن الرجم أنزل في الأحزاب وكان مكتوبا في حوصة في بيت عائشة فأكلتها شاتها). انتهى.

فلو كان تمرىض النبي (صلى الله عليه وآله) وموته في غرفتها فلا يمكن أن تكون فارغة وتدخل إليها سخلة وتأكل الآيات المزعومة؟!
الدليل الثالث: أن النصوص ذكرت أنه كان لحجرة عائشة باب واحد يفتح

لجهة الشام أي جهة شمال المسجد! (فسألته عن بيت عائشة فقال: كان بابه من وجهة الشام فقلت: مصراعا كان أو مصراعين؟ قال: كان بابا واحدا. قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عرعر أو ساج). الأدب المفرد للبخاري / ١٦٨. وإمتاع الأسماع: ١٠ / ٩٢، وسبل الهدى: ٣ / ٣٤٩، وسمت النجوم / ٢١٨، وفيه: وبني بيتين لزوجتيه عائشة وسودة على نعت بناء المسجد من لبن وجريد، وكان باب عائشة مواجه الشام، وكان بمصراع واحد من عرعر أو ساج). انتهى.

بينما حجرة النبي (صلى الله عليه وآله) تقع شرقي المسجد ويفتح بابها إلى المسجد إلى الغرب وكان لها بابان! فعندما أراد المسلمون أن يصلوا على جثمان النبي الطاهر (صلى الله عليه وآله) أمرهم علي (عليه السلام) أن يدخلوا مجموعات فتصلي المجموعة من باب وتخرج من باب آخر! (قالوا كيف نصلي عليه؟ قال (علي (عليه السلام)): أدخلوا أرسالا أرسالا. قال: فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر). (مسند أحمد: ٥ / ٨١، وقال في مجمع الزوائد: ٩ / ٣٧: ورجاله رجال الصحيح. وتاريخ دمشق: ٤ / ٢٩٦، وأسد الغابة: ٥ / ٢٥٤). فهل حدثت معجزة لغرفة عائشة عندما توفي فيها النبي (صلى الله عليه وآله)، فصار لها بابان؟!

الدليل الرابع: شهادة أنس بن مالك خادم النبي (صلى الله عليه وآله) التي رواها بخاري: ٦ / ٢٦، وأحمد: ٣ / ١٦٨، والطبقات: ٨ / ١٠٤، ووصف فيها وليمة النبي (صلى الله عليه وآله) بمناسبة زواجه من زينب وأنها كانت في بيته في الحجرة، فأكلوا وبقي بعض الثقلاء جالسين في الحجرة يتحدثون: (فمشى رسول الله (ص) ومشينا معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة وظن رسول الله (ص) أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا. فنزلت آية الحجاب وهي قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا). (الأحزاب: ٥٣).

فهذا نص على أن بيت عائشة، كان بعيدا نسبيا عن بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وحجرته التي يستقبل فيها الناس، فقد مشى (صلى الله عليه وآله) حتى وصل إلى عتبه! قال في الطبقات: ٨ / ١٦٦: (وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب مسجد رسول الله (ص) وحوله، وكلما أحدث رسول الله أهلا تحول له حارثة بن النعمان عن منزله، حتى صارت منازلها كلها لرسول الله وأزواجه). انتهى.

ومعناه أن بيت عائشة كان رابع بيت اشتراه النبي (صلى الله عليه وآله) من بيوت حارثة بن النعمان: (كانت زينب بنت خزيمة قبل أم سلمة، فتوفيت زينب فأدخل أم سلمة في بيتها، وفي تلك السنة تزوج زينب بنت جحش. وكانت سودة قبل عائشة في النكاح، وقبل هؤلاء جميعا). (الطبقات: ٨ / ١٦٤).

* *

الدليل الخامس، أن عائشة باعت منزلها، ووهبت حجرتها إلى ابن أختها عبد الله بن الزبير، ولا يمكن أن يكون المباع والموهوب مكان قبر النبي (صلى الله عليه وآله)! قال في الطبقات: ٨ / ١٦٥: (واشترى (معاوية) من عائشة منزلها، يقولون بمائة وثمانين ألف درهم ويقال بمائتي ألف درهم وشرط لها سكنها حياتها). انتهى.

فلا يصح القول إن هذا المنزل هو حجرتها وإن معاوية اشتراه لتوسيع المسجد النبوي أو للفخر مثلا، لأنه لم يوسع المسجد، بل ستعرف أن بيتها بعيد عن المسجد حيث ذهب مروان إليه في مراسم جنازة الإمام الحسن (عليه السلام) وطلب منها ان تحضر بسرعة إلى المسجد وتمنع دفن الإمام الحسن (عليه السلام) عند جده (صلى الله عليه وآله)، وأنها تحيرت كيف تصل إلى المسجد فأعطاهها بغله فركبته!

وفي تاريخ دمشق: ٢٨ / ١٩٠ و سنن البيهقي: ٦ / ٣٤: (وكان عبد الله بن الزبير يعدد بمكة مالا لا يعدد به أحد من الناس، أوصت له عائشة بحجرتها، واشترى حجرة سودة). انتهى. فهذه الحجرة التي أوصت بها غير الحجرة النبوية، بل هي

حجرتها التي كانت إلى جنب حجرة سودة، كما في نص سمت العوالي.
الدليل السادس: أن حجرة عائشة تقع قبلي المسجد والقبر النبوي شرقيه!
قال السيد جعفر مرتضى: (مما يدل على أن بيت عائشة كان في جهة القبلة من
المسجد من الشرق ما رواه ابن زباله، وابن عساكر، عن محمد بن أبي فديك، عن
محمد بن هلال: أنه رأى حجر أزواج النبي (ص) من جريد مستورة بمسوح الشعر
فسأله عن بيت عائشة فقال: كان بابه من جهة الشام. قلت: مصراعا كان أو
مصراعين؟ قال: كان باب واحد. وفي عبارة ابن زباله: مستورة بمسوح الشعر،
مستطيرة في القبلة، وفي المشرق والشام ليس في غربي المسجد شيء منها. الخ.. وقال
ابن عساكر: وباب البيت شامي [٦]. فيستفاد من ذلك:
أ: ما قاله المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني: " قوله في الحديث (فسأله عن بيت
عائشة) في هذا دلالة على أن الحجرة التي دفن فيها النبي (صلى الله عليه وآله) لم تكن
بيت عائشة، إذ فيه دلالة على أن السائل يعلم أن بيتها لم يكن في الموضع الذي دفن
فيه النبي (صلى الله عليه وآله).. ولذلك فهو يسأل عن موضع بيتها فيما عدا البيت
الذي دفن فيه النبي (ص) ليعرفه أين يقع. انتهى.
ب: إن من المعلوم أن الجهة الشامية للمسجد هي الجهة الشمالية منه، كما صرحت به
الرواية آنفا، ويدل على ذلك أيضا قول ابن النجار: قال أهل السير: ضرب النبي (ص)
الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام، ولم يضربها في غربيه، وكانت خارجه
عنه مديرة به، وكان أبوابها شارعة في المسجد [٧].
وأیضا: وجه المنبر، ووجه الإمام إذا قام على المنبر بجهة الشام [٨].. ومن المعلوم أن
الجالس على المنبر يكون ظهره إلى القبلة ووجهه إلى الجهة المقابلة لها). [٦] وفاء
الوفاء: ٢ / ٥٤٢ و ٤٥٩ و ٤٦٠. [٧] راجع: وفاء الوفاء: ٢ / ٤٣٥ و ٤٥٩ و
٥١٧، وليراجع أيضا

ص ٦٩٣. [٨] راجع: وفاء الوفاء: ٢ / ٤٣٥ و ٤٥٩ و ٥١٧، وليراجع أيضا / (٦٩٣). انتهى.

الدليل السابع: حديث الأمامي المتقدم / ٧٣٥، وهو حديث بليغ مؤثر يصف آخر صلاة صلاها النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنه عندما عرف أن عائشة أرسلت إلى أبيها ليصلي بالناس خرج مغضبا يتوكأ على علي (عليه السلام) والعباس: (فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصلى بالناس وخفف الصلاة ثم قال: ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فجاءا فوضع يده على عاتق علي والأخرى على أسامة ثم قال: انطلقا بي إلى فاطمة فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء ووجوهنا لوجهك الوفاء... الخ.) وشاهدنا منه قوله (صلى الله عليه وآله): (انطلقا بي إلى فاطمة، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يبكيان)، وفاطمة (عليه السلام) حينذاك إما أن تكون في بيتها وبيت علي (عليهما السلام) كما يرى السيد جعفر مرتضى، أو في بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في الغرفة التي يستقبل فيها الناس وتسمى الحجرة على الإطلاق بدون إضافة، وهو ما أراه وفيها توفي النبي (صلى الله عليه وآله)! ويدل عليه أن بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) جرت فيه أحداث كثيرة وروتها نصوص عديدة، فقد اعتصم فيه أهل البيت (عليهم السلام) ومن معهم ضد السقيفة وهاجمهم أهل السقيفة. وعاشت فيه فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقية حياتها، وعاش فيه أمير المؤمنين والحسنان (عليهم السلام). ويتضح من رواياته أنه بيت مستقل عن بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وقبره، وإن كان باب داره ملاصقا لباب دار النبي (صلى الله عليه وآله). قال الصدوق (رحمه الله) في الفقيه: ٢ / ٥٧٢: (فلما فرغت من زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قصدت إلى بيت فاطمة (عليها السلام) وهو من عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل (عليه السلام) إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي (صلى الله عليه وآله) فقمتم عند الحظيرة ويساري إليها وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلها بوجهي وأنا على غسل، وقلت...). ولا مجال للتفصيل

الفصل الثامن
معاوية يستमित لأخذ البيعة ليزيد!

(٣١٦)

لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي!
قال في مقاتل الطالبين / ٤٧ : (وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه
من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدرس إليهما سما فماتا به). انتهى.
وكان معاوية أزاح من طريق ابنه العقبات الفرعية مثل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد،
الذي كان يحبه أهل الشام وأرادوا أن يجعله ولي عهده، فسارع إلى قتله بالسم،
وعندما انكشف قتله له لم يتبرأ منه بل تبناه! وكذلك أزاح سعد بن وقاص لأنه من
أعضاء الشورى وهو طامح إلى الخلافة، وغيره!
لكن أكبر عقبة أمامه على الإطلاق وأثقل شيء عليه بتعبير رواية أبي الفرج كان الإمام
الحسن (عليه السلام) لأنه سبط النبي (صلى الله عليه وآله) وكل الأمة تحبه، ولأن
الخلافة له بعد معاوية بموجب معاهدة الصلح، فيكفي أن يموت معاوية لتتجه الأمة إلى
الإمام الحسن (عليه السلام) فتبايعه، مضافا إلى تعيينه إماما بنص جده (صلى الله عليه
وآله) وأبيه (عليه السلام)! لذلك تخيل معاوية أنه بقتل الإمام الحسن (عليه السلام)
يصفو له الجو فيأخذ البيعة ليزيد بلا منازع!
وقد اعترف معاوية بأن إصراره على استخلاف يزيد جلب له المتاعب! فقد خرج إلى
الناس في آخر أيامه وقد أصابته لقوة وانحرف فمه إلى تحت عينه، وهو معصب وجهه
فكان يبكي ويقول: (رحم الله عبدا دعا لي بالعافية... ولولا هواي في يزيد لأبصرت
رشدي)! (تاريخ دمشق ٥٩ / ١٤ و ٦١).
لكنه لم ينتفع بهذا الاعتراف ولا صحح خطأه بل اكتفى بإعلانه وهو يبكي! وأحسن
وصف له قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (ومن عشق شيئا أعشى بصره وأمراض قلبه،
فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمیعة! قد حرقت الشهوات

عقله وأماتت الدنيا قلبه وولّمت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يده شئ منها حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبلت عليها! لا يزدجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ!) (نهج البلاغة: ١ / ٢١١).

لذلك ظل معاوية حتى آخر عمره راكبا رأسه عاقصا قرنيه، مسكونا بمادية بني أمية واليهود، وبعد قتله الإمام الحسن (عليه السلام) نشط في التمهيد ليزيد، وكان برنامجه: مواصلة قتل من يقف في وجه خلافة يزيد.

وتلميع يزيد بإرساله إلى الحج، وإرساله باسم الجهاد وغزو القسطنطينية. ثم ترتيب بيعة أهل الشام، وإرسال الرسائل إلى عماله ولاة الأمصار ليأخذوا البيعة من شخصيات بلدهم، والبيعة العامة من الناس في صلاة الجمعة.

واستقدام وفود الأمصار إلى الشام لإعلان بيعة يزيد! وإذا احتاج الأمر وامتنع بقية الصحابة والشخصيات عن البيعة كما في الحجاز فيجب أن يذهب معاوية بنفسه بألف فارس أو ألفين، لإخضاعهم وأخذ البيعة منهم بالتهديد، أو تصفية من يخالف جهارا نهارا على أعين الناس، أو بالسم! *

نصحه الصحابة والمشفقون على أمة النبي (صلى الله عليه وآله) وعليه نصحه أبو أيوب الأنصاري:

في تاريخ دمشق: ٤٣ / ٣١٩: (وقال له أبو أيوب الأنصاري: إتق الله ولا تستخلف يزيد! قال: أمرؤ ناصح وإنما أشرت برأيك، وإنما هم أبناءؤهم فابني أحب إلي من أبناءؤهم! ثم قال: يا أبا أيوب أرايت الفرس البلقاء التي كان من أمرها يوم كذا وكذا، من قتل صاحبها؟ قال: أنا قتلت صاحبها، وأنت وأبوك يومئذ بأيديكما لواء الكفر! قال معاوية: عمرك الله ما أردت هذا). انتهى.

أقول: تلاحظ أن منطق معاوية قبلي مادي محض، وكأنه لا يوجد دين ولا رسول ولا إسلام! وحثه في تعيين يزيد خليفة، أن البديل له إنما هم أولاد الصحابة، والصحابة مثله أخذوا الخلافة وأولادهم يريدونها، ويزيد أحب إليه منهم! فالمسألة عنده شخصية قبلية ولا حساب عنده لدين، ولا لنص قرآني أو نبوي، ولا لمصلحة الأمة الإسلامية! ونصح الأحنف بن قيس:

في تهذيب الرياسة للقلعي / ٣٦٦: (وقيل إنه استشار الأحنف بن قيس فقال: أدخل على يزيد فأدخله عليه، فلما خرج قال له معاوية: كيف رأيت يزيد؟ فقال: رأيت شابا وجلدا ونشاطا. ثم قال: نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، وأنت أعلم يا أمير المؤمنين بلبه ونهاره ومدخله ومخرجه وسره وجهاره، وإيراده وإصداره! فإن كنت تعلم أن فيه لله رضى، ولهذه الأمة صلاحا فلا تشاور الناس، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت عائد إلى الآخرة. وإنما علينا السمع والطاعة. فقال معاوية: جزاك الله عن الطاعة خيرا).

أقول: الأحنف من عقلاء زعماء العرب، ويظهر من كلامه تحفظه الشديد على بيعة يزيد، وخوفه من سطوة معاوية، فهو يتكلم بأقصى ما يمكنه مع تجنب إرهاب معاوية وسطوته!

ونصح زياد بن أبيه:

وفي تاريخ الطبري: ٤ / ٢٢٤: (لما أراد معاوية أن يبائع ليزيد، كتب إلى زياد يستشير، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري فقال: إن لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودع.... وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف. إن أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد، وهو يتخوف نفرة الناس

ويرجو مطابقتهم ويستشيرني، وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسالة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد، فالحق أمير المؤمنين مؤديا عني فأخبره عن فعلات يزيد، فقل له رويدك بالأمر فأقمن أن يتم لك ما تريد ولا تعجل فإن دركا في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت). انتهى.

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٠، أن رسول زياد قال لمعاوية: (يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد علي بكذا، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروود، ويلبس المصبغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ولكن تأمره، ويتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين، فعسانا أن نموه على الناس. فلما صار الرسول إلى معاوية وأدى إليه الرسالة قال: ويلى علي ابن عبيد! لقد بلغني أن الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد، والله لأردنه إلى أمه سمية، وإلى أبيه عبيد! انتهى. وقد تقدم في فصل (الذين قتلهم معاوية) أن معاوية غضب من نصيحة زياد واعتبرها طمعا منه بالخلافة فقتله!

وما ذكرناه نماذج من نصح الناصحين، وأولهم الإمام الحسين (عليه السلام)، لكن معاوية ظل مصرا على هواه! وكانت نتيجته أن يزيدا دمر نفسه وعائلة أبي سفيان!

**

تلميع معاوية ليزيد بتأثيره على الحج!
أراد معاوية بعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) أن يظهر إيمان ابنه يزيد وصلاحيته للخلافة، فأخذه معه إلى الحج ثم أمره على الحج عدة سنوات، فكانت تصرفاته في مكة والمدينة فضائح سببت ردة فعل عند بقية الصحابة والتابعين!
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٧٩: (واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة (خمسين) فقال بعضهم: حج بهم معاوية وقال بعضهم: بل حج بهم ابنه يزيد).
وفي تاريخ دمشق: ٢١ / ١٢٥: (ثم حج بالناس معاوية بن أبي سفيان سنة خمسين، ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين وسنة اثنتين وخمسين وسنة ثلاث وخمسين، ثم حج بالناس مروان سنة وخمسين وسنة خمس وخمسين).
أقول: يظهر أن يزيدا كان مع أبيه في سنة خمسين! وكان معاوية حريصا على أن يقدمه إلى الصحابة والتابعين بعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) ليروا يزيدا ويحبوه ويعطيهم الجوائز ويتألفهم! ففي تاريخ دمشق: ٦٥ / ٤٠٦: (عن عمر بن شبة قال: لما حج الناس في خلافة معاوية جلس يزيد بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه ابن عباس والحسين بن علي فأمر بشرابه فرفع! وقيل له: إن ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه، فحجبه وأذن للحسين بن علي، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسب أحدا يتقدمنا في صنعة الطيب، فما هذا يا ابن معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله هذا طيب يصنع بالشام، ثم دعا بقدر فشربه ثم دعا بآخر! فقال: إسق أبا عبد الله يا غلام. فقال الحسين: عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني، فشرب يزيد وقال:

ألا يا صاح للعجب * دعوتك ثم لم تجب
إلى القينات والشهوات * والصهباء والطرب
وباطية مكللة * عليها سادة العرب
وفيهن التي تبت * فؤادك ثم لم تثب

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تبت. ثم قال ابن عساكر: (هذه الحكاية منقطعة: عمر بن شيبة بينه وبين يزيد زمان). (وكامل ابن الأثير: ٣ / ٣٦٤).
أقول: معنى ذلك أن ابن عساكر لا يكذب أمثالها عن يزيد! لكن إشكاله أن عمر بن شبة متأخر زمتنا عن يزيد، وهو إشكال غير وارد لأن عمر بن شبة مؤرخ موثوق عندهم، على أن غيره روى القصة كأبي الفرج في الأغاني: ١٥ / ٢٨١، وابن الأثير في كامله: ٣ / ٤٦٥، ورواها القاضي النعمان بأشد من ذلك في المناقب والمثالب ص ٢٩٥، وجاء فيها: فقال الحسين: أعطي الله عهدا لئن خلص الأمر إليك وأنا في الحياة، لا أعطيتك إلا السيوف بعد أن شهدت عليك بهذا المشهد! وقام فخرج معه عبد الله بن جعفر). انتهى.

ويظهر من مجموع الروايات أن معاوية أراد أن تكون هذه السفرة تمهيدا واستطلاعاً لآراء الصحابة والتابعين في يزيد! وأنه واجه معارضة شديدة من أغلب الشخصيات خاصة عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير والإمام الحسين (عليه السلام)، فآثر أن يتحمل منهم ويؤخر طرح بيعة يزيد حتى يقوم بمزيد من التمهيد، ثم ينقض على الصحابة ومعه جيش من الشام!

**

تزوير معاوية (غزوة القسطنطينية) من أجل يزيد!

ركود الفتوحات في عهد معاوية

تتبع حركة الفتوحات التي قام بها معاوية في مدة خلافته من سنة أربعين إلى ستين للهجرة، فوجدتها لا تكاد تذكر! ذلك لأن الفتوحات الأساسية كانت قد تمت في خلافة عثمان، وقام علي (عليه السلام) بفتوحات تكميلية في إيران والهند. وثانياً، لأن معاوية انشغل في العراق وإيران وغيرها بحرب الخوارج، الذين بدأت مجموعاتهم بحربه بعد صلحه مع الإمام الحسن (عليه السلام) مباشرة، وتواصلت حروبهم سنين طويلة. وثالثاً، لأن قادة الفتوحات الميدانيين الشجعان كانوا شيعة علي (عليه السلام) إلا عدداً قليلاً جداً، وقد قتل أكثرهم في صفين، أو هرموا، أو كانوا معادين لمعاوية. وهذه حقيقة تحتاج إلى دراسة خاصة.

ورابعاً، لأن فتوحات معاوية التكميلية في إيران والهند تعثرت وفشلت، ولم يتواصل منها إلا فتوحات موسى بن نصير وعقبة بن نافع الشيعيين.

وخامساً، كان معاوية لينا مع الروم موادعا لهم (إن الروم صالحت معاوية على أن يؤدي إليهم مالا وارتهن معاوية منهم رهناً فوضعهم ببعلبك) (فتوح البلدان: ١ / ١٨٨).

وفي الصحيح من السيرة: ٩ / ٢٥٥: (صالح معاوية ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه إليه، ذكره أبو عبيدة قال السهيلي: قيل: كان مئة ألف دينار).

غزوة يزيد المزعومة للقسطنطينية

أهم أعمال معاوية في الفتوحات غزوته الدعائية للقسطنطينية التي رتبها باسم ولده يزيد ليعطيه صفة المجاهد في سبيل الله فيقبل الناس بيعته بولاية العهد!

وهي غزوة مأساوية مضحكة في طريقتها ونتيجتها وكثرة تطييل الأمويين وأتباعهم لها، ووضعهم حديثا لها رواه بخاري يزعم أن جيشها مغفور لهم! فقد أرسل معاوية جيشا (كثيفا) وأعلن أنه بقيادة يزيد إلى جهة القسطنطينية (استانبول) فتناقل عنه يزيد وتأخر، مفضلا لهوه وخمره في دير مران قرب دمشق، فسكت عنه معاوية!

وانتظر جيش الجهاد قائده العتيد حتى أصابهم الجوع والمرض ومات كثير منهم وأخذ الروم بعضهم أسرى، ومات أبو أيوب الأنصاري (رحمه الله)! ولما بلغ الخبر يزيد حمد الله لأنه لم يكن معهم! فغضب معاوية وأصر عليه أن يذهب فذهب يزيد على مضض والتحق بهم ورجع بدون قتال، وقالوا إنه وصل إلى باب القسطنطينية ولمسه بيده الباب، أو ضربه بسيفه، أو بعمود حديد وأن ضربته خرقت ذلك الباب العظيم! وهذه بعض نصوصها:

قال الضحاك في الآحاد والمثاني: ٣ / ٤٤٠: (وغزا يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين الصائفة حتى بلغ القسطنطينية وأخذ بحلقته، ومات أبو أيوب). وقال اليعقوبي: ٢ / ٢٢٨: (وقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقروود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق! ما حجتنا عند الله؟! وقال عبد الله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية خالق، وقد أفسد علينا ديننا... وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة (ليزيد)! وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف العامري فسبقه سفيان بالدخول إلى بلاد الروم (وانتظروا طويلا) فنال المسلمين في بلاد الروم حمى وجدري! وكانت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت يزيد بن معاوية وكان لها محبا، فلما بلغه ما نال الناس من الحمى والجدري قال:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم * بالغذقذونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط في غرف * بدير مران عندي أم كلثوم
فبلغ ذلك معاوية فقال: أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبنك ما أصابهم، فأردف به
ذلك الجيش فغزا به حتى بلغ القسطنطينية!!
وفي تاريخ دمشق: ٦٥ / ٤٠٤: (بعث معاوية جيشا إلى الروم فنزلوا منزلا يقال له
الفرقدونة، فأصابهم بها الموت وغلاء شديد فكبر ذلك على معاوية، فاطلع يوما على
ابنه يزيد وهو يشرب وعنده قينة تغنيه... الخ. فقال: أقسم عليك يا يزيد لترتحلن حتى
تنزل مع القوم وإلا خلعتك، فتهياً يزيد للرحيل وكتب إلى أبيه:
تجننى لا تزال تعد دينا * ليقطع وصل حبلك من حبالى
فيوشك أن يريحك من بلائى * نزولي في المهالك وارتحالي). انتهى.
والصحيح مصطبحا بدل مرتفقا كما في الأغاني وغيره، والغذقذونة بدل الفرقدونة،
كما في معجم البلدان: ٤ / ١٨٨.
وقد روت المصادر غزوة يزيد القائد وتأخره عنها للشراب مع جواريه وزوجته أم كلثوم
بنت كرز وأوردت أكثر المصادر بيتيه الأولين، والظاهر أن أصلهما:
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا * بدير مران عندي أم كلثوم
فما أبالي بما لاقت جموعهم * بالغذقذونة من حمى ومن موم
ولا بد أن بعض الشعراء نظمهما ليزيد! كما روى عدد من المصادر البيتين اللذين يعتب
فيهما على أبيه لأنه يريد إرساله إلى الحرب وتعريضه للهلاك! كأنساب الأشراف /
١١٤٩، والأربعين البلدانية لابن عساكر: ٢ / ٥٣٣ وفيه: (ودير مران بضم أوله بلفظ
تثنية والذي بالحجاز مران بالفتح. قال الخالدي: هذا الدير بالقرب من دمشق على تل
مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبنائوه بالجص،

وأكثر فرشته بالبلاط الملون، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني والأشجار محيطة به. وفيه قال أبو بكر الصنوبري: أمر بدير مران فأحيا... وأجعل بيت لهوي بيت لهيا..). في أبيات تصف جو الدير!!
وفي الأغاني: ١٧ / ٢١١: (فأصابهم جدري فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبحا بدير مران مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم فقال... البيتين.
والموم أو البرسام: التهاب رئوي يسمى ذات الجنب، وفسره بعضهم بالجدري (لسان العرب: ١٢ / ٤٦، والعين: ٨ / ٤٢٢) وادعت رواية أبي الفرج أن يزيدا وصل إلى استانبول: (وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق، فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه إلى اليوم)! انتهى.
ولم تذكر الرواية لماذا لم يدخل الجنود من مكان ضربة يزيد التي خرقت باب السور! وهل خاف الروم من هول الضربة فهربوا من الباب الثاني!
وفي أنساب الأشراف / ١١٤٩: (وأمر يزيد بالغزو فتناقل واعتل فأمسك عنه! وأصاب الناس في غزاتهم جوع وأمراض، فأنشأ يزيد يقول.. البيتين.. فلحق به فرس أنطاكية وبعلبك، وجماعة أنهضهم معه فبلغ بالناس الخليج وضرب بسيفه باب الذهب وهزم الروم (!) وخرج وسفيان بالناس). (وابن خلدون: ٣ / ٩).
غفروا ليزيد مجزرة كربلاء والحرة وضرب الكعبة!
لا يحتاج الباحث إلى جهد ليكتشف الدعاية في غزوة يزيد! لكنه يتعجب لمدى نفوذ الأمويين على الرواة وكيف حولوا كذبهم إلى حديث نبوي موضوع خصيصا لمدح معاوية ويزيد معا، ورووه في أصح كتاب عند أتباع الخلافة!
قال بخاري في صحيحه: ٣ / ٢٣٢: (فحدثنا أم حرام أنها سمعت النبي (ص) يقول:

أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي (ص): أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم! فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا). انتهى.

وقصدهم أن معاوية أول من غزا في البحر لفتح قبرص فقد أوجب، أي استحق الجنة فلا يضره بعد ذلك خروجه على علي (عليه السلام) وقتله مئات الألوف من المسلمين ليتأمر عليهم! كما أن يزيدا كان قائد أول جيش غزا القسطنطينية فهو مغفور له ولا يضره بعدها قتله الحسين (عليه السلام) وأصحابه في كربلاء، وقتله خيار الصحابة والتابعين واستباحته المدينة في وقعة الحرة، ثم رميه الكعبة بالمنجنيق!

قال في فتح الباري: ٦ / ٧٤: (قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر). انتهى.

وقد كذبوا في غزوة معاوية لقيصر، كما كذبوا في غزوة يزيد، ثم كذبوا في هذا الحديث لجعل الكذبيتين منقبتين!

وقد فرح ابن تيمية بهذه المنقبة ليزيد، فقد (وجد) شهادة من النبي (صلى الله عليه وآله) تسقط عن صاحبه جميع جرائمه في سفك دماء أهل البيت والصحابة ومهاجمة الكعبة فكرر حديث الغفران ليزيد في كتبه! قال منهاج السنة: ٤ / ٥٤٤: (فإنه غزا القسطنطينية في حياة أبيه معاوية وكان معهم في الجيش أبو أيوب الأنصاري وذلك الجيش أول جيش غزا القسطنطينية، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي (ص) أنه قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم). وقال في: ٤ / ٥٧١: (وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد والجيش عدد معين لا مطلق، وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوى من شمول اللعنة لكل واحد واحد من الظالمين فإن هذا أخص والجيش معينون، ويقال إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل هذا

(الحديث). وقال في مجموع الفتاوى: ٣ / ٤١٣: (ومع هذا فإن كان فاسقا أو ظالما فالله يغفر للفاسق والظالم لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن النبي قال: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له. وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية). (وقال نحوه في: ٤ / ٤٨٦، و: ١٨ / ٣٥٢ وفي كتابه رأس الحسين (عليه السلام) / ٢٠٧، وكتابه الجواب الصحيح: ٦ / ١١٧).

والجواب الصحيح على مزاعمهم نفس نصوصهم عن غزوة يزيد المدعاة فهي ناطقة بفداحة التزوير، بل عندهم نصوص صحيحة تنفي أن يكون يزيد وصل إلى القسطنطينية أصلا! ولعله رواتهم بسببه يؤكدون على أنه وصل إليها وضرب باب سورها بسيفه ففقد! أو بعمود حديد فظهرت في ضربته كرامة!

إن أقوى ما يستدلون به على وصوله إلى القسطنطينية أن أبا أيوب الأنصاري مات في تلك الغزوة ودفن عند سورها. لكن الصحيح أنه مات (رحمه الله) قرب أنطاكية حيث كان الجيش ينتظر يزيدا وأوصاهم أن يحملوا جنازته داخل بلاد الروم ويدفنه في أقرب نقطة ممكنة من القسطنطينية، وأنهم ساروا بجنازته (يوما) حسب روايتهم وربما ساروا أياما، أو دفعوا للروم مالا حتى سمحوا لهم!

فقد روى عبد الرزاق: ٥ / ٢٧٩ عن معمر عن ابن سيرين، وهو سند صحيح عندهم أن يزيدا زار أبا أيوب وهو مريض (فقال له: حاجتك؟ قال: إذا أنا مت فسر بي في أرض العدو ما استطعت ثم ادفني. قال: فلما مات سار به حتى أوغل في أرض الروم يوما أو بعض يوم، ثم نزل فدفنه). انتهى. بل تدل رواية عدد من المصادر على أن أبا أيوب (رحمه الله) أوصى المسلمين وليس يزيدا كما زعموا!

وهذا يعني أنهم كانوا خارج أرض العدو كليا أو في طرفها بعيدا عن العاصمة! ومعناه أن يزيدا لم يصل إلى سور القسطنطينية ولم يضرب باب سورها بسيفه أو

بعمود كما كذبوا! وربما يكون وصل إلى (الغذقذونة) القريبة من أنطاكية وكانت معسكر الجيش ومقبرة من مات منه!

وفي رواية أحمد: ٤٢٣ / ٥، وتعجيل المنفعة: ١ / ٤٥٢: (غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية قال فقال: إذا أنا مت فأدخلوني أرض العدو فادفوني تحت أقدامكم حيث تلقون العدو)! وسند هذه الرواية صحيح عندهم وهي تشير إلى أن معسكرهم كان خارج بلاد العدو قرب أنطاكية كما في شعر يزيد، وكذا رواية المستدرک: ٣ / ٤٥٧: (إذا أنا مت فاركب ثم اسع في أرض العدو ما وجدت مساعا فإذا لم تجد مساعا فادفني ثم ارجع). وفي الاستيعاب: ٤ / ١٦٠٧: (فليركبوا له ثم يسيروا في أرض العدو حتى إذا لم تجدوا مساعا فادفوني) وفي النهاية: ٨ / ٥٩: (ولينطلقوا فيبعثوا بي في أرض الروم ما استطاعوا) (ونحوه تاريخ دمشق: ١٦ / ٥٩، والإصابة: ٢ / ٢٠٠، وغريب الحديث: ٢ / ٧١٣، وأسد الغابة: ٢ / ٨٢، وسير الذهبية: ٢ / ٤٠٤، والطبقات: ٣ / ٤٨٥، وفي رواية أخرى: ولينطلقوا بي فليبعثوا ما استطاعوا... فانطلقوا بجنازته ما استطاعوا. وفي الروض الأنف: ٤ / ٩٤: فركب المسلمون به حتى إذا لم يجدوا مساعا دفنوه). انتهى. وكل ذلك يدل على أن يزيدا لم يصل إلى القسطنطينية بل بقي في الأراضي المفتوحة ولم يدخل أرض العدو أصلا، إلا في الإعلام الأموي!

ووضعوا حديثا لتبرير فشل غزوة يزيد!

قال ابن حجر في الإصابة: ٣ / ١٠٧: (كنا مع سفيان بن عوف الغامدي سارين بأرض الروم فأغار على باب الذهب حتى خرج أهل القسطنطينية فقالوا: والله ما ندري أخطأتم الحساب أم كذب الكتاب أم استعجلتم المقدر؟ فإنا وأنتم نعلم أنها ستفتح ولكن ليس هذا زمانها). (ونحوه فتن ابن حماد: ٢ / ٥٠٣، وسنن الداني: ٢ / ٥٠٣). وسفيان هذا هو الذي قاد جيش يزيد وعسكر قرب أنطاكية بانتظاره! فهم

يقولون إن القضاء والقدر هو الذي منع يزيد من فتحها، وإلا لفتحها!
وحدثا لتعزية الذين ماتوا من جيش يزيد!
وقد يكون عدد الجيش خمسين ألفا لأنهم وصفوه بأنه جيش كثيف! والذين ماتوا منه
قد يبلغون ألفا! ولذلك وضعوا رواية في أن الغزوة الأولى للقسطنطينية ستكون بلاء
وشدة على المسلمين! ففي كتاب الفتن لنعيم بن حماد: ٢ / ٤٣٨: (عن عبد الله بن
عمرو قال: تغزون القسطنطينية ثلاث غزوات الأولى يصيبكم فيها بلاء والثانية تكون
بينكم وبينهم صلحا). وفي: ٢ / ٤٧٢: (فتلقون بلاء وشدة والغزوة الثانية يكون بينكم
وبينهم صلح... والغزوة الثالثة يفتحها الله لكم بالتكبير). ونحوه: ٢ / ٤٨٣، ومعناه:
لكم العزاء أيها المسلمون بمن طال انتظارهم لقائدهم يزيد فأصابهم الجوع والأمراض
وماتوا! فإن النبي (صلى الله عليه وآله) أخبر أن الغزوة الأولى للقسطنطينية ستكون بلاء
وشدة على المسلمين، أي مرضا وموتا وخيبة! فالمهم سلامة رأس يزيد وتلميعة وجعله
مجاهدا في سبيل الله من أجل بيعته بالخلافة!
وختاما، فقد أجاب السيد الميلاني على دعوى ابن تيمية توبة يزيد والمغفرة له بسبب
غزوة القسطنطينية فقال في دراسات في منهاج السنة / ٤٩١: (أقول: أولا: إذا كان
يزيد لم يأمر بقتل الحسين (عليه السلام) ولم يهن الكعبة وكان في وقعة الحرة معذورا،
فأي ذنب له حتى يتوب منه؟! وثانيا: كم واحد من المسلمين صدر منه ما صدر من
يزيد حتى يقال: نحن نعلم أن أكثر المسلمين لا بد لهم من ظلم؟ وثالثا وهو المهم....
وإذا كان يزيد مغفورا له بحكم الحديث الصحيح! فلماذا أوجب أحمد بن حنبل وابن
الجوزي والتفتازاني وكثيرون غيرهم لعن يزيد والبراءة منه؟! وتجد كلماتهم في
الشرح). انتهى.
هذا، وأبو أيوب (رحمه الله) من خيار الصحابة وفرسان شيعة أمير المؤمنين (عليه
السلام) وله

موقف سلبي من معاوية وقد هاجره فلم يكلمه! وقد عقد الحاكم: ٣ / ٤٥٧، وغيره أبوابا لمناقبه (رحمه الله). وفي الطبقات: ٣ / ٤٨٥: (فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره ويرمون به ويستقون به إذا قحطوا). انتهى. وللحديث عنه (رحمه الله) مجال آخر. *

غزوة معاوية لقبرص مكذوبة كغزوة ابنه يزيد!

قال بخاري في صحيحه: ٣ / ٢٠١، وكررها بضع مرات في صحيحه! عن أنس: (كان رسول الله (ص) يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله (ص) فأطعمته وجعلت تفلي رأسه! فنام رسول الله (ص) ثم استيقظ وهو يضحك! قالت: فقلت وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة، شك إسحاق، قالت فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله (ص)، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأول، قالت: فقلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأولين، فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت). (وفي: ٣ / ٢٠٣)

و ٢٢١، و: ٧ / ١٤٠، و: ٣ / ٢٠٣، و: ٨ / ٧٣، وفيه: (قالت نام النبي يوما قريبا مني ثم استيقظ يتبسم!) وروته عامة مصادرهم. وتقدم قول ابن حجر في فتح الباري: ٦ / ٧٤: (في هذا الحديث منقبة لمعاوية، لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر). انتهى.

وهذه ملاحظات ضرورية على هذا الحديث المزعوم:

الأولى، أنه لا يمكن لعاقل أن يصدق حديث بنت ملحان وأمثالها وزعمها أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يزورها في بيتها فتطعمه وتفلي رأسه كابنها أو أخيها كأن رأس النبي (صلى الله عليه وآله) فيه قمل كرؤوس رجالهم! ثم ينام في بيتها قريبا منها وهي امرأة أرملة عزباء أو زوجة لأبي طلحة! ثم يرى في المنام رؤيا تتعلق بها، لم يروها أحد غيرها! فكل ذلك فيه إشكال وغرابة على سلوك النبي (صلى الله عليه وآله) مع امرأة أجنبية، بل على سلوك صحابي عادي يحترم نفسه! لكنك تجد عند الشراح الأمويين العجب العجيب من التخبط والكلام الركيك! فقد تبرع بعضهم وجعل بنت ملحان خالة النبي (صلى الله عليه وآله)! وتبرع آخر وقال إن تلك التصرفات المحرمة حلال للنبي (صلى الله عليه وآله)! وادعى النووي الإجماع على ما استنبطه من أحكام شرعية من الحديث! قال في شرح مسلم: ١٣ / ٥٨: (فيه جواز فلي الرأس وقتل ما فيه... وفيه جواز ملامسة المحرم في الرأس وغيره مما ليس بعبورة، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها، وهذا كله مجمع عليه)! وقال ابن حجر في فتح الباري: ١١ / ٦٥: (وفيه جواز قائلة الضيف في غير بيته بشرطه كالإذن وأمن الفتنة، وجواز خدمة المرأة الأجنبية الضيف بإطعامه والتمهيد له ونحو ذلك... وفيه خدمة المرأة الضيف بتفلية رأسه، وقد أشكل هذا على جماعة فقال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله (ص) أو أختها أم سليم فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة فلذلك كان ينام عندها، وتناول منه ما يجوز للمحرم أن يناله من محارمه). انتهى. وأجابه ابن قدامة في المغني: ١٠ / ٣٧٠: (ولم نر هذا عن أحد سواه! وأظنه إنما قال هذا لأن النبي كان ينام في بيتها وينظر إلى شعرها ولعل هذا كان قبل نزول الحجاب)! وفي مواهب الجليل: ٥ / ١٧: (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام جواز خلوته

بالأجنبية... وقال الشيخ جلال الدين في المباحات: واختص (ص) بإباحة النظر للأجنبيات والخلوة بهن وإردافهن). أي إركابهن خلفه على بعير أو دابة!!
وقال ابن حجر: ٩ / ١٧٤: (والذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي (ص) جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها! وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه! ولم يكن بينهما محرمة ولا زوجية). وقال في: ١١ / ٦٦: (جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم). انتهى.
أقول: كل ما ذكره لا يصح ولا يعقل! فلم تكن بنت ملحان أو الرمضاء أو أم سليم أو أم أنس، محرما على النبي (صلى الله عليه وآله) بل هي أم خادمه أنس وهذا الحديث من تخيلات أو تخيلات ولدها أنس! ويظهر أن أنسا كذبه بعد وفاة أمه في قبرص ولم يروه أحد غيره! ولو كان صحيحا لشاع عنها وعن أنس قبل أن تموت، خاصة وأن عمر حرم غزو البحر ولم يستجب للضغوط عليه وحاجة المسلمين اليه، وعاقب عليه العلاء الحضرمي لأنه جاء بسفن من البحرين وفتح قسما من جنوب إيران، وكان أنس وأمه موجودين يومذاك في المدينة، فلماذا لم يقولوا لعمر إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مدح غزاة البحر وبشر أم أنس أنها منهم!
إن مشكلة هؤلاء الشراح أنهم فرضوا صحة الحديث لأن فيه منقبة لمعاوية ن ولأن البخاري رواه! ولولا ذلك لتنازلوا عنه وانتقدوه!
الثانية، أن نصوص الحديث المزعوم متفاوتة إلى حد التناقض كالذي رواه الطبراني في الكبير: ٢٥ / ١٣٢: (أنس بن مالك عن بنت ملحان قالت: كنت نائمة عند النبي (ص) وأنا منه غير بعيدة فاستيقظ وهو يسبح فسألته فقال... الخ. فقد تغير مشهد القصة، وصارت هي النائمة في بيت النبي (صلى الله عليه وآله)!! الخ.

الثالثة، المتهم عندنا في الحديث ابنها أنس بن مالك فقد كان عمره عندما هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة عشر سنين، فاستأجره النبي (صلى الله عليه وآله) خادما ثم طلب الأنصار أن لا ينفرد بخدمته، فكان يخدمه كل يوم شاب من الأنصار، وكان منزل أنس وأمه في قباء وليس في المدينة وكانت تكنى أمه (أم سليم) وهي رملة بنت ملحان وتلقب بالرمضاء، والرمض مرض في العيون، وكانت أرملة فخطبها أبو طلحة الأنصاري فقالت: (لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله أمني عني خيرا لقد أحسنت ولايتي). (الطبقات: ٨ / ٤٢٦) فتزوجته عندما كبر أنس، وزعم أنس أن صداق أمه كان أن يسلم أبو طلحة، ثم طلقها أبو طلحة لأنه توفي بعدها سنة ٥١، فتزوجت عبادة بن الصامت وتوفيت كما روي في قبرص نحو الثلاثين هجرية.

وزعم أنس أن أمه تدخل الجنة قبل النبي (صلى الله عليه وآله)! روى عنه (صلى الله عليه وآله): (دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا؟ قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك) (صحيح مسلم: ٧ / ١٤٥، ومسند أحمد: ٣ / ٩٩، و ١٠٦ / ١٢٥، والطبقات: ٨ / ٤٣٠، وأوسط الطبراني: ٢ / ٣٦٨، وفيه: ورأيت أم سليم بنت ملحان في الجنة، وفضائل الصحابة للنسائي / ٨٥، وشرح مسلم للنووي: ١٦ / ١١، وفسر الخشفة بحركة المشي وصوته، ومنتخب عبد بن حميد / ٣٩٩، وفيض القدير: ٣ / ٦٩٠، وفيه أنه رآها في الجنة مرتين! وكنز العمال: ١٢ / ١٤٦، وقال: (حم، م، عن أنس). أما بخاري فجعل ذلك مناما: ٤ / ١٩٨، قال: (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا؟ فقال هذا بلال. ورأيت قصرا بفنائيه جارية فقلت لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك! فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله عليك أغار!! ثم إن أنس اعترف في حديث الطير بأنه كذب ثلاث مرات ففي المستدرک: ٣ / ١٣٠: (عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقدم لرسول الله فرخ مشوي

فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فقلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار، فجاء علي فقلت إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقلت إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله: ما حبسك علي؟ فقال إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة! فقال: ما حملك علي ما صنعت؟ فقلت يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلا من قومي! فقال رسول الله: إن الرجل قد يحب قومه! هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفسا!... ثنا ثابت البناني أن أنس بن مالك كان شاكيا فأتاه محمد بن الحجاج يعوده في أصحاب له، فجرى الحديث حتى ذكروا عليا فتنقصه محمد بن الحجاج فقال أنس: من هذا أقعدوني فأقعدوه، فقال: يا ابن الحجاج لا أراك تنقص علي بن أبي طالب! والذي بعث محمدا بالحق لقد كنت خادم رسول الله بين يديه، وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي، فجاءت أم أيمن مولاة رسول الله بطير فوضعت بين يدي رسول الله فقال رسول الله: أم أيمن ما هذا الطائر؟ قالت هذا الطائر أصبته فصنعت لك، فقال رسول الله: اللهم جئني بأحب خلقك إليك والي يأكل معي من هذا الطائر! وضرب الباب فقال رسول الله: يا أنس أنظر من على الباب، قلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار، فذهبت فإذا علي بالباب، قلت: إن رسول الله على حاجة، فجئت حتى قمت مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب فقال: يا أنس أنظر من على الباب فقلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار فذهبت فإذا علي بالباب، قلت: إن رسول الله على حاجة، فجئت حتى قمت مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب فقال رسول الله: يا أنس إذهب فأدخله، فلست بأول رجل

أحب قومه ليس هو من الأنصار! فذهبت فأدخلته فقال: يا أنس قرب إليه الطير، قال فوضعت بين يدي رسول الله فأكلا جميعا! قال محمد بن الحجاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم. قال أعطي بالله عهدا أن لا انتقص عليا بعد مقامي هذا، ولا أعلم أحدا ينتقصه إلا أشنت له وجهه!! (راجع أمالي الصدوق / ٧٥٣ واعتراف أنس بكذبه ودعاء علي (عليه السلام) عليه. ونفحات الأزهار للسيد الميلاني: ١٣ / ١٦، وهو مجلد خاص بحديث الطائر المشوي وعجائبه، وعجائب القوم فيه).

وفوق شهادة أنس على نفسه وكلامه غير المعقول عن تعامل النبي (صلى الله عليه وآله) مع والدته، شهادة الإمام محمد الباقر عليه بأنه يكذب للحكام! قال (عليه السلام): (إن أول ما استحل الأمرء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه سمر يد رجل إلى الحائط! ومن ثم استحل الأمرء العذاب!) (علل الشرائع: ٢ / ٥٤١).

الرابعة، لو سلمنا صحة الحديث المزعوم وأن معاوية كان في غزوة قبرص، فإن أول من غزا في البحر ليس هو بل العلاء بن الحضرمي عامل النبي (صلى الله عليه وآله) على البحرين! فقد اتفقت مصادر الحديث والسيرة على أن عمر كان يخاف من ركوب البحر فنهى عنه، لكن العلاء الحضرمي (رحمه الله) خالفه فغزا فارس بالسفن من البحرين وفتح الأهواز واصطخر، فغضب عليه عمر وعزله!

ففي تاريخ الطبري: ٣ / ١٧٧: (واستعمله عمر ونهاه عن البحر فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما، فندب أهل البحرين إلى فارس فتسرعوا إلى ذلك، وفرقهم أجنادا على أحدهما الجارود بن المعلى، وعلى الآخر السوار بن همام، وعلى الآخر خليلد بن المنذر ابن ساوى، وخليد على جماعة الناس، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازيا، يكره التغرير بجنده استنانا بالنبي (ص) وبأبي بكر! لم يغز فيه النبي (ص) ولا أبو بكر،

فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا في إصطخر وبإزائهم أهل فارس، وعلى أهل فارس الهربذا اجتمعوا عليه، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس فقال: أما بعد فإن الله إذا قصي أمرا جرت به المقادير حتى تصيبه، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم، وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، فأجابوه إلى ذلك، فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في موضع من الأرض يدعى طاوس، وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ويقول:

يا آل عبد القيس للقراع * قد حفل الإمداد بالجراع
وكلهم في سنن المصاع * بحسن ضرب القوم بالقطاع....

ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في روعه نحو من الذي كان، فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه بتأمير سعد عليه! وقال: إحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك فخرج بمن معه نحو سعد، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك! فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا، فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا. فندب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر، فانتدب عاصم ابن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن، ومجزأة بن ثور ونهار بن الحارث....). انتهى.

وتصور هذه الرواية أن جيش العلاء قد علق داخل فارس، لكن روايات أخرى ذكرت أنه انتصر في تلك المعركة المهمة، وفتح مدنا وكتب مع أهلها عهد

الصلح ومنها إصطخر. وهو خارج عن موضوعنا. كما أن رواياتهم في أن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن الغزو في البحر تكذبها رواية بخاري موضوع البحث، بل كل القضية أن أبا بكر وعمر كانا يخافان من البحر! وقد روت عامة مصادرهم غزوة العلاء مثل: الطبقات: ٤ / ٣٦١، وتاريخ دمشق: ٦٠ / ٣٧، وأسد الغابة: ٤ / ٧، وسير الذهبي: ١ / ٢٦٤، والإصابة: ٢ / ٢٨٨، وفتوح البلاذري: ١ / ١٠٤، والنهاية: ٧ / ١٤٦، وابن خلدون: ٧ / ٢٤٠، وحلية الأولياء: ١ / ٨، والاستيعاب: ٣ / ١٠٨٧، والمنتظم: ٤ / ٢٤٢، والاكتفاء من مغازي رسول الله للكلاعي: ٤ / ٣١٧، والتراتب الإدارية: ١ / ٣٧٠، وغيرها).

فأين ذهبت منقبة معاوية وغزوته المزعومة، التي كانت بعد غزوة العلاء بعشر سنين وأكثر! لأنها في سنة ٢٨ عندما أذن لهم عثمان بركوب البحر! لكن عين محبي معاوية لم تنكسر بغزوة العلاء، فتراهم يصرون على تعسفهم ليجعلوا معاوية أول من غزا في البحر! قال ابن حجر في فتح الباري: ١١ / ٦٣ و: ٦ / ٥٧: (ومعاوية أول من ركب البحر للغزاة وذلك في خلافة عثمان).

مع أنه شكك بعدها في أن معاوية قائد الغزوة أم لا؟ قال في: ١١ / ٦٥: (في حديث أم حرام أن أمير الغزوة كان معاوية وفي رواية أخرى أن أميرها كان المنذر بن الزبير). انتهى. وكذا شكك فيه ابن عبد البر قال في الإستيعاب: ٤ / ١٩٣١: (ويقال إن معاوية غزا تلك الغزاة بنفسه، ومعه أيضا امرأته فاختة بنت قرظة). وفي النجوم الزاهرة: ١ / ٢٣٥ عن موسى بن نصير: (في سنة تسع عشرة ولاء معاوية بن أبي سفيان غزو البحر فغزا قبرس وبني بها حصونا).

الخامسة، الصحيح أن معاوية لم يكن قائدا لأي غزوة أو معركة في الفتوحات ولا غيرها، ولا شارك في قتال أبدا حتى في صفين! ويشير النص التالي إلى أن معاوية كان في غزوة قبرص ينتظر الجيش في الساحل بطرسوس!

ففي مسند الشاميين للطبراني: ٢ / ٧٣ عن جبير بن نفير قال: (أخرج معاوية غنائم قبرس إلى الطرسوس من ساحل حمص، ثم جعلها هناك في كنيسة يقال لها كنيسة معاوية، ثم قام في الناس فقال: إني قاسم غنائمكم على ثلاثة أسهم: سهم لكم، وسهم للسفن، وسهم للقبط، فإنه لم يكن لكم قوة على غزو البحر إلا بالسفن والقبط. فقام أبو ذر فقال: بايعت رسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم: أتقسم يا معاوية للسفن سهمًا وإنما هي فيؤنا، وتقسم للقبط سهمًا وإنما هم أجراؤنا، فقسمها معاوية على قول أبي ذر). (ونحوه في: ٢ / ١٢٠، وتاريخ دمشق: ٦٦ / ١٩٣، وحلية الأولياء: ٥ / ١٣٤، وغيرها). ولهذا فإن تسمية فتح قبرص بالغزوة غير دقيق، فأهل قبرص لم يكونوا يريدون الحرب فذهب جنود المسلمين لعرض قوتهم وكتابة عقد الصلح وجاؤوا بهدايا أو غنائم.

ويؤيد ذلك أن الروم بعد معركة اليرموك أصابهم انهيار واسع، شمل سوريا وفلسطين ومصر، فهو يشمل قبرص التي تقابل طرابلس وحمص وهي قريبة من الساحل حتى أنه قد يسمع منهما صياح ديوكها، وكانت معركة اليرموك قرب حمص، حيث برز بطل اليرموك المظلوم مالك الأشتر (رحمه الله) إلى ماهان بطل الروم الذي يعد بألف فارس، فهزمه وقلب ميزان المعركة وانهزم الروم هزيمة شنيعة!

وقد اتفق المؤرخون والمحدثون على أنه: (لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده، هرب من أنطاكية إلى قسطنطينية، فلما جاوز الدرب قال: عليك يا سورية السلام! ونعم البلد هذا للعدو، يعني أرض الشام لكثرة مراعيها. وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة). (فتوح البلاذري: ١ / ١٦٢ وتاريخ الطبري: ٢ / ٢٩٣، و ٦٢٨).

وقد وصف الواقدي في فتوح الشام: ٢ / ٥، انهيار الروم وهروب هرقل من أنطاكية

إلى عاصمته القسطنطينية وخوفه من مهاجمة المسلمين لها، وهو يدل على أن التوغل في بلاد الروم كان مفتوحاً أمام المسلمين. قال الواقدي: (إن الملك هرقل لما ركب البحر وخرج من أنطاكية ووصل إلى قسطنطينية، قصدته الروم من كل مكان من المنهزمين وغيرهم، وبلغه أن أنطاكية قد فتحت صلحاً وأنه قتل من كان فيها من المقاتلة، فصعب عليه وبكى ثم قال: السلام عليك يا أرض سوريا إلى يوم اللقاء! وقد تجمع عنده من البطارقة والحجاب وغيرهم خلق كثير فقال لهم: إني أخاف من العرب أن ترسل في طلبنا، ثم إنه جهز ثلاثين ألفاً مع ثلاثة بطارقة، وأمرهم أن يحفظوا له الدروب). انتهى.

وعليه فلم تكن للروم مقاومة للمسلمين في قبرص وحتى في أنطاكية وغيرها. قال ابن قدامة في الخراج / ٣٠٦: (وذلك في سنة ثمان وعشرين فلما صار المسلمون إلى قبرص فأرّقوا (.)) إلى ساحلها، بعث إليهم صاحبها يطلب الصلح وأذعن أهلها فصالحهم معاوية على سبعة آلاف ومائتي ديناراً يؤدونها في كل سنة، وفارقهم الروم على مثل ذلك، واشترط المسلمون عليهم مع أداء الإتاوة النسيحة وإنذار المسلمين بسير الروم إليهم). (ونحوه: ٢ / ٢١٩، والإستقصاء: ١ / ٩٤، والطبري: ٣ / ٣١٨، وفيه: وعليهم أن يؤذّنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم وعلى أن ييطرق إمام المسلمين عليهم منهم).

السادسة، زعموا في بعض التفاسير أن معاوية اكتشف أهل الكهف في غزوته للروم! وقد اتضح كذب ذلك بما تقدم، ولا نطيل فيه. راجع الكشاف: ٢ / ٤٧٦، تفسير الرازي: ٢١ / ١١٣، وتفسير القرطبي: ١٠ / ٣٨٩.

* *

قائمة بفعاليات معاوية لبيعة يزيد وقمع المعارضين
١ - بدأ معاوية بالتمهيد (لبيعة) يزيد بقتل المعارضين الذين يمكن أن يعرقلوا مشروعه،
واستعرضنا عددا منهم في المجلد الثاني. ثم قام بتأمير يزيد على الحج كما أعطاه دورا
في قصره، فكان يقبل رأيه ويأمر بتنفيذ أوامره.
وآخر ما أعد به يزيد لانشغاله بالشرب والجوارح في دير مران، فطال انتظار جنود الفتح لقائدهم
يزيد حتى هلك العديد منهم بالجوع والطاعون، كما تقدم!
٢ - كانت أكبر عقبة أمامه وجود الإمام الحسن (عليه السلام) فما أن تمكن من قتله
حتى شرع بأخذ البيعة ليزيد: (كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن
وعرض بها ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن). (الإستيعاب: ١ /
١٤٢).

أقول: اتفق المؤرخون على أن شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) كانت سنة خمسين
للهجرة، ولا يعبأ بالقول الشاذ أنها في سنة تسع وأربعين.
كما اتفقوا على أن معاوية جاء إلى المدينة في عمرة رجب لأخذ البيعة ليزيد، واختلفوا
في سنة مجيئه في رجب، فالمشهور كما في الطبري: ٤ / ٢٢٣، وابن الأثير: ٣ /
٣٤٩، وتاريخ دمشق: ٥٩ / ١٢٠، وغيرهم أن سفره كان في سنة ست وخمسين،
وروى ابن الأعمش: ٤ / ٣٣٢ أن معاوية كان في هذه المدة: (يروض الناس في كل سنة
وفي كل موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد فلم يزل على ذلك سبع سنين).
لكنني أرجح رأي ابن خياط ١٦٠، والسيوطي في تاريخ الخلفاء / ١٥٣، أن سفرة

معاوية كانت في رجب سنة ٥١، فوفاة عبد الرحمن بن أبي بكر كانت عند منصرف معاوية إلى الشام، وقد نص عدد على أنها سنة إحدى وخمسين، قال ابن حجر في أسد الغابة: ٤ / ٩٩: (وتوفي بالمدينة سنة إحدى وخمسين وقيل سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين... والصحيح أنه توفي بعد الخمسين لأن محمد بن سيرين روى أنه كلم معاوية بكلام شديد لما أراد البيعة ليزيد). وكذلك قال في عمرو بن زيد الأنصاري، وقال المزي في تهذيب الكمال: ١٦ / ٥٦٠ بعد نقل الأقوال في وفاة عبد الرحمن: (وقال أبو زرعة الدمشقي: توفي بعد منصرف معاوية من المدينة في قدمته التي قدم فيها لأخذ البيعة... ثم توفيت عائشة بعد ذلك بيسير..).

. انتهى. وهذا يتناسب مع عجلة معاوية في أخذ البيعة ليزيد، فقد قتل عبد الرحمن بن خالد سنة ثلاث وأربعين، وفي أبعء الأقوال سنة ست وأربعين (الطبري: ٤ / ١٧٢). فالنتيجة - أن معاوية قتل الإمام الحسن (عليه السلام) في صفر سنة خمسين، ثم حج في تلك السنة واستمزج رأي الصحابة والشخصيات، ثم عاد في رجب من سنة إحدى وخمسين لأخذ البيعة ليزيد.

٣ - بدأ بأخذ البيعة من أهل الشام بمساعدة رجال القصر، خاصة وزيره الخاص الضحاك بن قيس، فأحضر وجوه الناس وتكلم وذكر ما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله في قريش وعلمه بالسياسة، فعارضه الضحاك بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين إنه لا بد للناس من وال بعدك وولي عهدك، فإنه قد بلونا الجماعة والفرقة فوجدنا الجماعة والألفة أحقن للدماء وآمن للسبل وخيرا في العاجلة والآجلة، والأيام عوج رواجع ولله في كل يوم أمر وشأن ولا تدري ما يختلف به العصران وينقلب فيه الحدثان، ويزيد ابن أمير المؤمنين في هديه وقصد سيرته من أفضلنا حلما وأكرمنا علما، فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك

يكون مفرعاً نلجأ إليه، وخليفة نعول عليه تسكن به القلوب ونأمن به الفتن. وقام عمرو بن سعيد الأشدق وقال: أيها الناس والله إن يزيد لطويل الباع واسع الصدر رفيع الذكر، إن صرتم إلى عدله وسعكم، وإن لجأتم إلى جوده أغناكم، وهو خلف لأمير المؤمنين ولا خلف منه. فقال له معاوية: أجلس أبا أمية فقد أوسعت وأحسننت). (فتوح ابن الأعمش بتصريف بسيط: ٤ / ٣٣٣). (فقال معاوية للضحاك بن قيس: إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع إلى بيعته فإني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عضاة الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه، فلما كان من الغد قعد معاوية فأعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وأن ذلك دعاه إلى أن يوليه عهده، ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه إلى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية: اعزم على ما أردت، ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عضاة الأشعري وثور بن معن فصدقوا قوله). (مروج الذهب / ٦٨٣).

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٣٥: (قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق وفيهم الأحنف بن قيس، دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له إذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني إلى توليته من بعدي، فإني رأيت وأجمعت على توليته فأسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء...).

٤ - أجبر معاوية شخصيات بني أمية المنافسين ليزيد على أن يبائعوه أمام

الناس وكان أبرزهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر بن كريز: (كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكينا الدارمي ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر، فأمر يزيد مسكينا أن يقول أبياتا وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلا وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشرف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول إن أدع مسكينا فإني ابن معشر* من الناس أحمي عنهم وأذود إليك أمير المؤمنين رحلتها* تثير القطا ليلا وهن هجود وهاجرة ظلت كأن طباءها* إذا ما اتقتها بالقرون سجود ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر* ومروان أم ماذا يقول سعيد بني خلفاء الله مهلا فإنما* يبوئها الرحمن حيث يريد إذا المنبر الغربي خلاه ربه* فإن أمير المؤمنين يزيد على الطائر الميمون والجد صاعد* لكل أناس طائر وجدود فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تنزل* وفود تساميهما إليك وفود ولا زال بيت الملك فوقك عاليا* تشيد أطناب له وعمود قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها* أثاف كأمثال الرئال ركود فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله! قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته). (الأغاني: ٢٠ / ٢٢٧).

٥ - استقدم معاوية إلى الشام وفودا من العراق ومصر من رؤساء القبائل والشخصيات (فكتب إلى أهل الأمصار أن يقدموا عليه فقدم عليه قوم من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مكة والمدينة وأهل مصر والجزيرة ومن جميع البلاد) فخطب فيهم وبين صفات يزيد وميزاته وخطبوا مؤيدين متملقين وبايعوا، وأعطى معاوية لقب (سيد الخطباء) ليزيد بن المقنن الكندي لأنه اختصر خطبته فجرد سيفه وقال: (أيها الناس، إن أمير المؤمنين هذا وأشار بيده إلى معاوية. فإذا مات فوارث الملك هذا وأشار بيده إلى يزيد، فمن أبي فهذا وأشار بيده إلى السيف! فقال له: أجلس فأنت سيد الخطباء). (الكامل: ٣ / ٣٥٢، والمستطرف: ١ / ١٣٨ والعقد الفريد / ١٠٨٢، والبيان والتبيين / ١٤٠، ونهاية الإرب / ٤٤٦٦، وفتوح ابن الأعمش: ٤ / ٣٣٣).

٦ - أرسل إلى عماله في مصر والكوفة والبصرة أن يأخذوا البيعة ليزيد، فأخذوها تحت السيف ولم تواجههم عقبة مهمة.

٧ - حج معاوية سنة ٥٠ واستمزع الصحابة في المدينة لبيعة يزيد بولاية العهد وكانت له مع كبارهم مناقشات صريحة، لكنه لم يطرح ذلك عليهم وأراد أن يكمل التمهد بعد قتل الإمام الحسن (عليه السلام) بتلميع يزيد بغزوة القسطنطينية! (وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة، وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة). (تاريخ (اليعقوبي: ٢ / ٢٢٨، ثم ذكر تخلف يزيد عن الغزو وشعره في ذلك).

وفي تاريخ دمشق: ٦٥ / ٤٠٦: (وأقام الحج يعني سنة خمسين يزيد بن معاوية بعد أن قفل من أرض الروم... لما حج الناس في خلافة معاوية جلس يزيد بالمدينة على شراب.. وذكر قصته المتقدمة مع الإمام الحسين (عليه السلام))!

(ثم أرسل إلى عبد الله بن الزبير فدعاه ثم شاوره في أمر يزيد، فقال له: يا أمير المؤمنين! أنا أناجيك ولا أناديك وإن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تقدم

وفكر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم والتفكير قبل التندم. قال: فتبسم معاوية ضاحكا ثم قال: يا بن أخ! إنك تعلمت السجاعة على رأس الكبر إن دون ما سجعت به على أخيك يكفيك. قال: ثم أرسل إلى الأحنف بن قيس فدعاه، ثم شاوره في أمر يزيد فقال: يا أمير المؤمنين! إننا نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا ولكن عليك بغيري. قال: فأمسك عنه معاوية وجعل يروض الناس في كل سنة وفي كل موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد). (فتوح ابن الأعمش: ٤ / ٢٣١).

(ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذه الأمة فلا تشاور الناس فيه وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب. واعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما وإلى ما هما، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. قال صاحب العقد: فتفرق الناس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف). (جمهرة خطب العرب: ٢ / ٢٤٥).

وما أن تم له قتل الإمام الحسن (عليه السلام) في شهر صفر سنة ٥٠ ورتب غزوة يزيد المزورة، حتى بدأ بأخذ البيعة ليزيد في الشام وغيرها، وأرسل إلى مروان عامله على المدينة أن يأخذ له البيعة من الصحابة والأنصار، فحاول معهم فرفضوا وثار عليه مشاكل خاصة مع عبد الرحمن بن أبي بكر وعائشة وابن الزبير، فكتب إلى معاوية برفضهم فعزله وعين مكانه سعيد بن العاص، فترك مروان المدينة مغاضبا! وبذل سعيد كل جهده: (دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدّة وسطا بكل من أبطأ عن ذلك! فأبطأ الناس عنها إلا اليسير لا سيما بني هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد، وكان ابن الزبير من أشد الناس

إنكاراً لذلك وردا له). (الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٥٣).

٨ - كتب سعيد بن العاص بذلك إلى معاوية فكتب معاوية إلى المعارضين الأربعة: الإمام الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير يطلب منهم البيعة ليزيد وخلط فيها اللين بالشدّة، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ويبحث بجواباتها). (الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٥٣).

٩ - لم يستطع سعيد بن العاص ولا رسائل معاوية أن تقنع الصحابة والأنصار ببيعة ليزيد، وعارضوا ذلك بشدة لأن يزيد فاسق خليع لا يجوز توليته على المسلمين (فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية: أما بعد: فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ، وإني أخبرك ان الناس عن ذلك بطاء لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره. وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلا بالخيال والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك والسلام). (الإمامة والسياسة: ١ / ١٥٣).

١٠ - قصد معاوية المدينة بنفسه غاضبا في ألف فارس فاستقبله شخصيات الصحابة لكنه كان معهم متتمردا شرسا يشتم ويهدد من لا يبايع يزيد! (وفي هذه السنة اعتمر معاوية في شهر رجب وسار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسن بن علي رضي الله عنهما أول الناس، فلما نظر إليه معاوية قال: لا مرحبا ولا أهلا! بدنة يترقرق دمها والله مهريقه! قال: مهلا فإنني لست بأهل لهذه المقالة! قال بلى ولشر منها. ثم لقيه عبد الله بن الزبير فقال له: لا مرحبا ولا أهلا! خب صب تلعة يدخل رأسه فيضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه

ويدق ظهره، نحياه عني فضرب وجه راحلته! ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له معاوية: لا مرحبا ولا أهلا! شيخ قد خرف وذهب عقله. ثم أمر بضرب وجه راحلته. ثم فعل بابن عمر نحو ذلك. فأقبلوا معه لا يتلفت إليهم حتى دخل المدينة). (نهاية الإرب / ٤٤٦٧).

وفي اليوم الأول: (دخل على عائشة وكان قد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه وقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا فشكاهم إليها فوعظته وقالت له بلغني أنك تتهددهم بالقتل فقال يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم أفترين أن أنقض بيعته قد تمت قالت فافرق بهم فإنهم يصيرون إلي ما تحب إن شاء الله قال أفعل). (كامل ابن الأثير: ٣ / ٣٥٣).

وفي اليوم الأول أيضا استدعى معاوية الإمام الحسين (عليه السلام) وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر، واستعمل معهم كل دهائه لكنه لم يستطع إقناعهم ببيعة يزيد بل كان ردهم شديدا واصطدم بعبد الرحمن بن أبي بكر بشدة! وقد نقل اليعقوبي: ٢ / ٢٢٨، كلمتين لابن عمر وابن الزبير نرجح أنهما قالاهما في سفرة معاوية هذه: (وقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق! ما حجتنا عند الله؟! وقال عبد الله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية خالق، وقد أفسد علينا ديننا). انتهى.

وفي اليوم الثاني جلس معاوية مجلسا رسميا، وبدأه بخلوة مفردة مع بني عبد مناف الذين يعتبرهم مع بني أمية العائلة المالكة في قريش، ولا يرضى أن يقيسهم بغيرهم كابن عمر العدوي، أو ابن أبي بكر التيمي، أو ابن الزبير من أسد عبد العزى! (فلما كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاه من أهله، ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد

أسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلى وتعطر فقعد على سريره وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس وإن قرب، ثم أرسل إلى الحسين ثم جلس معاوية صبيحة اليوم الثاني، وأجلس كتابه بحيث يسمعون ما يأمر به وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس وإن قرب، ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم أقعده في الفراش عن يساره فحادثه مليا ثم قال: يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال ابن عباس: نعم أصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافي عن الكل أوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجاورة، ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع، حتى أقبل الحسين بن علي فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم، فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة، فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن وأسنانهم فأخبره ثم سكت. قال ثم ابتدأ معاوية فقال: أما بعد فالحمد لله ولي النعم ومنزل النقم وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي عما يقول الملحدون علوا كبيرا وأن محمدا عبده المختص المبعوث إلى الجن والإنس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فأدى عن الله وصدع بأمره وصبر على الأذى في جنبه حتى وضع دين الله وعز أولياؤه وقمع المشركون وظهر أمر الله وهم كارهون، فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بذل له، واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختيارا لله وأنفة واقتدارا على الصبر، بغيا لما يدوم ويبقى، فهذه صفة الرسول (ص) ثم خلفه رجلا ن محفوظان وثالث مشكور وبين ذلك خوض طال ما عالجنه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا. وأنا أعلم منه

فوق ما تعلمان، وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين وأحمد الفعل، هذا معناني في يزيد. وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب، وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاس من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة، فقادهم الرجل بأمره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيأهم وقال فلم يقل معه. وفي رسول الله أسوة حسنة، فمهلا بني عبد المطلب فأنا وأنتم شعبا نفع وجد، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما فما يقول القائل إلا بفضل قولكما، فردا على ذي رحم مستعتب، ما يحمد به البصيرة في عتابكما وأستغفر الله لي ولكما.

قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين وقال على رسلك فأنا المراد ونصيبي في التهمة أوفر، فأمسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال: أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وإن أطب في صفه الرسول (صلى الله عليه وآله) من جميع جزاء، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ النعت! وهيئات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل. وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة

محمد (صلى الله عليه وآله) تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص! وقد دل ذلك من نفسه على موقع رأيه فنخذ ليزيد فيما أخذ فيه من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السابق لأترابهن، والقيان ذوات المعارف وضرب الملاهي، تجده باصرا، ودع عنك ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور وحقنا في ظلم حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص! ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ومنعتنا عن آبائنا تراثا! ولقد لعمر الله أورثنا الرسول (صلى الله عليه وآله) ولادة. وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول فأذعن للحجة بذلك ورده الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل وقتلتم كان ويكون حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار! وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتأميره له وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له، وما صار لعمر الله يومئذ مبعثهم حتى أنف القوم إمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه أفعاله فقال (صلى الله عليه وآله): لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري، فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحكام، وأولاها المجمع عليه من الصواب، أم كيف صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك! إن هذا لهو الخسران المبين، وأستغفر الله لي ولكم. قال فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال: ما هذا يا بن عباس، ولما عندك أدهى

وأمر! فقال ابن عباس: لعمر الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء وفي البيت المطهر قالة عما تريد، فإن لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين. فقال معاوية: أعود الحلم التحلم، قال: وخيره التحلم عن الأهل انصرفا في حفظ الله. ثم أرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه معاوية ثم قال: يا عبد الله بن عمر قد كنت تحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة وأن لك الدنيا وما فيها! وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملئهم وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم، وقد وكد الناس بيعتهم في أعناقهم وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم، ثم سكت. فتكلم عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا معاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، فلم يحابوا في هذا الأمر أحدا ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين وأفرق ملأهم وأسفك دماءهم، ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله، ولكن إن استقام الناس فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد. فقال معاوية: يرحمك الله ليس عندك خلاف. ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر نحو ما قاله لعبد الله بن عمر، فقال له عبد الرحمن: إنك والله لوددت أنا نكلك إلى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد، والذي نفسي بيده لتجعلنها شورى أو لأعيدنها جذعة، ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف رداءه ثم قال: على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت! ثم قال له: لا تظهرن لأهل الشام فإني أخشى عليك منهم! ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر، ثم قال له: أنت ثعلب رواغ كلما

خرجت من حجر انجحرت في آخر! أنت ألبت هذين الرجلين وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه! فقال ابن الزبير: أتريد أن تباع ليزيد، أرأيت إن بايعناه أيكما نطيع أنطيعك أم نطيعه! إن كنت مللت الخلافة فأخرج منها وباع ليزيد فنحن نبايعه، فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية في بعض كلامه: والله ما أراك إلا قاتلا نفسك ولكأني بك قد تخبطت في الحباله، ثم أمرهم بالانصراف، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج، ثم خرج فأمر المنادي أن ينادي في الناس أن يجتمعوا لأمر جامع فاجتمع الناس في المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال: يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت إليها في بيعته فبايع الناس جميعا وسلموا، وأخرت المدينة بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا أخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كانوا أجدر أن يصله، ووالله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لباعته له. فقام الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أبا وأما ونفسا! فقال معاوية كأنك تريد نفسك؟ فقال الحسين: نعم أصلحك الله. فقال معاوية: إذا أخبرك، أما قولك خير منه أما فلعمري أمك خير من أمه، ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قریش لكان لنساء قریش فضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله، ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأملك لعمر الله خير من أمه، وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ففضى لأبيه على أبيك، فقال الحسين: حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل! فقال معاوية: وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك، فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني! فقال معاوية: مهلا عن شتم ابن عمك فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك! ثم التفت معاوية إلى الناس وقال: أيها

الناس قد علمتم أن رسول الله قبض ولم يستخلف أحدا فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الإنصاف. قال: وذكروا أن عبد الله بن الزبير قام إلى معاوية فقال: إن رسول الله قبض فترك الناس إلى كتاب الله فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، ثم رأى أبو بكر أن يستخلف عمر وهو أقصى قريش منه نسبا، ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين، وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك، فإن شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لأنفسهم، وإن شئت أن تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم وإن شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطا من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل. فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهبا إلى منزله. (الإمامة والسياسة: ١ / ١٦١، وفي طبعة: ١ / ١٤٩، و: ١ / ٢١٠).

أقول: ذكر ابن قتيبة هنا أن معاوية وكل بكل رجل منهم شخصين من حرسه وأمرهم أن يضربوا عنقه إن رد عليه بكلمة، وخطب وأعلن أنهم جميعا بايعوا يزيدا فلم يستطيعوا عمل شيء! لكن الصحيح أن هذه العملية كانت في مكة، ومن البعيد أن معاوية كررها. بل سافر إلى مكة وهو غاضب، وكان المعارضون سافروا قبله لعمره رجب، فاخترع لهم البيعة المزورة تحت السيف كما سيأتي!

هذا، وفي خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) مواضع مهمة لا يتسع المجال لبحثها.

ويظهر أن ما رواه ابن الأثير وغيره من خطبة معاوية كان في ذلك المجلس: (وخطب معاوية في المدينة فمدح يزيدا وقال: من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟! وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيهم بوائق تحث أصولهم، وقد أنذرت إن أغنت النذر! ثم أنشد متمثلا:

قد كنت حذرتك آل المصطلق * وقلت يا عمرو أطعني وانطلق
إنك إن كلفتني ما لم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق
دونك ما استسقيته فأحس وذق).

(كامل ابن الأثير: ٣ / ٣٥٣، ونهاية الإرب / ٤٤٦٨).

وفي الإصابة لابن حجر: ٤ / ٢٧٦: (خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد فكلمه الحسين بن علي وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فقال له عبد الرحمن: أهرقلية؟ كلما مات قيصر كان قيصر مكانه! لا نفعل والله أبدا! وبسند له إلى عبد العزيز الزهري قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بعد ذلك بمائة ألف فردها وقال: لا أبيع ديني بدنياي! وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد، وكان موته فجأة من نومه نامها بمكان على عشرة أميال من مكة، فحمل إلى مكة ودفن بها، ولما بلغ عائشة خبره خرجت حاجة (معمرة) فوقفت على قبره فبكت وأنشدت أبيات متمم بن نويرة في أخيه مالك، ثم قالت: لو حضرتك دفنتك حيث مت ولما بكيتك). انتهى.

أي ما بكيتك حتى أخذ بشارك! وقد تقدم في المجلد الثاني أن معاوية قتله بالسم، وأن عائشة ماتت على أثره، الأمر الذي يبعث الشك.

قال ابن الأعمش في الفتوح: ٤ / ٣٣٦: (فطلعت أثقال معاوية ورحل إلى المدينة فلما تقارب منها خرج الناس يلاقونه وفيمن خرج إليه عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي... فصعد المنبر فحمد الله وأثنى

عليه، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته وقال: من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهدية ومذهبه وموضعه من قریش! والله إني لأرى قوما يعيبونه وما أظنهم بمقلعين ولا منتهين حتى يصيبهم مني بوائق تجب أصولهم... قال: ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وقال: والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن! قال: ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله، وبلغ ذلك عائشة فأقبلت حتى دخلت مغضبة عليه وقالت: يا معاوية! ما كفاك أنك قتلت أخي محمد بن أبي بكر وأحرقته بالنار حتى قدمت المدينة وأخذت بالوقعة في أبناء الصحابة وأنت من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة وكان أبوك من الأحزاب! فخبّرني ما كان يؤمنك مني إن أبعث إليك من يقتلك بأخي محمد وأخذ بثأري! قال فقال لها معاوية: يا أم المؤمنين! أما أخوك محمد فلم أقتله ولم أمر بذلك... فقالت عائشة: لعمرى أنت في بيت أمان ولكن بلغني عنك أنك تهددت أخي عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن أخت عبد الله بن الزبير والحسين بن فاطمة، وليس مثلك من يتهدد مثل هؤلاء! فقال معاوية: مهلا يا أم المؤمنين! فهو أعز علي من بصري لكنني أخذت البيعة لابني يزيد وقد بايعه كافة المسلمين أفتريني أنقض بيعة قد ثبتت وتأكدت وأن يخلع الناس عهدهم! فقالت عائشة: إني لا أرى ذلك ولكن عليك بالرفق والتأني... ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه فلما دخل عليه قرب مجلسه ثم قال: يا بن عباس! أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا وأولاهم بمودتنا لأننا بنو عبد مناف وإنما بعد بيننا وبينكم هذا الملك، وقد كان هذا الأمر في تيم وعدي فلم يعترضوا عليهم ولم يظهروا لهم من المباحدة... إلى آخر المناقشات الطويلة.

١١ - خرج معاوية من المدينة غاضبا، بعد أن وزع العطاء المقرر من بيت

المال لقبائل قريش والأنصار، فلم يعط بني هاشم شيئاً! فغاض ذلك ابن عباس فلحقه في الطريق واستعمل معه ديبلوماسيته ومنطقه فأقنعه بأن يعطيهم، ومما قاله له: (نحن بنو عبد مناف وأنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا، وقد مضى أول الأمر بما فيه فأصلح آخره فإنك صائر إلى ما تريد، وأما ما ذكرت من عطيتك إيانا فلعمري ما عليك في جود من عيب وأما قولك: ذهب علي أفترجون مثله؟ فمهلاً يا معاوية رويدا لا تعجل! فهذا الحسين بن علي حي وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبي سواه. فقال معاوية: إني قد قلبت منك يا بن عباس). (فتوح ابن الأعمش: ٤ / ٣٣٨).

١٢ - ثم سافر معاوية إلى مكة فاستقبله شخصياتها ومنهم المعارضون الأربعة الذين كانوا سبقوه إلى العمرة، فغير أسلوبه معهم إلى النقيض وأظهر تجليلهم واحترامهم! قال ابن خياط في تاريخه / ١٦٠: (لما كان قريبا من مكة فلما راح من مر قال لصاحب حرسه: لا تدع أحدا يسير معي إلا من حملته أنا! فخرج يسير وحده حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن علي فوقف وقال: مرحبا وأهلا يا بن بنت رسول الله، سيد شباب المسلمين. دابة لأبي عبد الله يركبها، فأتي بيرذون فتحول عليه. ثم طلع عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: مرحبا وأهلا بشيخ قريش وسيدها وابن صديق هذه الأمة، دابة لأبي محمد فأتي بيرذون فركبه. ثم طلع ابن عمر فقال: مرحبا وأهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين، ودعا له بدابة فركبها، ثم طلع ابن الزبير فقال له: مرحبا وأهلا يا بن حوارى رسول الله وابن الصديق وابن عمه رسول الله، ثم دعا له بدابة فركبها. ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ثم كانوا أول داخل وآخر خارج، ليس في الأرض صباح إلا لهم فيه حباء وكرامة، لا يعرض لهم بذكر شيء مما

هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره إلى الكعبة وأنيخت رواحله، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا: أيها القوم لا تخدعوا إنه والله ما صنع بكم لحبكم ولا كرامتكم وما صنعه إلا لما يريد فأعدوا له جوابا).

وفي فتوح ابن الأعمش: ٤ / ٣٣٨: (وساروا وسار معهم معاوية وجعل يحدثهم ويضاحكهم حتى دخل مكة، ثم بعث إلى كل واحد منهم بصلة سنية وفضل عليهم الحسين بن علي بكسوة حسنة، فلم يقبلها الحسين منه.

وأقام معاوية بمكة لا يذكر شيئا من أمر يزيد، ثم أرسل إلى الحسين فدعاه، فلما جاءه ودخل إليه قرب مجلسه ثم قال: أبا عبد الله! اعلم أني ما تركت بلدا إلا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد، وإنما أخرت المدينة لأنني قلت هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه، ثم إنني بعثت إلى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا أعلم أحدا هو أشد بها منهم، ولو علمت أن لأمة محمد خير من ولدي يزيد لما بعثت له. فقال له الحسين: مهلا يا معاوية! لا تقل هكذا، فإنك قد تركت من هو خير منه أما وأبا ونفسا، فقال معاوية: كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله! فقال الحسين: فإن أردت نفسي فكان ماذا؟ فقال معاوية: إذا أخبرك أبا عبد الله، أما أمك فخير من أم يزيد، وأما أبوك فله سابقة وفضل وقرابته من رسول الله ليست لغيره من الناس، غير أنه قد حاكم أبوه أباك ففضى الله لأبيه على أبيك، وأما أنت وهو فهو والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: من خير لأمة محمد! يزيد الخمر والفجور! فقال معاوية: مهلا أبا عبد الله! فإنك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلا حسنا. فقال الحسين: إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل في ما أقول فيه! فقال له معاوية: أبا عبد الله، انصرف إلى أهلك راشدا واتق الله في نفسك واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته

فإنهم أعداؤك وأعداء أبيك. قال: فانصرف الحسين إلى منزله). انتهى.
كان وراء تغيير معاوية لأسلوبه مع الصحابة المعارضين خطة جهنمية، سجلتها مصادر
الجميع ووصفت كيف احتال عليهم وأعلن بيعتهم بحضورهم تحت التهديد! قال
ابن خياط في تاريخه / ١٦٠: (فدخلوا فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد
علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وصفحني عنكم وحملني لما يكون منكم، ويزيد
بن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس فيكم رأيا، وإنما أردت أن تقدموه
باسم الخلافة وتكونون أنتم الذين تنزعون وتؤمرون، وتجبون وتقسمون لا يدخل
عليكم في شئ من ذلك، فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ فسكتوا، فأقبل علي بن
الزبير فقال: هات يا بن الزبير فإنك لعمرى صاحب خطبة القوم. قال: نعم يا أمير
المؤمنين نخيرك بين ثلاث خصال أيها ما أخذت فهو لك رغبة. قال: لله أبوك
أعرضهن. قال: إن شئت صنعت ما صنع رسول الله وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر
فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة
بعد أبي بكر... قال: فهل عندك غير هذا؟ قال: لا. قال: فأنتم؟ قالوا: ونحن أيضا،
قال: أما لا، فإنني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر، وإنه قد كان يقوم منكم
القائم إلي فيكذبني على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك وأصفح عنه، وإنني قائم بمقالة إن
صدقت فلي صدقي وإن كذبت فعلي كذبي، وإنني أقسم لكم بالله لئن رد علي منكم
إنسان كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلي رأسه، فلا يرعين رجل
إلا على نفسه، ثم دعا صاحب حرسه فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين
من حرسك، فإن ذهب رجل يرد علي كلمة في مقامي هذا بصدق أو كذب فليضرباه
بسييفهما، ثم خرج وخرجوا معه حتى إذا رقي

المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا نستبد بأمر دونهم ولا نقضي أمرا إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد بن أمير المؤمنين من بعده فبايعوا بسم الله، فضربوا على يديه ثم جلس على راحلته وانصرف، فلقبهم الناس فقالوا: فما منعكم أن تردوا على الرجل إذ كذب؟! وفي رواية: فراح معاوية فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له، فقال أهل الشام: لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الناس وإلا ضربنا أعناقهم فقال: مه سبحان الله ما أسرع الناس إلى قریش بالسوء، لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ثم نزل.

فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر، ويقولون: لا والله ما بايعنا. ويقول الناس: بلى لقد بايعتم، وارتحل معاوية فلحق بالشام...

وفي رواية: ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر (عند الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله! فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب رواحله وانصرف، فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلم؟! أرضيتم وأعطيتم وبايعتم؟! قالوا: والله ما فعلنا.

فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل). (تاريخ ابن خياط / ١٦٠، وتاريخ الخلفاء / ١٥٤ والإمامة والسياسة: ١ / ١٦١، وطبعة: ١ / ١٤٩ و: ١ / ٢١٠، والعواصم / ٢٢٣ والمنتظم: ٥ / ٢٨٦، وفتوح ابن الأعمش: ٤ / ٣٣٩).

أقول: هذه روايات المحبين لمعاوية وأمثاله! الذين جعلوهم ميزانا يتولون المسلمين عليهم، ويكفرون الذين يتبرؤون منهم!

إنهم هنا ينسون ما كتبوه في فقههم من أنه لا يصح بيع السلعة بالإكراه وأن أي تصرف تحت الإكراه والإجبار باطل! فيفتون هنا بأن البيعة بالإكراه تحت سيوف الطلقاء في المدينة وتحت سيوف أهل الشام في مكة، شرعية صحيحة!

بل زادوا علاوة فصار إعلان معاوية للبيعة بالحيلة والتزوير صحيحا شرعا حتى مع تكذيب (المبايعين) وصياحهم! فهل يبقى عندك شك في أن الأساس الذي أسسته قريش بعد النبي (صلى الله عليه وآله) باطل ظالم؟!!

١٣ - استعمل معاوية الرشوة على بيعة يزيد كعادته، فقد طلب من المغيرة بن شعبه أن يوفد إليه وفدا يطالبونه ببيعة يزيد فأوفد (أربعين من وجوه أهل الكوفة وأمر عليهم ابنه عروة بن المغيرة فدخلوا على معاوية فقاموا خطباء فذكروا أنه إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد (ص) فقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وتخوفنا الانتشار من بعدك. يا أمير المؤمنين، أعلم لنا علما وحد لنا حدا ننتهي إليه. قال: أشيروا علي، قالوا: نشير عليك بيزيد بن أمير المؤمنين. قال: وقد رضيتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذاك رأيكم؟ قالوا: نعم ورأي من بعدنا، فأصغى (أي أسر) إلى عروة وهو أقرب القوم منه مجلسا فقال: لله أبوك بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال بأربعمائة. قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصة! (تاريخ دمشق: ٤٠ / ٢٩٨، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٣٥٠، ونهاية الإرب / ٤٤٦٤)

* *

وأعطى معاوية شخصيات وفد البصرة جوائز كل واحد مئة ألف درهم، وكان فيهم الحنات التميمي وكان عثمانى الهوى فأعطاه سبعين ألفا: (فرجع إلى معاوية فقال ما ردك يا أبا منازل؟ قال فضحتني في بني تميم أما حسبي صحيح أو لست ذا سن أو لست مطاعا في عشيرتي؟ قال: معاوية بلى، قال: فما بالك خسست بي دون القوم؟ فقال: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في

عثمان بن عفان وكان عثمانيا. قال: وأنا فاشتر مني ديني! فأمر له بتمام جائزة القوم، ووطن في جائزته فحبسها معاوية). أي مات قبل أن يقبضها، وفي رواية مات بعد أسبوع! (تاريخ دمشق: ١٠ / ٢٧٨، وتاريخ الطبري: ٤ / ١٨٠، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٣٢٢ والغارات: ٢ / ٧٥٤، وأنساب الأشراف / ١١٥٤).

* *

وفي مستدرک الحاكم: ٣ / ٤٧٦: (بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال: لا أبيع ديني بدنياي. وخرج إلى مكة حتى مات بها). (وتاريخ دمشق: ٣٥ / ٣٦، والإصابة: ٤ / ٢٧٦، والنهاية: ٨ / ٩٦، وسنن البيهقي: ٨ / ١٥٩، وفيه: (أترون هذا أراد أن ديني إذا عندي لرخيص. وأسد الغابة: ٣ / ٣٠٦ وفصل موت عبد الرحمن على أثرها)!

* *

وفي كامل ابن الأثير: ٣ / ٣٥١: (عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل إلي عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص، وامتنع). انتهى.

وقوله (امتنع) غير صحيح، فقد بايع يزيدا، وقد يكون أعطاه معاوية أكثر! وقد حاول بعضهم أن يوهم أنه رد المئة ألف أو امتنع عن البيعة فأبهموا ذلك، كما في سنن البيهقي: ٨ / ١٥٩، وطبقات ابن سعد: ٤ / ١٨٢ / وسير الذهبية: ٣ / ٢٢٥! لكن البخاري نص على أنه بايع فقال في صحيحه: ٨ / ٩٩: (لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي (ص) يقول ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وأنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله... الخ). ونص في فتح الباري: ١٣ / ٦٠، على أنه أخذ المال، قال: (فأرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم فأخذها..).

* *

الفصل التاسع
مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) في مواجهة معاوية

(٣٦٤)

خط الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) واحد لا يتجزأ!
كان الإمام الحسين دائماً إلى جانب أخيه الحسن (عليهما السلام) في حربه وصلحه،
وهذا مقتضى العصمة التي أخبر عنها جدهما (صلى الله عليه وآله) بأنهما سيد شباب
أهل الجنة، وإمامان قاما بالأمر أو قعدا عنه. وهو مقتضى اعتقاد الإمام الحسين بإمامة
أخيه الحسن (عليهما السلام)، فقد قال له بعد الصلح: (قم فبايع فقام فبايع ثم قال: يا
قيس قم فبايع فالتفت إلى الحسين ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس إنه إمامي، يعني الحسن
(عليهما السلام)). (اختيار معرفة الرجال: ١ / ٣٢٥). و (لما بويع معاوية خطب فذكر
علياً فقال منه ونال من الحسن فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام
فقال: أيها الذائر علياً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر... الخ). (مقاتل
الطالبين / ٤٦).

وقد نصت أحاديث العترة الطاهرة (عليهم السلام) أنه لا يكون إمامان إلا وأحدهما
صامت، ففي بصائر الدرجات / ٥٣٦: (عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله
(عليه السلام): تترك الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلنا: تكون الأرض وفيها إمامان؟ قال:
لا، إلا إمامان أحدهما صامت لا يتكلم ويتكلم الذي قبله. والإمام يعرف الإمام الذي
بعده). (ونحوه / ٥٣١، والكافي: ١ / ١٧٨، ورواه عن الإمام الرضا (عليه السلام): ١ /
٣٢١، وفيه: فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت، ولم يكن ولد له أبو جعفر بعد
فقال لي: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله ويمحق به الباطل وأهله، فولد له
بعد سنة أبو جعفر (عليه السلام)). انتهى.

والمتتبع لسيرة الإمام الحسين يجد مواقفه متحدة مع مواقف أخيه الحسن (عليهما
السلام) وخطهما الوفاء بالصلح واحد، وفي نفس الوقت مواجهة ظلم معاوية وخططه
ضد الإسلام. وهذه مجموعة من مواقفه (عليه السلام):
١ - عرضنا جانباً من مواجهته لمعاوية ورفضه بيعة يزيد.

٢ - وموقفه من عائشة ومروان في جنازة الحسن (عليهما السلام) وقد كان معاوية وراهما!

٣ - موقفه ضد معاوية في حرب صفين، ففي نهج البلاغة: ٢ / ١٨٦: (وقال (عليه السلام) في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن (عليه السلام) يتشرع إلى الحرب: إملكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإنني أنفس بهذين (يعني الحسن والحسين) على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)). (لما رأى علي بن أبي طالب الحسين رضي الله عنهما يسرعان إلى الحرب في بعض أيام صفين قال: أيها الناس إملكوا عني هذين الغلامين فإنني أنفس بهما على القتل، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله (ص)). (شرح النهج: ١ / ٢٤٤، وشرح إحقاق الحق: ١٩ / ٣١٨، عن الإشراف للسمهودي / ٥١، وكشف الغمة: ٢ / ٢٣٥، وفيه: وقيل لمحمد بن الحنفية رحمة الله عليه: أبوك يسمح بك في الحرب ويشح بالحسن والحسين؟ فقال: هما عيناه وأنا يده، والإنسان يقي عينيه بيده). انتهى.

ولالإمام الحسين (عليه السلام) خطبة يحث فيها أهل الكوفة على الجهاد رواها ابن مزاحم في صفين / ١١٥، وشرح النهج: ٣ / ١٨٦، أولها: (يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء والشعار دون الدثار، فجدوا في إحياء ما دثر بينكم...).

٤ - موقفه الثابت مع أخيه (عليهما السلام) في عدم نقض الصلح دخل معاوية الكوفة بجيشه وأعلن أنه يضع كل بنود الصلح تحت قدمه! فغضب عدد من شخصياتها وطالبوا الإمام الحسن (عليه السلام) أن يعلن رد الصلح فلم يستجب لهم، ثم كانوا كلما عضتهم سياسات معاوية يهرعون إلى المدينة ويشتكون إلى الإمام الحسن (عليه السلام) مطالبين بإعلان بطلان الصلح فلا يستجيب لهم، فيذهبون إلى الحسين (عليه السلام) يجدون نفس الرد ويقول لهم: (هذا ما لا يكون ولا يصلح). وبعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) زادت مطالبتهم برد الصلح وجهاد معاوية، وجاءت وفودهم وكتبهم إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وكان جوابه: (قد كان صلح

وكانت بيعة كنت لها كارها، فانتظروا ما دام هذا الرجل حيا، فإن يهلك نظرنا ونظرتم... ليكن كل امرئ منكم حلسا من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل حيا، فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا ويؤتينا رشدنا). (أنساب الأشراف / ٧٨٦).
كان (عليه السلام) يعلم أن القوم ليسوا أهل جهاد ولا حرب، لكن المانع له ليس كذبهم أو صدقهم، بل الوفاء بصلح أخيه مع معاوية وبيعتهم له، والوفاء قيمة لا يتنازل عنها الإمام الحسين (عليه السلام)! ففي الأخبار الطوال للدينوري / ٢٢٠، أن حجر بن عدي (رحمه الله) جاء إلى الحسن (عليه السلام) وأراد منه أن يعلن بطلان الصلح لأن معاوية نقض الشروط، فلم يقبل: (قال فخرج من عنده ودخل على الحسين رضي الله عنه مع عبدة بن عمرو، فقالا: أبا عبد الله شريتم الذل بالعز وقلتم القليل وتركتم الكثير! أطعنا اليوم واعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف! فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا). انتهى. ولذلك قال الإمام الباقر (عليه السلام): (والله للذي صنعه الحسن بن علي كان خيرا لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، والله لقد نزلت هذه الآية: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، إنما هي طاعة الإمام، وطلبوا القتال، فلما كتب عليهم القتال مع الحسين (عليه السلام) قالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب! أرادوا تأخير ذلك إلى القائم (عليه السلام)). (الكافي: ٨ / ٣٣٠).

وفي الأخبار الطوال / ٢٢١، أن أهل الكوفة كتبوا له (عليه السلام) بعد شهادة أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) رسالة جاء فيها: (فأقدم علينا فقد وطنا أنفسنا على الموت معك. فكتب إليهم: أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأبي اليوم ذلك فالصقوا رحمكم الله بالأرض واكنوا في البيوت،

واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا، فإن يحدث الله به حدثا وأنا حي كتبت إليكم برأيي والسلام). (ونحوه في يعقوبي: ٢ / ٢٢٨).

وفي تاريخ دمشق: ١٤ / ٢٠٥: (وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين بن علي يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية كل ذلك بأبي، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية فطلبوا إليه أن يخرج معهم فأبى، وجاء إلى الحسين فأخبره بما عرضوا عليه فقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا)!

ثم ذكر ابن عساكر بعده أن الإمام الحسين (عليه السلام) قال لهم: (إني أرجو أن يعطي الله أخي علي نيته في حبه الكف وأن يعطيني علي نيته في حبي جهاد الظالمين) وأنه بسبب ذلك كتب مروان إلى معاوية: (إني لست آمن أن يكون حسين مرصدا للفتنة وأظن يومكم من حسين طويلا). فكتب معاوية إلى الحسين: (إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أنبت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتق الله واذكر الميثاق...! فكتب إليه الحسين: أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافا، وما أظن لي عند الله عذرا في ترك جهادك، ولا أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة! فقال معاوية إن أثرنا بأبي عبد الله إلا أسدا. وكتب إليه معاوية أيضا في بعض ما بلغه عنه: إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك). انتهى.

أقول: بهذا تعرف أن رواة الخلافة يدسون السم عندما يفرقون بين موقف الإمامين الحسين (عليه السلام) ليجدوا المبرر لمعاوية ويزيد في قتلهما الإمام الحسين (عليه السلام)! ولذلك أكثرنا من أمثال الرواية التالية التي تتحدث عن تحير الإمام الحسين (عليه السلام)

هل يستجيب لدعوة أهل الكوفة وينقض الصلح مع معاوية أم لا، وزعموا أن الصحابة نصحوه أن لا يفعل وأن معاوية كان حليماً معه وأوصى به يزيداً فكتب له: (أنظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله فإنه أحب الناس إلى الناس، فصل رحمه وارفق به يصلح لك أمره فإن يك منه شيء فإني أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه). (نهاية ابن كثير: ٨ / ١٧٤، وسير الذهبي: ٣ / ٢٩٣، وتهذيب الكمال: ٦ / ٤١٣ وبغية الطلب: ٦ / ٢٦٠٦ وترجمة الطبقات / ٥٥ وغيرها).

بينما عرفت أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان ملتزماً بالصلح ما دام معاوية حياً، وفي نفس الوقت يواصل عمله وعمل أخيه (عليهما السلام) في نهى معاوية عن المنكر، والوقوف في وجه مخططاته ضد الإسلام، ومنها بيعته لابنه يزيد.

٥ - غضبه على مروان عندما لعن أمير المؤمنين (عليه السلام)

فقد خطب مروان (والي معاوية) يوماً فذكر علياً (عليه السلام) ونال منه، فتصدى له الإمام الحسين (عليه السلام) وشتمه! ففي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٨٤، أنه قال له: (يا ابن الزرقاء أنت الواقع في علي)! وفي تفسير فرات / ٢٥٣: (قال له مروان: إنك صبي لا عقل لك. قال: فقال له الحسين: ألا أخبرك بما فيك وفي أصحابك وفي علي؟ قال: فإن الله تبارك وتعالى يقول: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً، فذلك لعلي وشيعته. فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين، فبشر بذلك النبي (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام). وتنذر به قوما لداً. فذلك لك ولأصحابك). يقول (عليه السلام) له بذلك: إن خطتكم في تشويه شخصية علي (عليه السلام) وتبغيضه إلى الناس لن تنجح بنص الله تعالى ونص رسوله (صلى الله عليه وآله). على أنه بعض روايات تفسير فرات تضمنت التفريق بين موقفه وموقف الإمام الحسن (عليهما السلام) فينبغي الالتفات إلى ذلك.

وذكرت بعض الروايات أنه (عليه السلام) اصطدم مع مروان بأشد من هذا، حيث قال له مروان يوما: (لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟ فوثب الحسين (عليه السلام) وكان شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه، وأقبل على جماعة من قريش فقال: أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت: أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مني ومن أخي؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي؟ قالوا: اللهم لا.. ثم وصمه بأنه لعين رسول الله وطريده! (الإحتجاج: ٢ / ٢٣، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٠٩).

٦ - مواجهته مرسوم معاوية بلعن علي بالتسمية باسم علي (عليه السلام) (استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة، وأمره أن يفرض لشباب قريش (عطاء من بيت المال) ففرض لهم، فقال علي بن الحسين (عليهما السلام): فأتيته فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين؟ فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: علي. فقال: علي وعلي، ما يريد أبوك أن يدع أحدا من ولده إلا سماه عليا! ثم فرض لي فرجعت إلى أبي فأخبرته فقال: ويلى علي ابن الزرقاء دباغة الأدم! لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمى أحدا منهم إلا عليا). (الكافي: ٦ / ١٩).

٧ - معاوية يطلب من الإمام الحسين (عليه السلام) أن يخطب في الإحتجاج: ٢ / ٢٢: (قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإن فيه حصرا أو في لسانه كلاله. فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين (عليه السلام) على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) فسمع رجلا

يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين (عليه السلام): نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأقربون وأهل بيته الطيبون وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقايقه. فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا. وقال: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا. وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم! فتلقون للسيوف ضربا وللرماح وردا وللعمد حطما وللسهام غرضا ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا! قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت). وقد تفرد الطبرسي بنسبة هذه الخطبة إلى الإمام الحسين ونسبها غيره إلى الإمام الحسن (عليهما السلام) بعد البيعة له، كما في أمالي المفيد / ٣٤٨، وأمالي الطوسي / ١٢١، و ٦٩١، والعدد القوية / ٣٤، بتفاوت في بعض ألفاظها.

٨ - جوابه لمعاوية عن يقين علي (عليه السلام) وشجاعته
(دخل الحسين بن علي (عليهما السلام) على معاوية فقال له: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصرة ثم دار عشيا في طرقهم في ثوبين؟ فقال (عليه السلام): حملة على ذلك علمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال: صدقت).
(التوحيد للصدوق / ٣٧٥).

٩ - رأي الإمام الحسين (عليه السلام) في تصنع معاوية و إظهاره الحلم
بلغ الحسين بن علي (عليه السلام) كلام نافع بن جبير في معاوية وقوله: إنه كان يسكته
الحلم وينطقه العلم فقال (عليه السلام): بل كان ينطقه البطر ويسكته الحصر!
١٠ - كلمه معاوية بدون احترام فلم يجبه الإمام (عليه السلام)
(عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية قال: قال معاوية يوما لحسين: يا حسين فقال
عبد الله بن الزبير: يا أبا عبد الله إياك يريد! فقال معاوية: أردت أن تغريه بي أني سميته
وأنتك كنيته! أما والله ما أولع شيخ قوم قط بالرتاج إلا مات بينهما! قال: الرتاج الغلق
والباب). (تاريخ دمشق: ١٢ / ٣١١). يقصد معاوية أنك من بني أسد عبد العزى، فما
دخلك بين بني عبد مناف، كمن يدخل بين الباب وغلقه؟!
١١ - موقفه (عليه السلام) عندما خطب معاوية بنت أخته ليزيد!
غرض معاوية من ذلك أن يقول للمسلمين إن يزيدا هو صهر رسول الله (صلى الله عليه
 وآله) على حفيدته، لأن أمها زينب الكبرى بنت فاطمة الزهراء (عليها السلام)!
ففي تاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٤٥: (كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يزوج
ابنه يزيد بن معاوية زينب بنت عبد الله بن جعفر، وأمها أم كلثوم بنت علي وأم أم
كلثوم فاطمة بنت رسول الله (ص) ويقضي عن عبد الله بن جعفر دينه، وكان دينه
خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة دينار، ويكرمها
بعشرة آلاف دينار! فبعث مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر فأجابه واستثنى عليه
برضا الحسين بن علي وقال: لن أقطع أمرا دونه مع أني لست أولى به منها وهو خال
والخال والد! قال: وكان الحسين يبنع فقال له مروان: ما انتظارك إياه بشئ فلو
حزمت؟ فأبى، فتركه فلم يلبثوا إلا خمس ليال حتى قدم

الحسين، فأتاه عبد الله بن جعفر فقال: كان من الحديث ما تسمع وأنت خالها ووالدها، وليس لي معك أمر فأمرها بيدك، فأشهد عليه الحسين بذلك جماعة. ثم خرج الحسين فدخل على زينب فقال: يا بنت أختي إنه قد كان من أمر أبيك أمر، وقد ولاني أمرك وإني لا آلوك حسن النظر إن شاء الله، وإنه ليس يخرج منا غريبة فأمرك بيدي؟ قالت: نعم بأبي وأمي! فقال الحسين: اللهم إنك تعلم أنني لم أرد إلا الخير، فقيض لهذه الجارية رضاك من بني هاشم، ثم خرج حتى لقي القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب فأخذ بيده فأتى المسجد وقد اجتمعت بنو هاشم وبنو أمية وأشرف قريش وهيؤوا من أمرهم ما يصلحهم!

فتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن يزيد بن أمير المؤمنين يريد القرابة لطفًا وألحق عظمًا، ويريد أن يتلافى ما كان بصلاح هذين الحيين، مع ما يحب من أثره عليهم، ومع المعاد الذي لا غناء به عنه، مع رضا أمير المؤمنين. وقد كان من عبد الله بن جعفر في ابنته ما قد حسن فيه رأيه وولى أمرها الحسين بن علي، وليس عند الحسين خلاف لأمر المؤمنين إن شاء الله تعالى.

فتكلم الحسين: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الإسلام يرفع الخسيصة ويتم النقيصة ويذهب الملامة، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر مآثم، وإن القرابة التي أعظم الله حقها وأمر برعايتها وسأل الأجر في المودة عليها، والحافضة في كتاب الله تعالى قرابتنا أهل البيت، وقد بدا لي أن أزوج هذه الجارية من هو أقرب إليها نسبا وألطف سببا، وهو هذا الغلام يعني القاسم بن محمد بن جعفر، ولم أرد صرفها عن كثرة مال نازعتها نفسها ولا أبوها إليه، ولا أجعل لامرئ في أمرها متكلما، وقد جعلت مهرها كذا وكذا منها في ذلك سعة إن شاء الله! فغضب مروان وقال: أغدرا يا بني هاشم؟! ثم أقبل على عبد

الله بن جعفر فقال: ما هذه بأيادي أمير المؤمنين عندك وما غبت عما تسمع! فقال عبد الله: قد أخبرتك الخبر حيث أرسلت إلي وأعلمتك أنني لا أقطع أمرا دونه! فقال الحسين بن علي: علي رسلك، أقبل علي! فأولى الغدر منكم وفيكم! إنتظر رويدا حتى أقول: نشدتكم الله أيها النفر ثم أنت يا مسور بن مخرمة أتعلم أن حسن بن علي خطب عائشة بنت عثمان حتى إذا كنا بمثل هذا المجلس من الإشفاء على الفراغ، وقد ولوك يا مروان أمرها قلت: إنه قد بدا لي أنا أزوجه عبد الله بن الزبير؟ هل كان ذلك يا أبا عبد الرحمن يعني المسور؟ قال: اللهم نعم! فقال مروان قد كان ذلك، أنا أجيبك وإن كنت لم تسألني! فقال الحسين: وأنتم موضع الغدر). انتهى. وفي هذه القصة دلالات متعددة منها أن الإمام الحسين (عليه السلام) وجد بابا للتخلص من يزيد ومعاوية، وأن عبد الله بن جعفر (رحمه الله) تحمل الإحراج باعتذاره بأن أمر بناته بيد خالهن الإمام الحسين (عليه السلام).

١٢ - قصة أرينب أو زينب بنت إسحاق

قال الحافظ ابن عقيل في كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية / ١٢٨:
(ومن مخزياته الفاضحة: تفريقه بالحيلة بين عبد الله بن سلام القرشي وزوجته أرينب بنت إسحاق حين تعشقها خميره يزيد ليزوجه بها معاوية له على الإثم والعدوان، وقد روى القصة كلها ابن قتيبة رحمه الله تعالى في كتاب الإمامة، ورواها عبد الملك بن بدرون الحضرمي الإشبيلي في كتابه أطواق الحمامة بشرح البسامة وغيرهما. وخلاصة رواية ابن قتيبة رحمه الله هي هذه قال: لما بلغ معاوية عشق يزيد وهيامه بأرينب بنت إسحاق من وصيف له يقال له رفيق، فقال له معاوية: أكتم يا بني أمرك واستعن بالصبر فإن البوح غير نافع، ولا بد مما هو كائن. وكانت أرينب مثلا في أهل زمانها جمالا وكمالا وكثرة مال، وكانت

تحت ابن عمها عبد الله بن سلام القريشي و كان له منزلة عند معاوية، وقد استعمله بالعراق، وقد امتلأ معاوية هما وغما بأمر يزيد، فأخذ في الحيلة والنظر فيما يجمع بينهما حتى يرضى يزيد، فاستدعى زوجها من العراق عجلا يبشره بأمر له فيه كامل الخط، فلما أنزله منزلا حسنا ثم دعا معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء وكانا بالشام فقال لهما: إني قد بلغت لي ابنة أردت نكاحها ليقتردي بي من بعدي فإني أخاف أن يعضل الأمراء بعدي نساءهم، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وفضله وأدبه فاذكرا ذلك عني، وإني كنت جعلت لها الشورى في نفسها غير أنني أرجو أن لا تخرج من رأيي، فخرجا إلى عبد الله بن سلام وأعلماه بما قاله معاوية فسر به وفرح وحمد الله ودعا لمعاوية، ثم بعثهما إلى معاوية خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية: إنكما تعلمان رضاي بذلك فأدخلا عليها وأعرضا عليها ما رضيت لها فدخلا وأعلماهما بكل ما جرى، وكان معاوية قد لقنها ما يريد أن تجيب به فقالت: عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم، غير أنه تحته أرنب بنت إسحاق وأنا خائفة أن تعرض لي غيرة النساء فأتولى منه ما يسخط الله، ولست بفاعله حتى يفارقها! فأخبرا عبد الله بن سلام بالأمر ففارق زوجته وأشهدهما على طلاقها فأظهر معاوية كراهيته طلاقها وقال: لا أستحسنه ولو صبر ولم يعجل كان أمره إلى مصيره، فانصرفا في عافية ثم عودا لتأخذا رضاها ثم أخبر يزيد بما كان من طلاق أرنب، ثم عادا إلى معاوية فأمرهما بالدخول إليها ليسألاها فدخلا عليها وأعلماهما بطلاق أرنب طلبا لمسرتها فقالت: إنه في قریش لرفيع وإن الزواج هزله جد والأناة في الأمور أوفق، وإني سأئله عنه حتى أعرف دخيلة خبره ومستخيرة فيه ومعلمتكما بخيرة الله. ثم انصرفا وأعلموا عبد الله بن سلام فقال: فإن يك صدر هذا اليوم ولي * فإن غدا لناظره قريب

ولم يشك الناس في غدر معاوية إياه وتحدثوا به ثم استحثهما عبد الله بن سلام
وسألهما الفراغ من أمره، فأتياها فقالت لهما: إني سألت عن أمره فوجدته غير ملائم
لي ولا موافق لما أريد لنفسي! فعلم عبد الله أنه قد خدع فقال متعزياً: ليس لأمر الله
راد، ولا للناس معاوية على خديعته وجرأته على الله.
ولما انقضت أقرأؤها وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطبها لها على ابنه يزيد فخرج
حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي فقدم أبو الدرداء زيارة الحسين والتسليم عليه
على مهمته، فرحب به الحسين وأجله وأخبر أبو الدرداء بمهمته فقال الحسين: لقد
ذكرت نكاحها فلم يمنعني إلا تخيير مثلك فأخطبها علي وعليه وأعطها من المهر ما
أعطها معاوية عن ابنه، فلما دخل عليها أبو الدرداء قال: لها قد خطبك أمير هذه الأمة
وابن الملك وولي عهده يزيد بن معاوية، وابن بنت رسول الله الحسين بن علي
فاختاري أيهما شئت! فسكتت طويلاً ثم فوضت أمرها إليه فقال: أي بنية، ابن بنت
رسول الله أحب إلي وأرضاهما عندي، فتزوجها الحسين وساق لها مهراً عظيماً وبلغ
معاوية ما فعل أبو الدرداء فتعاضمه جدا وقال: من يرسل ذا بلاهة وعمى يركب خلاف
ما يهوى، ورأيتي كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة أولى. وكان عبد الله بن سلام
قد استودعها قبل فراقه بدرات مملوءة درا هو أعظم ماله وأحبه إليه، وكان معاوية قد
جفاه وقطع جميع روافده لتهمته إياه بالخديعة، ولم يزل يقصيه حتى عيل صبره وقل ما
في يده، فخرج راجعاً إلى العراق يذكر ماله الذي كان استودعه أرينب ولا يدري كيف
يصنع ويتوقع جحودها لطلاقه إياها من غير شيء أنكره ونقمه عليها! ولما قدم لقي
الحسين وسلم عليه وقال: قد علمت جعلت فداك ما كان من قضاء الله في طلاق
أرينب وكنت استودعتها مالا عظيماً درا فذكرها أمري واحضضها على
الرد فإن

الله يحسن عليك، فلما انصرف الحسين إليها قال: لها قد قدم عبد الله بن سلام وهو يثني عليك ويذكر أنه استودعك مالا فأد إليه ماله، فقالت: صدق وإنه لمطبوع عليه بطابعه، ثم لقي ابن سلام فقال: ما أنكرت وزعمت أنها لكما دفعتها لها بطابعك، ثم دخل عليها وقال: الحسين هذا عبد الله يطلب وديعته فأدها إليه فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه فشكرها وحثي لها من ذلك الدر حثوات واستعبرا جميعا، فقال الحسين: أشهد الله أنها طالق ثلاثا. اللهم إنك تعلم أنني لم أتزوجها لمال ولا لجمال، ولكن أردت حبسها لبعليها وأرجو ثوابك على ذلك! فتزوجها عبد الله بن سلام وحرمها الله على يزيد). انتهى.

أقول: وهي قصة جسدت نبل الإمام الحسين (عليه السلام) وانحطاط معاوية ويزيد، وقد روتها المصادر المختلفة واشتهر منها مثل: رب ساع لقاعد (مجمع الأمثال: ١ / ٣٠٠) الذي قاله معاوية لما فشلت خطته، وروي أنه قال لأبي هريرة (يا حمار)!

١٣ - مواجهته الحرب الاقتصادية على أهل البيت (عليهم السلام)
أجمع المسلمون على أن الله آل خص آل محمد (صلى الله عليه وآله) بميزانية خاصة، ومنعهم أن يأخذوا من الزكاة التي يأخذ منها عامة الناس، وذلك تشريفا لهم وتوسعة عليهم! وقد حسدتهم السلطة فصادرت ما عندهم وحرمتهم سهمهم الذي فرضه الله لهم. وكان معاوية كالذين قبله يخطط لإفقار بني هاشم، فقد نقض الشروط المالية في صلحه مع الإمام الحسن (عليه السلام) وكان يمنع عنهم العطاء ما استطاع، ويغريهم بالإنفاق والسخاء الجنوني الذي يتصف به بعض العرب كما مر!

ثم حاول أن يستولي على مصادر ماليتهم وهي أوقاف النبي (صلى الله عليه وآله) وأوقاف فاطمة وأوقاف علي (عليهم السلام) وهي مالية كبيرة وأهمها عيون غزيرة استنبطها علي (عليه السلام) في ينبع وتيماء أو أم القرى وغيرها، وقد صارت في زمن الحسين (عليه السلام) بساتين واسعة.

ويظهر أن معاوية أمر ابن أخيه والي المدينة بذلك! فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٦٣ / ٢١٠: (تنازع الحسين بن علي والوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أرض الوليد يومئذ أمير على المدينة، فبينما حسين ينازعه إذ تناول عمامة الوليد عن رأسه فجذبها! فقال مروان بن الحكم وكان حاضرا: إنا لله ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره! قال الوليد: ليس ذاك بك، ولكنك حسدتي على حلمي عنه! فقال حسين: الأرض لك اشهدوا أنها له). انتهى.

لكن روينا أن الوالي الأموي اعترف بأن الأرض كانت للحسين (عليه السلام) فأراد أن يغضبها، ففي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٢٤: (فقال الوليد: والله ما قلت هذا غضبا لي ولكنك حسدتي على حلمي عنه، وإنما كانت الضيعة له! فقال الحسين (عليه السلام): الضيعة لك يا وليد وقام). انتهى. *

وقد روت المصادر نزاعا آخر أشد من هذا حول ضيعة كانت للحسين (عليه السلام) في وادي القرى فطمع بها معاوية لابن أخيه الوليد، ففي سيرة ابن هشام: ١ / ٨٧: (كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان، منازعة في مال كان بينهما بذوي المروة، فكأن الوليد تحامل على الحسين رضي الله عنه في حقه لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول. قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال الحسين ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا. قال: فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة

أنصف الحسين من حقه حتى رضي). انتهى.
وواضح من كلام الإمام الحسن (عليه السلام) أن معاوية كان هو الطرف في القضية
وأن الإمام (عليه السلام) هدده بحلف الفضول وبلغه ذلك ابن الزبير. (راجع: شرح
النهج: ١٥ / ٢٢٦, والنهاية: ٢ / ٣٥٧, والأغاني: ١٧ / ٢٩٨, وتذكرة ابن حمدون
/ ٦١٠, وتاريخ دمشق: ٦٣ / ٢١٠).
**

ومن ذلك استغلال معاوية الظرف وعرضه أن يشتري منه أكبر بساتين أوقاف علي (عليه
السلام)! ففي الإصابة: ٧ / ٣٤٣: (إن الحسين احتاج لأجل دين عليه، فبلغ ذلك
معاوية فدفع له في عين أبي نيزر مائة ألف فأبى أن يبيعها وأمضى وقفها).
وفي الأربعين البلدانية لابن عساكر: ٤ / ١٧٦: (فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي
ألف دينار فأبى أن يبيع وقال: إنما تصدق بهما أبي ليقى الله وجهه حر النار ولست
بائعهما بشيء). (وكذا في معجم البلدان: ٤ / ١٧٦, ومعجم ما استعجم: ٢ / ٦٥٦).
وهذا يدل على وسعة مالية الأئمة (عليه السلام) التي رتبها النبي (صلى الله عليه وآله)
وعلي والزهراء (عليهما السلام)، وعن اغتنام معاوية الفرصة لتضعيفها.
ولا مجال لتفصيل تكوين ماليتهم (عليهم السلام) فنكتفي بالقول: إن النبي (صلى الله
عليه وآله) لما علم أن الأمة ستعذر بأهل بيته (عليهم السلام) وتقصيههم عن خلافته
وتحرمهم مما فرض الله لهم من مالية، رتب لهم مالية من عطاءاته وأوقافه، وكانت
فدكا وسبعة بساتين.
ثم استطاع علي (عليه السلام) بعلمه بالأرض والمياه الجوفية أن يستنبط عددا كبيرا من
العيون في مناطق مختلفة، وجعلها صدقات بيد الحسن والحسين (عليهما السلام)
خاصة.

قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: ١ / ٢٢١: (لما أشرف علي رضي الله عنه على
ينبع فنظر إلى جبالها قال: لقد وضعت علي نقي من الماء عظيم). وعدد ابن
شبة العيون التي استنبطها والبساتين التي أنشأها حولها فقال: (وكانت أموال علي رضي
الله عنه عيونا متفرقة بينبع منها عين يقال لها (عين البحير) وعين يقال لها (عين أبي

نيزر) وعين يقال لها (عين نولا) وهي اليوم تدعى (العدر) وهي التي يقال لها أن عليا رضي الله عنه عمل فيها بيده... وعمل علي رضي الله عنه أيضا بينبع (البغيغات) وهي عيون منها عين يقال لها (خيف الأراك) ومنها عين يقال لها (خيف ليلي) ومنها يقال لها (خيف بسطاس) فيها خليج من النخل مع العين، وكانت البغيغات مما عمل علي رضي الله عنه وتصدق به فلم تزل في صدقاته حتى... ولعلي رضي الله عنه أيضا ساقية على عين يقال لها (عين الحدث) بينبع وأشرك على عين يقال لها (العصبية) موات بينبع. وكان له أيضا صدقات بالمدينة: الفقيرين بالعالية، و بئر الملك بقناة، والأدبية بالأضم... ولعلي رضي الله عنه في صدقاته (عين ناقة) بوادي القرى يقال لها (عين حين) بالبيرة من العلا... وله بوادي القرى أيضا (عين موات)... ولعلي رضي الله عنه أيضا حق على (عين سكر) وله أيضا ساقية على عين بالبيرة وهو في الصدقة. وله بحرة الرجلاء من ناحية شعب زيد واد يدعى الأحمر شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع من بني عدي منحة من علي... وله أيضا بحرة الرجلاء واد يقال له البيضاء فيه مزارع وعفا وهو في صدقته. وله أيضا بحرة الرجلاء أربع أبر يقال لها ذات كمات، وذوات العشاء وقعين ومعيد " ورعوان، فهذه الأبر في صدقته. وله بناحية فدك واد بين لابتي حرة يدعى (رعية) فيه نخل ووشل من ماء يجري على سقا بزرنوق فذلك في صدقته. وله أيضا بناحية فدك واد يقال له الأسحن، وبنو فزارة تدعى فيه ملكا ومقاما وهو اليوم في أيدي ولاة الصدقة في الصدقة. وله أيضا ناحية فدك مال بأعلى حرة الرجلاء يقال له القصيبة... وهذه نسخة كتاب صدقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرفا بحرف... (راجع: الإصابة: ٧ / ٣٤٣، و معجم البلدان: ١ / ٤٦٩ و ١٧٥، ومعجم ما استعجم: ٢ / ٦٥٦، والأربعين البلدانية: ١ / ٤٦٩ وغيرها).

وعندما نقرأ محاولة معاوية شراء بساتين عين أبي نيزر في ينبع، ومحاولة ابن أخيه مصادرة ضيعتين في وادي القرى، يتضح أن برنامج الأمويين تضعيف مالية أهل البيت (عليهم السلام). وقد أبطل الإمام الحسين (عليه السلام) المحاولتين فهددهم بالنداء بحلف الفضول، كما لم يرض ببيع بساتين ينبع، لتبقى بيد الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعده.

١٤ - الإمام الحسين (عليه السلام) يصادر قافلة من بيت المال لمعاوية فأخذها وقسمها في أهل بيته ومواليه وكتب إلى معاوية: (من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إليك، لتودعها خزائن دمشق وتعل بها بعد النهل بني أبيك وإني احتجت إليها فأخذتها، والسلام. فكتب إليه معاوية: من عند عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي: سلام عليك أما بعد، فإن كتابك ورد على تذكر أن عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إلي لأودعها خزائن دمشق، وأعل بها بعد النهل بني أبي وأنك احتجت إليها فأخذتها ولم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلي لأن الوالي أحق بالمال، ثم عليه المخرج منه. وأيم الله لو تركت ذلك حتى صار إلي لم أبخسك حظك منه، ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة، وبودي أن يكون ذلك في زماني فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك، ولكنني والله أتخوف أن تبثلي بمن لا ينظرك فواق ناقة). (شرح النهج: ١٨ / ٤٠٩، والفوائد الرجالية: ٤ / ٤٧). أقول: من الواضح أن معاوية يعرف أن الإمام الحسين (عليه السلام) قرر أن لا يخرج على معاوية بل ينتظر هلاكه ليخرج على يزيد، ولذلك حذره وهدده! أما عن مصادرة الإمام الحسين (عليه السلام) لقافلة بيت المال، فاعتقادنا أن بيت المال بيد الإمام المعصوم (عليه السلام) وأن الصرف منه لإدارة شؤونه وشؤون من يتصل به من

الأولويات، ومعاوية غاصب لمقام الإمامة السياسية ولبيت المال، والغصب لا يغير الملكية والولاية، فالإمام الحسين (عليه السلام) أخذ ما هو حقه وفي ولايته، وكذلك فعل في زمن يزيد وهو في طريقه إلى كربلاء، فصادر قافلة قيمة من اليمن. قال أبو مخنف الأزدي في مقتل الحسين (عليه السلام) / ٦٨: (ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم فلقي بها عيرا قد أقبل بها من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن، وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد فأخذها الحسين فانطلق بهم، قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم من أحب ان يمضي معنا إلى العراق أو فينا كراءه وأحسننا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض، قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه). (والأخبار الطوال / ٢٤٥ مختصرا).

١٥ - رده لمنة معاوية في العطاء من بيت المال

(دخل الحسن والحسين (عليهما السلام) على معاوية فأمر لهما في وقته بمأتي ألف درهم وقال: خذاها وأنا ابن هند، ما أعطها أحد قبلي ولا يعطيها أحد بعدي! قال: فأما الحسن فكان رجلا سكيئا، وأما الحسين (عليه السلام) فقال: والله ما أعطى أحد قبلك ولا أحد بعدك لرجلين أشرف ولا أفضل منا!) (تاريخ دمشق: ١٤ / ١١٣، و: ٥٩ / ١٩٣).

وقد تقدم أن الإمام الحسن (عليه السلام) رد عطية معاوية وقال له: لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة!) (المستطرف: ١ / ٢٨٩، والتذكرة الحمدونية / ٧٠٨، وغيرهما).

١٦ - جوابه لمعاوية عندما افتخر بقتل حجر بن عدي (عليهم السلام) في الإحتجاج: ٢ / ١٩: (لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي (عليه السلام) فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه

وأشباعه شيعة أبيك؟ فقال (عليه السلام): وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم. فضحك الحسين (عليه السلام) ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعةك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم! ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحق عليها ولها، فإن لم تجدها أعظم عيبا فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك ولا ترمين غير غرضك ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنك والله لقد أطعت فينا رجلا ما قدم إسلامه ولا حدث نفاقه ولا نظر لك، فانظر لنفسك أو دع! يعني عمرو بن العاص).

١٧ - رسالة معاوية إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وجوابه
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٨: (ولما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وفيهم بنو جعدة بن هبيرة، فكتبوا إلى الحسين بن علي يعزونه على مصابه بالحسن: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا... فإن فيك خلفا ممن كان قبلك وإن الله يؤتي رشده من يهدى بهديك، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك، السائرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك، شرح الله صدرك، ورفع ذكرك، وأعظم أجرك).

وفي اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٥٠: (روي أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة: أما بعد فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلا من أهل العراق ووجه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وذكر أنه لا يأمن وثوبه وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن

يكون هذا أيضا لما بعده فاكتب إلي برأيك في هذا، والسلام.
فكتب إليه معاوية: أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين،
فإياك أن تعرض للحسين في شيء واترك حسينا ما تركك، فإننا لا نريد أن تعرض له في
شيء ما وفي بيعتنا ولم ينز على سلطاننا، فاكمن عنه ما لم بيد لك صفحته، والسلام.
وكتب معاوية إلى الحسين بن علي (عليهما السلام): أما بعد، فقد انتهيت إلي أمور
عنك إن كانت حقا فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده
وميثاقه لجدير بالوفاء. وإن كان الذي بلغني باطلا فإنك أنت أعذل الناس لذلك وعظ
نفسك فاذكره ولعهد الله أوف، فإنك متى ما أنكرك تنكرني ومتى أكدك تكدني فاتق
شقك عصا هذه الأمة وأن يردهم الله على يديك في فتنة، وقد عرفت الناس وبلوتهم
فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا يستخفك السفهاء
والذين لا يعلمون. فلما وصل الكتاب إلى الحسين (عليه السلام) كتب إليه:
أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب وأنا لغيرها
عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يرد إليها إلا الله. وأما ما ذكرت أنه انتهى
إليك عني فإنه إنما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميم وما أريد لك حربا ولا عليك
خلافا، وأيم الله إنني لخائف لله في ترك ذلك وما أظن الله راضيا بترك ذلك ولا عاذرا
بدون الإعذار فيه إليك وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء
الشياطين!

أولست القاتل حجر بن عدي أخوا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم
ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما
كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم

بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في نفسك.
أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، العبد الصالح
الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفرت لونه بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله
وموآثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك
واستخفافا بذلك العهد!

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك
وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة
رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعمدًا وتبعته هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على
العراقين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل
كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك!

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية إنهم كانوا على دين علي (عليه
السلام) فكتب إليه أن اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثلهم! ودين علي سر
الله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا
ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين!

وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد واثق شق عصا هذه الأمة وأن
تردهم إلى فتنة، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ولا أعظم
نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي أفضل من أن أجاهدك!
فإن فعلت فإنه قرابة إلى الله، وإن تركته فإني أستغفر الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد
أمري.

وقلت فيما قلت: إني إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني! فكدني ما بدا لك فإني
أرجو أن لا يضرنني كيدك في، وأن لا يكون على أحد أضر منه على

نفسك، على أنك قد ركبت بجهلك تخرصك علي نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط! ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكورهم فضلنا وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا

قبل أن يدركوا! فأبشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنة وقتلك أوليائه على التهم، ونقل أوليائه من دورهم إلى دار الغربية، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر ويلعب بالكلاب! لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وتبرت دينك وغششت رعيتك وأخرجت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت الورع التقى لأجلهم. والسلام.

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به! فقال يزيد: يا أمير المؤمنين أجبه جوابا تصغر إليه نفسه وتذكر فيه أباه بشئ فعله، قال: ودخل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟ قال وما هو؟ قال فأقرأه الكتاب فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه؟ وإنما قال ذلك في هوى معاوية! فقال يزيد: كيف رأيت يا أمير المؤمنين رأي؟ فضحك معاوية فقال: أما يزيد فقد أشار علي بمثل رأيك، قال عبد الله: فقد أصاب يزيد. فقال معاوية أخطأتما! أرأيتما لو أني ذهبت لعيب علي محقا ما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل وما لا يعرف، ومتى ما عبت به رجلا بما لا يعرفه الناس لم يخول به صاحبه ولا يراه الناس شيئا وكذبوه! وما عسيت أن أعيب حسينا، والله ما أرى للعيب فيه موضعا! وقد رأيت أن أكتب

إليه أتوعده وأتهدده ثم رأيت ألا أفعل ولا أفعله). وفي الإحتجاج: ٢ / ١٩: (فما كتب إليه بشئ يسوؤه ولا قطع عنه شيئاً كان يصله به).

١٨ - تحير معاوية في سياسته مع الحسين (عليه السلام) في الأوائل للعسكري / ١٣٣: (قدم معاوية حاجاً في عام واحد وخمسين، وأذن لمروان وقال: أشر علي في أمر الحسين، قال: أرى أن تخرجه معك فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه، قال: أردت والله أن تستريح منه ونحمل مؤونته على أن ينال مني ما ينال منك، فإن انتقمت قطعت رحمه وإن صبرت صبرت على أذاه، ثم أذن لسعيد بن العاص فقال: أشر علي في أمر الحسين، قال: أرى أنك لا تخافه على نفسك وإنما تخافه على من بعدك، وأنت تدع له قريناً إن قاتله قتله وإن ماكره ماكره فاترك حسيناً بمنبت النخلة، يشرب من الماء ويذهب في الهواء لا يبلغ عنان السماء! قال: أصبت، لأخبرنكم عني يا بني أمية: لن يبرح هذا الأمر فيكم ما عظمتم ملوككم، فإذا تمنأها كل امرئ منكم لنفسه وثب بنو عبد المطلب في أقطارها وقال الناس آل رسول الله، فكانت الخلافة فيكم كحجر المنجنيق، يذهب أمامه ولا يرجع وراءه! انتهى. وهذا يدل على أن معاوية يعرف أن الأمة تحب بني هاشم أكثر من بني أمية وتراهم أحق منهم بالخلافة!

١٩ - حثه الشيعة على النهوض بمسؤوليتهم وعدم التخاذل روى ابن شعبة الحراني في تحف العقول / ٢٣٧، خطبة للإمام الحسين (عليه السلام) يحث فيها الشيعة على القيام بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصحيح وضع الحكم، وقال في الوسائل: ١١ / ٤٠٢، إنها تروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً. وقد يكون الإمام الحسين تعمد أن يقرأ خطبة والده (عليهما السلام)، وأولها: (اعتبروا أيها

الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول: لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون. وقال: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. وترى كثيرا منهم يسارعون في الأثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون. وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا يهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: فلا تخشوا الناس واخشون... الخ.

٢٠ - إعداده (عليه السلام) لبني هاشم والأنصار لكرهه في حياة معاوية في الإحتجاج: ٢ / ١٨: (فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي (عليه السلام) وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه. وقد جمع الحسين بن علي (عليه السلام) بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حج منهم ومن لم يحج، ومن الأنصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدع أحدا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل والحسين (عليه السلام) في سرادقه، عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين (عليه السلام) فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قلبي (وفي نسخة: واكتبوا قلبي) ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتهم ووثقتهم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون. فما ترك الحسين شيئا أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره ولا شيئا قاله الرسول (صلى الله عليه وآله)

في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدثنا من صدقه ونأتمنه. حتى لم يترك شيئاً إلا قاله ثم قال: أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك). انتهى.

ورواه سليم بن قيس / ٣٢٠، وأضاف فيه: (فكان فيما ناشدهم الحسين (عليه السلام) وذكرهم أن قال: أنشدكم الله أتعلمون أن علي بن أبي طالب كان أحبا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين آخى بين أصحابه فأخى بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه ثم ابنتى فيه عشرة منازل تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثم سد كل باب شارع إلى المسجد غير بابه فتكلم في ذلك من تكلم فقال (صلى الله عليه وآله): ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه ولكن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فولد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وله فيه أولاد؟ قالوا: اللهم نعم.... قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصبه يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال: ليبغ الشاهد الغائب؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت ولي كل مؤمن بعدي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به وبصاحبته وابنيه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، أتعلمون أنه دفع إليه اللواء يوم خيبر ثم قال: لأدفعنه إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كزار غير فرار يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعثه ببراءة وقال: لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تنزل به شدة قط إلا قدمه لها ثقة به، وأنه لم

يدعه باسمه قط إلا أن يقول: يا أخي وادعوا لي أخي؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قضى بينه وبين جعفر وزيد فقال له: يا علي أنت مني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أنه كانت له من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم خلوة وكل ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه وإذا سكت ابتداه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمة (عليها السلام): زوجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أنا سيد ولد آدم وأخي علي سيد العرب وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وابنائي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمره بغسله وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في آخر خطبة خطبها: أيها الناس إنني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا قالوا: اللهم نعم. فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب (عليه السلام) خاصة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله) إلا ناشدهم فيه، فيقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعنا، ويقول التابعي: اللهم قد حدثني من أثق به فلان وفلان. ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه (صلى الله عليه وآله) يقول: من زعم أنه يحبني ويبغض علياً فقد كذب، ليس يحبني وهو يبغض علياً! فقال له قائل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: لأنه مني وأنا منه من أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله؟ قالوا: اللهم نعم، قد سمعنا. وتفرقوا على ذلك). انتهى.

أقول: هذه الحركة من الإمام الحسين (عليه السلام) تمهيد سياسي قوي، وإعداد لخواص المسلمين أن ينشروا دعوته وينهضوا معه بمجرد هلاك معاوية!

**

الفصل العاشر
معاوية يهوي.. ويسلم أمبراطوريته إلى غلام أهوج

(٣٩٢)

آمال معاوية بيزيد ومستقبل إمبراطوريته!
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٤٨: (قال معاوية: رجلا إن ماتا لم يموتا، ورجل إن مات مات! أنا، إن مت خلفني ابني، وسعيد (بن العاص الأموي) إن مات خلفه عمرو، وعبد الله بن عامر (بن كرز الأموي) إن مات مات! فبلغ مروان فقال: أما ذكر ابني عبد الملك؟ قالوا: لا، قال: ما أحب أن لي بابني ابنيهما). انتهى.
وفي فتوح بن الأعمش: ٤ / ٣٤٦: (ثم تكلم مسلم بن عقبة فقال: يا أمير المؤمنين إنا نرى الناس ونسمع كلامهم ونرى أن الأمر في يزيد وهو أهم له (أقدر عليه بهمته) وهو لهم رضى، فبادر إلى تسميته من قبل أن يعتقل لسانك. فقال: صدقت يا مسلم إنه لم يزل رأيي في يزيد، وهل تستقيم الناس لغير يزيد، ليتها في ولدي وذريتي إلى يوم الدين وأن لا تعلق ذرية أبي تراب على ذرية آل أبي سفيان!)
أقول: صدقت فإسرة مروان في يزيد، وخابت خيالات معاوية وأحلامه! فقد فشل يزيد في إدارة إمبراطورية بني أمية، ووجه إليها في سنوات حكمه القليلة ضربة قاصمة! ودفن نفسه وعائلة أبي سفيان إلى غير رجعة!
أما مروان فكان شبيها بأبي سفيان، فقد أنقذ دولة الأمويين من موت محقق، وكان ابنه عبد الملك شبيها بمعاوية، فقد أرسى دولتهم وأجاد إدارة حروبها، وإن كان هو وكل بني مروان عيالا على سفرة أبي سفيان ومعاوية وخططهما!
هلاك الطاغية وانتقال السلطة بسهولة إلى ابنه
اتفق المؤرخون على أن السلطة انتقلت إلى يزيد بيسر وسهولة، وكان ذلك

نتيجة جهود معاوية الطويلة لتسليم دولة بلاد الفتوحات الواسعة إلى ابنه.
قال في أنساب الأشراف / ١١٩١: (توفي معاوية للنصف من رجب سنة ستين وله
اثنتان وثمانون سنة) (وفي رواية ست وسبعون سنة) فلما قبض سعد الضحاك بن قيس
الفهري المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن معاوية أمير المؤمنين كان
عود العرب وحدها ونابها، قطع الله به الفتنة وجمع به الكلمة ومملكه خزائم العباد وفتح
له البلاد، ألا وإنه قد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ثم مدخلوه قبره ومخلون
بينه وبين ربه، ثم هو الهرج إلى يوم القيامة، فمن كان يريد أن يشهده فليحضر عند
الظهر). (ونحوه تهذيب الكمال: ٣٥ / ٣٨٦، وسير الذهبي: ٣ / ١٦١).
وفي تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٣١: (وكان يزيد غائبا حين مات معاوية بحوارين، فلما
ثقل معاوية أرسل إليه الضحاك فقدم وقد مات معاوية ودفن، فلم يأت منزله حتى أتى
قبره فصلى عليه ودعا له، ثم أتى منزله فقال:
جاء البريد بقرطاس يخب به * فأوجس القلب من قرطاسه فزعا... الخ.
ثم خطب يزيد الناس فقال: إن معاوية كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه الله
وهو خير ممن بعده ودون من قبله، ولا أزكيه على الله وهو أعلم به إن عفا عنه
فبرحمته وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر من بعده ولست آسى على طلب ولا أعتذر
من تفريط، وإذا أراد الله شيئا كان. أذكروا الله واستغفروه).
وفي: ٥٩ / ٢٣٣: (فكنت فيمن أتى المسجد فلما ارتفع النهار وهم يبكون في
الخضراء، وابنه يزيد غائب في البرية وهو ولي عهده، وكان خليفته على دمشق
الضحاك بن قيس إذ قعقع باب النحاس الذي يخرج إلى المسجد من الخضراء...
ثم أخرجوا جنازة معاوية فدفنوه، فلبثنا حتى كان مثل ذلك اليوم من الجمعة المقبلة
فبلغنا أن ابن الزبير خرج من المدينة وحارب، وكان معاوية قد غشي

عليه قبل ذلك غشبية فركب به الركبان فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج.
ثم كان مثل ذلك اليوم الجمعة المقبلة صلى بنا الضحاك بن قيس الظهر، ثم أقبل علينا
بوجهه فقال: تعلمون أن خليفتمكم يزيد بن معاوية قد أظلمكم ونحن خارجون غدا
ومتلقوه، فمن أحب منكم أن يتلقاه معنا فعل قال فلما صلوا الصبح ركب وركبنا معه
وكنت فيمن ركب فساروا إلى ثنية العقاب، وما بين باب توما وبين ثنية العقاب بيت
مبني بقرى إلى قرى العجم (الفرس الذين كانوا يحكمون سورية) فسرنا فلما صعدنا في
ثنية العقاب إذا بأثقال يزيد بن معاوية قد تحدرت في الثنية قال ثم سرنا غير كثير فإذا
يزيد في ركب من كلب معه من أخواله وهو على بختي له رحل ورائطة مشنية في عنقه
ليس عليه سيف ولا عمامة، قال: وكان رجلا كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشحم،
وفي نسخة كثير الشعر، قال: وقد أجفل شعره وشعث، قال فأقبل الناس يسلمون عليه
ويعزونه وقد دنا منه الضحاك).

أقول: هذا يدل على قوة النظام الأموي واستقراره، لكن إن صح وصف الضحاك
للمرحلة بعده بقوله: (ثم هو الهرج إلى يوم القيامة) فهو يدل على أن الضحاك كان
يرى النار تحت الرماد، وأن ضعف يزيد وحمقه عامله الأساسي.
وقد كان معاوية يشعر بأن قوى قرشية متعددة تنتظر موته لتقوم بحركتها!
ففي أنساب الأشراف / ١١٩٠: (عن عوانة قال: بلغ معاوية وهو مريض أن قریشا ببابه
تباشرو بموته، فلما دخلوا عليه دعوا له فقال: أتباشرون بموتي إذا خلوتم؟! وتدعون لي
إذا حضرتم! فانتفوا من ذلك واعتذروا، فقبل منهم).

وصية الإمبراطور الطاغية إلى ولده المدلل
روى الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٣٨، عن ابن مخرمة: (أن معاوية لما مرض مرضته التي
هلك فيها، دعا يزيد ابنه فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك
الأشياء وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك من جمع واحد.
وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش:
الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.
فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك. وأما الحسين
بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح
عنه فإن له رحما ماسة وحقا عظيما. وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا
شيئا صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو! وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد
ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير! فإن هو فعلها بك
فقدرت عليه فقطعه إربا إربا. قال هشام قال عوانة: قد سمعنا في حديث آخر أن
معاوية لما حضره الموت وذلك في سنة ٦٠ وكان يزيد غائبا فدعا بالضحاك بن قيس
الفهري وكان صاحب شرطته ومسلم بن عقبة المري فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيدا
وصيتي: أنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب،
وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب
إلى من أن تشهر عليك مائة ألف سيف. وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعييتك،
فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم
إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا

بغير أخلاقهم. وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير. فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين فليس ملتصبا شيئا قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وإن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد (ص)، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإنني لو أني صاحبه عفوت عنه. وأما ابن الزبير فإنه خب ضب فإذا شخص لك فالبد له إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت).

ورواها بتفاوت: كامل ابن الأثير: ٣ / ٣٦٨، ونهاية الإرب / ٤٤٧٢، والآداب السلطانية / ٧٨، وسمت النجوم / ٨٩٧، وفتوح ابن الأعمش: ٤ / ٣٤٨، والمنتظم: ٥ / ٣٢٠، وابن خلدون: ٣ / ١٨).

أقول: روت وصيته ليزيد هذه المصادر وغيرها، واستشكل بعضهم بأنه ورد فيها ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر مع أن معاوية قتله قبل سنين من موته، كما بينا في المجلد الثاني. وجوابه: أن معاوية بدأ بالتمهيد لبعة يزيد مبكرا وقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد سنة ٤٦ عندما طلب أهل الشام أن يجعله ولي عهده، فلا مانع أن تكون وصية قبل قتل ابن أبي بكر، ثم كررها في أول مرضه ليزيد لأن مرضه طال شهورا، ثم كررها قرب موته، وأوصاهم أن يبلغوها ليزيد الذي كان غائبا في حوارين. نعم يرد الإشكال على تفاوت نصوصها في الشدة واللين لكن لا بد أن نعتبر أن التشدد في وصيته هو الأصل لأنه ثبت أنه كان سفاكا للدماء وإن تظاهر بالحلم والعفو، على أن الوصية كلها قد تكون من أجل الناس أما وصيته الحقيقية فهي بطش الجبارين الذي ارتكبه يزيد في كربلاء والحررة ومكة، وقد أثبت الحافظ محمد بن عقيل في كتابه القيم (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) مسؤولية معاوية عن أعمال يزيد بشكل مباشر لأنه أوصاه بها، أو

غير مباشر لأنه ولاه سلطه على المسلمين بعده وهو يعرف بطشه وظلمه!
خطبة العرش: تعجيل المخصصات وتخفيض الفتوحات
(ثم نودي الصلاة جامعة لصلاة الظهر فاغتسل (يزيد) ولبس ثيابا نفيسة ثم جلس على
المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر موت أبيه وقال: إنه كان يغزيكم البحر والبر ولست
حاملا أحدا من المسلمين في البحر. وإنه كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتيا أحدا
بها، وإنه كان يخرج لكم العطاء ثلاثا وأنا أجمعه لكم كله. قال: فافترقوا وما يفضلون
عليه أحدا!) (سمت النجوم / ٩٠٤، وسير الذهبي: ٣ / ١٦١، والنهاية: ٨ / ١٥٣،
وأنساب الأشراف: ٤ / ٥٠، وتاريخ دمشق: ١٦ / ٣٧٧).
**

الهوية الشخصية ليزيد بن معاوية

١ - الأم والخؤولة والشكل...

حكم المسلمين ثلاث سنوات عجاف وكسرا، من سنة ٦٠ إلى ٦٤ هجرية، وهلك وهو ابن سبع وثلاثين سنة (وكان سعيد بن المسيب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم: في السنة الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والثانية استبيح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة). (تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٣).

وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية من بيت زعامة في نصارى العرب في الشام، تزوجها معاوية في الوقت الذي تزوج فيه عثمان نائلة بنت الفرافصة من بيت زعامة في نصارى العراق. وذكر البلاذري في أنساب الأشراف / ١١٨٩ أن ميسونا كانت متزوجة من ابن عمها (زامل) فقتله أخوه، وربما تزوجت بآخر قبل معاوية.

قال في تاريخ دمشق: ٦٥ / ٤٠٠: (جلس (معاوية) ذات يوم فقال لأصحابه: أيكم يدلني على جارية طرطبية أتزوجها، فسكت القوم ولم يعرفوا ما قال. قال: فقام ابن بحدل الكلبي إلى منزله فقال: العجب لمعاوية قد تكلم بكلمة ما سمعتها في العرب قط! قالت ابنته: وما الكلمة؟ قال: إن معاوية قال لنا: أما منكم رجل يدلني على جارية طرطبية أتزوجها؟ قالت ابنته: فأدلكه علي فإني التي وصف، والطرطبية التي في ثديها طول في دقة لا تكاد تلد أنثى. فمكث ابن بحدل زمانا ثم قال لمعاوية: إنك كنت تكلمت بكلمة لم أعرفها وكرهت أن أسأل عنها فانصرفت إلى منزلي فذكرت ذلك لبعض أهلي فسمعتني ابنتي فقالت: أدلكه

علي فإني من بغية ما وصف. قال معاوية: قد تزوجتها فزوجه وبنى بها فولدت له يعني يزيد). انتهى. لكن ميسونا سرعان ما كرهت معاوية ولم تحبه ووصفته في أبيات بأنه: (علاج معلوف)! لسمنه وكثرة أكله، فطلقها وهي حامل بيزيد فرجعت إلى قومها النصارى في بادية بني كلب وولدت يزيدا فنشأ بينهم وألف حياتهم وكان أكثر وقته بينهم حتى بعد أن صار خليفة، حتى مات عندهم في حوارين، وتسمى القريتين وكان كل سكانها نصارى. قال في تاريخ دمشق: ٧٠ / ١٣٤، عن ميسون: (فبقيت عنده مديدة! فسئمته فأنشأت تقول وحتت إلى وطنها:

لبيت تخرق الأرواح فيه * أحب إلي من قصر منيف
وكلب ينبح الطراق عني * أحب إلي من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب * أحب إلي من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب إلي من لبس الشفوف
وخرق من بني عمي نحيف * أحب إلي من علاج عليف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب إلي من نقر الدفوف
خشونة عيشتي في البدو أشهى * إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوى وطني بديلا * فحسبي ذاك من وطن شريف
فقال معاوية جعلتني علجا! وطلقها وألحقها بأهلها).

وفي الحماسة البصرية / ٢٤٤: (ما كفى أن جعلتني علجا حتى جعلتني عليفا).
وفي حياة الحيوان / ٩٩٤: (طالق ثلاثا، مروها فلتأخذ جميع ما في القصر فهو لها ثم سيرها إلى أهلها بنجد، وكانت حاملا بيزيد فولدته بالبادية). انتهى. والصحيح بادية كلب المتصلة ببادية السماوة ونجد التي منها نائلة زوجة عثمان وقد برروا زواج معاوية بنصرانية على زوجاته المسلمات بزواج عثمان، ففي تاريخ دمشق: ٧٠ / ١٣٨: (إن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة وهي نصرانية على نسائه).

قال المسعودي في التنبيه والإشراف / ٢٦٤: (وكان (يزيد) آدم شديد الأدمة عظيم الهامة بوجهه أثر جدري بين، يبادر بلدته (اللدة الترب والمعنى: يغدر بمن يعيش معه) ويجاهر بمعصيته، ويستحسن خطأه ويهون الأمور على نفسه في دينه، إذا صحت له دنياه).

وقال الذهبي الأموي في سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٥: (وكان ضخما كثير الشعر شديد الأدمة بوجهه أثر جدري فقال الناس: هذا الأعرابي الذي ولي أمر الأمة). وحذف السيوطي من صفاته شدة السمرة والجدري فقال في تاريخ الخلفاء / ١٦١: (كان ضخما كثير اللحم كثير الشعر). وجعل القلقشندي سمرة عادية غير شديدة لكنه اعترف بأنه أجعد الشعر فقال في مآثر الإنافة: ١ / ١١٥: (وكان آدم اللون طويلا جعد الشعر أحور العينين، بوجهه آثار جدري حسن اللحية خفيفها، وكان قد أقام مع أمه ميسون في قومها بني كلب بالبادية فتعلم منهم الفصاحة). انتهى. وجعودة شعر يزيد رغم بياض والده وزرقة والدته، تفتح الباب لاحتمال صدق شهادة النسابة الكلبي القريب من عصره، بأن أمه كان لها علاقة مع عبد أبيها، وأن يزيدا منه! قال ابن راشد في إلزام الناصب / ١٦٩: (رووا أن أمه بنت بجدل الكلبية أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت بيزيد، وإلى هذا المعنى أشار النسابة الكلبي يقول: فقد قتل الدعي وعبد كلب * بأرض الطف أولاد النبي أراد بالدعي عبيد الله بن زياد... ومراده بعبد كلب: يزيد بن معاوية لأنه من عبد بجدل الكلبي). انتهى. ويؤيده ما روينا في تفسير قوله تعالى: وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إنني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد. (غافر: ٢٦) فقد سأل أحدهم الإمام الباقر (عليه السلام): من كان يمنعه؟ قال: (منعته رشده، ولا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء (عليهم السلام) إلا أولاد الزنا!) (المحاسن: ١ / ١٠٨، وعلل الشرائع: ١ / ٥٨) *

٢ - هوايات يزيد الشاذة واستهتاره

يقول العالم الأزهري الشيخ عبد الله العلابي في كتابه عن الإمام الحسين (عليه السلام): سمو المعنى في سمو الذات / ٥٩: (إذا كان يقينا أو يشبه اليقين أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة أو بعبارة أخرى: كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزا مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الإسلامية، لا يحسب لتقاليدهما واعتقاداتها أي حساب ولا يقيم لها وزنا). انتهى.

ويؤيد ذلك أن ندماءه وخاصته نصارى، فكان سرجون النصراني صاحب أمره كما كان صاحب سر أبيه (تاريخ دمشق: ٢٠ / ١٦١). قال الشيخ باقر القرشي في حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٨٤: (واصطفى يزيد جماعة من الخلعاء والماجنين فكان يقضي معهم لياليه الحمراء بين الشراب والغناء، وفي طليعة ندمائه الأخطل الشاعر المسيحي الخليع فكانا يشربان ويسمعان الغناء وإذا أراد السفر صحبه معه. ولما هلك يزيد وآل أمر الخلافة إلى عبد الملك بن مروان قربه فكان يدخل عليه بغير استئذان وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة من ذهب والخمر يقطر من لحيته). (الأغانى: ٧ / ١٧٠).

وقال العالم الأزهري الشيخ محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة أبو هريرة / ١٧٧: (كان يزيد هذا صاحب لهو وعبث مسرفا في اللذات مستهترا، وكانت أمه ميسون نصرانية كنانة زوج عثمان... وانغمس في اللذات وأخذ منها ما شاء له هواه وفسقه، وقد كانوا يسمونه: يزيد القروود ويزيد الخمور). انتهى.

وقال ابن الطقطقي في الآداب السلطانية / ٣٤: (وكان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفا بالصيد لا يزال لاهيا به، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبدا يخدمه). انتهى.

ولا بد أن نضيف إلى خمره وقروده وصيده: هوايته مهارشة الكلاب، وصراع الديكة، والأتن الوحشية، والدباب، والمعازف، والرقص. وأسوأ منه أنه كان لا يسمع بامرأة جميلة إلا وأرادها! ومن أمثلة ذلك سلامة المغنية، وأرينب زوجة ابن سلام القريشي والي البصرة، وتقدمت قصتها. وأسوأ منه أنه كان مفرطاً في هواياته مشغولاً بها! فلا يكاد يفיק من سكرة حتى يدخل في سكرة! وقد شهدوا بأنه كان يتباهى بهواياته كأمه ميسون التي تباغت بعشيقها البدوي وفضلته على معاوية، وكان يتجاهر بسلوكه مستهترا بالدين والأخلاق، ويعمل لنشره في الأمة ويردد:

معشر الندمان قوموا * واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام * واتركوا ذكر المثاني
شغلتنى نغمة العيدان * عن صوت الأذان
وتعوضت من الحور * عجوزاً في الدنان
(فتوح ابن الأعمش: ٤ / ٣٣٢)

لكن محبيه كابن كثير يزعمون أن ذلك كان في حادثته، وأن أباه نصحه فانتصح! قال في النهاية: ٨ / ٢٤٨: (أمير المؤمنين أبو خالد الأموي... توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين... وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جميلاً طويلاً ضخماً الهامة محدد الأصابع غليظها مجدراً، وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به... كان يزيد في حادثته صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق فقال: يا بني ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك ويشمت بك عدوك ويسى بك صديقك.. قلت: وهذا كما جاء في الحديث: من ابتلي بشئ من هذه القاذورات فليستر بستر الله عز وجل). انتهى.

أقول: يريد ابن كثير أن يدافع عن إمامه يزيد بأنه كان يرتكب القاذورات في أول شبابه فقط! لكن ماذا يصنع بالنصوص المتواترة بأن إمامه كان مدمنا لمنكراته وتتهتكه، وقد نص على بعضها الإمام الحسين (عليه السلام) وكذلك ابن عمر وابن أبي بكر وغيرهم في مناقشاتهم لمعاوية! بل روى ثقاتهم أن يزيدا لم يستطع ترك الخمر يوما واحدا في الحج! وقصته مع الإمام الحسين (عليه السلام) مشهورة رواها في تاريخ دمشق: ٦٥ / ٤٠٦ وغيره وقد تقدمت في محاولة معاوية تلميع يزيد للخلافة، وغرساله أميرا للحج! وبسبب حبه ليزيد نسي ابن كثير هنا ما كتبه في المجلد السادس / ٢٦٢، قال: (قلت: وكان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهلهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر! فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي!) انتهى. فقد نص هو على استمرار يزيد خمره وقبائحه إلى سنة الحرة وهي آخر سنة من عمره. وروى الطبري: ٤ / ٤٢١ قول الشاعر أنه مات سكرانا:

أبني أمية إن آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكي على نشوانة * بالصنج تقعد تارة وتقوم).
بل نقل البلاذري في أنساب الأشراف / ١٢٧٧ شهادة جماعة من علماء السنة على أنه تبنى سياسة إشاعة هواياته السيئة في المسلمين! قال: (حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش، وعوانة، وعن هشام ابن الكلبي عن أبيه، وأبي مخنف

وغيرهما قالوا: كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والإستهتار بالغناء،
والصيد واتخاذ القيان والغلمان، والتفكه بما يضحك منه المترفون من القروود والمعاقرة
بالكلاب والديكة). انتهى.

وقال المسعودي في مروج الذهب: ٣ / ٦٧، وطبعة / ٧١٧: (وكان يزيد صاحب
طرب وجوارح وكلاب وقروود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على
شرابه وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال:
إسقني شربة تروي مشاشي* ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي* ولتسديد مغنمي وجهادي
ثم أمر المغنين فغنوا به! وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق،
وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب!
وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته وي طرح له متكأ، وكان قردا خبيثا
وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرجه ولجام، ويسابق بها
الخييل يوم الحلبة فجاء في بعض الأيام سابقا فتناول القصبه ودخل الحجره قبل الخيل!
وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير
ذات ألوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من
الألوان! فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم:
تمسك أبا قيس بفضل عنانها* فليس عليها إن سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذي سبقت به* جياذ أمير المؤمنين أتان).

* *

٣ - أهلك الأمة جوره، وأهلكه فسقه
قال ابن حجر في تعجيل المنفعة / ٤٥١ : (وكان منهما في لذاته، ومقته أهل الفضل
بسبب قتله الحسين رضي الله عنه، ثم بسبب وقعة الحرة).
وفي التنبيه والإشراف / ٢٦٢ : (وامتنع ابن الزبير من بيعة يزيد وكان يسميه السكير
الخمير، وأخرج عامله عن مكة، وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه ويذكر فسوقه
ويدعوهم إلى معاضدته على حربه وإخراج عامله عنهم).
وقال ابن حبان في الثقات: ٢ / ٣١٤ : (وتوفي يزيد بن معاوية بحوارين قرية من قرى
دمشق لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وهو يومئذ بن
ثمان وثلاثين. وقد قيل إن يزيد بن معاوية سكر ليلة وقام يرقص فسقط على رأسه وتناثر
دماغه فمات). انتهى.
وحوارين بضم الحاء من قرى حلب وتسمى القريتين، وأهلها كلهم نصارى. (معجم
البلدان: ٤ / ٣٣٦، والأربعين البلدانية: ٢ / ٣٣٦). وفي الأربعين البلدانية: ٢ / ٣١٦،
ومعجم البلدان: ٢ / ٣١٥، من أبيات في ذم عمرو بن أبي معيط الأموي:
عليك بحوارين ناسب نبيطها* فما لك في أهل الحجاز نسيب).
وقال البلاذري في أنساب الأشراف / ١٢٧٧ : (كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين
يديه ويكنيه أبا قيس ويقول هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ! وكان
يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع... خرج يزيد يتصيد بحوارين وهو سكران فركب
وبين يديه أتان وحشية قد حمل عليها قردا وجعل يركض الأتان.... فسقط فاندقت
عنقه). وقال الذهبي محب الأمويين في سيره: ٤ / ٣٥ : (فكانت دولته أقل من أربع
سنين ولم يمهلها الله على فعله بأهل المدينة لما خلعه، فقام بعده

ولده نحواً من أربعين يوماً ومات... وكان (يزيد) ضخماً كثيراً الشعر شديد الأدمة
بوجهه أثر جدي... سكر يزيد فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه...
قلت: كان قويا شجاعاً ذا رأي وحزم وفطنة وفصاحة وله شعر جيد، وكان ناصبياً فظاً
غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر! افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين واختتمها
بواقعة الحرة فمقتته الناس ولم يبارك في عمره. وخرج عليه غير واحد بعد الحسين
كأهل المدينة قاموا لله، وكمرداس بن أدية الحنظلي البصري ونافع بن الأزرق وطواف
بن معلى السدوسي وابن الزبير بمكة....
عن نوفل بن أبي الفرات قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل: قال أمير
المؤمنين يزيد، فأمر به فضرب عشرين سوطاً.
**

٤ - عشق يزيد حوارين فجعلها عاصمته!

حوارين من هوايات يزيد، رغم بعدها عن العاصمة والمراجعين من العراق والحجاز ومصر! وكان يزيد فيها عندما مات أبوه فجاء إلى دمشق بعد أسبوعين من دفنه كما تقدم من تاريخ دمشق (والطبري: ٤ / ٢٤٢، وسير الذهبي: ٣ / ١٦١) وسرعان ما عاد من دمشق إلى حوارين فنقل العاصمة إليها عمليا وأوكل العاصمة إلى الضحاك يحكمها ويؤم فيها، فكانت الوفود والقاصدون اليه يضطرون للذهاب إلى حوارين! وجاءه وفد المدينة إلى حوارين وفيهم شخصيات الصحابة والتابعين: (فقدموا على يزيد وهو بحوارين فنزلوا على الوليد بن عتبة فأقاموا عشرة أيام لم يصلوا إلى يزيد! وانتقل يزيد من حوارين منتزها وشخص الوفد معه فأذن لهم يوم الجمعة... واعتذر إليهم من تركه الإذن لهم عليهم وقال: لم أزل وجعا من رجلي، إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إلي أن صخرة سقطت عليها... وأذن لهم في الانصراف فرجعوا ذامنين له مجمعين على خلعه). (تاريخ دمشق: ٢٦ / ٢٥٨).

وجاءه وفد البصرة: (كنا مع المهلب حين وفد إلى يزيد بن معاوية فقدمت عليه وهو بحوارين قد خرج منتزها والناس في الفساطيط فغدا الناس وغدونا فوقفنا ننتظر الإذن فأبطأ فقال من قال من الناس: هو الآن يشرب). (تاريخ دمشق: ٦١ / ٢٨٢). وجاءه وفد الوليد بن روح (في جمع كثير فنزلوا بحوارين). (تاريخ دمشق: ٥٧ / ٣٠٨).

(وفدت مع أبي إلى يزيد بن معاوية بحوارين). (تاريخ دمشق: ٤٦ / ٣١٣).
**

٥ - لا قبر ليزيد في دمشق ولا حوارين ولا جثمان!
اتفقت رواياتهم على أنه هلك وهو سكران، فقد كان يتفرج على قرد أركبه على حمارة وحشية، أو عضته القردة، أو كان يتصيد فوق عن فرسه واندقت عنقه، أو كان يرقص وهو سكران فوق على صخر وانتثر دماغه.. الخ!
لكنك لا تجد خبرا عن جثته ولا قبره، فهم يذكرون موته في حوارين ويسكتون! ولا يذكرون كيف وقع عن فرسه والى أين نقلوه، ومن غسل جثمانه وصلى عليه ودفنه! الأمر الذي يقوي ما يتناقله الناس شفاهيا من أنه بعد أن وقع، علقت رجله بالركاب وشرد به الفرس فتقطعت جثته ولم يبق منها أثر!
وقد زعم بعض محبيه أنه دفن في دمشق، فروى ابن خياط في تاريخه / ٢٥٥: (وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الأول).
وفي أنساب الأشراف / ١٣٢٤: (وقال الواقدي: دفن يزيد بدمشق في مقبرة الباب الصغير ومات بحوارين فحمل على أيدي الرجال إليها، وفيها دفن أبوه معاوية).
لكنها روايات لا تصح، لأنها تزعم أن جثمانه وصل إلى دمشق أو وصل ابنه إلى حوارين في نفس يوم هلاكه مع أن بينهما نحو ٤٠٠ كلم، ولو صح لوصفوا مسير نقل جثمانه والصلاة عليه ودفنه بروايات عديدة كما في معاوية!
فالصحيح ما نصت عليه روايات عديدة من أنه بقي في حوارين مدفونا أو غير مدفون! فمن أصدق الأخبار في ذلك رثائية صاحبه ونديمه الأخطل! قال:
لعمري لقد دلى إلى اللحد خالد * جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر

مقيم بحوارين ليس يريمها * سقته الغوادي من ثوي ومن قبر
وقال رجل من عنزة: يا أيها القبر بحوارينا * ضمت شر الناس أجمعينا).
(مروج الذهب / ٧٠٥ وأنساب الأشراف / ١٣٢٥، وسمت النجوم: ٣ / ٢٠٩،
وطبعة ٩٤٥)

وقال في العقد الفريد / ١٠٨٥: (ودفن بحوارين خارجا من المدينة). وهذا يؤكد أنه لا
قبر له داخل حوارين، بل ولا خارجها! وإنما قالوه ليستروا عليه!
وفي أنساب الأشراف / ١٣٢٤: (قيل لأبي مسلم الخولاني يوم مات يزيد: ألا تصلي
على يزيد؟ فقال: تصلي عليه ظباء حوارين! وقال غيره: دفن بحوارين). انتهى.
ومعناه أن المتدينين رفضوا حتى الصلاة عليه صلاة الغائب! فقد اعتذر منهم الخولاني
بأن يزيدا مات في بر حوارين في صيد الظباء، فلا أصلي عليه!
**

الفصل الحادي عشر
لمحة عن جرائم يزيد الكبرى

كربلاء.. ملحمة الهدى الإلهي مع الضلال البشري
(ملاحظة: بما أن منهجنا أن لا نتوسع فيما كثرت فيه الكتابة، لذا نكتفي بنقاط عن
جرائم يزيد في كربلاء، ثم في المدينة، ثم في مكة).
**

عندما يسمع المسلم اسم يزيد، يتبادر إلى ذهنه أعظم جرائمه، وهي إقدامه في كربلاء
على قتل عترة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيدهم سيد شباب أهل الجنة (عليه
السلام).

فقد كان لفاجعة كربلاء وقع الصاعقة على جماهير المسلمين جميعا، لأنهم لم
يتصوروا أن يقدم بنو أمية على قتل ابن بنت النبي (صلى الله عليه وآله) وسفك دماء
عترة صغارا وكبارا لمجرد أنهم لم يبايعوا يزيدا! خاصة وأن الأساليب الأموية التي
نفذوا بها جريمتهم كانت سابقة في التاريخ ومخالفة لأعراف العرب!
لذلك كانت شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) الفجيعة هزة لوجدان الأمة كلها،
وجريمة كبرى، ومأساة، وشهادة على الطاغوت، وتجسيدا لقيم الإسلام، وشعلة نبوية
جديدة دخلت في ثقافة الأمة وضميرها.
**

وبسبب هذا التأثير الواسع لقضية كربلاء، شكلت في عصرها سدا أمام تعاظم موجة
بني أمية التي هي أخطر موجة على الأمة، وفتحت في العصور التالية بابا جديدا للتحرك
والنهضة والثورة على النظام الجائر، كان مقفلا أو يكاد منذ انهيار الأمة في عهد أمير
المؤمنين وخلافة الإمام الحسن (عليهم السلام)!
فلولا ثورة الحسين (عليه السلام) لأكمل بنو أمية مشروعهم في تخدير الأمة وتدريبها
على الذل والخضوع، حتى تصل إلى مرحلة العبودية الكافية لأن تحكمها

سلالات أموية كسلالات الفراعنة، بل أشد سوءاً!
لقد أثبت الحسين (عليه السلام) للأمة أن كل ادعاءات الأمويين بالإسلام كاذبة، فهم
حاضرون لأن يقتلوا أولاد نبيهم بل أن يقتلوا نفس نبيهم (صلى الله عليه وآله) إذا لم
يخضع لهم!
وأثبت للأمة أن الأمويين لا يؤمنون بشيء من قيم العرب والعجم، بل يمثلون حضيض
الإنحطاط الذي قلما يصل إليه مخلوق بشري!
في المقابل رسم الحسين (عليه السلام) في عمق ذاكرة الأمة لوحات خالدة لمفاهيم
إسلامية، كان من أبرزها التضحية بالنفس للعقيدة، في مناقبية إنسانية عالية.
كما صار (عليه السلام) أمثلة وقدوة للشعوب في نضالها من أجل حريتها وإنسانيتها.
**

وقد بلغ من قوة هزة كربلاء أنها وصلت إلى البلاط الأموي ووجدان بعض الأمراء
الشباب الأمويين! وستعرف أن الخليفة الجديد ابن يزيد أعلن تشييعه وأراد أن يسلم
الخلافة إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، فقتلوه!
وكان ثاني تأثيراتها أن الأمويين المروانيين الذين حكموا بعد يزيد اعتقدوا أن زوال
حكم آل أبي سفيان كان بسبب جريمة كربلاء! روى البيهقي في المحاسن والمساوي
/ ٣٩: (قال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف: جنبني دماء آل أبي طالب،
فإني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم). (ونحوه أنساب الأشراف /
١٧٩٤، والبصائر والذخائر / ٥٤٦، ونثر الدرر / ٣٨٥، واليعقوبي: ٢ / ٣٠٤، جواهر
المطالب: ٢ / ٢٧٨ والعقد الفريد / ٩٦٦ و ١٠٩٢، والإشراف لابن أبي الدنيا /
٢٥٥ و / ٦٣).

وفي مروج الذهب: ٣ / ١٧٩، وطبعة / ٨١١: (فإني رأيت الملك استوحش من آل
حرب حين سفكوا دماءهم (بني عبد المطلب)! فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال
الملك عنهم لا خوفاً من الخالق عز وجل)! ورواه في العقد الفريد / ١١٠٣ وقال:
(فلم يتعرض الحجاج لأحد من الطالبين في أيامه). انتهى.

ولم ترو المصادر المتقدمة مناسبة هذا الكلام، لكن غيرها كشف أنه كان جوابا على رسالة الحجاج الذي استأذنه في قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام) لأنه خطر على ملكه! ففي خاص الخاص للثعالبي / ٦٦: (ووقع أيضا إلى الحجاج وقد شكوا إليه نفرا من بني هاشم وحرضه على قتلهم: جنبني دماء بني عبد المطلب.. الخ.). وفي الصراط المستقيم: ٢ / ١٨٠: (كتب الحجاج إلى عبد الملك: إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين! فرد عليه: جنبني دماء بني هاشم وبعث بالكتاب إليه سرا فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) في النوم إلى علي بن الحسين (عليه السلام) وأعلمه فكتب إلى عبد الملك: إنه قد شكره الله لك وثبت به ملكك وزاد في عمرك، فلما قرأه وجد تاريخ الكتاب واحدا).

وفي الصواعق المحرقة: ٢ / ٥٨٣: (ثم كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكتم ذلك، فكوشف به زين العابدين فكتب إليه: إنك كتبت للحجاج يوم كذا سرا في حقنا بني عبد المطلب بكذا وكذا، وقد شكر الله لك ذلك وأرسل به إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه للحجاج ووجد مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجاج! فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره فسر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه). وفي الخرائج والجرائح: ١ / ٢٥٦، بنحوه وفيه: (ففرح بذلك (عبد الملك) وبعث إليه بوقر دنانير وسأله أن يبسط إليه بجميع حوائجه وحوائج أهل بيته ومواليه. وكان في كتابه (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاني في النوم فعرفني ما كتبت به إلى الحجاج وما شكر الله لك من ذلك)! انتهى.

وستعرف أن الذين كانوا على مذهب عبد الملك في هذه المسألة قلة من

ملوك بني أمية وبني العباس وليس كلهم، فالذي قتل الإمام (عليه السلام) هو ابنه الوليد! *

إذا درسنا أول حركات النهضة والثورة على الظلم في الأمة، نجد أنها وقعت بعد كربلاء، وأن شعارها كان: (يا لثارات الحسين (عليه السلام))! ومعناه أن أفكار كربلاء ومشاعرها انتشرت في بلاد الأمة بسرعة، وظهرت في ثورة التوابين ثم في حركة المختار التي سيطرت على العراق نحو سنتين، ثم في ثورة زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم في ثورة العباسيين، وعشرات الثورات والحركات في أنحاء العالم الإسلامي. بل ما زلنا نرى إلى عصرنا أن غالب الحركات والثورات الإسلامية وغير الإسلامية إن لم نقل كلها، تحرص على تشبيه نفسها بنحو وآخر بالإمام الحسين (عليه السلام) وملحمة كربلاء، وقيمها الإنسانية الخالدة. *

حفيد قائد المشركين ينتقم من أنصار النبي (صلى الله عليه وآله) بموقعة الحرة! ينظر القرشيون إلى الأنصار على أنهم بعد بني هاشم عدوهم الأول، الذي قاتلهم في حروب النبي (صلى الله عليه وآله) وكان السبب في خسارتهم سبعين شخصية من أبطالهم وقادتهم في بدر! فمعركة بدر ظل لها أسى ووقع خاص في نفوس القرشيين! ولم يمح أثرها إسلامهم تحت السيف! فهي عندهم كحائط المبكى عند بني يعقوب، غاية الأمر أن مبكى اليهود علني ومبكى قريش في الكوايس!

ثم زاد بغضهم للأنصار موقف زعيم الأنصار سعد بن عبادة ضد السقيفة وخلافة أبي بكر وعمر، وإصراره على موقفه حتى قتل في منفاه!

ثم جاء دور الأنصار في انتقاد عثمان وعدم الدفاع عنه، حتى قتله الصحابة!

ثم دورهم المميز في حرب قريش مع علي (عليه السلام) في الجمل وصفين.. الخ. وقد استعرضنا في المجلد الثاني حقد معاوية على الأنصار وجهره بذلك، واستهزاءه بقول النبي (صلى الله عليه وآله) لهم: (إنكم ستلقون بعدي أثرة)!

**

يظهر أن حركة الأنصار ضد يزيد ظهرت إلى العلن بعد كربلاء مباشرة، فأرسلوا وفدا من قادة الحركة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، ليعرفوا بيقين سلوك يزيد وهل يشرب الخمر ويرتكب المنكرات؟ (فقدموا على يزيد وهو بحوارين فنزلوا على الوليد بن عتبة فأقاموا عشرة أيام لم يصلوا إلى يزيد! وانتقل يزيد من حوارين منتزها وشخص الوفد معه فأذن لهم يوم الجمعة... واعتذر إليهم من تركه الإذن لهم عليه وقال: لم أزل وجعا من رجلي إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إلي أن صخرة سقطت عليها... وأذن لهم في الانصراف فرجعوا ذامين له مجمعين على خلعه!) (تاريخ دمشق: ٢٦ / ٢٥٨، والطبري: ٤ / ٣٨٠، مختصرا).

وفي الطبقات: ٥ / ٦٦: (أجمعوا على عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة) فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء! إن رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسنا! فتوائب الناس يومئذ يبائعون من كل النواحي). (ونحوه تاريخ دمشق: ٢٧ / ٤٢٩، ونحوه في فتح الباري: ١٣ / ٦٠، وسير الذهبي: ٣ / ٣٢٤).

* *

قال الحافظ محمد بن عقيل في النصائح الكافية / ٦٠: (أخرج أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عن أبي بكر قال: قال رسول الله (ص): من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليه أحداً محاباةً فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم. وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن عباس عن النبي (ص): من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أَرْضَى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. وأخرج البخاري في صحيحه عن معقل عن رسول الله (ص) قال: ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حزم الله عليه الجنة. فهل يبقى بعد سماع هذا لذي إيمان يصدق بما جاء به من لا ينطق عن الهوى، شك في استحقاقه لعنة الله وأنه لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، وأنه خان الله ورسوله والمؤمنين وأنه مات غاشاً للأمة بيزيد؟ أم هناك تأويل يحاول به أنصاره رد الحديث الصحيح أو تضعيفه؟! اللهم غفرانك!... أكره المسلمين على البيعة ليزيد وأصر على ذلك إلى آخر نفس من أنفاسه! كيف ووصاياه ليزيد وتعاليمه شاهدة عليه بإصراره وعدم مبالاته: نقل أبو جعفر الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل والبيهقي في المحاسن والمساوي وغيرهم أن معاوية قال: ليزيد إن لك من أهل المدينة ليوماً فإن فعلوا فارمهم

بمسلم بن عقبة (هو الذي سمي مسرفا ومجرما) فإنه رجل قد عرفت نصيحته.
عرف معاوية أن مسلما لا دين له فأمر يزيد أن يرمي به أهل المدينة وقد فعل يزيد ما
أمره به أبوه، وفعل مسلم بأهل المدينة ما أريد منه حيث قال له يزيد: يا مسلم لا تردن
أهل الشام عن شيء يريدون بعدوهم! فسار بجيوشه من أهل الشام فأخاف المدينة
واستباحها ثلاثة أيام بكل قبيح وافتضت فيها نحو ثلاثمائة بكر، وولدت فيها أكثر من
ألف امرأة من غير زوج! وسماها ننتة وقد سماها رسول الله (ص) طيبة، وقتل فيها من
قريش والأنصار والصحابة وأبنائهم نحو من ألف وسبعمائة وقتل أكثر من أربعة آلاف
من سائر الناس، وبايع المسلمين على أنهم عبيد ليزيد ومن أبي ذلك أمره مسلم على
السيف.. إلى غير ذلك من المنكرات!

قال المحدث الفقيه ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة والبيهقي في المحاسن
والمساوي واللفظ للأول: قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء
من نساء الأنصار ومعها صبي لها فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي
شيئا! فقال: والله لتخرجن إلي شيئا أو لأقتلنك صبيك هذا! فقالت له: ويحك إنه ولد
أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله (ص) ولقد بايعت رسول الله معه يوم بيعة
الشجرة على أن لا أسرق ولا أزني ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان أفتره فما أتيت شيئا
فاتق الله! ثم قالت: لا، يا بني! والله لو كان عندي شيء لأفتديك به! قال: فأخذ برجل
الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الأرض!
قال: فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلا، وأمثال هذه من أهل
الشام ومن مسلم نفسه كثيرة! فمسلم في هذا كله منفذ لأمر يزيد، ويزيد منفذ لأمر
معاوية، فكل هذه الدماء وكل هذه المنكرات الموبقات ودم الحسين ومن معه في عنق

معاوية أولاً، ثم في عنق يزيد ثانياً، ثم في عنق مسلم وابن زياد ثالثاً. أفبعد هذا يتصور أن يقال لعله تاب ورجع! كلا والله ولقد صدق من قال: أبقى لنا معاوية في كل عصر فئة باغية فهاهم أشياعه وأنصاره إلى يومنا هذا يقبلون الحقائق ويلبسون الحق بالباطل! ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً! انتهى.

وشهد ابن حجر أن معاوية أمر يزيداً باستباحة المدينة! قال في فتح الباري: ١٣ / ٦٠: (وأخرج أبو بكر بن أبي خيثمة بسند صحيح إلى جويرية بن أسماء سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنني عرفت نصيحته!) هذا وقد أورد قصة الرضيع الذي ضرب الجندي رأسه بالحائط فقتله: (البيهقي في المحاسن / ٤٩، والروض الأنف: ٣ / ٤٠٩، والسيرة الحلبية: ١ / ٢٦٨، وسمت النجوم / ٩٤٠، والإمامة والسياسة: ١ / ١٨٤، والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية / ٦٢).

* *

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٠: (فأوقع بأهلها وقعة الحرة، فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً وخذقوا على المدينة فرام ناحية من نواحي الخندق فتعذر ذلك عليه، فخدع مروان بعضهم فدخل ومعه مائة فارس فأتبعته الخيل حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل! وأباح حرم رسول الله (ص) حتى ولدت الأبقار لا يعرف من أولدهن! ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنك عبد قن ليزيد، فيقول: لا! فيضرب عنقه).

وفي السيرة الحلبية: ١ / ٢٦٨: (وجالت الخيل في مسجد رسول الله (ص) وراثت بين القبر الشريف والمنبر! واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره! ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة إلا بأن يبايعوه

ليزيد على أنهم خول أي عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق! حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله فضرب عنقه!) وفي فيض القدير للمناوي: ١ / ٥٨: (فقتل من فيها من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبعمائة، ومن الأخلاط عشرة آلاف! قال السمهودي: قال القرطبي: وجالت الخيل في المسجد النبوي وبالت وراثت بين القبر والمنبر، وخلت المدينة من أهلها وبقيت ثمارها للعوافي!) وفي الإمامة وأهل البيت (عليهم السلام) لليومي: ١ / ٤٠٥: (ويقول ابن حزم: وجالت الخيل في مسجد رسول الله (ص) وبالت وراثت بين القبر والمنبر!) وفي شرح منهاج الكرامة: ١ / ٥٦٧: (وقتل جمع من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين بما بلغ عددهم سبعمائة. قتل من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة عشرة آلاف! وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وامتألت الروضة والمسجد).
**

وفي سير الذهبي: ٣ / ٣٢٤: (قال أبو هارون العبيدي: رأيت أبا سعيد الخدري ممعط اللحية! فقال: هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام! أخذوا ما في البيت ثم دخلت طائفة فلم يجدوا شيئاً، فأسفوا وأضحجوني فجعل كل واحد منهم يأخذ من لحيّتي خصلة! قال خليفة: أصيب من قريش والأنصار يومئذ ثلاث مئة وستة رجال ثم سماهم. وعن أبي جعفر الباقر قال: ما خرج فيها أحد من بني عبد المطلب لزموا بيوتهم، وسأل مسرف عن أبي فجاءه ومعه ابنا محمد بن الحنفية فرحب بأبي وأوسع له وقال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك). انتهى.

وفي الطبقات: ٥ / ٢١٥ أن الإمام الباقر (عليه السلام) سئل: (هل خرج فيها أحد من أهل بيتك؟ فقال ما خرج فيها أحد من آل أبي طالب ولا خرج فيها أحد من بني عبد

المطلب لزموا بيوتهم، فلما قدم مسرف وقتل الناس وسار إلى العقيق سأل عن أبي علي بن حسين أحاضر هو؟ ف قيل له: نعم، فقال: ما لي لا أراه، فبلغ أبي ذلك فجاءه ومعه أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد بن علي بن الحنفية، فلما رأى أبي رحب به وأوسع له على سريره ثم قال له: كيف كنت بعدي؟ قال: إني أحمد الله إليك، فقال مسرف: إن أمير المؤمنين أوصاني بك خيرا فقال أبي: وصل الله أمير المؤمنين، قال: ثم سألتني عن أبي هاشم والحسن ابني محمد فقلت: هما ابنا عمي فرحب بهما، وانصرفوا من عنده). انتهى. * *

وكان عدد مقاتلي أهل المدينة ألفين (الإمامة والسياسة: ١ / ٢٤٣)، وعدد جيش يزيد: (خمسة آلاف رجل: من فلسطين ألف رجل عليهم روح بن زنباع الجذامي ومن الأردن ألف رجل عليهم حبيش بن دلجة القيني، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاري، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحصين بن نمير السكوني، ومن قنسرين ألف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي). (تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٥٠). (وكانت وقعة الحرة في ذي الحجة من سنة ٦٣ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه). (تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧٤). * *

في نهاية ابن كثير: ٨ / ٢٤٢: (قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة. قال: سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالى وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف. قال: وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهبوا المدينة ثلاث أيام. قال الواقدي وأبو معشر: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين).

وفي هامشه: (في مروج الذهب: ٣ / ٨٥: قتل من آل أبي طالب اثنان ومن بني هاشم ثلاثة وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش، ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس، دون من لم يعرف! وقال ابن الأعمش: ٥ / ٢٩٥: قتل من أولاد المهاجرين ألف وثلاثمائة، وقتل من أبناء الأنصار ألف وسبعمائة، ومن العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة.

وفي الإمامة والسياسة: ١ / ٢١٦: قتل من أصحاب النبي ثمانون رجلا، ومن قريش والأنصار سبع مئة، ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف. وفي: ١ / ١٨٤: عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان! *

وروت المصادر أن يزيدا عندما قدموا له رأس الحسين (عليه السلام) أخذ ينكت ثغره بالقضيب وتمثل بأبيات ابن الزبعرى، وكذلك عندما وصله استباحته جيشه للمدينة النبوية! وهي أبيات يفتخر بها المشركون بانتصارهم على النبي (صلى الله عليه وآله) في أحد وأنهم أخذوا ثأرهم منه في بدر، وقد نفى محبو يزيد البيت قبل الأخير:

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من أشياخهم * وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم انتقم * من بني أحمد ما كان فعل

(الصحيح من السيرة: ٥ / ٨١، وراجع سيرة ابن هشام: ٣ / ٦٤٥).

كما روى استشهاد يزيد بها وهو ينكت على فم الحسين (عليه السلام): ابن الأعمش في

الفتوح: ٥ / ١٢٩ والنهاية: ٨ / ٢٢٢، والبدء والتاريخ: ٦ / ١٢، والمنتظم: ٥ /

٣٤٣، وشذرات الذهب: ١ / ٦٩، والصواعق المحرقة: ٢ / ٦٣٠، والعقد الفريد /

١٠٩٥، وأنساب الأشراف / ١٣١٠، وغرر الخصاص / ٣٢٥، وسمت النجوم /

٩٢٢، وجواهر المطالب: ١ / ١٥، وبلاغات النساء لابن طيفور / ٢١. وأمالي

الصدوق / ٢٣٠، وروضة الواعظين / ١٩١، ومقاتل الطالبين / ٨٠، والاحتجاج: ٢ /

٣٤، والخرائج: ٢ / ٥٨٠، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٦١، وتفسير القمي: ٢ /

٨٦، والفصول المهمة / ١٢٩، وشرح نهج الحق للميلاني: ١ / ١٦٤). وروت عامة

مصادرنا، وابن

حمدون في تذكرته / ١٣٧٨ و ٢١٤٢، والآبي في نثر الدرر / ٥٣٥، رد السيدة زينب (عليها السلام) على يزيد وجاء فيه: (أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم! وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية محمد (صلى الله عليه وآله) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب)؟! كما روت المصادر استشهاد يزيد بها بعد وقعة الحرة: أنساب الأشراف: ٥ / ٤٢ والأخبار الطوال / ٢٦٧، وشرح النهج: ١٥ / ١٧٨، والمسترشد / ٥١٠، والنص والاجتهاد / ٤٦٧، والغدير: ١٠ / ٣٥). واتفقت المصادر على أن المروانيين كانوا يحبون هذه الأبيات ويتغنون بها! ففي تاريخ الطبري: ٦ / ٣٣٧ وتاريخ دمشق: ٥٢ / ٢٣٥، عن الفرزدق أن الوليد بن يزيد الخليفة كان مع ندمائه في مجلس خمر الصباح، فأمر المغني أن يغني بشعر ابن الزبيرى فرفض فهدده بالقتل: (قال فغناه فقال: أحسنت والله إنه لعلى دين ابن الزبيرى يوم قال هذا الشعر)!! وقال الحافظ ابن عقيل في النصائح الكافية / ٦٤: (فأوقع بأهل الحرة الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها وشفى بذلك عند نفسه وغليله وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهرا بكفره ومظهرا الشركة: ليت أشياخي ببدر شهدوا... هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله).

وقال في النهاية: ٨ / ٢٤٥: (فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه! وسيدكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريبا وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية (سنة ٦٤)). وهذا أسلوب ابن كثير ومحبي بني أمية، فعندما يخرجون يجعلون الأمر قضية فرضية ليشككوا في مخازي أئمتهم!

الملك عقيم.. ولا مقدسات عند صاحبه حتى الكعبة!
تحصن ابن الزبير في المسجد الحرام والكعبة، فأمر يزيد جيشه أن يحاصروهم ويضرب
المسجد والكعبة بالمنجنيق وقنابل النفط! فقصد جيشه المدينة أولا واستباحها، ثم قصد
مكة فحاصر الكعبة وقام بضربها سنة ٦٤، وفي أثناء حصارها هلك يزيد فانسحب
جيشه الذي كان يحاصر الكعبة ويضربها، فهدم ابن الزبير ما بقي من الكعبة وجدد
بناها.

وفي سنة ٧٣ عاود عبد الملك بن مروان محاصرة ابن الزبير، وضرب المسجد والكعبة
بالمنجنيق فهدمها أو كاد! وبعد قتل ابن الزبير أعاد عبد الملك بنائها! وقد روت عامة
مصادر الحديث والتاريخ ضرب الكعبة وهدمها وحرقتها: ابن ماجة: ١ / ٦٢٣، وفتح
الباري: ٣ / ٣٥٤، و: ٨ / ٢٤٥، وتاريخ دمشق: ١٤ / ٣٨٥، وفيه: ورمى الكعبة
بالمنجنيق فسترت بالخشب فاحترقت. وتعجيل المنفعة / ٤٥٣، وفيه: واستيحت
المدينة لجهلة أهل الشام ثم سارت الجيوش إلى مكة لقتال ابن الزبير فحاصروه بمكة
وأحرقت الكعبة بعد أن رميت بالمنجنيق. وتهذيب التهذيب: ٢ / ١٨٥ و: ١٠ /
١٤١، وينايع المودة: ٣ / ٣٥، وشرح منهاج الكرامة: ١ / ٥٦٧، والأربعين البلدانية:
٢ / ٢٤٩، وشرح الزرقاني: ٣ / ١٥٨، وبغية الطلب: ٦ / ٢٨٢٠، والتحفة اللطيفة:
١ / ٢٦٦، وشذرات الذهب: ١ / ٧٢، والسيرة الحلبية: ١ / ٢٩٠، والصواعق
المحرقة: ٢ / ٦٣٧، ومروج الذهب / ٧٢٠، ونهاية الإرب / ٤٦٣٩، والآداب
السلطانية / ٨٥، وسمت النجوم / ٩٤٦).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥١: (وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير إذا
تواقف الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته: يا أهل الشام هذا حرم الله الذي
كان مأمنا في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشام! فيصيح
الشاميون: الطاعة الطاعة! الكرة الكرة! الرواح قبل المساء! فلم يزل على

ذلك حتى أحرقت الكعبة فقال أصحاب ابن الزبير: نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة! فقال بعض أهل الشام: إن الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرمة! وكان حريق الكعبة في سنة ٦٣). انتهى.

ومعنى كلام قادة جيش يزيد أن الكعبة حرمة، ودماء المسلمين بمن فيهم أهل البيت (عليهم السلام) حرمة، وتنفيذ أوامر يزيد طاعة لولي الأمر، والطاعة مقدمة شرعا على الحرمة! فهذا هو (فقه الإسلام) الذي ابتدعه لهم علماء البلاط الأموي، ومعناه أنه تجب طاعة المخلوق حتى في معصية الخالق، واستباحة المقدسات!

* *

الفصل الثاني عشر
انهيار الدولة الأموية الأولى

هلاك يزيد وتزلزل الدولة الأموية
كان موت يزيد حدثاً مفاجئاً وهزة قوية للنظام الأموي، خاصة أن ولي عهده اتخذ في
أول خلافته موقفاً غريباً! فاختلف أركان النظام الأموي وانقسموا واقتتلوا، وسارع عبد
الله بن الزبير إلى اغتنام الفرصة فأعلن نفسه خليفة وسيطر على الحجاز واليمن
وفلسطين، بل سقطت عاصمة الأمويين بيده لفترة لأن وزير معاوية وحاكم عاصمته
بايعه، واضطر الأمويون أن يهربوا منها إلى تدمر!
وتحرك زعماء القبائل والحكام المحليون في البلاد، وطرّدوا الحاكم الأموي ودعوا إلى
أنفسهم، أو انضموا إلى ابن الزبير.
كما تحرك الشيعة في العراق طلباً بثأر الإمام الحسين وعترته النبي (عليهم السلام)،
فقامت حركة التوابين بقيادة الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي، وبعدها بسنة حركة
المختار الثقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر... ثم تواصل تأثير ثورة كربلاء في ضمير
الأمة، فصارت أنموذجاً للقيم، وشعلة للتحرك ومناهضة الظلم.
كما تحرك الخوارج في نجد وإيران وغيرهما فأوجدوا اضطرابات وشغلوا الحكام
والزعماء المحليين.

ابن يزيد يكشف جرائم جده وأبيه ويعلن تشييعه!
قال ابن سعد في الطبقات: ٥ / ٣٩: (وقد كان عقد لابنه معاوية بن يزيد بالعهد بعده
فبايع له الناس وأتته بيعة الآفاق، إلا ما كان من بن الزبير وأهل مكة، فولّي ثلاثة أشهر
ويقال أربعين ليلة، ولم يزل في البيت لم يخرج إلى الناس وكان مريضاً (!) فكان يأمر
الضحّاك بن قيس الفهري يصلي بالناس بدمشق، فلما ثقل معاوية بن يزيد قيل له: لو
عهدت إلى رجل عهداً واستخلفت خليفة؟ فقال: والله ما نفعني

حيا فأتقلدها ميتا... ولكن إذا مت فليصل علي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم ويقوم بالخلافة قائم فلما مات صلى عليه الوليد وقام بأمر الناس الضحاك بن قيس، فلما دفن معاوية بن يزيد قام مروان بن الحكم على قبره فقال أتدرون من دفنتم؟ قالوا: معاوية بن يزيد فقال: هذا أبو ليلى! فقال أزنم الفرازي:

إني أرى فتنا تغلي مراجلها* فالملك بعد أبي ليلى لمن غلبا
واختلف الناس بالشام فكان أول من خالف من أمراء الأجناد ودعا إلى ابن الزبير:
النعمان بن بشير بحمص، وزفر بن الحارث بقنسرين، ثم دعا الضحاك بن قيس بدمشق
الناس سرا، ثم دعا الناس إلى بيعة بن الزبير علانية فأجابه الناس إلى ذلك وبايعوه له).
انتهى.

وقال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ٢٥٣: (ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، أربعين يوما وقيل بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل فخطب الناس فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس، فإننا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراحتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله وأحق في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منه ما تعلمون وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهنا بعمله. ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاءه، فأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل، فقلت منعه، وانقطعت مدته، وصار في حفرتة، رهنا بذنبه وأسيراً بجرمه. ثم بكى وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول وأباح الحرمة وحرق الكعبة، وما أنا المتقلد أموركم ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنما

لقد نلنا منها حظا، وإن تكن شرا فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها!
فقال له مروان بن الحكم: سنها فينا عمرية! قال: ما كنت أتقلدكم حيا وميتا ومتى
صار يزيد بن معاوية مثل عمر ومن لي برجل مثل رجال عمر! وتوفي وهو ابن ثلاث
وعشرين سنة وصلى عليه خالد بن يزيد بن معاوية، وقيل بل عثمان بن محمد بن أبي
سفيان، ودفن بدمشق وكان بها ينزل).
وقال ابن خياط في تاريخه / ٢٥٥: (فأقر عمال أبيه ولم يول أحدا، ولم يزل مريضا
حتى مات... وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان).
وأورد في تاريخ دمشق: ٦٣ / ٢١١ روايات محاولة بني أمية أن يقبل الوليد الخلافة
بعد معاوية الثاني فلم يقبلها، وأنه في أثناء الصلاة على جنازته وقع ميتا!
وقال البلاذري في فتوحه: ١ / ٢٧٠: (فلما كبر الثانية (الوليد) طعن فسقط ميتا قبل
تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان).
وقال في التنبيه والإشراف / ٢٦٥: (وإنما كني أبا ليلي تقريرا له لعجزه عن القيام
بالأمر، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز من الرجال.. بويح في اليوم الذي هلك فيه
أبوه يزيد... وكان ربعة من الرجال نحيفا يعتريه صفار).
وفي لسان العرب: ١١ / ٦٠٩: (وقال المدائني: يقال إن القرشي إذا كان ضعيفا يقال
أبو ليلي، وإنما ضعف معاوية لأن ولايته كانت ثلاثة أشهر. قال: وأما عثمان بن عفان
فيقال له أبو ليلي لأن له ابنة يقال لها ليلي). انتهى. ولم أجد ليلي في بنات عثمان!
فلعلمهم اخترعوها ليبعدوا عنه تهمة الضعف!
قتلهم الوحشي لأستاذه يكشف عن قتلهم له!
قال في البدء والتاريخ: ٦ / ١٦: (وكان قدريا، لأنه أشخص عمرا المقصوص فعلمه
ذلك فدان به وتحققه، فلما بايعه الناس قال للمقصوص: ما ترى؟ قال: إما أن تعتدل
وإما أن تعتزل. فخطب معاوية فقال: إنا بلينا بكم وابتليتكم بنا وإن جدي

معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتها بعمله ثم تقلده أبي ولقد كان غير خليق به فركب ردعه واستحسن خطأه، ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشانكم وأمركم ولوه من شئتم، فوالله لئن كانت الخلافة مغنما لقد أصبنا منها حظا وإن كانت شرا فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها! ثم نزل وأغلق الباب في وجهه وتخلى للعبادة حتى مات بالطاعون في سنة أربع وستين عن اثنتي وعشرين سنة... فوثب بنو أمية على عمرو المقصوص وقالوا أنت أفسدته وعلمته! فطمروه ودفنوه حيا!!

تناقض الأمويين والرواة في أمر معاوية الثاني!
الصورة التي قدمها أكثر الرواة لمعاوية الثاني، أنه ضعيف الشخصية زاهد في الحكم، اختار الإنزواء والعبادة، ومرض ومات ورفض أن يوصي إلى أحد!
لكن ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ٢ / ١٠، قدم صورة أخرى مختلفة تماما! قال:
(فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد، وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالي محجوبا لا يرى، ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إني نظرت بعدكم فيما صار إلي من أمركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي أن أتقدم على قوم فيهم من هو خير مني وأحقهم بذلك وأقوى على ما قلدته، فاختاروا مني إحدى خصلتين: إما أن أخرج منها وأستخلف عليكم من أراه لكم رضا ومقنعا، ولكم الله علي ألا آلوكم نصحا في الدين والدنيا. وإما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها. قال: فأنف الناس من قوله وأبوا من ذلك وخافت بنو أمية أن تزول الخلافة منهم فقالوا: ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله، فأمهلنا. قال: لكم ذلك وعجلوا علي.

قال فلم يلبثوا بعدها إلا أياما حتى طعن (مرض مرض الموت) فدخلوا عليه فقالوا له: استخلف على الناس من تراه لهم رضا. فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك؟ لا والله لا أتزودها! ما سعدت بحلاوتها فكيف أشقى بمرارتها، ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحدا).

معاوية الثاني شتم مروان بن الحكم وطرده من الأمور الملفتة ثقة معاوية الثاني بالوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان أكبر بني أمية سنا، فقد أوصى أن يصلي على جنازته (كما تقدم، وفي تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٩٩). والأمر الأهم موقفه من مروان، فقد ورد ذكر مروان في عدة أحداث تدل على دوره في تلك الأيام، فعندما أعلن معاوية أنه يريد التخلص من الحكم طلب منه مروان أن يعين شورى أموية ليدخل فيها وواصل الإلحاح على طلبه فلم يقبل ورده بعنف! قال في تاريخ دمشق: ٥٩ / ٣٠٢: (ومات معاوية بن يزيد في طاعون كان وقع في الشام!) وجهد به مروان أن يجعل لهم عهدا فأبى! ولما توفي صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان). انتهى.

وتواصل إصرار مروان وإهانته للخليفة الجديد فشمته وطرده! قال البلاذري في أنساب الأشراف / ١٣٢٨، بسند صحيح عندهم: (وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: لقد أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين ثم رفع صوته فقال: من أراد أن ينظر في خالفة آل حرب بن أمية فلينظر إلى هذا! فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء! أخرج عني لا قبل لك عذرا يوم تلقاه). انتهى.

وهي حادثة تدل على نظرة معاوية الثاني السلبيّة إلى مروان حيث دعا عليه أن يدخله الله النار بجرائمه ولا يقبل له عذرا! وتدلل على أنه يعتقد بما وصف به

النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) مروان بأنه ابن الزرقاء، وهو طعن في نسبه!

فقد روى ابن حماد في الفتن: ١ / ١٢٩: (عن راشد بن سعد أن مروان بن الحكم لما ولد دفع إلى رسول الله (ص) ليدعو له فأبى أن يفعل ثم قال: ابن الزرقاء؟! هلاك عامة أمتي على يديه ويدي ذريته!!) وقد وصفه بذلك الإمامان الحسنان (عليهما السلام) (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٩٢) والإمام زين العابدين (عليهم السلام) (الكافي: ٦ / ١٩) والأحنف بن قيس (الطبقات: ٧ / ٩٦) وتاريخ دمشق: ١ / ٣٦٠ والطبري: ٤ / (٢٥١).

وهذا يشير إلى أن ثقافة معاوية بن يزيد شيعية، فالزرقاء لقب لأم مروان واسمها أرنب أو أمية لقتت به لأنها كانت بغية! ففي هامش البحار: ٤٩ / ٢٥٣: (قال سبط ابن الجوزي في التذكرة / ١١٩: ذكر هشام بن محمد الكلبي عن محمد بن إسحاق قال: بعث مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة رسولا إلى الحسن (عليه السلام) فقال له: يقول لك مروان: أبوك الذي فرق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد العلماء والزهاد - يعنى الخوارج - وأنت تفخر بغيرك، فإذا قيل لك من أبوك تقول خالي الفرس! فلما سمعها الحسين (عليه السلام) قال للرسول: قل له يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة: يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الراية بسوق عكاظ، ويا ابن طريد رسول الله ولعينه! اعرف من أنت ومن أمك ومن أبوك؟ إلى أن قال: قال الأصمعي: أما قول الحسين يا ابن الداعية إلى نفسها فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أمية وكانت من البغايا في الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها، وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء). (ونحوه مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٨٤، وقال في المستقصى في أمثال العرب: ١ / ٢٠٢: وهي إحدى أمهات مروان اسمها أرنب كانوا يسبون بها).

وقد شهدت بذلك عائشة فشتته به في نزاعها معه من أجل أخيها عبد الرحمن

(تاريخ دمشق: ٣٥ / ٣٦، والإشراف لابن أبي الدنيا / ٢١٩، والمنتظم: ٥ / ٣٢٣).
والصحابي أبو سعيد الأنصاري (الطبراني الكبير: ٢٢ / ٣٠٦، ومسند الشاميين: ٢ /
٣٢٥، والضحاك في الآحاد والمثاني: ١ / ٣٩٤، و: ٤ / ٢٤٧).
كما وصفهم به عمرو بن سعيد الأشدق الأموي عندما أراد عبد الملك أن يقتله (تاريخ
الطبري: ٤ / ٥٩٩، والنهاية: ٦ / ٢٧٢، والمنتظم: ٦ / ٩١، وابن الأثير: ٤ / ٨٨)
وكما حرف أتباع الأمويين لعنة النبي (صلى الله عليه وآله) لمروان وجعلوها فضيلة له،
كذلك حرفوا وصمة النبي (صلى الله عليه وآله) له بابن الزرقاء فجعلوه مدحا لأمه! ففي
الآحاد والمثاني: ١ / ٣٩٤: (وكانت تسمى الزرقاء من حسن عينيها!) وهي محاولة
زرقاوية مكشوفة!
**

هذا الموقف من الخليفة الجديد، ومطلبه أن يقبلوا بمن يعينه لهم خليفة، ورفضه أن
يعين أحدا منهم، يعني أنه قوي جدا وصاحب مشروع جريء! وأن خطته كانت أن
يأخذ تعهدا من أركان الأسرة الحاكمة بقبول (شخص) يراه أكفأ منه للخلافة، ليعلن
خلافته ويعزل نفسه، وقد أبقى اسم ذلك الشخص سرا، لأن بني أمية لم يقبلوه لخوفهم
أن يكون من غيرهم!

فمن هو ذلك (الشخص) يا ترى؟! من المؤكد أنه لم يكن أمويا، لأنهم حاولوا معه
كثيرا أن يستخلف شقيقه خالد فلم يقبل! ولأنه بين في كلامه ومواقفه شروطا لهذا
الخليفة الذي يريد إعلانه لهم، لا تنطبق إلا الإمام زين العابدين (عليه السلام).
هل قتلت أم معاوية بن يزيد أو توفيت!

قال في تاريخ دمشق: ٥٩ / ٣٠٣: (وسألت أمه بثدييها (أقسمت عليه بحلييها) أن
يستخلف أخاه خالد بن يزيد بن معاوية فأبى وقال: لا أتحملها حيا وميتا). انتهى.
ويقصد بأمه هنا أم خالد زوجة يزيد التي تزوجها بعده مروان وقتلته!
لكن ذلك لا يصح لأن أم خالد ليست أم أخيه معاوية بن يزيد بل هي حالته،

فأمه هي أم هاشم بنت عتبة، وردت تسميتها أم حبيب وأم عبد الله، وروى ذلك في تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٩٩، قال: (ولد أبو هاشم بن عتبة: عبد الله وأم حبيب وأم خالد، وكانت أم حبيب عند يزيد بن معاوية فولدت له معاوية وعبد الله، ثم خلف علي أختها أم خالد بنت أبي هاشم، فولدت له خالد بن يزيد بن معاوية). ومثله: ٧٠ / ٢٠٩، وقال قبله: (أم حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية زوج يزيد بن معاوية ولدت له معاوية وعبد الله بن يزيد. كتبت إلى النعمان بن بشير تسأله عن قصة زيد بن خارجة الأنصاري الذي تكلم بعد موته، فكتب إليها بذلك، وكانت تكنى أم عبد الله بابنها عبد الله).

وقال البلاذري في أنساب الأشراف / ١٣٢٧: (وسمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت أم معاوية بن يزيد وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس امرأة برزة عاقلة، فدعا يزيد يوما بمعاوية بن يزيد وأمه حاضرة فأمره بأمر فلما ولى قالت له: لو وليت معاوية عهدك، فقال: أفعل).

شاب في مقتبل العمر ضحى بأمبراطوريته وبدمه!
يتضح مما تقدم أن قصده بعدم تحمل الخلافة حيا وميتا، أنه ليس مستعدا لأن يغصبها أو يعطيها لغير أهلها! وأنه ترك رئاسة أمبراطورية واسعة مدى العمر، وعرض حياته لخطر محقق من أجل أن يوصل الخلافة إلى صاحبها الشرعي! وهذا غاية في البذل والتضحية والشجاعة!

ولهذا يترجح عندنا أنه كان شيعيا وأنه أراد أن يعطي الخلافة للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، فهذا مقتضى مفردات عقيدته التي أعلنها في علي والعترة (عليهم السلام) والتي شهد بها له أستاذه الشهيد، فهي لا تتفق إلا مع التشيع. أما اتهامهم له بأنه قدرى فهي تهمة جاهزة لمن خالف السلطة، ومعناها أنه

لا يقول بالجبرية والقدر الذي يقولون به! وقد اتهموا بها كثيرين، ومنهم شيعة مثل إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي أستاذ مالك بن أنس. (سير الذهبي: ٨ / ٤٥٠)

الدميري والدمشقي يرويان تشيع معاوية

ويتضح تشيعه من خطبته التي رواها الدميري في حياة الحيوان: ١ / ٩٨، وابن
الدمشقي في جواهر المطالب: ٢ / ٢٦١، واللفظ للأول: (وذكر غير واحد أن معاوية
بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلا، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما
يكون من الحمد والثناء، ثم ذكر النبي (ص) بأحسن ما يذكر به، ثم قال:
يا أيها الناس، ما أنا بالراغب في الإئتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني لأعلم
أنكم تكرهوننا أيضا لأننا بلينا بكم وبليتم بنا! ألا إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر
من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله وعظم فضله وسابقته، أعظم
المهاجرين قدرا وأشجعهم قلبا وأكثرهم علما وأولهم إيمانا وأشرفهم منزلة وأقدمهم
صحبة ابن عم رسول الله وصهره وأخوه، زوجة النبي ابنته فاطمة وجعله لها بعلا
باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل
هذه الأمة، تربية الرسول وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية، فركب
جدي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الأمور.
فلما جاءه القدر المحتوم واحترمته أيدي المنون بقي مرتها بعمله فريدا في قبره، ووجد
ما قدمت يداه ورأى ما ارتكبه واعتداه!
ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي فتقلد أمركم لهوى كان لأبيه فيه، ولقد كان أبي يزيد
بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد، فركب هواه
واستحسن خطاه، واقتحم على ما أقدم من جرأته على الله، وبغية

على من استحل حرمة من أولاد رسول الله، فقلت مدته وانقطع أثره، وضاجع عمله وصار حليف حفرة رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته وحصل على ما قدم، وندم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله وذلك ظني! ثم خنقته العبرة فبكى طويلا وعلا نحيبه ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم والساحط علي أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم. والسلام. فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى؟ فقال أغد عني! أعن ديني تخدعني؟ فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها! إئتني برجال مثل رجال عمر، على أنه (ما) كان حين جعلها شورى وصرفها عن لا يشك في عدالته ظلوما. والله لئن كانت الخلافة مغنما لقد نال أبي منها مغرما ومأثما، ولئن كانت سوء فحسبه منها ما أصابه. ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكي فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك. فقال: وددت والله ذلك، ثم قال: ويلى إن لم يرحمني ربي. ثم إن بني أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص: أنت علمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسنت له الباع حتى نطق بما نطق وقال ما قال! فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي! فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات!

انتهى.
وفي جواهر المطالب: (ثم نزل فدخل الخضر فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة! فقال: والله لو دددت أن كنت ذلك ولم أعلم أن لله ناراً يعذب بها من عصاه، إن لم

يرحم الله أبي وجدي فويل لهما. ثم إنه مات بعد أربعين يوما فوثب بنو أمية على مؤدبه المعروف بعمر المقصوص وقالوا له: أنت علمته هذا! فقال: لا والله وإنه لمطبوع عليه، والله ما حلف قط إلا بمحمد وآل محمد، وما رأيته أفرد محمدا منذ عرفته!

(وبهامشه: من أول الخطبة إلى هاهنا رواه يعقوبي بمغايرة طفيفة لفظية في حوادث سنة ٦٤ من تاريخه: ٢ / ٢٤٠. وذيل الكلام رواه أيضا المسعودي في حوادث سنة ٦٤ من كتاب مروج الذهب: ٣ / ٧٣. ورواه في كتاب الأضواء / ١١٦ عن كتاب حياة الحيوان: ٢ / ٦١ ورواه بأتم منهم ابن العبري في كتابه تاريخ مختصر الدول / ١١١، ثم قال في ذيل القصة: فوثب بنو أمية على عمر المقصوص وقالوا أنت أفسدته وعلمته! فطمروه ودفنوه حيا! وانظر ترجمة عمر بن نعيم العنسي من النسخة الأردنية من تاريخ دمشق: ١٣ / ٣٦٥. ورواه موجزا ابن حجر في كتاب الصواعق / ١٣٤). أقول: ولا يعارض الحكم بتشيعه المفاهيم التي تضمنتها روايتهم لكلامه، فلا يعتمد على ما رووه في هذه النقطة لأن مقصودهم التعميم، وكثير من روايتهم يستحلون الكذب لتغطية فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومدح مخالفيهم! وقد رأيت تفاوت روايتهم في رأيه في عمر بن الخطاب، وقد وضعنا (ما) بين قوسين لأن المعنى يستقيم بدونها ولا يستقيم بها، فالمظنون أنهم زادوها في الرواية.

أستاذه عالم شامي يروي عن أبي ذر (رحمه الله) ترجمته مصادر الجرح والتعديل فهو عمر بن نعيم العنسي الملقب بالمقصوص معلم أولاد يزيد، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان، وهو يروي عن أسامة النخعي عن أبي ذر، ومعناه أن أستاذه أسامة بن سلمان النخعي تلميذ أبي ذر (رحمه الله) فقد قضى أبو ذر نحو عشرين سنة في بلاد الشام.

قال ابن حجر في تعجيل المنفعة / ٣٠٤: (عمر بن نعيم العنسي شامي، عن أسامة بن سلمان وعنه مكحول، وثقة بن حبان وقال: عداؤه في أهل الشام، وتبع في ذلك البخاري كابن أبي حاتم). (ونحوه في الإكمال لرجال أحمد / ٣١٠).

وقال في تعجيل المنفعة / ٢٧: (أسامة بن سلمان النخعي شامي روى عن أبي ذر وابن مسعود، وعنه عمر بن نعيم العنسي وغيره، ذكره ابن حبان في الثقات. قلت: لم يذكر البخاري ولا ابن أبي حاتم فيه جرحا ولم يذكروا له راويا غير عمر، ولكن قال بن عساكر: قيل روى عنه مكحول أيضا).

وفي تاريخ دمشق: ٤٥ / ٣٥١: (عمر بن نعيم العنسي ويقال القرشي معلم بني يزيد بن معاوية من أهل دمشق، روى عن معاوية وأسامة بن سلمان النخعي الدمشقي، روى عنه مكحول. أخبرتنا أم المجتبي بنت ناصر قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور أنا أبو بكر بن المقرئ أنا أبو يعلى الموصلي نا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن عمر بن نعيم عن أسامة بن سلمان أن أبا ذر حدثه أن رسول الله (ص) قال إن الله عز وجل يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قيل يا رسول الله وما الحجاب قال تموت النفس وهي مشرقة. وقد أخرجت باقي طرق هذا الحديث في ترجمة أسامة بن سلمان...). وقد روى عنه: البزار: ٩ / ٤٤٤، وأحمد: ٥ / ١٧٤، والحاكم: ٤ / ٢٥٧، وابن الجعد: ٤٨٩ / ٤، وابن حبان: ٢ / ٣٩٣، والطبراني في مسند الشاميين: ١ / ١٢٤، و: ٤ / ٣٦٨، وابن عساكر: ٨ / ٨٩، و: ٤٥ / ٣٥١، وغيرهم. وترجم له: بخاري في الكبير: ٦ / ٢٠٢، والرازي في الجرح والتعديل: ٢ / ٢٨٤، وابن حبان في الثقات: ٧ / ١٧٩، والخطيب في تاريخه: ٣ / ١١٧، وابن حجر في تعجيل المنفعة / ٢٧، والحسيني في الإكمال / ٣١٠، وغيرهم).

وختاما، إن معاوية الثاني يحتاج إلى مزيد من البحث، فهو ظاهرة بارزة وشاهد من أهلها على فداحة ظلامه أهل البيت (عليهم السلام) بيد قريش وأموية، وشهادة على بطشهم بمن خالف هواهم، حتى لو كان ابنهم وخليفتهم! وتدل من جهة أخرى على أن طغيان بني أمية وخططهم الحديدية لم تمنع عقائد الإسلام وحب أهل البيت (عليهم السلام) من النفوذ إلى قصورهم وأولادهم!

* *

الفصل الثالث عشر
المؤسس الثاني للدولة الأموية: مروان بن الحكم

(٤٤٢)

انهيار الدولة السفىانية وقيام الدولة المروانية
كانت السنوات العشر، ابتداء من هلاك يزيد سنة ٦٤ هجرية إلى انتهاء حركة ابن الزبير
سنة ٧٣، سنوات اضطراب سياسي واجتماعي وفكري.
ذلك أن شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) والعترة النبوية في كربلاء كانت حدثا
ضخما هز وجدان الأمة الإسلامية، وهز نظام الحكم الأموي من أساسه! وكان أول
تداعياته في الأمة ثورة أهل المدينة بقيادة بقية الصحابة وكبار التابعين، والتي قمعها
يزيد، واستباح المدينة بوحشية أشد من وحشية المغول.
ثم كانت أول تداعياته على النظام الأموي هلاك يزيد فجأة وهو في أوج عمره وسلطته،
ثم مجئ ابنه الخليفة الجديد وإدانته لكل سياسة أبيه وجده وأسرته، ومحاولته نقل
الخلافة إلى عترة النبي (صلى الله عليه وآله)! الأمر الذي أدى إلى تزلزل النظام الأموي
في كافة البلاد حتى في عاصمته دمشق! وتتابعت أحداثه حتى انتهت دولة آل أبي
سفيان وسيطر مروان بن الحكم وأولاده على الحكم!
اعترفوا بأن مروان ملعون ابن ملعون وزغ ابن وزغ!
أجمعت روايات المسلمين على أن الحكم بن أبي العاص أبا مروان، كان من أشد
مشركي قريش عداوة لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله)! قال ابن سعد: ٢٠٠ / ١:
(وكان أهل العداوة والمبادأة لرسول الله (ص) وأصحابه الذين يطلبون الخصومة
والجدل: أبو جهل بن هشام، وأبو لهب بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث،
والحارث

بن قيس بن عدي وهو بن الغيظلة والغيظلة أمه، والوليد بن المغيرة، وأميه وأبي ابنا خلف، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث، ومنبه بن الحجاج، وزهير بن أبي أمية، والسائب بن صيفي بن عابد، والأسود بن عبد الأسد، والعاص بن سعيد بن العاص، والعاص بن هاشم وعقبة بن أبي معيط، وابن الاصدى الهذلي وهو الذي نطحته الأروى، والحكم بن أبي العاص، وعدي بن الحمراء. وذلك أنهم كانوا جيرانه).

وكان أحد الخمسة عشر الذين انتدبتهم قبائل قريش لقتل النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة هجرته، ففي المنتظم: ٣ / ٤٩: (وروى الواقدي عن أشياخه أن الذين كانوا ينتظرون رسول الله تلك الليلة: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأميه بن خلف، وابن العيظلة، وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب، وأبي بن خلف ونبيه وأبي ابنا الحجاج). وكان الحكم من القلة الذين هدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمهم فخبؤوا الحكم ولم يقتلوه (شرح الأخبار: ٢ / ١٥١).

وبعد فتح مكة جاء إلى المدينة فواصل أذاه للنبي (صلى الله عليه وآله) وكان يسخر به! (كان الحكم بن أبي العاص يجلس عند النبي (ص) فإذا تكلم النبي اختلج بوجهه، فبصر به النبي فقال: أنت كذاك! فما زال يختلج حتى مات). (الطبراني الكبير: ٣ / ٢١٤). وفي لسان العرب: ٢ / ٢٥٨، ونهاية ابن الأثير: ٢ / ٦٠: (كان يحرك شفثيه وذقنه استهزاء وحكاية لفعل سيدنا رسول الله (ص) فبقي يرتعد إلى أن مات). (والحاكم وصححه: ٢ / ٦٢١، وغيره. وفي الخرائج: ١ / ١٦٨: يحرك كتفيه ويكسر يديه). وكان يجلس تحت نافذة بيت النبي (صلى الله عليه وآله) يتجسس عليه، وذات مرة تسلق وأطل من النافذة والنبي (صلى الله عليه وآله) مع إحدى زوجاته، فأراد أن يفقأ عينه بالمشقص فهرب! (غوامض الأسماء لابن بشكوال: ٢ / ٥٨٧. وراجع في الغدير: ١ / ٢٦٠)

**

وعندما لم يرتدع الحكم دعا عليه النبي (صلى الله عليه وآله) ولعنه ونفاه مع أولاده إلى (بطن)

وج) من بادية الطائف! (البدء والتاريخ: ٥ / ١٩٩، وأنساب الأشراف / ١٤١٢).
وقال في الإستيعاب: ١ / ٣٥٩: (واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله إياه
ف قيل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله إلى كبار الصحابة في مشركي
قريش وسائر الكفار والمنافقين، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه، وكان
يحكيه في مشيته وبعض حر كاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها! ذكروا أن رسول الله
كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم بن العاص يحكيه فالتفت النبي يوماً فرآه يفعل ذلك
فقال: فكذلك فلتكن! فكان الحكم مختلجاً لم يرتعش إلا من يومئذ، فغيره عبد
الرحمن بن حسان بن ثابت، فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوهُ:

إن اللعين أبوك فارم عظامه * إن ترم ترم مخلجاً مجنوناً

يمسي خميص البطن من عمل التقى * ويظل من عمل الخبيث بطينا).

وفي البيت الأخير تعريض بشذوذه الجنسي، وستأتي روايته.

وفي وفيات الأعيان: ٢ / ٢٢٦: (كان يرعى الغنم ويأوي إلى حبيلة وهي الكرمة ولم
يزل كذلك حتى ولي عثمان بن عفان الخلافة فردّه، وكان الحكم عمه).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٤: (قال بعضهم: رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم
المدينة عليه فزر خلق (ثوب بال متهرئ) وهو يسوق تيساً، حتى دخل دار عثمان
والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه، ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان).
وذكر الأميني (رحمه الله) في الغدير: ٨ / ٢٤١، الملايين التي أعطها له عثمان!
**

أما ابنه مروان فقد ولد في المدينة، ولما ولد جاؤوا به إلى النبي (صلى الله عليه وآله)
ليدعوه له فلما قربته منه عائشة قال: (أخرجوا عني الوزغ ابن الوزغ... ولعنه)! (الكافي:
٨ / ٢٣٨). ورواه الحاكم: ٤ / ٤٧٩ وصححه، ولفظه: (فأدخل عليه مروان بن
الحكم فقال: هو الوزغ

ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون). (ورواه نعيم في الفتن: ١ / ١٣١، وسنده صحيح،
والدمشقي في جواهر المطالب: ٢ / ١٩١، والمنأوي في فيض القدير: ٢ / ٧٦،
والسيرة الحلبية: ١ / ٥٠٩، وينايع المودة: ٢ / ٤٦٩، والنزاع والتخاصم لمعمر بن
عقيل / ١٩٩، والملاحم والفتن لابن طاووس / ٨٣ وخزانة الأدب / ٩٣٢، ونحوه في
نهاية ابن كثير: ٦ / ٢٧٢ بلفظ: فأبى أن يفعل ثم قال: ابن الزرقاء! هلاك أمتي على
يديه ويدي ذريته، وزعم أنه مرسل مع أنه مسند). انتهى.

وفي مستدرك الحاكم: ٤ / ٤٨٠: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إني أريت
في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة! قال: فما
رؤي النبي (صلى الله عليه وآله) مستجمعا ضاحكا حتى توفي! هذا حديث صحيح
على شرط الشيخين ولم يخرجاه... كان أبغض الأحياء (القبائل) إلى رسول الله بنو
أمية وبنو حنيفة وثقيف. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). انتهى.

(قال الشعبي: سمعت ابن الزبير يقول: ورب هذه الكعبة إن الحكم بن أبي العاص
وولده ملعونون على لسان محمد (ص) وقد كان للحكم عشرون ابنا وثمانية بنات).
(سير الذهبية: ٢ / ١٠٨، وتاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٧١، وسنده صحيح عندهم).

وقال في شرح النهج: ٤ / ٧٠: (كان مجاهرا بالإلحاد هو وأبوه الحكم بن أبي العاص
وهما الطريدان اللعينان! كان أبوه عدو رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحكيه في
مشيه ويغمز عليه عينه ويدلع له لسانه ويتهكم به ويتهافت عليه (يقهقه رافعا صوته
سخرية)! هذا وهو في قبضته وتحت يده وفي دار دعوته بالمدينة وهو يعلم أنه قادر
على قتله أي وقت شاء من ليل أو نهار! فهل يكون هذا إلا من شأن شديد البغضة
ومستحكم العداوة؟ حتى أفضى أمره إلى أن طرده رسول الله عن المدينة وسيره إلى
الطائف! وأما مروان ابنه فأخبت عقيدة وأعظم إلحادا وكفرا). انتهى.

وقد ذكرنا في المجلد الثاني معركة عائشة وأخيها عبد الرحمن مع مروان ومعاوية
وشهادتها بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لعن الحكم بن العاص وأولاده، وقد روى

بخاري طرفا منه في صحيحه: ٦ / ٤٢، والنسائي: ٦ / ٤٥٩، وعامة مصادرهم!
وكان مروان يلقب: (خييط باطل) لطول قامته واضطراب خلقه وفيه يقول الشاعر:
لحي الله قوما أمروا خييط باطل* على الناس يعطي من يشاء ويمنع).
(البدء والتاريخ: ٦ / ١٩، وفي أسد الغابة: ٤ / ٣٤٨. والقائل هو أخوه عبد الرحمن،
وكان ظريفا).

لكن هل يقنعهم كل ذلك؟ كلا ثم كلا! لأنهم أشربوا في قلوبهم بني أمية!
فالحكم عندهم صحابي ومروان صحابي! لأن الصحابي من رأى رسول الله (صلى الله
عليه وآله) وقد رآه مروان عندما ولد وأخذوه له فلعنه وقال أخرجوا عني الوزغ بن
الوزغ!

وإذا قلت لهم: يا قوم كيف تشهدون بأنهم أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله)
ملعونون على لسانه، ثم تحبونهم وتتولونهم؟! لقالوا لك: لا تعترض وإلا جعلنا اللعن
مكرمة ومنقبة لهم! فانظر ما قاله ابن حجر في الصواعق: ٢ / ٥٢٧: (ومن أشد الناس
بغضا لأهل البيت مروان بن الحكم! وكأن هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم
أن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي فيدعو له
فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن
الملعون. ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني وكانت له صحبة أن الحكم ابن أبي العاص
استأذن على رسول الله فعرف صوته فقال: إئذنا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من
صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم! يشرفون في الدنيا ويصغرون في الآخرة ذووا مكر
وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق! قال ابن ظفر: وكان الحكم
هذا يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل (أي بالأبنة كما تقدم في شعر ابن حسان!)
كذا ذكر ذلك بقوله مما بينه في حياة الحيوان. ولعنته للحكم وابنه لا تضرهما! لأنه
تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر: أنه بشر يغضب كما يغضب البشر! وأنه
سأل ربه أن من سبه

أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة! وما نقله عن ابن ظفر في أبي جهل لا يلام عليه فيه، بخلافه في الحكم فإنه صحابي وقبيح أي قبح أن يرمى صحابي بذلك، فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الإسلام). (راجع: حياة الحيوان / ١٠٠ و ١٢٣٤). وقال ابن حجر في مقدمة فتح الباري / ٤٤٣: (يقال له رؤية فإن ثبتت فلا يعرج على من تكلم فيه)! انتهى.

فتأمل منطقتهم المتهافت السقيم! فالمأبون الملعون على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يضره ذلك بل هو زكاة له ومنقبة!

وقد بحثنا تحايلهم على القرآن والسنة لرفع اللعن عن الذين لعنهم الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) في تدوين القرآن، وفي ألف سؤال وإشكال (المسألة ١٤٥). على أن بعضهم نص على أن مروان ليس صحابيا، لأن الصحابي عندهم من رأى أو سمع النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يصح ذلك لمروان. ففي الإستيعاب: ٣ / ١٣٨٧: (ولم يره لأنه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل) وفي المراسيل لابن أبي حاتم / ١٩٨: (سمعت أبا زرعة يقول مروان بن الحكم لم يسمع من النبي شيئا).

مطروود النبي.. (صلى الله عليه وآله) يتسلم مقدرات خلافة النبي (صلى الله عليه وآله)! كان مروان مع أبيه مطروودا من النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بادية الطائف! ورفض أبو بكر وعمر أن يلغيا قرار الطرد، حتى صار عثمان خليفة فبادر إلى إلغائه وأتى بعمه الحكم وأعطاه ملايين من بيت المال فصار من الأثرياء، وزوج ابنه مروان ابنته وجعله وزيره الخاص، وأعطاه خاتم الخلافة!

ولا يتسع المجال لتعداد تصرفات مروان في بيت مال المسلمين ومناصب الدولة ومقدراتها، فقد كانت السبب في نقمة الصحابة على عثمان!

ونكتفي بالمرسوم الخلافي الذي أصدره مروان باسم عثمان إلى الوالي الأموي في مصر، نقضا للمرسوم الذي أصدره عثمان وسلمه إلى الوفد المصري! فقد شكى المصريون واليهام ابن أبي معيط الأموي، وكتب له عثمان أكثر من مرة ليصحح سياسته لكن المعيطي أصر على مخالفته ولم يتراجع عنها، فجاء المصريون وفدا من سبع مئة شخص فيهم بعض الصحابة، وساعدهم في المدينة عائشة وطلحة وعلي (عليه السلام) وطلبوا من عثمان تغيير الحاكم، فوافق عثمان واتفق معهم على تعيين محمد بن أبي بكر (رحمه الله) واليا على مصر وكتب لهم المرسوم واصطحبوا معهم الوالي الجديد، لكنهم تفاجؤوا في الطريق بمبعوث سري من دار الخلافة إلى الوالي الأموي يأمره بقتلهم والبقاء في منصبه، فرجعوا غاضبين!

روى في تاريخ دمشق: ٣٩ / ٤١٥: (محمد بن شهاب الزهري قال: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد (ص)؟ فقال... فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد (ص) وكان عثمان يستعذب فيهم فلا يعزلهم. فلما كان في الست حجج الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله، ولي عبد الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن عصب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر، وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه كتابا يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله!

فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب محمد (ص) في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بن عفان بكلام شديد، وأرسلت عائشة إليه فقالت تقدم إليك أصحاب محمد (ص) وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة، فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك! ودخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال إنما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فقال: استعمل عليه محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بسلام أسود يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد: ما قصتك وما شأنك هارب أو طالب؟ فقال لهم: أنا سلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال له رجل: هذا عامل مصر! قال: ليس هذا أريد! وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلا فأخذه فجاء به فقال: سلام من أنت؟ فأقبل مرة يقول أنا سلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا سلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال إلى عامل مصر، قال: بماذا؟ قال برسالة: قال: معك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه أداة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الأداة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح! فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك فلان ومحمد وفلان

فاحتل قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجئ إلي يتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله!

فلما قرأوا الكتاب فزعوا، وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم، وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد (ص) ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب، فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقا وغيظا، وقام أصحاب محمد (ص) فلحقوا بمنزلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرأوا الكتاب، وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بيني تيم وغيرهم، فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب محمد (ص) كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمر به ولا علم به! قال له علي: فالحاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟! فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط! وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار! فخرج أصحاب محمد من عنده غضابا وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قوما قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد بغير حق! فإن يكن عثمان كتبه عزلناه، وإن يكن مروان

كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان... من رواية طويلة! (رواها أيضا السيوطي في تاريخ الخلفاء / ١٢٣، والبلاذري في أنساب الأشراف / ١٤٦٧، والعصامي في سمت النجوم العوالي / ٧٣٠، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٤٢، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١ / ٣٤٢، والحلي في السيرة الحلبية: ٢ / ٢٧١، وناقش الشريف المرتضى في الشافي في الإمامة: ٤ / ٢٥٦ محاولتهم تبرئة عثمان ومروان من وزرها). وتوجد عدة روايات تدل على ضعف عثمان وإطلاقه يد مروان، ثم دفاعه عنه حتى عندما يرتكب جريمة!

ومن نوادر الذهب في الصدق والإنصاف ما قاله في سيره: ٣ / ٤٧٧: (وكان كاتب ابن عمه عثمان وإليه الخاتم فخانه، وأجلبوا بسببه على عثمان ثم نجا هو. وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان فقتل طلحة يوم الجمل، ونجا - لا نجا - ثم ولي المدينة غير مرة لمعاوية). انتهى.

كان مروان مع عائشة في حرب الجمل كان من أوائل الذين بايعوا عليا (عليه السلام) بعد عثمان، ومن أول الناكثين المتحمسين لحربه، زاعمين الطلب بدم عثمان، مع أنهم يعرفون براءته (عليه السلام) من دم عثمان!

واتفق الرواة على أن مروان قتل طلحة في حرب الجمل، لأنه برأيه أول محرض على قتل عثمان، ففي مجمع الزوائد: ٩ / ١٥٠: (عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوق في عين ركبه فما زال يسيح إلى أن مات. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح). (ورواه في الطبقات: ٥ / ٣٨، والمستدرک: ٣ / ٣٧٠، وغيرها).

وبعد قتله لطلحة خنس مروان في أيام معركة الجمل وكان متسكعا خلف عائشة، فهو سياسي وليس مقاتلا! وفي اليوم السابع كان في أول المنهزمين: (أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين (عليه السلام) إلى أمير

المؤمنين (عليه السلام) فكلماه فيه فخلى سبيله! فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟! لا حاجة لي في بيعته! إنها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته (بمقعده)! أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر). (نهج البلاغة: ١ / ١٢٣). وفي كتاب الأم للشافعي: ٤ / ٢٢٩ أن مرواناً قال لعلي بن الحسين (عليه السلام): (ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك! ما هو إلا أن ولينا يوم الحمل فنأدى مناديه: لا يقتل مدبر ولا يذفف على جريح). (ومجموع النووي: ١٩ / ٢٠٢، وسنن البيهقي: ٨ / ١٨١).

وقالوا إن مروان يومئذ شم رائحة الخجل: (لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل ونكثنا بيعته من غير حدث! والله لقد ظهر علينا فما رأينا قط أكرم سيرة منه ولا أحسن عفواً بعد رسول الله. تعالوا حتى ندخل عليه ونعتذر إليه فيما صنعناه! قال: فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا، فلما مثلنا بين يديه جعل متكلمنا يتكلم فقال (عليه السلام): أنصتوا أكفكم، إنما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقاً فصدقوني وإن قلت باطلاً فردوا علي، أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده؟ قلنا: اللهم نعم، قال: فعدلتم عني وبايعتم أبا بكر فأمسكت ولم أحب أن أشق عصا المسلمين وأفرق بين جماعاتهم. ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم أهج الناس وقد علمت أنني كنت أولى الناس بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله) وبمقامه فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة فكففت ولم أحب أن أفرق بين المسلمين. ثم بايعتم عثمان فطغيتم عليه وقتلتموه وأنا جالس في بيتي وأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر ووفيتم لهما ولم تفوا لي! فما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث

بيعتي؟ فقلنا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فقال: لا تثريب عليكم اليوم، وإن فيكم رجلا لو بايعني بيده لنكت بإسته! يعني مروان بن الحكم). (الجمل للمفيد / ٢٢٢، وشرح الأخبار: ١ / ٣٩٣، وأمالي الطوسي / ٥٠٧).

أقول: قوله (عليه السلام) (إنما أنا بشر مثلكم) لا يتنافى مع إمامته وعصمته، فهو كقول النبي (صلى الله عليه وآله) للكفار إنما أنا بشر مثلكم. كما يلاحظ أنه (عليه السلام) قال لهم: لا تثريب عليكم ولم يكمل الآية ولم يقل لهم: اليوم يغفر الله لكم! لا غفر الله لهم.

وروى في الإحتجاج: ١ / ٤١٦، طرفا من مناظرة الإمام الحسن (عليه السلام) مع مروان والمغيرة والوليد بن عقبة في مجلس معاوية، تدل على أن تكبر مروان وشبهه لم يتغير رغم ذلته في حرب الجمل، فعندما دخل الإمام الحسن (عليه السلام) بادروه بالفخر بأنفسهم والخط من بني هاشم: (وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه فقال (عليه السلام): أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب، ونحن من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية وأثماراً زاكية وأبدانا قائمة، فيها أصل الإسلام وعلم النبوة، فعلونا حين شمع بنا الفخر واستطلنا حين امتنع بنا العز، ونحن بحور زاخرة لا تنزف وجبال شامخة لا تقهر! فقال مروان بن الحكم: مدحت نفسك وشمخت بأنفك، هيهات هيهات يا حسن نحن والله الملوك السادة والأعزة القادة، لا تبجحن فليس لك عز مثل عزنا ولا فخر كفخرنا، ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفسا طابت وقورا * فنالت عزها فيمن يلينا

فأبنا بالغنيمة حيث أبنا * وأبنا بالملوك مقرنينا

... فتكلم الحسن (عليه السلام) فقال: يا مروان أجبنا وخورا وضعفا وعجزا! زعم أنني

مدحت نفسي وأنا ابن رسول الله، وشمخت بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة، وإنما يبذخ ويتكبر ويلك من يريد رفع نفسه، ويتبجح من يريد الإستطالة، فأما نحن فأهل بيت الرحمة ومعدن الكرامة وموضع الخيرة، وكنز الإيمان ورمح الإسلام وسيف الدين. ألا تصمت ثكلتك أمك قبل أن أرميك بالهوائل وأسمك بميسم تستغني به عن اسمك، فأما إيابك بالنهاب والملوك! أفي اليوم الذي وليت فيه مهزوما، وانجحرت مذعورا فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته! قبحا لك ما أغلظ جلدة وجهك! فنكس مروان رأسه وبقي مغيرة مبهوتا).

ثم أجاب الإمام (عليه السلام) المغيرة بن شعبة شبيها بجوابه لمروان... فقال معاوية: إرجع يا مغيرة هؤلاء بنو عبد مناف لا تقاومهم الصناديد ولا تفاخرهم المذاويد! ثم أقسم على الحسن بالسكوت فسكت). انتهى.

أقول: وهكذا جعل معاوية بدهائه الفخر لبني عبد مناف، الجد المشترك لبني أمية وهاشم، ليقول لهم بذلك إن الحسن (عليه السلام) منا نحن بني عبد مناف! كما ينبغي الإلفات إلى حقيقة عظيمة ذكرها الإمام الحسن (عليه السلام) وهي الغنى الخاص الذي يعطيه اختيار الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرين (عليهم السلام)، فهو حالتهم النفسية وحديثهم عن أنفسهم يختلف عن الآخرين! قال (عليه السلام): (زعم أني مدحت نفسي وأنا ابن رسول الله، وشمخت بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة، وإنما يبذخ ويتكبر ويلك من يريد رفع نفسه ويتبجح من يريد الإستطالة.. الخ).

وقد أوضحت هذه الحقيقة رواية الصدوق في الخصال / ٢١٥: (عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئا أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام، فإني سألته يوما عن الإمام أهو معصوم

؟ فقال: نعم، فقلت: فما صفة العصمة فيه؟ وبأي شيء يعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منفية عنه! لا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص، ولا يجوز أن يكون حسودا لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه؟!!

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل. ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حب إليه الآخرة كما حب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا، فهل رأيت أحدا ترك وجهها حسنا لوجه قبيح، وطعاما طيبا لطعام مر، وثوبا لينا لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟! (وأمالى الصدوق / ٧٣١، ومعاني الأخبار / ١٣٣).

مطروود النبي (صلى الله عليه وآله) من المدينة طرده منها المسلمون ثانية عندما ثار الصحابة وأهل المدينة على يزيد، طردوا مروان وبنى أمية ولم يقتلوهم وأخذوا عليهم (العهود والمواثيق أن لا يدلوا على عورة لهم ولا يظاهروا عليهم عدوا، فلما لقيهم مسلم بن عقبة بوادي القرى قال مروان لابنه عبد الملك: أدخل عليه قبلي لعله يجتزئ بك مني فدخل عليه عبد الملك فقال له مسلم: هات ما عندك أخبرني خبر الناس وكيف ترى؟ فقال: نعم ثم أخبره بنخبر أهل المدينة ودله على عوراتهم وكيف يؤتون ومن أين يدخل عليهم). (الطبقات: ٥ / ٢٢٥).

وقبل خروجه مطروودا طلب من ابن عمر أن يحمي له نسائه وأطفاله فرفض: (فأتى

مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة وتغيب عن هذا الأمر فأحب أن أوجه عيالي معك. فقال ابن عمر: إني لا أقدر على مصاحبة النساء! قال: فتجعلهم في منزلك مع حرمك. قال: لا آمن أن يدخل علي حريمي من أجل مكانكم. فكلم مروان علي بن الحسين فقال: نعم، فضمهم علي إليه وبعث بهم مع عياله قال: ثم ارتحل القوم من ذي خشب علي أقبح إخراج). (الإمامة والسياسة: ١ / ٢٢٩).

ونكث مروان ورجع مع جيش يزيد لاستباحة المدينة!
قال ابن سعد في الطبقات: ٥ / ٦٦، واصفا ثورة الصحابة في المدينة على يزيد: (فتوأتب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها من الغد يؤتى بها في المسجد يصوم الدهر، وما رئي رافعا رأسه إلى السماء إخباتا، فلما دنا أهل الشام من وادي القرى صلى عبد الله بن حنظلة بالناس الظهر ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما خرجتم غضبا لدينكم فأبلوا لله بلاء حسنا ، ليوجب لكم به مغفرته ويحل به عليكم رضوانه، قد خبرني من نزل مع القوم السويدياء وقد نزل القوم اليوم ذا خشب ومعهم مروان بن الحكم والله إن شاء الله محينه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله (ص) فتصايح الناس وجعلوا ينالون من مروان ويقولون الوزغ بن الوزغ، وجعل بن حنظلة يهدتهم ويقول إن الشتم ليس بشيء، ولكن أصدقوهم اللقاء....

ثم وصف المعركة المجزرة وتجول مروان على القتلى فقال: فجعل مسرف (وهو مسلم قائد جيش يزيد سموه مسرفا) يطوف على فرس له في القتلى ومعه مروان بن الحكم، فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد إصبغه السبابة فقال مروان: أما والله

لئن نصبته ميتا لطالما نصبته حيا...!). وقال في: ٥ / ٧٠ و ١٧١: (فقال مسرف: والله ما أرى هؤلاء إلا أهل الجنة، لا يسمع هذا منك أهل الشام فتكر كرههم عن الطاعة! قال مروان: إنهم بدلوا وغيروا).

كما وصف ابن سعد تحمس مروان لاستباحة مدينة النبي (صلى الله عليه وآله) ورجوعه مع جيش يزيد فقال في: ٥ / ٣٨: (فلما وثب أهل المدينة أيام الحرة أخرجوا عثمان بن محمد وبني أمية من المدينة فأجلوهم عنها إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم، وأخذوا عليهم الايمان ألا يرجعوا إليهم وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وجه إليهم مع مسلم بن عقبة المري أن يفعلوا، فلما استقبلوا مسلم بن عقبة سلموا عليه وجعل يسألهم عن المدينة وأهلها فجعل مروان يخبره ويحرضه عليهم، فقال له مسلم: ما ترون؟ تمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي؟ فقالوا: بل نمضي إلى أمير المؤمنين، وقال مروان من بينهم: أما أنا فأرجع معك فرجع معه مؤازرا له معينا له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة وقتلوا وانتهت المدينة ثلاثا. وكتب مسلم بن عقبة بذلك إلى يزيد، وكتب يشكر مروان بن الحكم ويذكر معونته إياه ومناصحته وقيامه معه، وقدم مروان على يزيد بن معاوية الشام فشكر ذلك له يزيد وقربه وأدناه).

وفي سنن البيهقي: ٥ / ١٩٨، أن مروانا (خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحرمتها فناده رافع بن خديج فقال: مالي أسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها، ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها وقد حرم رسول الله (ص) ما بين لابتيها وذلك عندنا في أديم حولاني إن شئت أقرأتكه! قال فسكت مروان ثم قال: قد سمعت بعض ذلك رواه مسلم في الصحيح عن القعبي). انتهى.

أقول: لا قيمة عند مروان لحرمة مكة والمدينة، فهو في جيش يزيد الذي

استحل حرمتها وقتل أبرارها واستباح أموالها وأعراضها! وإنما ذكر حرمة مكة ليستغلها ضد ابن الزبير الذي تحصن فيها، ويساعد جيش يزيد المتوجه إليها! النظام الأموي على أكف عفاريت!

بعد هلاك يزيد دخلت الأمة في عشر سنوات من الفوضى والاضطراب والحروب: (لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم، وغلب كل قوم على ناحية، ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب). (تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٠).

قال الزرقاني في شرحه: ٢ / ٣٩١: (وذكر أصحاب الأخبار أنه لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يستخلف، بقي الناس بلا خليفة شهرين وأياماً). (وكانت الفتنة من يوم مات معاوية بن يزيد إلى أن استقام الناس لعبد الملك تسع سنين وإحدى وعشرين ليلة). (تاريخ دمشق: ٢٨ / ٢٥١).

وقد وصل مروان إلى الشام بعد هلاك يزيد، والنظام الأموي يتأرجح على أكف عفاريت فكانت الفرصة التي ينتظرها الوزغ!

قال اليعقوبي: ٢ / ٢٥٥: (فخرج وأخرج عبد الملك وتعقب ابن الزبير الرأي فعلم أنه قد أخطأ (في نفيه من المدينة) فوجه يردهم ففاتوه. وقدم مروان وقد مات يزيد... وأمر الشام مضطرب). انتهى. وكانت خطة مروان أن يجبر ابن يزيد على جعل الخلافة في شوري من بني أمية ليدخل فيها، فزجره ابن يزيد، لأنه يريد موافقة الأمويين لإرجاع الخلافة إلى عترة النبي (صلى الله عليه وآله) بشخص الإمام زين العابدين (عليه السلام)! وقد انتقم مروان ورجال القصر من الخليفة الجديد فقتلوه، وقتلوا صديقه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو يصلي على جنازته بوصيته، ثم قتلوا أستاذه

الذي علمه التشيع لعلي وأولاد علي عمر بن نعيم، ودفنوه حيا. ومع ذلك فقد أصيب مروان باليأس لأن الضحاك بن قيس الفهري حاكم دمشق اختار أن يدعو إلى بيعة ابن الزبير، فاستجاب له قسم من أهل الشام، وعارضه مروان والأمويون ورؤساء قبائل الشام الذين لا يريدون أن تنتقل الخلافة من بلدهم إلى الحجاز: (لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن، فلما رأى ذلك رؤوس بني أمية وناس من أهل الشام وأشرفهم فيهم روح بن الزباع الجذامي قال بعضهم لبعض: إن الملك كان فينا أهل الشام فينتقل إلى الحجاز لا نرضى بذلك). (مجمع الزوائد: ٧ / ٢٥٧، والطبراني الكبير: ٥ / ٨٠).

وقد أفاض الرواة في اختلاف أهل الشام وتأرجح قادتهم بعد قتلهم لمعاوية بن يزيد (رحمه الله) وفصل ذلك الطبري: ٣ / ٣٧٨، وابن عساكر: ٢٤ / ٢٩٢، ومما قاله الأخير: (ثم خرج الضحاك ذات يوم فصلى بالناس صلاة الصبح ثم ذكر ابن معاوية فشتمه (يقصد خالد بن يزيد المرشح للخلافة من أخواله بني كلب وعمره سبع سنين) فقام إليه رجل من كلب فضربه بعصا واقتتل الناس بالسيف! ودخل الضحاك دار الإمارة فلم يخرج وافترق الناس ثلاث فرق: فرقة زبيرية، وفرقة بحدلية (نسبة لابن بحدل الكلبي) هواهم لبني حرب، والباقون لا يباليون لمن كان الأمر من بني أمية، وأرادوا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على البيعة له فأبى وهلك تلك الليالي! فأرسل الضحاك بن قيس إلى بني أمية فأتاه مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فاعتذر إليهم، وذكر حسن بلائهم عنده وأنه لم يرد شيئا يكرهونه وقال: أكتبوا إلى حسان بن مالك بن بحدل حتى ينزل الجابية ثم نسير إليه فنستخلف رجلا منكم، فكتبوا إلى حسان فأقبل حتى نزل الجابية، وخرج الضحاك بن قيس وبنو أمية يريدون الجابية فلما استقلت الرايات متوجهة قال معن بن ثور السلمي ومن معه من قيس: دعوتنا إلى بيعة رجل أحزم الناس

رأيا وفضلا وبأسا فلما أجبناك خرجت إلى هذا الأعرابي من كلب تباع لابن أخته؟! قال فتقولون ماذا؟ قالوا: نصرف الرايات وننزل فنظهر البيعة لابن الزبير ففعل وبايعه الناس)! انتهى. وقد كانت لعبة من الضحاك الفهري ضد قبائل الشام وبني أمية، ليجمعهم ويجبرهم على بيعه ابن الزبير! فقد وصف الطبري وابن عساكر انهيار مروان على أثرها، ويأسه من أن يستطيع ابن بحدل وبني كلب مقاومة الموجهة، فتوجه إلى مكة ليبايع ابن الزبير ويأخذ منه الأمان!

(وكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه، فلما رأى ذلك مروان خرج يريد ابن الزبير ليبايع له ويأخذ منه أمانا لبني أمية! وخرج معه عمرو بن سعيد فلما كانوا بأذرعات لقيهم عبيد الله بن زياد مقبلا من العراق فأخبروه بما أرادوا فقال لمروان: سبحان الله أرضيت لنفسك بهذا؟! أتبايع لأبي حبيب وأنت سيد قريش وشيخ بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه! فقال له مروان: فما الرأي؟ قال الرأي أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قريشا ومواليها فلا يخالفك منهم أحد، فرجع مروان وعمرو بن سعيد)! انتهى

وذكر الطبري: ٣ / ٢٧٨، أن مروان رجع من حوران بنصيحة ابن زياد: (فسار وهو يقول: ما فات شيء بعد)!

وقال الذهبي في سيره: ٣ / ٥٣٧: (حسان بن مالك بن بحدل... الكلبي من أمراء معاوية يوم صفين وهو الذي شد من مروان بن الحكم وبايعه. قال الكلبي: سلموا بالخلافة على حسان أربعين ليلة ثم سلم الأمر إلى مروان)! انتهى.

وذكر الطبري: ٣ / ٢٨١، فعالية حسان بن بحدل الكلبي في تحريك قبائل الشام الكلبيين والغساسنة، وانه سيطر على الأردن وفلسطين، ثم جاء إلى الجابية ودعا إلى بيعه نفسه، ثم إلى بيعه ابن أخته خالد بن يزيد، قال: (وافوا حسان بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوما والناس يتشاورون... وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة، فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية

ويحب أن تكون الخلافة فيهم، وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير: هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا، فقد عرف منزلتنا التي كانت من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غدا، يعني خالد بن يزيد. فقال الحصين: لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي! فقال مالك: هذا ولم تردي تهامة ولما يبلغ الحزام الطبين، فقالوا مهلا يا أبا سليمان! فقال له مالك: والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها! إن مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم، ولكن عليكم بآبن أختكم خالد. فقال حصين: إني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وإن من يمد عنقه إلى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه! فقال له مالك: ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس (أي أولاد حرام أبوهم من قيس عيلان

وليسوا من بني أمية)! وأنا نرى للناس أن يبائعوا الكبير ويستشبهوا الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية، قال: فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن عمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على أن إمارة دمشق لعمر بن سعيد بن العاص وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية...).

انتهى.
وقبل مروان كل الشروط وبايعه ابن بحدل الكلبيون بالخلافة، وخاض بهم ومن معهم من اليمانيين معركة فاصلة مع الضحاك في مرج راهط قرب دمشق.

معركة مرج راهط بين وزراء البلاط الأموي!
من دهاء عبيد الله بن زياد أنه أرسل مروانا ومن معه من أذرعَات إلى تدمر، وقصد هو
إلى دمشق ودهان الضحاك وأقنعه أن يعسكر خارج الشام!
قال الطبري: ٣ / ٣٧٨، وابن عساكر: ٢٤ / ٢٩٢: (فخرج الضحاك فنزل المرج،
وبقي عبيد الله بدمشق ومروان وبنو أمية بتدمر وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية
بالجابية عند حسان بن مالك بن بحدل، فكتب عبيد الله إلى مروان أن أدع الناس إلى
بيعتك ثم سر إلى الضحاك فقد أصبح لك! فدعا مروان بني أمية فبايعوه، وتزوج أم
خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، واجتمع الناس على بيعة
مروان فبايعوه. وخرج عبيد الله حتى نزل المرج وكتب إلى مروان فأقبل في خمسة
آلاف وأقبل عباد بن زياد من حوارين في ألفين من مواليه وغيرهم من كلب ويزيد بن
أبي النمش بدمشق قد أخرج عامل الضحاك منها وأمد مروان بسلاح ورجال. وكتب
الضحاك بن قيس إلى أمراء الأجناد فقدم عليه زفر بن الحارث الكلابي من قنسرين
وأمدته النعمان بن بشير الأنصاري بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص، فتوافقوا عند
الضحاك بالمرج فكان الضحاك في ثلاثين ألفا ومروان في ثلاثة عشر ألفا أكثرهم
رجال... فأقاموا بالمرج عشرين يوما يلتقون في كل يوم فيقتتلون وعلى ميمنة مروان
عبيد الله بن زياد وعلى ميسرته عمرو بن سعيد. وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو
العقيلي وعلى ميسرته بكر بن أبي بشر الهلالي... ثم ذكر ابن عساكر تعليم ابن زياد
مروان أن يحتال على الضحاك فيخبره أنه قرر أن يبايع ابن الزبير، ففعل ذلك وترك
جيشه من الاستنفار فباغتهم مروان وابن زياد (فأصبح الضحاك والقيسية فأمسكوا عن
القتال وهم يطمعون أن مروان يبايع لابن الزبير وقد أعد مروان

أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه إلا بالخيل قد شدت عليهم ففرع الناس إلى راياتهم وقد غشوههم وهم على غير عدة فنأدى الناس: يا أبا أنيس أعجزا بعد كيس؟ فقال الضحاك: نعم أنا أبو أنيس عجز لعمرى بعد كيس! فاقتتلوا ولزم الناس راياتهم وصبروا وصبر الضحاك... وقتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم تقتله في موطن قط! وكانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة تمام سنة أربع وستين). قال الطبري: ٣ / ٢٨١: (وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة، ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقتل الضحاك وقتل يومئذ من أشرف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلا كلهم كان يأخذ القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء.. . مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها).

وبعد معركة مرج راهط تحرك أنصار بني كلب ومروان في حمص فهرب واليها النعمان بن بشير فلحقوا به وقتلوه! وبذلك استطاع مروان بمساعدة المقادير ورئيس بني كلب وغسان أن ينقذ دولة بني أمية من سقوط محقق، وينقل الخلافة من آل أبي سفيان إلى أبنائه. ولكنه دفع حياته ثمنا لنقل ولاية العهد من أسرة معاوية إلى أسرته، كما يأتي.

إن هذه الحوارات والأحداث تكشف أمورا كثيرة:

منها: أن الخلافة عند هؤلاء رئاسة دنيوية محضة تتبع مصالح رؤساء القبائل وقادة الجيش، لذلك لا ترى في مناقشاتهم أثرا للإسلام ومصالح المسلمين! فتفكيرهم دنيوي عادي لا يحكمه دين ولا بعد نظر، إلا المصلحة الآنية والعصبية الشامية التي تحركوا بها وغذتها إسرائيليات كعب ومعاوية في تفضيل أهل الشام على الأمة، وأن خلافة الله في بلدهم! وفي مقابلهم القيسية أو النزارية الذين تعصبوا لابن الزبير وقبائل الحجاز واليمن، وكان منطقتهم قبلها ماديا أيضا!

ومنها: أنك تعجب لهذه المقادير التي سمح لها الله عز وجل أن تعمل في مسار

الأمة والتاريخ، فبعض الشخصيات والأحداث الصغيرة أو الكلمات، كان لها دور أساس في تغيير مجرى الأحداث! فلو لم يلتق مروان بابن زياد في حوران مثلا لذهب إلى مكة وبائع ابن الزبير وتمت الموجة العارمة لآل الزبيره!
ولكن الله غالب على أمره، وهو أرحم بالأمة من أن يسלט عليها ابن الزبير الذي هو أسوأ من بني أمية بمئات الأضعاف!
مروان يسيطر على مصر

قال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ٢٥٥: (ثم خرج مروان يريد مصر، فلما سار إلى فلسطين وجد ناتل بن قيس الجذامي متغلبا على البلد وأخرج روح بن زنباع فحاربه، فلما لم يكن لناتل قوة على محاربة مروان هرب فلحق بابن الزبير.
وسار مروان يريد مصر حتى دخلها فصالحه أهلها وأعطوه الطاعة، وأخرج ابن جحدم الفهري عامل ابن الزبير وقيل اغتاله فقتله، وقتل أكيدر بن حمام اللخمي واستعمل عليها ابنه عبد العزيز بن مروان وانصرف). انتهى.
وهكذا صار عدو الله وابن عدوه بسرعة (خليفة) رسول الله (صلى الله عليه وآله)! لكن ذلك كان الخيار الأفضل! فقد تدهور وضع الأمة إلى حد صار أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم يفضلون خلافة الملعون على خلافة الألعن!
**

مروان تحت المخددة

عندما تشفع الحسن والحسين (عليهما السلام) في مروان الأسير في معركة الجمل عفا عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) (فقالا له: ييايعةك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية... أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر). (نهج البلاغة: ١ / ١٢٣). فأى علم هذا، وأي تعامل، وأي كلام؟! وأي أئمة ربانيين لهم رؤية واحدة وتعامل واحد، وقد رأيت شيئا من معاملة الحسنين وزين العابدين (عليهم السلام) لمروان! وقد رووا كلمة أخرى لأمير المؤمنين (عليه السلام) في مروان: (قال علي بن أبي طالب له يوما ونظر إليه: ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وله إمرة كلحسة الكلب أنفه). (الطبقات: ٥ / ٤٣، وتاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٦٣، وربع الأبرار / ٩٢٨، والآداب السلطانية / ٨٤)

وكانت مدة لحسة الكلب لأنفه حكم بضعة أشهر، لكن مروان استطاع فيها أن ينقذ دولة آل أبي سفيان ويحوزها إلى نفسه وبنيه، فقد ربح معركة مرج راهط بقبائل بني كلب ومن انضم إليهم من اليمانيين ثم ربح الأردن وفلسطين بدون معركة، ثم ربح معركة مصر بفضل أنصار معاوية وبني أمية فخضعت له وجاء منها بأموال، ونصب عليها ولده عبد العزيز حاكما.

لكنه ما أن عاد إلى العاصمة حتى دفع روحه ثمنا لمعركة ولاية العهد مع آل معاوية! ذلك أنهم بايعوه على شرط أن يكون خالد بن يزيد ولي عهده، ثم عمرو بن سعيد بن العاص من بعده (مروج الذهب / ٧٣٨) ومروان بطبعه لا يتحمل وفاء بعهد! فسارع إلى خلع وليي عهده خالد وسعيد، وعهد لولديه عبد الملك وعبد العزيز! قال في العقد الفريد / ١١٠١: (ثم أقبل (مروان) إلى دمشق فدخلها ونزل دار

معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة، ثم جاءت به بيعة الأجناد فقال له أصحابه: إنا لا نتخوف عليك إلا خالد بن يزيد فتزوج أمه فإنك تكسره بذلك، وأمّه ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، فتزوجها مروان فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد: أعرنى سلاحا إن كان عندك فأعاره سلاحا وخرج إلى مصر فقاتل أهلها وسبى بها ناسا كثيرا فافتدوا منه (أي كان جيشه يقبض على الناس مسلمين وغيرهم، ثم يخيرهم بين القتل والفدية كل واحد بمبلغ كذا، فحصل على مال كثير)! ثم قدم الشام فقال له خالد بن يزيد: رد علي سلاحي فأبى عليه، فألح عليه خالد فقال له مروان وكان فحاشا: يا ابن رطبة الاست! قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما قاله مروان على رؤوس أهل الشام. فقالت له: لا عليك فإنه لا يعود إليك بمثلها! فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياما ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها، فأمرت جواريتها فطرحن عليه الوسائد ثم غمته حتى قتلت، ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن: يا أمير المؤمنين! يا أمير المؤمنين! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده فقال لفاخته أم خالد: والله لولا أن يقول الناس إنني قتلت بأبي امرأة لقتلتك بأمر المؤمنين). (وذلك في هلال شهر رمضان سنة خمس وستين. وكانت ولايته على الشام ومصر ثمانية أشهر ويقال ستة أشهر). (تاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٦٣).

وفي الطبقات: ٥ / ٤٢: (وكان مروان قد أطمع خالد بن يزيد بن معاوية في بعض الأمر ثم بدا له فعقد لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بالخلافة بعده، فأراد أن يضع من خالد بن يزيد ويقصر به ويزهد الناس فيه، وكان إذا دخل عليه أجلسه معه على سريره، فدخل عليه يوما فذهب ليجلس مجلسه الذي كان يجلسه فقال له مروان وزبره: تنح يا ابن رطبة الاست، والله ما وجدت لك عقلا! فانصرف خالد وقتئذ مغضبا حتى دخل على أمه... فقالت له: لا يسمع هذا منك

أحد.... فإني سأكفيكه وانتصر لك منه... فنام عندها فوثبت هي وجواريتها فغلقن الأبواب على مروان ثم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه فلم تزل هي وجواريتها يغممنه حتى مات... ثم قامت فشقت جيبها عليه وأمرت جواريتها وخدمها فشققن وصحن عليه وقلن: مات أمير المؤمنين فجأة). (والمنتظم: ٦ / ٥٠).

وفي الاستيعاب: ٣ / ١٣٨٩: (فسمته ثم قامت إليه مع جواريتها فغمته مع حتى مات). وروى القصة الجميع، ومنهم الطبري وقال: ٣ / ٤٢٣: (ثم إن مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته). (والأخبار الطوال / ٢٨٥، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٣٦٤، و: ٤ / ١٤، وسير الذهبي: ٣ / ٤٧٩).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٧٥: (فصيرت له سما في لبن فلما دخل سقته إياه. وقال بعضهم: بل وضعت على وجهه وسادة حتى قتلته). وانتهى مروان!

**

الفصل الرابع عشر
الإمام زين العابدين.. رقم استعصى على أعدائه

(٤٧٠)

جاذبية الشخصية الربانية

صاحب نمط سلوكي فريد.. أخذ بمجامع قلوب المسلمين! وحيير الحكام!
فقد أجمع الناس على الإعجاب بشخصيته، حتى ابن شهاب الزهري عالم بلاط بني
أمية، كان يعتقد به، ويفتخر بالتلمذ عليه والرواية عنه، ويكي لذكراه!
وحتى عبد الملك بن مروان وارث معاوية، كان يطلب منه أن يدعو له، وقد رد اقتراح
الحجاج بقتله وكتب له: (جنبني دماء آل أبي طالب فإنني رأيت بني حرب لما قتلوا
الحسين نزع الله ملكهم). (محاسن البيهقي / ٣٩).

* *

وجه نوراني هادئ، يحمل سمات من نور الله تعالى، وملامح ضاربة في العراقة من أبيه
الحسين إلى جده إبراهيم (عليهم السلام)، ومن أمه شهزنان بنت يزيد جر إلى أعلى
أعراق الفرس! صورها الشاعر أبو الأسود الدؤلي بقوله:
وإن وليدا بين كسرى وهاشم * لأكرم من نيطت عليه التمام
(وكان يقال لعلي بن الحسين (عليهما السلام): ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب
هاشم ومن العجم فارس، وروي أن أبا الأسود الدؤلي قال فيه...). (الكافي: ١ /
٤٦٧، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٠٤، ونسبه في الأغاني: ٢ / ٢٥٦، إلى ابن
ميادة).

وقد روى السنة والشيعة أن النبي (صلى الله عليه وآله) رغب بني هاشم في هذا العراقة
المشتركة، فقال: (يا بني هاشم عليكم بنساء الأعاجم فالتمسوا أولادهن، فإن في
أرحامهن البركة). (مغني ابن قدامة: ٧ / ٤٦٨، والكافي: ٥ / ٤٧٤).

* *

صفاء في الذهن، ونقاء في الفكر، وشفافية في الروح.. كونت شخصية الإمام زين
العابدين (عليه السلام) وعاش بها بصدق، فاتحد فيه نمط السلوك بالعميقة، فلا

فاصلة عنده بين النظرية والتطبيق، والقول والعمل!
**

شفافية في التسامح مع الناس.. تعلمها من قوله تعالى: فاصفح الصفح الجميل، ففسره بأنه: العفو من غير عتاب! (أمالي الصدوق / ٤١٦).
وقد وصف الطبري: ٥ / ٢١٧، دهشة والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، الذي كان يؤذي الإمام (عليه السلام) أذى شديدا، فلما اختلف مع الوليد بن عبد الملك عزله وأراد الانتقام منه لنفسه، فامر أن يوقف للناس ليقتصوا منه!
(فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين! فمر به علي وقد وقف عند دار مروان، وكان علي قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته). (واليعقوبي: ٢ / ٢٨٣).
وقال ابن كثير في النهاية: ٩ / ١٢٤: (ونال منه رجل يوما فجعل يتغافل عنه يريه أنه لم يسمعه، فقال له الرجل: إياك أعني! فقال له علي: وعنك أغضي...
وقيل له: من أعظم الناس خطرا؟ فقال: من لم ير الدنيا لنفسه قدرا).
**

وإنسانية حنونة مع الناس، خاصة الضعفاء.. قال ابنه الباقر (عليهما السلام): (لما حضرت علي بن الحسين الوفاة ضممني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أن أباه أوصاه به، فقال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله). (أمالي الصدوق / ٢٤٩).
**

وحنان على الفقراء ولو من غير شيعته.. (كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة). (الخصال / ٥١٨) مع أنه كان يقول: (ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا). (شرح النهج: ٤ / ١٠٤، والغارات: ٢ / ٥٧٣).
وقال الأموي ابن كثير في النهاية: ٩ / ١٢٤: (وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل

وكان يقول: صدقة الليل تطفئ غضب الرب وتنور القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة. وقاسم الله تعالى ماله مرتين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به. ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل. وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة). انتهى.

وبهذه الإنسانية كان يفهم الدين.. فقد سئل: لم فرض الله عز وجل الصوم؟ فأجاب: (ليجد الغني مس الجوع فيحن على الفقير). (أمالي الصدوق / ٩٧).

* *

عطوف رفيق بالحيوان.. قال الإمام الباقر (عليه السلام): (كان لعلي بن الحسين (عليه السلام) ناقة حج عليها اثنتان وعشرين حجة ما قرعها قرعة قط قال: فجاءت بعد موته وما شعرنا بها إلا وقد جاءني بعض خدمنا أو بعض الموالي فقال: إن الناقة قد خرجت (من مرعاها خارج المدينة) فأنت قبر علي بن الحسين (عليه السلام) فانبركت عليه فدلكت بجرانها القبر وهي ترغو! فقلت: أدركوها أدركوها وجيئوني بها قبل أن يعلموا بها أو يروها! قال: وما كانت رأيت القبر قط). (الكافي: ١ / ٤٦٧).

وقد أوصاه أبوه (عليهما السلام) بها: (فإذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما من بغير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة وبارك في نسله، فلما نفقت حفر لها أبو جعفر (عليه السلام) ودفنها). (ثواب الأعمال / ٥٠).

لقد استوعب الإمام زين العابدين (عليه السلام) بشفافيته عالم قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم). (الأنعام: ٣٨)، وهو الذي يقول: (ما بهمت البهائم عنه، فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب تبارك وتعالى، ومعرفتها بالموت، ومعرفتها بالأنثى من الذكر، ومعرفتها بالمرعى الخصب). (الخصال / ٢٦٠).

**

وهو بقية السيف.. شاءه الله أن يكون شاهداً على كربلاء، ومعه طفله محمد الباقر (عليهما السلام)، فحضر كل مراحل المعركة وفصول الأسر والترحال. وهياً له الله من يحافظ على حياته في كربلاء: (لما قتل الحسين كان علي بن الحسين (عليهما السلام) نائماً فجعل رجل منهم يدافع عنه كل من أراد به سوءاً!) (مدينة المعاجز: ٤ / ٣٨٢). قال الزهري: (كان علي بن الحسين مع أبيه يوم قتل وهو ابن ثلاث وعشرين سنة). (تهذيب الكمال: ٢٠ / ٤٠٢، وروى عن محمد بن عقيل بأن عمر (عليه السلام) كان خمسا وعشرين).

**

وهو زين العابدين.. (كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطر بين الصفوف). (علل الشرائع: ١ / ٢٣٠، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٠٤، وأمالي الصدوق / ٤١٠، ومدينة المعاجز: ٤ / ٢٤٢). (زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور. قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه). (تقريب التهذيب: ١ / ٦٩٢، وفيض القدير: ٦ / ٤٥٤) وقال الأموي ابن كثير في النهاية: ٩ / ١٢٣: (وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي، فلما انصرف قالوا له: مالك لم تنصرف؟ فقال: إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى! وكان إذا توضعاً يصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق، فقيل له في ذلك فقال: ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي؟ ولما حج أراد أن يلبي فارتعد وقال: أحشى أن أقول لبيك اللهم لبيك، فيقال لي: لا لبيك! فشجعوه على التلبية فلما لبي غشي عليه حتى سقط عن الراحلة....

وقال طاووس: سمعته وهو ساجد عند الحجر يقول: عبيدك بفنائك. سائلك بفنائك. فقيرك بفنائك.. فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني).
**

وهو الإمام السجاد.. (ما ذكر لله نعمة عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله فيها سجدة إلا سجد، ولا دفع الله عنه شرا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاته مفروضة إلا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان كثير السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك). (المناقب: ٣ / ٣٠٤).
قال الزهري: (دخلت مع علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان، قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين فقال: يا أبا محمد لقد بان عليك الإجهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله (ص) وقريب النسب وكيد السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثنى عليه ويطريه قال فقال علي بن الحسين: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأييده وتوفيقه فأين شكره علي ما أنعم؟ إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي علي صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد الحامدين لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية. لولا أن لأهلي علي حقا ولسائر الناس من خاصهم علي حقوقا لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله، ثم لم أردهما حتى يقضي الله علي نفسي وهو خير الحاكمين! وبكى، وبكى عبد الملك). (فتح الأبواب لابن طاووس / ١٦٩).

فأي معرفة هذه؟ وأي حب لله هذا، الذي يمكن صاحبه أن يرمي بطرفه إلى السماء ويرمي بقلبه إلى الله تعالى كل حياته، فيجعل عمره كله تسبيحا واحدا؟! هذه هي قمة المعرفة والعبادة، لا ما يدعيه المدعون ويلقون به ألسنتهم! **

وهو شاعر الله.. فله عز وجل كل مدائحه وقصائده، وحبه وفكره وذكره، وخشوعه ودموعه.. بل كل وجوده وحياته، في يومه وليله، وحله وترحاله. وهو مع ربه عز وجل في غاية الأدب، ينتقي في تصرفاته الحركة والسكون، لأنه في محضره سبحانه. وينتقي للحديث عنه أحسن الكلمات وأبلغ المعاني وأجمل الأساليب. أما حديثه معه سبحانه فله أعلى الكلام وأروع!

الصحيفة السجادية.. زبور آل محمد (صلى الله عليه وآله) كتاب لم يعرفه الناس! وأول ما تبهرك فيه قدرة معماره على بناء العبارة العربية، فهو أقدر من أي بليغ تصفه بأنه متمكن من العربية آخذ بناصية مفرداتها وتراكيبها، فمفردات العربية تدور حول الإمام (عليه السلام) كالنجوم حول قطبها، تعرض أنفسها على أنامل فكره أفعالا وأسماء وحروفا وصيغ تعبير، طائفة متواضعة، عسى أن يشرفها شاعر الله فيجعلها آجرة أو لحمة، في صروحه ولوحاته.

الكلمة عند الإمام (عليه السلام) موجود حيوي.. بنفسها، لأنه ينتقيها من أسفاط اللغة كما ينتقي الخبير جواهره ليصوغها ويصوغ بها. وبمحيطها، الذي يضعها فيه فتحييه ويحييها.

وبخيوط ارتباطها، التي يشدها بها بالكلمات والحروف. وبأشعتها، التي يمنحها لها، فتشرق بجذلية خاصة في فقراته ومقطوعاته. والفكرة عنده.. روح تنبض في الكلمة، وتنبض بها، تجيء من أفق أعلى، غني غزير، ينساب في الروح، ويلد للعقل، ويناعي أوتار النفس.

أفق جمالي.. ينحدر منه كلام الإمام (عليه السلام) بأروع من جمال الورود والنسائم والملكات والهوريات، فهو آت من معدن الجمال الأعلى ومنبعه.

جمال، تفيضه روح علوية لا ترى في الوجود إلا جميلا! فهذا الوجود عندها له رب جميل لا يصدر عنه إلا الجميل، فهي ترى الأشياء بجماله وكماله، ولا ترى ما يعكس جماله حتى خطايا الإنسان، وحتى القوانين والمقادير.

روح جمالية.. ترى النصف الفارغ من الكأس جميلا كالمملوء، وتتحير في أيهما الأجل ما يفقده الإنسان في مرضه من صحته، أو ما يبقى له منها! إستمع إليه كيف يتكلم مع ربه (إذا مرض أو نزل به كرب أو بلية اللهم لك الحمد على ما لم أزل أتصرف فيه من سلامة بدني، ولك الحمد على ما أحدثت بي من علة في جسدي! فما أدري يا إلهي أي الحالين أحق بالشكر لك، وأي الوقتين أولى بالحمد لك، أوقت الصحة التي هنأتني فيها طبيبات رزقك، ونشطتني بها لابتغاء مرضاتك

وفضلك، وقويتني معها على ما وفقتني له من طاعتك؟ أم وقت العلة التي محصنتني بها،
والنعم التي أتحتني بها تخفيفاً لما ثقل على ظهري من الخطيئات) (الصحيفة السجادية
الدعاء الخامس عشر).

وانظر إلى جدلية الكلمات بين أنامل فكره حيث يقول (عند الصباح والمساء الحمد لله
الذي خلق الليل والنهار بقوته، وميز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحد منهما حداً
محدوداً، وأمداً ممدوداً، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه، بتقدير
منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات
التعب ونهضات النصب، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه، فيكون ذلك لهم
جماماً وقوة ولينالوا به لذة وشهوة، وخلق لهم النهار مبصراً ليبتهوا فيه من فضله،
وليتسببوا إلى رزقه، ويسرحوا في أرضه، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم، ودرك
الأجل في أخراهم، بكل ذلك يصلح شأنهم ويبلو أخبارهم، وينظر كيف هم في أوقات
طاعته ومنازل فروضه ومواقع أحكامه ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين
أحسنوا بالحسنى). (الصحيفة السجادية الدعاء السادس)

أرأيت الخلق بالقوة، والتميز بالقدرة، والحد والأمد، وتناوب الزحف بين الليل والنهار،
والفرق بين التغذية والتنشئة، والحركات والنهضات، والتعب والنصب.. والريشة التي
تفتح أبواب فكرك على الوجود، وروحك على الخالق، وتملاً حياتك بالحياة، فيما لا
يتسع المجال لدراسة فقرة واحدة منه؟! *

ومسؤولية الكلمة عند الإمام (عليه السلام) كعمقها.. فهو يقول (لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا). (ثواب الأعمال ١٦٤). ويقول (إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول كيف أصبحتم؟ فيقولون بخير إن تركتنا! ويقولون الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون إنما نثاب بك ونعاقب بك!) (الخصال ٦).

**

ولم تمنعه أشواق الروح من عمق العقل.. فالمروي عنه في ذلك كثير، منه أنه سئل عن التوحيد فقال (إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، والآيات من سورة الحديد سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم. له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير. له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور. يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور. فمن رام ما وراء هنالك هلك). (التوحيد للصدوق ٢٨٣).

وروى عن أبيه الحسين عن أمير المؤمنين (عليهما السلام) أنه قال: (من الدليل على أن الأجسام محدثة: أن الأجسام لا تخلو من أن تكون مجتمعة أو مفترقة ومتحركة أو ساكنة والاجتماع والافتراق والحركة والسكون محدثة، فعلمنا أن الجسم محدث لحدوث ما لا ينفك منه ولا يتقدمه.. الخ. وهو حديث طويل في الإستدلال العقلي على حدوث العالم ووجود الخالق عز وجل. (التوحيد للصدوق / ٣٠٠).

**

عندنا إمام معصوم (عليه السلام) وعندهم ولي يملك الاسم الأعظم والإمام زين العابدين (عليه السلام) عنده اسم الله الأعظم.. بذلك شهد مخالفوه وفسروا به معجزاته (عليه السلام)! قال ابن حجر في فتح الباري: ١١ / ١٩١: (نقل الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأى في النوم: هو الله الله الله، الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم). وقال في إثبات وجود من يحمل الاسم الأعظم: ١١ / ١٩١: (ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما). وبحث ابن حجر أقوال علمائهم العديدة في معنى اسم الله الأعظم، وبحثه بتفصيل أكثر المناوي في فيض القدير: ١ / ٦٥٢.

وأكثر ما أدهشهم من معجزاته (عليه السلام) عندما ألح الحجاج على عبد الملك أن يقتله، لأنه برأيه المرجع الروحي للهاشميين الثائرين، فأمر عبد الملك بالقبض عليه وتقييده بالحديد وإرساله إليه! قال ابن شهاب الزهري: (شهدت علي بن الحسين يوم حملة عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديدا ووكل به حفاظا في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي فدخلت عليه وهو في قبة (هودج كالفص) والأقياد في رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت: وددت أني في مكانك وأنت سالم! فقال لي: يا زهري أوتظن هذا مما ترى علي وفي عنقي مما يكربني؟ أما لو شئت ما كان وأنه إن بلغ بك وبأمثالك غمر ليذكر عذاب الله، ثم أخرج يده من الغل ورجليه من القيد ثم قال: يا زهري لا جزت معهم ذا منزلتين من المدينة (مكان في طريق الشام)! قال: فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه من المدينة فما وجدوه! فكنت فيمن سألهم عنه فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعا (أي معه جن!) إنه لنازل ونحن نحوله لا ننام نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا

بين محمله إلا حديدة! قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته فقال لي: إنه جاءني في يوم فقدته الأعوان فدخل علي فقال: ما أنا وأنت؟! فقلت: أقم عندي فقال: لا أحب ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة. قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن! إنه مشغول بربه فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به! قال وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين). (تاريخ دمشق: ٤١ / ٣٧٢، وحلية الأولياء: ٣ / ١٣٥، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٧٥، وغيرها من مصادر الطرفين). أقول: تدل هذه المعجزة المتفق عليها على أن أئمة المذاهب الأخرى وعلماءهم يعتقدون بصدور المعجزات من الأولياء، وقد ذكروا في بحثهم معنى الاسم الأعظم الذي لا ترد به دعوة، أنه كان عند عدد من رجالهم!

وروى المناوي في فيض القدير: ١ / ٦٥٣ أن أبي بن كعب طلب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يعلمه الاسم الأعظم فأرشده إلى مطلع آية الكرسي، وقال في: ١ / ٥٢٤: (فقد ابتلي بعض عظماء الأولياء بالجذام وكان يحفظ الاسم الأعظم ف قيل له: ألا تدعو؟ فقال ما كنت لأطلب الإقالة من أمر اختاره لي).

وقال ابن حجر في الإصابة: ٥ / ٤٩١: (أن كرزا سأل الله تعالى أن يعلمه الاسم الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا فأعطاه، فسأل الله أن يقويه على تلاوة القرآن، فكان يختمه في اليوم واللييلة ثلاث مرات)!

وفي إعانة الطالبين: ١ / ١٦، أن عبد القادر الجيلاني كان عنده الاسم الأعظم! وقال الذهبي في سيره: ٧ / ٣٨٨، في ترجمة إبراهيم بن أدهم: (ورأى في البادية رجلاً علمه الاسم الأعظم فدعا به، فرأى الخضر وقال: إنما علمك أخي داود).

رواها علي بن محمد المصري الواعظ).
 وقال الذهبي أيضا: ١٣ / ٨٦ في ترجمة أبي يزيد البسطامي: (وقيل له: علمنا الاسم الأعظم قال: ليس له حد إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارفع له أي اسم شئت من أسمائه إليه).
 وقال في: ١٣ / ٢٦٦: (إن أبا حاتم كان يعرف الاسم الأعظم فمرض ابنه فأجتهد أن لا يدعو به فإنه لا ينال به الدنيا، فلما اشتدت العلة حزن ودعا به فعوفي، فرأى أبو حاتم في نومه: استجبت لك ولكن لا يعقب ابنك. فكان عبد الرحمن مع زوجته سبعين سنة فلم يرزق ولدا، وقيل: إنه ما مسها!)
 وقال في ترجمة السلمي: ١٤ / ٢٤٩: (قلت: هو صاحب حكاية الفأرة مع ذي النون لما سأله الاسم الأعظم). (وسير الذهبي: ١٤ / ٢٥١، و: ١٦ / ٥١١، وميزان الاعتدال: ١ / ٣٩٨، و: ٢ / ٣٦).
 * *

أما في عندنا فأمر الإمامة ومقام الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، أوسع من الاسم الأعظم، فإن بعض مواليهم كانوا يحملونه! (عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: سلمان علم الاسم الأعظم). (اختيار معرفة الرجال: ١ / ٥٦).
 بينما لم يعلمه الإمام الباقر (عليه السلام) لعمر بن حنظلة، لأنه لا يطيقه! (قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إني أظن أن لي عندك منزلة؟ قال: أجل، قال قلت: فإن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال قلت تعلمني الاسم الأعظم! قال: وتطبيقه؟ قلت: نعم، قال: فادخل البيت، قال فدخل البيت فوضع أبو جعفر يده على الأرض فأظلم البيت فأرعدت فرايص عمر! فقال: ما تقول، أعلمك؟ فقال: لا. قال: فرفع يده فرجع البيت كما كان). (بصائر الدرجات / ٢٣٠).
 وقد تعرضنا في المجلد الأول إلى علم أمير المؤمنين (عليه السلام) بأجله، وفي هذا المجلد إلى علم الإمام الحسن (عليه السلام) بأجله، وأن الله تعالى خص نبينا (صلى الله عليه وآله) وعترته

المعصومين (عليهم السلام) بالكثير الكثير فعندهم (عليهم السلام) علم الظاهر والباطن. وأن من يعطيه الله هذه العلوم يجعل معه ملائكة يحفظونها ويحفظونه، ليعيش حياته الطبيعية بالعلم الظاهري، ويستعمل طرفا من العلم اللدني في وقته المناسب! وهذا معنى قوله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. (سورة الجن: ٢٦ - ٢٧).

وقد صرح الإمام زين العابدين (عليه السلام) بذلك عندما جاءه رجل مهموم وشكى له قرضه الذي أثقله، فلم يكن عند الإمام (عليه السلام) مال لأن الوليد كان صادر أمواله، فأعطاه قرصيه قوت يومه وأمره أن يذهب إلى السوق ويشتري بهما شيئا، فوجد سمكتين غير مرغوبتين فاشتراهما فوجد في جوفها لؤلؤتين ثمينتين: (وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله. فقال بعض المخالفين: ما أشد هذا التفاوت! بينا علي بن الحسين لا يقدر أن يسد منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم كيف يكون هذا وكيف يعجز عن سد الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم؟ فقال علي بن الحسين (عليه السلام): هكذا قالت قريش للنبي (صلى الله عليه وآله): كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء (عليهم السلام) من مكة ويرجع إليها في ليلة واحدة، من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثني عشر يوما، وذلك حين هاجر منها؟! ثم قال (عليه السلام): جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه، إن المراتب الرفيعة لا تنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به، إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبرا لما يساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجاح جميع طلباتهم، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريد لهم!) (أمالي الصدوق / ٥٣٩).

وفي هذا الموضوع بحوث مهمة، نشير منها إلى أن قوله (عليه السلام) (أوجب لهم نجاح

جميع طلباتهم لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريد لههم): يدل على أن المعصوم (عليه السلام) لا يطلب المعجزة ولا يستعمل ولايته التكوينية إلا بإذن أو أمر من الله تعالى! فالأصل عنده أن يعمل ويعيش بالأسباب العادية، إلا إذا أبلغه الله تعالى بهاتف أو إلهام أو أي طريق، أن يعمل شيئاً آخر أو يدعو به شيئاً! وهذا معنى تفوق النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته على غيرهم، بأنهم لم يقترحوا على ربهم عز وجل شيئاً. * *

كيف واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) خطط بني أمية؟
كان المشروع الأموي كما أوضحنا في المجلد الثاني مشروعاً مادياً يهودياً يهدد وجود الإسلام كدين، ويهدد أهل البيت النبوي (عليهم السلام) بالإبادة! لهذا كان للإمام زين العابدين (عليهم السلام) هدفان واضحان في حياته الشريفة:
الأول، تثبيت الإسلام وترسيخه كدين، في نفوس المسلمين وشعوب البلاد المفتوحة. ولذلك كانت حياته (عليه السلام) ثورة فكرية وروحية على الفكر المادي الجاهلي، وعلى روحية الطاغوت الأموي اليهودي.
كان هدفه (عليه السلام) أن يعمل وينشر كل ما يثبت أصول الإسلام وعقائده، ابتداءً من وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وعدله المطلق، وبقية أسمائه وصفاته الحسنى، إلى نبوة نبينا (صلى الله عليه وآله) ومقامه عند ربه، إلى الآخرة وعدلها، إلى أركان الإسلام العملية من الصلاة والصوم والحج والزكاة، فكلها تتعرض لخطط التحريف الأموي وتأثير الثقافة اليهودية!
والهدف الثاني، نشر ظلامه أبيه الحسين وأهل البيت (عليهم السلام) وربط الأمة بهم، ومقاومة خطة معاوية في تربية أجيال الأمة على أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) سفاك للدماء، قتل صنابير قريش، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يكرهه لأنه عصاه وكفر به، فيجب فصله عن النبي (صلى الله عليه وآله) ولعنه على المنابر، هو وأبناؤه!
أما الثورة السياسية العسكرية على الأمويين فكان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يبعد نفسه عنها، لكنه لم يقف ضدها عندما كانت طلباً بثأر الإمام الحسين (عليه السلام).
وبسبب ذلك كان (عليه السلام) رقماً صعباً على السلطة، فلا هو تائر يعطي على نفسه الحجة لقتله، ولا هو مطيع للسلطة كعلماء البلاط!
* *

عندما يكتب الحجاج السفاك إلى عبد الملك بن مروان: (إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين)! (الصراط المستقيم: ٢ / ١٨٠). فمعناه أن حاكم العراق والحجاز المعتمد بامتياز عند الخليفة الأموي، يرى أن المرجع الروحي لكل تحركات الهاشميين والشيعة ضد بني أمية ومنها حركة التوايين والمختار، هو علي بن الحسين الذي يمثل أمجاد أبيه وعتره النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنه ما دام حيا فستنشأ الحركات بشعار يا لثارات الحسين، وتكون بتبريكه مع سلب مسؤوليته عنها! وعندما يبادر عبد الملك فيكتب سرا إلى الحجاج: (جنبني دماء آل أبي طالب فإني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم). (محاسن البيهقي / ٣٩) فمعناه أن عبد الملك قرر من أجل الإبقاء على ملكه أن يفصل حساب الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وأبنائهم، عن حساب التوايين والمختار، وبقية الثائرين بإسمهم.

وقد استفاد الإمام زين العابدين (عليه السلام) من هذا الهامش الأموي الجديد فنشط في تحقيق هدفه الأساسيين، في الخطوات التالية التي تنتظم كل حياته وفعالياته:

الأول: سلوك التأله والتعبد، وتعميقه في المسلمين وتعليمه للجادين منهم.

الثاني: مواجهة خطط معاوية ضد علي وأهل البيت (عليهم السلام) وخطة يزيد لإبادتهم وتوعية الأمة على مكانتهم في الإسلام وقرآنه وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله).

الثالث: الدبلوماسية مع النظام الأموي، بعد أن انتقل من آل أبي سفيان إلى آل مروان، ولم شمل الهاشميين ورعايتهم وتقوية روحياتهم، والابتعاد بنفسه وبهم عن الإنخراط في الثورات العاطفية المتأرجحة، أو تلك الطامعة في السلطة باسم أهل البيت (عليهم السلام). ولكل واحد من هذه الخطوات مفردات كثيرة في حياة الإمام (عليه السلام) لا يتسع لها المجال، فنكتفي منها بنقاط:

الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومروان
روت المصادر أن مرواناً كان يذكر للإمام زين العابدين (عليه السلام) عفو جده أمير
المؤمنين (عليه السلام) عنهم يوم الجمل، قال له: (ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك!
ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يقتل مدبر ولا يذفف على جريح). (الأم
للشافعي: ٤ / ٢٢٩، وسنن البيهقي: ٨ / ١٨١، ومجموع النووي: ١٩ / ٢٠٣).
* *

واعترف له بأن علياً (عليه السلام) كان أكثر الصحابة دفعا للناس عن عثمان قال: (ما
كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، يعني علياً عن عثمان. قال قلت: فما
لكم تسبون علي المنابر؟! قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك!) (تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٣٨
وأنساب الأشراف، هامش / ١٨٤، وشرح النهج: ١٣ / ٢٢٠، والعثمانية للجاحظ /
٢٨٣، وسمت النجوم العوالي / ٧٣٧، وقال: رواه ابن خيثمة بإسناد قوي عن عمر (بن
علي).
* *

وأخبره أنه هو قتل طلحة يوم الجمل: (قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس يوم
الجمل قد كشفوا قلت: والله لأدركن ثأري ولأفوزن منه الآن! فرميت طلحة فأصبت
نساءه، فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به، فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة
فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات). (الجمل للمفيد / ٢٠٤).
* *

وروى الطبري: ٤ / ٣٧٩، أن جيش يزيد بعد أن استباح المدينة في وقعة الحرة،
وأجبر أهلها البيعة على أنهم عبيد قن ليزيد، سأل قائده عن الإمام زين العابدين (عليه
السلام) فجاءه مع مروان وابنه عبد الملك وكانهما شفيعان له، لأنه كان آوى عائلتهما
عندما طردهم أهل المدينة، قال: (لما أتني بعلي بن الحسين إلى مسلم قال: من هذا؟
قالوا: هذا علي بن الحسين، قال: مرحبا وأهلا، ثم أجلسه

معه على السرير والطنفسة ثم قال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلا وهو يقول إن هؤلاء الخبيثاء شغلوني عنك وعن وصلتك، ثم قال لعلي: لعل أهلك فزعوا! قال: إي والله، فأمر بدابته فأسرجت ثم حملة فرده عليها). انتهى. وأكرمه واستنائه من البيعة على أنه عبد قن ليزيد (ورواه الطبري في: ٤ / ٣٧٢، وغيره بألفاظ أخرى، وروت مصادرنا أنه لم يأت إليه مع مروان وابنه بل مع اثنين من بني هاشم).
**

ونقل المؤرخون والمحدثون شهادة الزهري بأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان أحب أهل بيته إلى مروان وعبد الملك، قال (كان أقصد أهل بيته وأحسنهم طاعة وأحبهم إلى مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان). (الطبقات: ٥ / ٢١٥، وتاريخ بخاري الصغير: ١ / ٢٤٦، والتعديل والتجريح: ٣ / ١٠٧٩، وتاريخ دمشق: ٤١ / ٣٧١، وتهذيب الكمال: ٢٠ / ٣٨٦، وسير الذهبية: ٤ / ٣٨٩، وتاريخ أبي زرعة / ١٠٣).
**

واهتم ابن كثير كثيرا بأن يمدح مروان وابنه عبد الملك لعلاقتهما الحسنة مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) فزعم في النهاية: ٨ / ٢٨٣، و: ٩ / ١٢٢، أن مروانا شجع الإمام زين العابدين (عليه السلام) على تكثير نسله بعد أن لم يبق غيره من ذرية الحسين (عليه السلام) وأقرضه مئة ألف درهم ليشتري جواري! ثم أوصى مروان ابنه عبد الملك أن لا يأخذها منه. وقال ابن كثير: (فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله). انتهى.
وكان ابن كثير يقول إن السادة الحسينيين كلهم من أموال مروان! فهم مدينون بوجودهم لأسياده بني أمية العظماء! ثم ذكر ابن كثير أن الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدان الصلاة إذا رجعا إلى البيت!
وكانه كان معهما، وكان الصلاة خلف الوالي شهادة له بشرعية سلطته!
**

جيش مروان بعد الحرة إلى المدينة!

بعد هلاك يزيد سيطر ابن الزبير على المدينة وعين عليها واليا، وعندما صار مروان خليفة أرسل جيشا إلى المدينة بقيادة ابن دلجة التميمي وهو أحد قادة مجزرة الحرة: (وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين أحدهما إلى المدينة عليهم حبيش بن دلجة القيني، والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد). (الطبري: ٤ / ٤٧٥). وكان ذلك في رجب سنة خمس وستين فهرب منها والي ابن الزبير، واحتل ابن دلجة المدينة وأخذ البيعة من أهلها لعبد الملك، وجلس على منبر النبي (صلى الله عليه وآله) (يأكل من مكتله تمرا ويطرح نواه في وجوه القوم! وقال: والله إنني لأعلم إنه ليس بموضع أكل ولكني أحببت أن أذلكم لخذلانكم لأمير المؤمنين) (تاريخ دمشق: ١٢ / ٨٨). (فدعا بخبز ولحم فأكل على المنبر، ثم أتى بماء فتوضأ على المنبر). (الإمامة والسياسة: ٢ / ١٤، وتوضأ هنا بمعنى غسل يديه). ثم توجه ابن دلجة إلى مكة، فأرسل له ابن الزبير جيشا والتقوا في الربذة في شهر رمضان أيام هلاك مروان، فقتل ابن دلجة ومعه عبد الله بن مروان وعبيد الله أخ مروان، وهزم جيشه في غرة شهر رمضان سنة ٦٥ (النجوم الزاهرة: ١ / ١٦٨) وتشرد جنوده وتخطفهم الأعراب وأسر منهم خمس مئة وذبح خمس مئة دفعة واحدة! ففرح أهل المدينة واستقبلوا قاتل ابن دلجة: (يزيد بن سياه الأسواري رماه بنشابة فقتله (أي رمى ابن دلجة) فلما دخل المدينة وقف يزيد بن سياه على بردون أشهب وعليه ثياب بياض فما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب). (تاريخ دمشق: ١٢ / ٨٨، والطبري: ٤ / ٤٧٦). وكان الحجاج وأبوه ممن هربوا، فكان يصف هزيمتهم القبيحة فيقول: (ما أقبح الهزيمة! لقد كنت ورجل آخر يعني أباه في جيش حبيش بن دلجة فانهمنا،

فركضنا ثلاثين ميلا حتى قام الفرس! وإنه ليخيل إلينا أن رماح القوم في أكتافنا! قالوا:
ولم يقتل رجل من أصحاب ابن دلجة إلا كان أقل ما وجد معه مائة دينار). (أنساب
الأشراف / ١٥٣٥، وراجع تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٦). والظاهر أن الإمام زين
العابدين (عليه السلام) كان في تلك الفترة في البادية، وستعرف أنه أمضى سنوات في
البادية بعد كربلاء، وكان يتواجد في المدينة
**

عهد عبد الملك بن مروان بعد هلاك مروان تولى ولي عهده ابنه عبد الملك، فواصل حربه لإخضاع أهل المدينة مجدداً وقتال ابن الزبير في مكة، ومواجهة حركة التوابين المطالبين بثار الإمام الحسين (عليه السلام) الذين توجهوا من العراق إلى الشام بقيادة صحابي عمره ٩٣ سنة هو سليمان بن صرد الخزاعي:

(فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة فأتاه الخبر بها بموت مروان، وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين). (الطبري: ٤ / ٤٧٥). ووقعت المعركة بينهم في عين الوردية عند الحدود السورية فقتل أكثر التوابين ولم ينج منهم القليل! لكن العراق لم يخضع لبني أمية، فقامت حركة المختار وابن الأشتر مطالبين أيضاً بثار الإمام الحسين (عليه السلام)، وتمكنوا من السيطرة على العراق من سنة خمس وستين إلى سبع وستين.

وفي السنة التالية سنة ٦٦، أرسل عبد الملك جيشاً كثيفاً إلى العراق بقيادة عبيد الله بن زياد، لكنه تلقى هزيمة فاحشة عند الموصل على يد إبراهيم بن مالك الأشتر (رحمه الله)، وقتل أكثر جيشه، ومنهم قائده ابن زياد. *

من جهة أخرى انحسرت حركة عبد الله بن الزبير عن الشام وفلسطين ومصر أمام مروان وعبد الملك، لكنها بقيت قوية في الحجاز واليمن والبصرة، فاستطاع أخوه مصعب أن يسيطر على العراق ويقضي على حركة المختار ويقتله في ١٤ رمضان سنة ٦٨ (الطبقات: ٥ / ١٠٥، وتاريخ دمشق: ٥٤ / ٣٤٩، وفي الطبري: ٤ / ٥٧٨ أن ذلك في سنة ٦٧).

وقد ارتكب مصعب في العراق فظائع كفظائع يزيد بأهل المدينة في وقعة الحرة! وبقي مسيطراً عليه نحو أربع سنوات.

وفي المقابل واصل عبد الملك غزوه للعراق في كل سنة، حتى استطاع أن يخضعه ويقتل مصعب بن الزبير في ١٥ جمادى الأولى سنة ٧٢. (الطبقات: ٥ / ١٨٣).

وفي النجوم الزاهرة: ١ / ١٨٣: (وتجهز (مصعب) وخرج يريد الشام لقتال عبد الملك بن مروان وخرج عبد الملك أيضا من الشام يريد مصعب بن الزبير، فسار كل منهما إلى آخر ولايته، وهجم عليهما الشتاء فرجع كل منهما إلى ولايته. قال خليفة: وكانا يفعلان ذلك في كل سنة حتى قتل مصعب). انتهى.

وفي إحدى هذه المرات سنة ٦٩، كان عبد الملك في طريقه إلى العراق وكان معه أحد قادته عمرو بن سعيد الذي كان أبوه مروان جعله ولي عهد ثم عزله! (فقال له عمرو بن سعيد بن العاص إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فانصرف عنه عمرو راجعا إلى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق.... واجتمع الناس وصعد المنبر (عمرو) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه لم يبق أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة ونارا يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه! وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله وأنه ليس إلي من ذلك شيء، غير أن لكم علي حسن المؤاساة والعطية، ونزل.

وأصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره، فرجع عبد الملك إلى دمشق فإذا عمرو قد جلى دمشق المسوح فقاتله بها أياما... فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولا بن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش؟!... ثم إن عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وآمنه عبد الملك... ودخل عبد الملك دمشق يوم

الخميس فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم فأرسل إليه عمرو إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن اتني وهو عند امرأته الكلبية). (تاريخ الطبري: ٤ / ٥٩٦).

وقد نصحوا عمرا أن لا يذهب إلى عبد الملك، ولكنه كان مغرورا فذهب إليه للتفاوض، فقيده عبد الملك وذبحه بيده!

وبعد ثلاث سنوات غزا عبد الملك العراق، وانتصر على مصعب وقتله، ودخل الكوفة فبايعه الناس. (مآثر الإنافة: ١ / ١٢٩).

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٦٢: (عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: رأيت في هذا القصر وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد على ترس. ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد. ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير. ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك. فحدثت بهذا الحديث عبد الملك فتطير منه وفارق مكانه!) (والطبراني في الكبير: ٣ / ١٢٥، والزوائد: ٩ / ١٩٦ ووثقه، وأبي يعلى: ٥ / ٥٤، و: ٧ / ٧٣، واليعقوبي: ٢ / ٢٦٥، وذكر أنه أمر بهدم تلك الصالة في القصر)!

وبعد انتصار عبد الملك على مصعب وقتله، أرسل جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لحرب عبد الله بن الزبير، فحاصره في مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق حتى قتل ابن الزبير وصلبه في ١٥ جمادى الثانية سنة ٧٣. (الطبقات: ٣ / ١٦٣).

**

نماذج من طغيان عبد الملك!
(والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه!)
كان دور مروان بن الحكم في الوصول إلى السلطة شبيها بدور أبي سفيان، وقد كان مروان حكم كل الدولة الإسلامية باسم عثمان، ثم حكم المدينة بضع سنوات من قبل معاوية، ثم حكم الدولة الإسلامية كخليفة بضعه شهور.
لكن ولده عبد الملك حكم نحو عشرين سنة، قضى منها تسع سنوات في حربه مع حركتين شيعيتين، حركة التوابين وحركة المختار، ومع أبناء الزبير حتى انتصر على مصعب في العراق وقتل عبد الله في مكة ثم صلبه.
وكان عبد الملك أشجع من أبيه، لكنه كان جبارا كأبيه! فقد افتتح خلافته بإعلانه أنه لا يتحمل من أحد نصيحة شرعية، بل يعاقب صاحبها بالقتل! وذم ابن عم أبيه عثمان بن عفان لأنه ضعيف الشخصية، مع أنه هو الذي جاء بجده الحكم وأبيه مروان من مناهم في بادية الطائف، ودخل جده الحكم دار الخلافة وهو أعرابي يجر تيسا ويلبس ثيابا خلقة، وخرج منها بطيلسان ومئة ألف كل أربعة دراهم منها تشتري تيسا! ثم زوج عثمان ابنته لابنه مروان وسلمه مقادير الخلافة، فصار مروان مروانا، وصار ابنه: عبد الملك بن مروان!
ثم طعن عبد الملك في آل معاوية آل حرب، الذين كان هو وأبوه إلى الأمس يتذللان لهم ويتملقان، فوصف معاوية بأنه مداهن مرائي من أجل الدنيا! ووصف يزيدا بأنه مأبون شاذ جنسيا، وفي رواية: مأفون أي ضعيف العقل! وهذا من عبد الملك حمق وغرور، وإن كان كلامه فيهم صحيحا!

وقد نصت المصادر على أنه كرر هذا التهديد خمس مرات: في خطبة التتويج في الشام، وبعد أن قتل ابن عمه عمرو بن سعيد، وفي المدينة، ومكة، والعراق! قال الجصاص وهو من أكابر علمائهم: (ولم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفجر من عبد الملك، ولم يكن في عماله أكفر ولا أظلم ولا أفجر من الحجاج! وكان عبد الملك أول من قطع ألسنة الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صعد المنبر فقال: إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف يعني عثمان، ولا بالخليفة المصانع يعني معاوية! وإنكم تأمروننا بأشياء تنسونها منه في أنفسكم، والله لا يأمرني أحد بعد مقامي هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه!) (أحكام القرآن: ١ / ٨٦) وحذف الجصاص (المأبون) وذكرها ابن خياط / ٢١٠، وابن عساكر: ٣٧ / ١٣٥، والنهاية: ٩ / ٧٨، والبيان والتبيين / ٢٩٤ ونثر الدرر / ٣٨٥، وبعضهم جعلها: (المأفون).

وقال البلاذري في أنساب الأشراف / ١٧٧٤: (وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: لما مات مروان صلى عليه عبد الملك ودفنه، ثم صعد المنبر فقال: إني والله ما أنا بالخليفة المصانع ولا الخليفة المستضعف ولا الخليفة المطعون عليه! إنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني أحد بعد يومي هذا بتقوى الله عز وجل إلا ضربت عنقه! ثم نزل). انتهى.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء / ١٧٠: (وأول خليفة بخل عبد الملك، وكان يسمى رشح الحجارة لبخله، ويكنى أبا الذبان لبخره (رائحة فمه الكريهة) قال: وهو أول من غدر في الإسلام، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء... كان لمروان بن الحكم ولي العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد ابنه فقتله... خطبنا عبد الملك بين مروان فقال.. أما بعد فلست بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا الخليفة المداهن يعين معاوية ولا الخليفة المأفون يعني يزيد! ألا وإن من كان

قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وإني لا أدوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم. تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم! هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بأسيافنا هكذا!... والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه. ثم نزل). (ونحوه تاريخ دمشق: ٣٧ / ١٣٥ والنهاية: ٩ / ٧٧، وابن خياط / ٢٠٩، وشرح النهج: ٦ / ١٧ و: ١٥ / ٢٥٧، وراجع: الأوائل للعسكري / ١٤٢، وفيه: أخذ الناس مأخذ ملوك الأعاجم فنهاهم عن الكلام بحضرته! ونهاية الإرب / ٤٦٨٦، وكامل ابن الأثير: ٤ / ١٥٠، و: ٤ / ٤٢٠، وفيه: وكان عبد الملك أول من غدر في الإسلام... وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء... وتاريخ الخلفاء / ١٧١، وفوات الوفيات / ٥٢٦، المناقب والمثالب / ٣٢٥، والنزاع والتخاصم / ٤١، وجمهرة خطب العرب: ٢ / ١٩٢، والأوائل / ١٤٢، ونهاية الإرب / ٤٦٨٦، والبيان والتبيين / ٢٩٤، وفيه: قال أبو إسحاق: والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المدهن لكنت منها أبعد من العيوق! والله ما أخذتها من جهة الميراث، ولا من جهة السابقة، ولا من جهة القرابة، ولا تدعي شورى ولا وصية!

وروى البلاذري في أنساب الأشراف / ١٧٧٨، أنه كان يهدد بني أمية لثلاثين يوماً عليه قال: (وكان عبد الملك يتهدد أهل بيته بمثل ما صنع بعمرو بن سعيد، فكتب إليه عبد الله بن عمرو بن عثمان: إنك قد عرفت بلاء عثمان عندك وعند أهل بيتك ورفع أقداركم وما أوصاك به مروان من قضاء دين عمرو بن عثمان، وتأخيرك ذلك! فإن تؤثر ما أوصاك به أبوك فأهله نحن، وإلا تفعل فسيغني الله عنك والسلام... فكتب إليه عبد الملك: قد أتاني كتابك، وعمرو بن سعيد كان أقرب منك رحماً وأوجب علي حقاً، فأخطأ موضع قدمه ففرقت بين رأسه وجسده وقد هممت بأن ألحقك به!!

وكذلك كانت معاملته لآل معاوية، ففي تاريخ دمشق: ٤٦ / ٢٧٢: (قطع عبد الملك بن مروان عن آل أبي سفيان ما كان يجريه عليهم لما غضب على خالد بن يزيد بن معاوية... فبلغ ذلك خالدا فقال أبا لحرمان يهددني عبد الملك؟! يد الله فوقه مانعة وعطاؤه دونه مبذول). انتهى. فهذه أخلاقه مع أولياء نعمته فكيف بغيرهم!!
ودع لقلقة لسانه بالقرآن ورحب بشرب الخمر والدماء!
اتفق المؤرخون على أن عبد الملك بن مروان كان يعترف بأنه شارب للخمر سفك للدماء! قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٢ / ٦٦٤: (عبد الملك بن مروان بن الحكم. أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل)؟!
وفي أنساب الأشراف / ١٧٩٧: (قال سعيد بن المسيب لعبد الملك: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء؟ قال: والدماء يا أبا محمد فنستغفر الله!...
دخل الأخطل على عبد الملك وهو سكران فقال له: يا أبا مالك مالك؟ قال: إن أبا نسطور وضع في جمجمتي ثلاثا!)
وفي نثر الدرر للآبي / ٣٨٥: (وقال عبد الملك: لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجندب أن أقتله، وإن الحجاج ليكتب إلي في قتل فئام (جماعات) من الناس فما أحفل بذلك!... وقالت له حبي المدينة: أقتلت عمرا؟ فقال: قتلته وهو أعز علي من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول). أي قطع.
وفي محاضرات الأدباء / ١٧٢: (كان عبد الملك بن مروان يسمى حمامة المسجد للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره فوضعه وقال: هذا فراق بيني وبينك! وقال: إني كنت أتخرج أن أظأ نملة، وإن الحجاج يكتب إلي في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك! وقال له الزهري يوما: بلغني أنك شربت الطلاء! فقال: أي والله والدماء! وقال: عجبا للسلطان

كيف يحسن وإذا أساء وجد من يزيه ويمدحه)! (والتذكرة الحمدونية / ٦١٢).
ومعناه أن الخليفة مهما ارتكب من جرائم، وجد حوله علماء بلاط يبررون فعله!.
وقال الذهبي في سيره: ٤ / ٢٤٨: (أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف بين يديه،
فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك... كان من رجال الدهر ودهاة الرجال، وكان
الحجاج من ذنوبه). ثم ذكر الذهبي اعترافه بالخمير وسفك الدماء! (ونحوه تاريخ
دمشق: ٣٧ / ١٥١، ونهاية الإرب / ٨٩٠، و تاريخ الخلفاء / ١٦٩).
وفي المناقب والمثالب للقاضي النعمان / ٣٢٩: (وكانت ولايته من يوم بويج إلى يوم
توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا، أقام منها تسع سنين يقاتل عبد الله بن
الزبير... ومات وهو ابن ستين سنة، وقيل ابن ثلاث وستين سنة). انتهى.
أقول: فاعجب للذين يتولون هذه الشخصيات الفاقدة لأدنى درجة من القيم، ويقدمونها
ويغالون فيها، فيعدون يزيدا ومروان وأولاده من الأئمة الربانيين الاثني عشر الذين بشر
بهم النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع! ويجعلون ولايتهم جزءا من الدين،
ويكفرون من يتبرأ منهم ويلعنهم! راجع من باب المثال كلام ابن حبان المأساة في
صحيحه: ١٥ / ٣٥، وتطبيقه بشارة النبي (صلى الله عليه وآله) لأئمة باثني عشر إماما
ربانيا (عليهم السلام)، على معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك وأولاده!
من مروان الوزغ إلى مروان الحمار مقلدون لآل أبي سفيان
بدأ المروانيون بمروان الوزغ، وانتهوا بمروان الحمار! ولم يكن فيهم أحد مثل أبي
سفيان ومعاوية ويزيد في الذكاء والعمق، حتى عمر بن عبد العزيز الذي كبروه
وضخموه! رروا لهم قصصا في السطحية والبطش والحمق! وهذا عبد الملك
شخصيتهم ومرسي دولتهم يفتتح خلافته بالتهديد بالقتل، ويعلن أنه لن يعطي المال
كمعاوية
أو يزيد! (أما بعد فإنه كان من قبلي من الخلفاء

يأكلون من المال ويوكلون، وإني والله لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف). (تاريخ دمشق: ٣٧ / ١٣٥) فهو يعلن بخله وبطشه بلا حياء! ثم يوبخ ولاته علي تبذيرهم لكنهم يفحمونه فيسكت! قال يوما لولاته: (أما أنت يا خالد (بن أسيد الأموي) فاستعملتك على البصرة وهي تهدم بالأموال (مملوءة) فاستعملت كل ذئب فاجر! تحمل من العشرة درهما وتحتجن (تخبئ) التسعة لنفسك! وأما أنت يا أمية فإنني وليتك خراسان وسجستان وهما يقلسان الذهب والفضة، فبعثت إلي بيرزون حطم (هرم) وحريرتين (ثوبي حرير) ومفتاح فيه رطل من ذهب زعمت أنه مفتاح مدينة الفيل، وما مدينة الفيل قبحها الله! فإذا استعملناكم أسأتم وقصرتم، وإذا استعملنا غيركم قلتم حرمانا وقطع أرحامنا وآثر علينا غيرنا)!

وقال يوما: (إنا لنولي الرجل فيخون ويعجز كأنه يعرض بخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال خالد: أما العجز فإنه لم يعجز من وطأ لك مجلسك هذا، وأما الخيانة فما طلب العمل إلا لاصطناع المعروف وما زال الناس من لدن عثمان يصيبون من هذا المال: أنت وغيرك! فسكت عبد الملك). (أنساب الأشراف / ١٤٠٩)!

فسكت عبد الملك، لأن هذه سياستهم المالية التي أسسها عثمان ومعاوية! أما فلسفتها ودليلها (الشرعي) فهو كما تقدم ادعاء معاوية أنه خليفة الله في أرضه، فالمال ماله وليس مال المسلمين!

قال المزني في تهذيب الكمال: ٧ / ١٧٩: (عن سعيد بن المسيب قال: كان ابن برصاء الليثي من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه، وكان يسمر معه فذكروا عند مروان الفئ فقالوا: مال الله... فقال مروان: المال مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء ويمنعه ممن شاء، وما أمضى فيه من شيء فهو مصيب فيه. فخرج ابن البرصاء فلقي سعد بن أبي وقاص فأخبره بقول مروان، قال سعيد بن

المسيب: فلقيني سعد بن أبي وقاص وأنا أريد المسجد فضرب عضدي ثم قال: إلحقني تربت يداك، فخرجت معه لا أدري أين يريد حتى دخلنا على مروان بن الحكم داره فلم أهب شيئاً هيبتني له وجلست لئلا يعلم مروان أنني كنت مع سعد فقال له سعد لما دخل عليه قبل أن يسلم: يا مري أنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟! فقال مروان: ما قلت ومن أخبرك؟ قال: أنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟ قال مروان: وقلت ذلك فمه؟ قال: فردد ذلك عليه قال: فقلت ذلك فمه؟ قال: فرددها عليه الثالثة قال: فقلت ذلك فمه؟ فرفع يديه إلى الله يدعو وزال رداؤه عنه وكان أشعر بعيد ما بين المنكبين فوثب إليه مروان فأمسك يديه، وقال: أكفف عني يدك أيها الشيخ إنك حملتنا على أمر فركناه، فليس الأمر كذلك). (وتاريخ دمشق: ١٥ / ١١٥، و: ٣٨ / ٢٥٠، وجمهرة نسب قریش / ١٣١)

ثم ما قيمة المال أمام ادعاءات الأمويين، فقد ذكرنا تفضيل الحجاج لعبد الملك على النبي (صلى الله عليه وآله) بدعوى أن محمداً رسول الله وعبد الملك خليفة الله، وخليفة الرجل في بيته وأهله أفضل من رسوله في حاجته!
وعلى هذه الأفكار والادعاءات التي تهدم أصول الإسلام، سار عبد الملك وأولاده وولاته في الأمصار أكثر من أربعين سنة! ولهذه الأفكار الكفرية الإستعلائية واجههم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن أطاعهم وتأثر بهم من الأمة، حتى تراكم غضب الأمة على الأمويين وأطاحت بهم في ثورة العباسيين.
**

عبد الملك يحول الحج من مكة إلى بيت المقدس!
نص على ذلك عامة المؤرخين، ومنهم المحب لبني أمية ابن كثير! قال في النهاية: ٨ /
٣٠٨: (قال صاحب مرآة الزمان: وفيها ابتداء عبد الملك بن مروان ببناء القبة على
صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين،
وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة وكان يخطب في
أيام منى وعرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بني مروان
ويقول: إن النبي (ص) لعن الحكم وما نسل وأنه طريد رسول الله ولعينه. وكان (ابن
الزبير) يدعو إلى نفسه وكان فصيحاً فمال معظم أهل الشام إليه، وبلغ ذلك عبد الملك
فمنع الناس من الحج فضحوا، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك
عن الحج ويستعطف قلوبهم! وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون
حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم...
ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال، ووكّل بالعمل
رجاء بن حياة ويزيد بن سلام مولاه، وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى
بيت المقدس، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة وأمر رجاء بن حياة ويزيد أن يفرغا
الأموال إفراغاً ولا يتوقفاً فيها، فبثوا النفقات وأكثروا فبنوا القبة فجاءت من أحسن
البناء، وفرشاها بالرخام الملون وعملا للقبة جلالين أحدهما من اليود الأحمر للشتاء
وآخر من آدم للصيف، وحفا القبة بأنواع الستور، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع
الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران، ويعملون منه غالية ويبخرون القبة
والمسجد من الليل، وجعل فيها

من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئا كثيرا، وجعل فيها العود القماري المغلف بالمسك، وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياما ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس وأنه دخل الصخرة. وكان فيه من السدنة والقوم القائمين بأمره خلق كثير، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس، بحيث إن الناس التهبوا بها عن الكعبة والحج! وبحيث كانوا لا يلتفتون في موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس، وافتتن الناس بذلك افتتاناً عظيماً وأتوه من كل مكان وقد عملوا فيه من الإشارات والعلامات المكذوبة شيئا كثيرا مما في الآخرة فصوروا فيه صورة الصراط وباب الجنة، وقدم رسول الله (ص) ووادي جهنم وكذلك في أبوابه ومواضع منه، فاغتر الناس بذلك وإلى زماننا!

وفي النجوم الزاهرة: ١ / ١٨٣: (وقيل بل كان شروعه في ذلك سنة سبعين).
وقال ابن خلدون: ٢ ق ١ / ٢٢٦: (وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم).

وفي الروض المعطار / ١١٩: (بنى عبد الملك بن مروان مسجد بيت المقدس سنة سبعين، وحمل إلى بنيانه خراج مصر سبع سنين، وبنى القبة على الصخرة وجعل على أعلى القبة ثمانية آلاف صفيحة من نحاس مطلية بالذهب، في كل صفيحة سبعة مثاقيل ونصف من ذهب، وأفرغ على رؤوس الأعمدة مائة ألف مثقال ذهبا وخارج القبة كلها ملبس بصفائح الرصاص، وطول مسجد بيت المقدس بالذراع الملكي ويقال إنه ذراع سليمان (عليه السلام) وهو ثلاثة أشبار سبعمائة

وخمسة وخمسون ذراعا، وفيه من الأساطين ستمائة وأربع وثمانون أسطوانة، والعمد التي في قبة الصخرة ثلاثون عمودا، وفيه خمسة آلاف قنديل). وفي النجوم الزاهرة: ١ / ١٨٨: (وسبب بناء عبد الملك أن عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة فكان يخطب في أيام منى وعرفة وينال من عبد الملك، ويذكر مثالب بني أمية ويذكر أن جده الحكم كان طريد رسول الله ولعينه، فمال أكثر أهل الشام إلى ابن الزبير فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجوا، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يعرف بالناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة.... وقد بنى عبد الملك قبابا للحج في الأمصار)!

وفي سمت النجوم / ١٠٠١: (فبنى عبد الملك قبة على صخرة بيت المقدس ومساجد الأمصار). وربما كان يحج هو إلى الصخرة (تاريخ دمشق: ٣٧ / ١٣٦، و: ٧٠ / ١٦٤).

واستمر منع المسلمين من الحج إلى مكة وتوجيههم إلى القدس إلى أن قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ وربما بعده، ففي أخبار الدولة العباسية / ١٠٧: (وحج الناس في تلك السنة وهي سنة ست وستين على ثلاثة منازل: محمد بن علي في أصحابه على حدة، وعبد الله بن الزبير في أصحابه على حدة، ونجدة بن عامر الحروري في أصحابه على حدة). انتهى. ولم يذكر أهل الشام ومصر! وشاعت إسرائيليات كعب وتلاميذه!

فزعم كعب الأحبار أن الله تعالى وضع رجله على صخرة بيت المقدس! روى الطبري في تفسيره: ١٦ / ٢٦٢: (عن عروة قال: كنا قعودا عند عبد الملك حين (قال) قال كعب: إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة، فقال (...):

كذب كعب إنما الصخرة جبل من الجبال، إن الله يقول: ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فسكت عبد الملك). انتهى. وقد وضعنا (قال) بين قوسين لأن القائل لا يمكن أن يكون كعب الذي مات سنة ٣٤، بل القائل عبد الملك نقل قول كعب وتبناه، فرده أحد الجالسين فسكت خوفاً من اتهامه باليهودية!

وفي حلية الأولياء: ٦ / ٢٠: (عن كعب قال: إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال إني واط على بعضك، فاستعلت إليه الجبال وتضعضت له الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه! فقال: هذا مقامي ومحشر خلقي وهذه جنتي وهذه ناري وهذا موضع ميزاني وأنا ديان الدين). (وفضائل بيت المقدس / ٥٩).

وفي توحيد الصدوق / ١٧٩: (عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال محمد بن علي الباقر (عليهما السلام): يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عز وجل! يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس! ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى. يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه، تعالى عن صفة الواصفين وجل عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير).

وزعم كعب أن من صلى عند الصخرة فله ثواب الحج!

أخذ كعب التعبير النبوي لمن حج البيت وجعله للصخرة! ففي نهاية الإرب / ٢٢٥: (قال: من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وشمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب دعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن سأل الله الزيادة أعطاه). (وفضائل القدس / ٢٣).

وفي تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٥٠، عن كعب أيضاً: (قام سليمان بن داود على هذه

الصخرة ثم استقبل القدس كله ودعا الله بثلاث، فأراه الله تعجيل إجابته إياه في دعوتين وأرجو أن يستجيب له في الآخرة فقال: اللهم هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فأعطاه الله ذلك، وقال اللهم هب لي ملكا وحكما يوافق حكمك ففعل الله ذلك به، ثم قال: اللهم لا يأتي هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه). (ونهاية الإرب / ٢٢٥).

ولم يورد كعب الآية كما هي، لأنه لا يحفظها أو يتعمد التغيير في ألفاظها!
وزعم كعب أن الكعبة تسجد لبيت المقدس

ففي الدر المنثور: ١ / ١٣٦: (عن كعب قال: لا تقوم الساعة حتى يزف البيت الحرام إلى بيت المقدس، فينقادان إلى الجنة وفيهما أهلهما، والعرض والحساب بيت المقدس)! وفي الكافي: ٤ / ٢٣٩: (عن زرارة قال: كنت قاعدا إلى جنب أبي جعفر (الإمام الباقر (عليه السلام) وهو محتب مستقبل الكعبة فقال: أما إن النظر إليها عبادة، فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة، فقال أبو جعفر:

فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق، القول ما قال كعب! فقال أبو جعفر: كذبت وكذب كعب الأحبار معك! وغضب! قال زرارة: ما رأيته استقبل أحدا بقول كذبت غيره ثم قال: ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها ثم أوما بيده نحو الكعبة ولا أكرم على الله عز وجل منها، لها حرم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض، ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو العقدة وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة وهو رجب). انتهى.

وزعم كعب أن كل مياه الأرض تنبع من تحت الصخرة!
في تاريخ دمشق: ١ / ١٥٢: (وقال كعب: ما شرب ماء عذب قط إلا ما يخرج من

تحت هذه الصخرة! حتى أن العين التي بدارين ليخرج مأوها من تحت هذه الصخرة!)
(وتفسير القرطبي: ١١ / ٣٠٥، وأبي السعود: ٦ / ٥، والسيرة الحلبية: ٢ / ٨٢).

دلالات تحجيج المسلمين إلى بيت المقدس!

١ - يدل ذلك على أنه بعد مضي نصف قرن على وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كان الإسلام كدين، ما زال هشاً في نفس أوساط كثيرة من الناس، لم يترسخ بعد، وإلا لما قبلوا أن يحجوا إلى القدس بدل مكة، أو معها!

٢ - أن عبد الملك واصل خط معاوية وعمر في تبني إسرائيليات كعب الأبحار والحاخامات الذين تبنتهم الخلافة وأطلقت أيديهم في نشر ثقافتهم! وساعدهم على ذلك أنها ثقافة تفضل صخرة القدس وأرض الشام على مكة والبيت الحرام، ولها أرضية في الثقافة المسيحية واليهودية لأهل المنطقة!

٣ - من المتفق عليه أن عبد الملك كان بخيلاً جداً، فما هو السبب في سخائه المفرط على بناء قبة الصخرة لمضاهاة الكعبة؟ فلعل اليهود كانوا وراء تمويل المشروع لأهداف كانت لهم في القدس، لكنهم فشلوا!

٤ - أن موج عقائد الإسلام بقي عصياً على أمثال هذه الأعمال التحريفية، بسبب جهود أهل البيت (عليهم السلام)، وثقافة الإسلام المحددة بالنص القرآني، وما نشره من النص النبوي، ولذلك غلب تقديس مكة وعاد الحج إليها بعد انتهاء حكم ابن الزبير، وبقيت في النفوس والكتب روايب عمل عبد الملك واليهود!

٥ - أنه يجب الحذر من أحاديث مدح بلاد الشام وفلسطين وبيت المقدس، إلا ما ثبت من مباركتها في القرآن الكريم، وما روي بطرق صحيحة عن غير طريق الرواة الموالين للخلافة الأموية والقرشية. وهنا تظهر قيمة مواقف أهل

البيت (عليهم السلام) في وجه ثقافة الحاحامات وتلاميذهم رواة الخلافة، ومن ذلك تكذيب أمير المؤمنين (عليه السلام) لكعب في مجلس عمر عندما قال كعب: (إن الله تبارك وتعالى كان قديما قبل خلق العرش وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه نفل تفلت كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة. فقال له (عليه السلام): غلط أصحابك وحرفوا كتب الله وفتحوا الفرية عليه! يا كعب ويحك!

إن الصخرة التي زعمت لا تحوي جلاله ولا تسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لا يحوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكان لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومي إليه). (البحار: ٣٦ / ١٩٤)

وسأله كعب يوما: (يا أبا الحسن أخبرني عن أول عين جرت على وجه الأرض؟ فقال (عليه السلام): تزعم أنت وأصحابك أنها العين التي عليه صخرة بيت المقدس، قال كعب: كذلك نقول، قال: كذبتم يا كعب ولكنها عين الحيوان وهي التي شرب منها الخضر فبقي في الدنيا). (خصائص الأئمة للشريف الرضي / ٩٠). وقد تقدم غضب الإمام الباقر (عليه السلام) وتكذيبه كعبا وصاحبه في تفضيل الصخرة.

٦ - دافع ابن تيمية على طريقته عن عبد الملك بأنه أراد أن يصرف الناس عن ابن الزبير، وأغمض عن منعه المسلمين من الحج وتحجيجهم إلى بيت المقدس وجعل قبة الصخرة مقابل الكعبة! قال في اقتضاء الصراط / ٤٣٥، ومجموع الفتاوى: ٢٧ / ١٢: (وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان. ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف

ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير). وهو دفاع مبطن بالهروب من ذكر بدعة عبد الملك وتحريفه للإسلام!

٧ - يحترم أهل البيت (عليهم السلام) مسجد بيت المقدس وصخرته ولكن بدون مبالغة ولا تفضيل ولا مساواة له بالحرمين والمشاهد المشرفة، ويفتي فقهاء مذهبنا في يمين المتلاعنين: (فإنه يلاعن بينهما في أشرف البقاع، فإن كان بمكة فبين الركن والمقام، وإن كان بالمدينة فعلى منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإن كان في بيت المقدس فعند الصخرة، وإن كان بغير هذه البلاد ففي أشرف موضع فيه وأشرف بقاع البلاد الجوامع والمشاهد عندنا). (المبسوط للشيخ الطوسي: ٥ / ١٩٧ و: ٨ / ٢٠٣

وقواعد الأحكام للعلامة الحلي: ٣ / ١٩٠، والدروس: ٢ / ٩٦، وغيرها).
* *

مواجهة الإمام زين العابدين (عليه السلام) لكعبة عبد الملك
نشط عبد الملك في الدعاية للحج إلى بيت المقدس، ومنع أهل الشام وفلسطين ومصر وغيرهم من الحج إلى الكعبة الشريفة، حتى لا تؤثر عليهم دعاية ابن الزبير.. وأطاعه رعاع الناس فحجوا إلى القدس وطافوا وذبحوا هناك!!
وقد واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) هذا الوضع الخطير الذي يهدد ركننا من أركان الإسلام بتوعية المسلمين على مقام الكعبة الشريفة وفريضة الحج إليها، وكان ذلك كان معروفا عنه (عليه السلام) فأشاعوا أنه يفضل الحج على الجهاد والفتوحات، وقد أجابهم (عليه السلام) تارة ببيان فضل الحج: (قال رجل لعلي بن الحسين (عليهما السلام) تركت الجهاد وخشونته ولزمت الحج ولينته؟ قال: وكان متكيا فجلس فقال: ويحك ما بلغك ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع إنه لما همت الشمس أن تغيب قال رسول

الله (صلى الله عليه وآله): يا بلال قل للناس فلينصتوا، فلما أنصتوا قال رسول الله: إن ربكم تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم، فأفيضوا مغفورا لكم، وضمن لأهل التبعات من عنده الرضا).

وتارة كان يطلب من المعترض أن يكمل قراءة آيات الجهاد، ففي الكافي: ٥ / ٢٢ تحت عنوان: (الجهاد الواجب مع من يكون؟) عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لقي عباد البصري علي بن الحسين (عليه السلام) في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينته إن الله عز وجل يقول: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. (التوبة: ١١١) فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): أتم الآية فقال: التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين. (التوبة: ١١٢) فقال علي بن الحسين (عليه السلام): إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج). (و من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٢١٩).

* *

ولابد أن يكون الإمام (عليه السلام) قام بفعاليات واسعة لمواجهة التحريف الأموي اليهودي للحج ومقام الكعبة الشريفة، والقليل الذي وصل إلينا يكفي، مثل قوله: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الحج ثوابه الجنة والعمرة كفارة كل ذنب. (الجعفریات / ٣٣).

وقوله (عليه السلام): (تسيحة بمكة أفضل من خراج العراقين ينفق في سبيل الله). (القواعد والفوائد: ٢ / ١٢٣).

وقوله (عليه السلام): (النائم بمكة كالمتشحط في البلدان.. من خلف حاجا في أهله وماله كان له كأجره حتى كأنه يستلم الأحجار.. يا معشر من لم يحج استبشروا

بالحاج وصافحوهم وعظموهم، فإن ذلك يجب عليكم لتشاركوهم في الأجر).
(المحاسن: ١ / ٦٨ - ٧١).

وقوله (عليه السلام): (حجوا واعتصموا تصح أجسامكم وتتسع أرزاقكم وينصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة عيالكم). (ثواب الأعمال / ٤٧).

وقوله (عليه السلام): (وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك). (رسالة الحقوق / ٣١١).

كما وصل إلينا أنه (عليه السلام) كان يحمل معه أطيب الزاد ويوزعه على الذاهبين إلى الحج أو العمرة: (كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا سافر إلى الحج والعمرة تزود من أطيب الزاد، من اللوز والسكر والسويق المحمص والمحلى). (الكافي: ٨ / ٣٠٣).

(قال سفيان: أراد علي بن الحسين الخروج إلى الحج فاتخذت له سكينه بنت الحسين أخته زادا أنفقت عليه ألف درهم، فلما كان بظهر الحرة سيرت ذلك إليه، فلما نزل فرقه على المساكين). (مطالب السؤل / ٤١٥، صفة الصفة: ٢ / ٩٦).

(وكان يمشي إلى الحج ودابته تقاد وراءه). (الجواهر: ١٧ / ٣١١). ويقول: (لو حج رجل ماشيا وقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر ما وجد ألم المشي). (وسائل الشيعة: ١١ / ٣٩٦، والمنتظم: ٥ / ٣٤٩).

* *

تحرير عبد الملك في قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام)!
بادر عبد الملك بالكتابة إلى واليه الحجاج أن لا يمس الإمام زين العابدين (عليه السلام) بسوء، خوفا على ملكه من دماء آل محمد (صلى الله عليه وآله)! ولكنه مع ذلك بقي متحيرا فيه لأن تقارير الحجاج والجواسيس الخاصين تقول إنه المرجع الروحي لحركات الهاشميين ضد النظام، فأمر عبد الملك بالقبض عليه وإحضاره مقيدا كما مر!

وعندما فاجأه الإمام (عليه السلام) بأن خرج من قيوده بعد مسير يومين من المدينة، ووصل في نفس الساعة إلى الشام ودخل على عبد الملك بلا استئذان وخاطبه غاضبا: مالك ومالي تحبسني ظلما؟! قال عبد الملك للزهري: (إنه جاءني في يوم فقدته الأعوان) الشرطة المرافقين للإمام (عليه السلام) فدخل علي فقال: ما أنا وأنت؟! فقلت: أقم عندي فقال: لا أحب ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة! قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن (وتتهمه بالتحضير لثورة) إنه مشغول بربه، فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به! (تاريخ دمشق: ٤١ / ٣٧٢).

* *

ثم رأى عبد الملك من الإمام (عليه السلام) حادثة زادت دهشته حتى نسي فك الإمام لقيوده ومفاجأته له في قصره بالشام! فقد روى ابن حمزة في الثاقب / ٣٦٥، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يبصر وجهه فقال: من هذا الذي يطوف بين يدينا ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له: هذا علي بن الحسين، فجلس مكانه فقال ردوه إلي فردوه، فقال له: يا علي بن الحسين إنني لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إلي؟ فقال علي بن الحسين: إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو فكن. فقال: كلا، ولكن تصير إلينا لتنال من دنيانا. فجلس زين العابدين وبسط رداءه فقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك! فإذا رداؤه مملوء دررا يكاد شعاعها يخطف بالأبصار! فقال: من يكون هذه حرمة عند ربه كيف يحتاج إلى دنياك؟! ثم قال: اللهم خذها فلا حاجة لي فيها). (والخرائج: ١ / ٢٥٥، والصراط المستقيم: ٢ / ١٨٠)!

ولعل الإمام (عليه السلام) ترك عبد الملك مشدوها يقبل جواهره ويجمعها فرحا بها، وتابع هو طوافه وعبادته وفرحه بفضل الله ورحمته!

* *

ومع ذلك، كان الإمام (عليه السلام) يقبل بعض عطاءات عبد الملك التي قد لا تزيد كلها عن ثمن جوهرة واحدة مما أعطاه! وقد سافر (عليه السلام) ذات مرة إلى الشام مع الزهري شفيعا لبعض من غضب عليهم عبد الملك من الهاشمين، فحبسهم أو وضعهم على قائمة القتل! وتأثر عبد الملك بكلامه وبكى كما مر ثم قال: (شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدنيا من أين أجابته وماله في الآخرة من خلاق، ثم أقبل يسأله عن حاجاته وعمما قصد له فشفعه فيمن شفع ووصله بمال). (فتح الأبواب لابن طاووس / ١٦٩).

ومع كل ذلك فقد كان قلب عبد الملك وهواه مع رأي الحجاج في ضرورة قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام) لخطورته على ملكه وملك أولاده، فهو صاحب نشاط عميق ضد أفكارهم وسياساتهم، وإن لم يجمع حوله أنصارا وسيوفا! لكنه كان يتذكر لعنة يزيد التي لحقته بسبب قتل الحسين (عليه السلام)، فبقي الغالب عليه تخوفه من قتل الإمام (عليه السلام) حتى قام ابنه الوليد الطاغية أكثر من أبيه بقتله (عليه السلام).

وسياتي الحديث عن مدى تدين عبد الملك وابنه الوليد، وأن القدر المتيقن أنه كان يعتقد بوقوع الأحداث التي أخبر بها النبي (صلى الله عليه وآله)! فعندما خرج عليه عبد الرحمن بن الأشعث في إيران تخوف أن يكون هو صاحب رايات خراسان التي أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) أن زوال ملك الأمويين على يدها! فاهتم و (أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس، إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان)! (تاريخ الطبري: ٦ / ٧٨).

تم المجلد الثالث من كتاب: جواهر التاريخ
ويليه المجلد الرابع إن شاء الله تعالى
**